

**الحوزة العلمية  
المشروع الإسلامي الحضاري**



الحوزة العلمیة  
المشروع الإسلامی الحضاری

شهید الحرب

آیت الله العظمی السید محمد باقر الحکیم قدس سره

إعداد و تحقیق

السید محمود الحکیم

## هوية الكتاب

عنوان الكتاب: الحوزة العلمية، المشروع الإسلامي الحضاري

تأليف: شهيد المحراب آية الله السيد محمد باقر الحكيم قدس سره

إعداد وتحقيق: السيد محمود الحكيم

التدقيق اللغوي: ياسر الحكيم

الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره

المطبعة: النخيل

الطبعة: الأولى

عدد النسخ المطبوعة: ٢٠٠٠ نسخة

الإخراج الفني: ياسر الجادري

حقوق الطبع محفوظة  
لمؤسسة تراث الشهيد الحكيم قدس سره









## مقدمة الطبعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آل بيته الطاهرين المطهرين.

المعروف أن الإسلام الحنيف عبارة عن سلسلة من التشريعات الإلهية التي تناولت مفاصل الحياة بكل تفاصيلها؛ ولذا يقال - كما هو المعروف -: الحياة هي الدين، والدين هو الحياة، وتشير النصوص المستفيضة الواردة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام: إلى شمول واستيعاب الأحكام الشرعية لمفردات الحياة، فقد روى عمر بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعتَه يقول: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله صلى الله عليه وآله، وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً»<sup>(١)</sup>، وهذا يعني: أن ثمة أحكاماً إلهية لا بد للمكلف عقلاً ونقلًا من التعرّف عليها والوصول إليها؛ لتحقيق منه الإطاعة لله تعالى، والخروج من عهدته تكاليفه.

وهذا الوصول ليس سهلاً ومتيسراً لكل مكلف أو باحث - لأسباب عدة - حتى مع حضور ووجود النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام فضلاً عن غيابه واحتجابه، وإنما بحاجة ماسة وضرورية إلى الاطلاع على مقدمات كثيرة تتصف بالدقة والعمق، وتحتاج إلى تفرغ كامل لدراستها واستيعابها، وبالتالي

(١) الكافي ١: ٥٩، ح ٢٠.

صار الوصول إلى تلك الأحكام اختصاص من الاختصاصات العلمية، الذي يجب التعامل معه كسائر الاختصاصات الأخرى من حيث الاحترام وعدم التطفل عليه.

ومن هنا نشأت الحاجة إلى تفرغ ثلثة من الناس لتخصص في مجال استنباط الأحكام الشرعية؛ لتلبي حاجة الأمة على المستوى الديني والأخروي، فكان النداء القرآني ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> إيداناً بتشكيل النواة الأولى للحوزة العلمية، التي تنامت شيئاً فشيئاً ببركة رعاية وتوجيه أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى أصبح لها وجوداً كبيراً وواسعاً في حياة أتباعهم عليهم السلام، وحظت باحترامهم وتقديرهم بما لم تحظ به أي مؤسسة أخرى، واستطاع الفقيه النفوذ إلى نفوسهم وقلوبهم؛ لما يحملها من مواصفات أخلاقية عالية، ولكونه يمثل الامتداد الطبيعي للمشرع الإسلامي «أما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»<sup>(٢)</sup>.

ولعل أهمية هذا الكيان، وموقعه الحساس من حياة المسلمين جعل مفكري المسلمين ونخبهم يتحدثون عنه باستمرار ومن زوايا متعددة ومختلفة. وكان شهيد المحراب رحمته الله أحد العلماء الذين كتبوا وتحدثوا عن الحوزة العلمية في كثير من محاضراته وندواته العلمية، وتكتسب أحاديثه نكهة خاصة، حيث

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤، ح ٤.



أنه ولد وترعرع في أحضانها، وعاش همومها، وتلمس آلامها، واكتوى بمحنها، فهو ابن أسرة طغى عليها الانشغال بدراسة العلوم الدينية، وابن مرجع ديني انقادت له المرجعية الدينية وانعقدت في مقطع زمني حساس، وفي ظل ظروف كان العالم الإسلامي في أعمه الأغلب يرزح تحت نير المستعمر المتحكم بشؤون المسلمين، وكانت الساحة الإسلامية حينها مسرحاً مكتظاً بصراعات ذات أبعاد سياسية وفكرية وثقافية متنافرة.

فالعالم الإسلامي بمجمله كان في عقد الخمسينات الميلادية من القرن الفائت مستورداً كبيراً لثقافات غربية وشرقية متنوعة أدت إلى تشكّل نمط جديد من الثقافة تمظهر في هجر التراث الإسلامي، والتشكيك ببعض المفاهيم الإسلامية، وانعكس ذلك سلباً على كيان الحوزة العلمية باعتبارها أوضح الواجهات الدينية وأصرحها، فناها من التشكيك في مشروعيتها، والتطفل الكبير على مساحاتها الفكرية، والتشويش على دورها وأدائها الشيء الكثير، مما أدى إلى اهتزاز صورتها في أذهان ونفوس أتباع أهل البيت عليهم السلام، وبالتالي تهميشها وحصرها في زاوية ضيقة.

إن سياسات المستعمر الهدامة، والإجراءات الاستفزازية للأنظمة الحاكمة، وحملات الشكّ والتسفيه للنمط الثقافي الجديد المتأثر بالثقافة المستوردة وإن استطاعت أن تعيق وتشل حركة الحوزة العلمية، وتحجم دورها وقدرتها على التأثير في أوساط الأمة، لكنها كانت في ذات الوقت دافعاً قوياً للقيادة الدينية الإسلامية الشيعية أن تكافح كفاحاً حثيثاً ومريراً من أجل إعادة الحوزة العلمية إلى مكانها المناسب وموقعها الذي اختاره الله لها في قيادة الأمة نحو الخير والصالح؛ ولذا شهدت الفترة المتمثلة بالمرجعية الدينية آنذاك

للإمام الحكيم عليه السلام قفزة نوعية في حركة الحوزة العلمية على كل المستويات والأصعدة لم تشهدها في سابق عهدها، مما جعله عليه السلام يلاقي ألواناً من المعاناة، وأنواعاً من الابتلاءات، سواء من أنظمة الحكم أم من الأحزاب والتنظييات السياسية أم من التيارات الثقافية المتحركة حديثاً في الشارع الإسلامي... وشهيد المحراب بحكم بنوته وقربه الشديد من الإمام الحكيم كان يرقب عن كثب ويتابع عن قرب - على حداثة سنّه - الخطوات المهمة لوالده المرجع، وخلفياتها الدينية أو الاجتماعية، وكيفية إدارته عليه السلام بثقة كاملة وبحنكة عالية - رغم شيخوخته - لشؤون المسلمين في كل مكان، وللصراع غير المتكافئ غالباً مع الأنظمة الحاكمة والتيارات السياسية والفكرية والثقافية؛ وهذا ما جعل شهيد المحراب عليه السلام حينما يتحدث عن الحوزة العلمية يحاول استعراض الماضي واستحضاره كتجربة ناجحة من تجارب الأسلاف، وخطوة متقدمة باتجاه الإصلاح والبناء؛ لتقف عندها الأجيال، وليستفيد هو منها في التنظير لبناء وتنمية حوزة علمية تدافع عن الدين وتصونه من الانحراف والزيغ، وتأخذ على عاتقها كل ما تحتاج إليه الأمة، وبالتالي تلبّي طموحاتها وتحقق آمالها.

إن الحركة السياسية الاجتماعية الواسعة لشهيد المحراب عليه السلام اقترنت بحركة ثقافية واسعة أيضاً، حيث كان يعتقد عليه السلام: أن أي حركة سياسية إذا لم تقم على قاعدة معرفية ثقافية فهي محكومة بالفشل والتلاشي عاجلاً أم آجلاً؛ ولذا عند ملاحظة الخط البياني لمجمل حركته السياسية الاجتماعية الواسعة نرى أنه أولى الجانب الفكري والثقافي الديني أهمية أكبر من الجانب الجهادي والسياسي من حيث المشاركة في التنظير والتثقيف والبناء، والتأسيس لمشاريع

ثقافية ضخمة، ومن حيث التشجيع الكبير على إنشاء وإقامة كل مشروع ثقافي هادف، وهذا ما جعل الفترة الزمنية لحركته السياسية تشهد مشاريع ثقافية كثيرة جداً، توزعت على إقامة المؤتمرات، والندوات، والاحتفالات المفتوحة، والدورات التثقيفية، وتنوعت في محاورها بين المفاهيم الإسلامية العامة، والمفاهيم العقدية، والأخلاقية، والقرآنية، والتفسير، والتاريخ، بل حتى المفاهيم التي لها بُعد شرعي، كمفهوم الحوزة العلمية، وهذا ما يفسر الكم الهائل الذي تركه فَلَيْسَ من المحاضرات العلمية، والثقافية، والبيانات، والنداءات التوجيهية التي قلما تمر مناسبة لم يكن له فيها صوت مدوي زاهر بالتوجيه والإرشاد والحث على الاقتراب من الله تعالى، فقد تمّ إحصاء أكثر من ألفين وخمسمائة ساعة تحدث فيها رَضِيَ منذ بداية تصديه السياسي العلني وحتى ساعة استشهاده، تناول فيها مواضيع شتى، ومع مختلف شرائح وطبقات المجتمع العراقي في المهجر بدءاً بالنخب من النساء والرجال، ومروراً بالمقاتلين والمجاهدين، حيث كان يقصدهم إلى ميادينهم وثكناتهم على الدوام، وكذلك الذين وقعوا في أقفاص الأسر أثناء الحرب العراقية الإيرانية، فقد كان يزورهم ويتفقدهم باستمرار ويتحدث إليهم عن الهموم العامة والخاصة، وانتهاء بالفتية والأطفال، ومفهوم الحوزة العلمية كان له الحضور الواسع في هذه الأحاديث، فما يضمه هذا الكتاب هو عبارة عن محاضرات ألقاها على النخب، والمقاتلين المجاهدين، والأسرى في أقفاصهم، وحتى الأطفال كان يحدثهم عن هذا الكيان ويحثهم على الاعتزاز به، والدفاع عنه في مستقبل أيامهم؛ ولذا كان رَضِيَ أحياناً يشير إلى بعض المطالب والأفكار المرتبطة بهذا الكيان الشريف دون الاستدلال عليها أو الدخول في تفاصيلها

إما رعاية لمستوى الحضور وإما رعاية لوقت الحديث، فجاءت كإشارات وإثارات تحتاج إلى متابعة علمية من ذوي الشأن والاختصاص.

ثم إن هذه الاستفاضة في الحديث من قبل شهيد المحراب عن الحوزة العلمية والمرجعية الدينية على مدى عقدين ونصف من الزمن، أي: منذ هجرته إلى إيران عام ١٩٨١م وحتى عودته إلى النجف الأشرف عام ٢٠٠٣م لم تنطلق من غرض وهدف سياسي كما حاول البعض تسويق ذلك في مختلف الأوساط والترويج له بشتى الوسائل؛ لتحقيق أهداف وأغراض لا مجال للحديث عنها في هذا المختصر، وإنما كانت تعبر أحاديثه عليه السلام عن إيمانه بأن الحوزة العلمية موقعها هو موقع القائد الذي اختاره الله سبحانه لقيادة الأمة نحو التكامل والقرب منه تعالى، وإن هذا الكيان لما يتصف به أفراد من صفات أخلاقية عالية هو أفضل كيان يمكن أن تطمئن به الأمة وتنقاد إليه في تحقيق أهدافها وآمالها، وأنه هو الأقدر على حل كل الإشكاليات التي تواجه الأمة على المستوى العلمي أو العملي؛ نظراً لكون الدين الحنيف وتعاليمه تسري في كل تفاصيل الحياة، وإن الإسلام لم يترك معضلة أو مشكلة إلا وحلها، والأقدر على الوصول لهذا الحل، هو الفقيه المتوفر على المواصفات التي حددتها الشريعة الإسلامية.

إن تركة شهيد المحراب عليه السلام عن الحوزة العلمية وافرة جداً، فقد كان لهذا الكيان حضوراً ذهنياً واضحاً لديه تمخض عن محاضرات وحوارات فكرية كاملة عنه، كما أن هناك عدداً من الدراسات كتبها عليه السلام بمداده الشريف، وقد طبعت مع بعض المحاضرات الأخرى في كتاب اسمه (الحوزة العلمية... نشوؤها... مراحل تطورها... أدوارها) أيام حياته، وكان دورنا هو أن

عمدنا إلى:

١- استقصاء وجمع الحوارات والمحاضرات الصوتية والمرئية غير المنشورة، ثم تفرغها على الورق، وتقويمها بتحويلها من الأسلوب الخطابي إلى أسلوب يتناسب مع أسلوب الدراسات التي كتبها بقلمه الشريف مع الحفاظ التام على روح المحاضرة ومضمونها.

٢- دمج تلك المحاضرات مع الكتاب الذي تمّ طبعه في حياة شهيد المحراب عليه السلام وفق فهرسة جديدة؛ لتكوّن بمجموعها هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ.

٣- إرجاع ما ورد في المادة المجموعة من نصوص أو حوادث إلى مصادرها الروائية والتاريخية، مضافاً إلى ترجمة أولية للأعلام التي ذكرت هنا وهناك.

٤- تقسيم الكتاب إلى قسمين، أحدهما: يتناول كل ما يرتبط بالحوزة العلمية من موضوعات وأفكار ورؤى، وهو ينقسم إلى سبعة فصول:

تناول الفصل الأول بيان لمحة عن الحوزة العلمية. وبحث الفصل الثاني خصائص، ومسؤوليات الحوزة العلمية المستوحاة من الواقع التشريعي.

واختص الفصل الثالث بطالب العلم الذي يشكل نواة الحوزة العلمية من حيث صفاته المفترض توفرها فيها، وشروط قبوله في الحوزة العلمية، وأما

الفصل الرابع فكان منعقداً عن الهم الثقافي وارتباطه بالحوزة العلمية بما أنها المرجعية الفكرية والثقافية لأتباع أهل البيت عليهم السلام. وفي الفصل الخامس تمّ

تناول الهم السياسي بعنوانه العام وموقف الحوزة العلمية منه. وأما الفصل السادس فكان بحثاً مفصلاً عن الحركات الإصلاحية التي ظهرت في الحوزة

العلمية. وهكذا الفصل السابع الذي كان عبارة عن دراسة عن مفهومي

الأصالة والمعاصرة وارتباطهما بالحوزة العلمية.

وأما القسم الثاني: فقد جعلناه مختصاً بالحديث عن بعض الشخصيات الحوزية التي تحدّث عنها شهيد المحراب قدس سرّه في لقاءات صحفية أو محاضرات خاصة بها، وفي مناسبات مختلفة ومتنوعة، ولما كانت هذه الشخصيات مرتبطة في حركتها بشكل جوهري وحقيقي بالحوزة العلمية ارتأينا أن نجعلها القسم الآخر لهذا الكتاب وفق الترتيب الأبجدي لها. وهي: حجة الإسلام والمسلمين السيد غلام علي شاه النقوي. وآية الله السيد محمد تقي الحكيم. وآية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر. وآية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين. والعلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم. والإمام الشهيد السيد موسى الصدر.

وأخيراً نسأل الله أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبوله الحسن، وأن يرحم شهيد المحراب آية الله السيد محمد باقر الحكيم برحمته الواسعة، ويرفع من درجاته في الدارين. إنه سميع الدعاء، وهو أرحم الراحمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمود الحكيم

## القسم الأول

# رؤى عن الحوزة العلمية

\* الفصل الأول:

لمحة حول الحوزة العلمية

\* الفصل الثاني:

الحوزة العلمية، الخصائص.. المسؤوليات

\* الفصل الثالث:

طالب العلم، الصفات.. شروط القبول

\* الفصل الرابع:

الحوزة العلمية والهَمُّ الثقافي

\* الفصل الخامس:

الحوزة العلمية والهَمُّ السياسي

\* الفصل السادس:

الحركات الإصلاحية في الحوزة العلمية

\* الفصل السابع:

الحوزة العلمية بين الأصالة والمعاصرة





القسم الأوّل

رؤى عن الحوزة العلميّة

الفصل الأوّل

لمحة حول الحوزة العلميّة



## أهمية العلم

يمتاز العلم - الذي هو عماد الحوزة العلمية، وركنها الركين - بأهمية خاصة في الواقع التكويني، والتشريعي<sup>(١)</sup> على السواء، وما ذلك إلا لدوره المهم في الحياة البشرية، ويشهد لذلك: أنه القضية الأولى التي وضعت في حياة الإنسان ووجوده، فمنذ بدء الحياة كان العلم العنوان الأول والأبرز الذي طُرح في تفسير وجود الإنسان على الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالآيات الكريمة ترسم صورة رائعة لمشهد الملائكة وهم يُجبرون بقرار خلافة الإنسان في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فكان رد فعلهم الأولي والتلقائي أن تساءلوا عن تفسير هذا القرار: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، وجاء التفسير الإلهي له متمحوراً بالعلم: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا

(١) لقد أخذ العلم بعنوانه في تنجز بعض الأحكام الشرعية، كما رتب عليه الشارع المقدس آثاراً جمة في الحياة الأخرى.

(٢) البقرة: ٣٠ - ٣٣.

لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ\*، فمن خلال الحوار المتقدم تظهر أهمية العلم، وامتيازه على باقي الصفات الأخرى.

### دور العلم في الحياة البشرية

لقد أعطى القرآن الكريم للعلم أهمية خاصة في حياة الإنسان، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(٢)</sup>؛ باعتباره السبيل الوحيد الذي يوصل الإنسان للهدى، ويخرجه من ظلمات الكفر والضلال والانحراف، من خلال معرفة الإنسان بنفسه، وبربه، وحياته، وآخرته.

كما أعطاه الإسلام موقعا اجتماعيا خاصا في قضية الإمامة والولاية، فعند الرجوع إلى القرآن الكريم، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، والواقع العملي التاريخي الاجتماعي في مسيرتهم عليهم السلام، ومسيرة أتباعهم، نجد أن العلم يأخذ الموقع الأول في هذا التركيب الاجتماعي.

فأئمة أهل البيت عليهم السلام عندما يتحدثون عن إمامتهم وولايتهم يؤكدون

(١) الزمر: ٩.

(٢) المجادلة: ١١.

على مسألة العلم<sup>(١)</sup>، وأنهم هم العلماء بالله سبحانه وتعالى، وهم أعلم الناس<sup>(٢)</sup>، وعندما يفسرون الآيات القرآنية، التي تتحدث عن العلم والعلماء يفسرونها بهم<sup>(٣)</sup>، وحين يريدون عليه السلام إيصال مهمة الإمامة من بعدهم، فإنهم يوكلونها إلى العلماء<sup>(٤)</sup>.

ومن هنا كانت فكرة (ولاية الفقيه)، حيث أصبح العنوان: (ولاية الفقيه)، لا ولاية المتقي - مثلاً - مع أن التقوى أساس من أسس الولاية، ولكن باعتبار دور العلم في حياة البشرية وضع العنوان بهذا الشكل.

(١) عن عبد الرحمن بن كثير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحي الله». الكافي ١: ١٩٢، ح ١.

ويروي سورة بن كليب، قال: «قال لي أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخزان الله في سمائه وأرضه، لا على ذهب ولا على فضة، إلا على علمه». بصائر الدرجات: ١٢٤، ح ١.

(٢) روى المفضل بن عمر، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إن سليمان ورث داود، وإن محمداً ورث سليمان، وأنا ورثنا محمداً، وإن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور، وتبيان ما في الألواح». الكافي ١: ٢٢٤، ح ٣.

(٣) عن أبي بكر الحضرمي، قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام ودخل عليه الورد أخو الكميث، فقال: جعلني الله فداك اخترت لك سبعين مسألة ما تحضرنني منها مسألة واحدة، قال: ولا واحدة يا ورد؟ قال: بلى قد حضرنني منها واحدة، قال: وما هي؟ قال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ من هم؟ قال: نحن، قال: قلت: علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت: عليكم أن تحيونا؟ قال: ذاك إلينا». المصدر السابق: ٢١١، ح ٦.

وروى جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: «في قول الله عزوجل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ»، قال أبو جعفر عليه السلام: إنما نحن الذين يعلمون، والذين لا يعلمون عدونا، وشيعتنا أولو الألباب». المصدر السابق: ٢١٢، ح ١.

(٤) ورد عن الإمام المهدي عليه السلام قوله: «وأما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله». الاحتجاج ٢: ٢٨٣.

## التأسيس القرآني للحوزة العلمية

إن تاريخ الحوزة العلمية، وأصل فكرتها يمكن أن يكون مرتبطاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ففي الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية الكريمة، كان للجهاد في سبيل الله - بمعنى القتال لا الجهاد بمعناه العام<sup>(٢)</sup> - دور مهم في حياة المسلمين، حيث لم يتم إرساء دعائم المجتمع الإسلامي إلا من خلاله، بالرغم من العمل التبليغي الواسع، الذي قام به النبي ﷺ لمدة ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة<sup>(٣)</sup> - وهي المدة الأطول من بعثته ﷺ<sup>(٤)</sup> - وتحمل بسببه مختلف ألوان الأذى والمحن والآلام<sup>(٥)</sup>، إلا أنه ﷺ لم يستطع إقامة المجتمع الإسلامي، ولا الحكم الإسلامي، حتى هاجر إلى المدينة المنورة، ومن خلال القتال والجهاد تمكن من تحقيق هذين الهدفين.

ويبدو من سياق آية النفر: أنها تعبر عن مرحلة انتهى إليها المجتمع الإسلامي والرسالة الإسلامية، وهي مرحلة استقرار الدولة الإسلامية،

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. التوبة: ٤١.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ ٢: ١٠٧.

(٤) حيث كانت مدة مكوثه ﷺ في المدينة عشر سنين.

(٥) انظر: إعلام الوري بأعلام الهدى ١: ١٢٠، الفصل الخامس.

والمجتمع الإسلامي استقراراً نسبياً بعد فتح مكة<sup>(١)</sup>، ونزول سورة براءة<sup>(٢)</sup>، بحيث صار مجتمعاً آمناً في وجوده وكيانه السياسي، بعد سلسلة من الصراعات والمعارك التي خاضها رسول الله ﷺ مع المشركين، واليهود، الذين كانوا يجاورونه ﷺ في المدينة المنورة، ويوجهون تهديداً حقيقياً للمجتمع الإسلامي وكيانه، وتمكّن المسلمون من إنزال الهزيمة بهما، والتخلّص من خطرهما المنظور؛ وبذلك حقق الجهاد أهدافه وأغراضه، وأصبح يمثل مرحلة جديدة من أجل تثبيت الوضع الإسلامي.

فبعد هذه الفترة من وجوده ﷺ في المدينة المنورة، ورد تكليفان رئيسان: الأول: التوجه لنشر الإسلام والدعوة إليه خارج منطقة الجزيرة العربية؛ ومن هنا بدأ ﷺ يفكر في الكتابة إلى الملوك، والسلاطين، والقادة، الذين يحكمون العالم آنذاك في مختلف أنحاءه، ويوجه لهم الرسائل التي يدعوهم فيها إلى الإسلام<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أنه ﷺ كان يفكر تفكيراً حقيقياً بالقيام بعمل واسع لنشر الإسلام؛ لأن مجرد كتابة الرسائل والبيانات أمرٌ سهل لا مؤنة فيه، فكل إنسان يمكنه وهو في بيته أن يكتب رسائل ونداءات إلى مختلف أنحاء العالم، بل إن رسول الله ﷺ كان يمكنه من أول يوم نزل فيه القرآن الكريم أن يكتب هذه الرسائل والبيانات، وأن يرسلها إلى تلك المناطق من العالم، ولكن

(١) كان فتح مكة عام ٨هـ. للتفاصيل انظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٨.

(٢) كان نزولها سنة ٩هـ، ويقال: إنها آخر سورة قرآنية نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة. للتفاصيل انظر: تفسير مجمع البيان ٥: ٥.

(٣) للتفاصيل انظر: مكاتيب الرسول.

هل تؤثر هذه الرسائل من دون أن يكون وراءها تخطيط عملي وفعلي؟  
إذًا، كانت رسائله صلى الله عليه وآله تُعبّر عن مرحلة جديدة وصل إليها المجتمع  
الإسلامي.

الثاني: بناء القاعدة الثقافية والفكرية القوية، التي تتحمل مسؤولية نشر  
الرسالة والدعوة إلى الإسلام في مختلف أنحاء العالم، حيث إن آية النفر  
وردت في هذا السياق؛ ولذلك جاء في صدرها: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا  
كَافَّةً﴾، والمقصود من (النفر) هنا - على أحد التفسيرات - هو النفر للجهاد<sup>(١)</sup>.  
فجاء التكليف القرآني في تقسيم المجاهدين المؤمنين - الذين كانوا يتعبأون  
بشكل كامل في عمليات الجهاد - إلى قسمين: قسم ينفر للجهاد، وقسم ينفر  
للتعلم والتفقه ومعرفة الإسلام وأحكامه ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ  
طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، ومن ثمّ حمل رسالة الإسلام والمعرفة إلى الناس،  
وتفقيهم وتحذيرهم ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.  
ومن هنا بدأ مشروع الحوزة العلمية من خلال تفرغ بعض المسلمين للتفقه  
في الدين من أجل الآخرين؛ لأن التفقه من أجل النفس، لمعرفة الأحكام  
والتكاليف، والوظائف الشرعية واجب شرعي على كل مسلم ومسلمة<sup>(٢)</sup>،

(١) انظر: تفسير مجمع البيان ٥: ١٤٤.

(٢) روي عن علي بن أبي حمزة، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: تفقهوا في الدين، فإنه من لم  
يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي، إن الله يقول [في كتابه]: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا  
رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾».

وروى المفضل بن عمر، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليكم بالتفقه في دين الله، ولا تكونوا  
أعرابا، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يترك له عملاً». الكافي ١: ٣١،



والتفقه الذي تتحدث عنه الآية الكريمة، يمثل درجة أخرى، وهو التفقه من أجل الآخرين، وتحمل مسؤوليته.

إذاً، فأصل تأسيس الحوزة العلمية، وبيان مشروعيتها كان في عهد النبي ﷺ، وبيان من أعلى المستويات، وهو القرآن الكريم.

## أهمية الحوزة العلمية

اتضح مما تقدم: أن مشروع الحوزة العلمية مشروع إسلامي قرآني، يتمتع بأهمية بالغة وكبيرة في الرؤية الإسلامية، ويعتبر من حيث الأهمية والقدسية والنتائج المترتبة عليه المؤسسة الأولى بعد الإمامة والولاية، ويشكل جزءاً من الرسالة الخاتمة، بل جزءاً مهماً منها. فعند دراسة المؤسسات، والمشاريع، والتنظيمات الإسلامية في تاريخ الرسالة الإسلامية، منذ عهد رسول الله ﷺ وإلى يومنا الحاضر، نجد:

١- أن أول وأهم مشروع، هو مشروع الدولة الإسلامية، والكيان السياسي الإسلامي، الذي يمكن أن نعبر عنه بـ(مؤسسة الإمامة أو الولاية)، التي تكون أشمل من الدولة، والحكم والدولة هما أحد جوانبها المهمة. فهذا الكيان، الذي أسسه رسول الله ﷺ في أول فرصة أُتيحت له، تمكن أن يحفظ الإسلام ويدافع عنه، ويحفظ للأمة الإسلامية وجودها ووحدتها، ويحفظ للشعائر الإسلامية بقائها واستمرارها، وعند تعرضه للغزو العسكري في العصر الحديث<sup>(١)</sup>، بعد أن بقي صامداً لثلاثة عشر قرناً، نجد المسلمين

(١) إشارة إلى الدولة العثمانية التي كانت تحكم باسم الخلافة الإسلامية.

سرعان ما استعادوا أنفاسهم مرّة أخرى، وبدأوا بإعادته للحياة، حيث بقوا طوال هذه الفترة القصيرة<sup>(١)</sup> يطمحون إلى قضية إقامة الحكم الإسلامي، التي كانت من القضايا المطروحة في أوساطهم ويتحركون من أجلها. وبمجرد عودة الحكم الإسلامي إلى الحياة من جديد، حدثت الصحوة الإسلامية في كل العالم الإسلامي، بل وفي غيره أيضاً، وأحسّ المسلمون بالعزّة والكرامة والفخر والشرف.

٢- أن المشروع الثاني من حيث الأهمية، الذي تمكّن أن يحفظ القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والعلوم الإسلامية، ويحفظ حياة المسلمين، ووعيتهم، وحركتهم، هو الحوزة العلمية، التي تولت من الناحية العملية والتنفيذية مسؤوليات الإمامة في زمن الغيبة<sup>(٢)</sup>.

وأفضل شاهد لهذا الدور والأهمية، هو ملاحظة تاريخ الجماعة الصالحة من أتباع أهل البيت عليهم السلام، الذين لم تكن لهم دولة خاصة بهم، وإنما كانوا يعيشون ضمن الدولة الإسلامية العامة، التي أصابها الكثير من الانحراف والضعف، وواجهتهم بالكثير من عمليات القمع والمطاردة والمحاصرة<sup>(٣)</sup>،

(١) وهي الفترة الممتدة من سقوط الدولة العثمانية، عندما ألغى مصطفى كمال أتاتورك نظام الخلافة عام ١٩٢٤م، وطرد عبد الحميد الثاني. آخر خليفة عثماني. من البلاد، إلى سنة نجاح الثورة الإسلامية في إيران، والإطاحة بنظام الشاه محمد رضا بهلوي في ١٣/٣/١٣٩٩هـ. ١١/٢/١٩٧٩م، ومن ثم تأسيس الجمهورية الإسلامية فيها.

(٢) سيتعرض شهيد الحراب عليه السلام لهذه القضية بشكل مفصل في الفصول القادمة.

(٣) للسيد المرتضى عليه السلام عبارة يَقِيمُ فيها وضع الشيعة وما لاقوه من السلطات الحاكمة، فيقول: «لم تكن فرقة، ولا بلي أهل مذهب بما بليت به الشيعة من التتبع والقصد، وظهور كلمة أهل الخلاف، حتى أنا لا نكاد نعرف زماناً تقدم سلمت فيه الشيعة من الخمول، ولزوم التقية، ولا حالاً عريت فيها من قصد

ولكن مع ذلك استطاعت الحوزة العلمية، من حين تحملها أعباء المسؤولية كاملة في إدارة شؤون الجماعة الصالحة، أي: منذ بداية الغيبة الكبرى<sup>(١)</sup> أن تحفظ لهذه الجماعة وجودها، وأن تطورها وتوسعها، وتصل بها للمستوى الذي وصلت إليه في العصر الحاضر، كما يتضح ذلك من خلال المقارنة بين وضعها في بداية زمن الغيبة ووضعها الحالي، حيث نلاحظ مدى التطور والنمو وصعود الخط البياني لها.

إذاً، فيمكن الجزم: بأن هذه المؤسسة الإسلامية هي أفضل مؤسسة بعد الدولة الإسلامية، حتى لو أغمضنا العين عن البلاغ القرآني بشأنها، ووقفنا عند الواقع التجريبي فقط، حيث نرى أمامنا تجربة استمرت اثني عشر قرناً من الزمن، تمكنت فيها أن تحقق النتائج الملموسة الواضحة، التي لا يمكن أن ينكرها أحد من الناس في التاريخ كله، فأى تجربة تاريخية يمتلكها المسلمون - لأي كيان ومؤسسة وجمعية، أو حزب، أو وجود - أفضل وأعظم من هذه التجربة؟!

ولعل هذا من أفضل الأدلة على أن هذا المنهج - في أصوله وأسس وأطره العامة - هو أفضل منهج يمكن أن يتبناه المسلمون؛ إذ لو كان هذا المنهج ناجحاً في قرن من الزمن أو في فترة معينة، لأمكن القول: إنه في ذلك القرن

السلطان، وعصبيته وميله وانحرافه». الشافي في الإمامة ٢: ٧٩.

(١) تاريخ يؤرخ لانتهاج السفارة الخاصة. الغيبة الصغرى. التي استمرت سبعين عاماً، تخللتها وجود أربعة سفراء أو وكلاء خاصين للإمام المهدي عليه السلام، حيث كان السفير أو النائب يتصل بالشيعة ويحمل أسئلتهم إلى الإمام عليه السلام، ويحمل أجوبته عليه السلام إليهم، وبوفاة السفير الرابع (علي بن محمد السمري) في الرابع من شوال سنة ٣٢٩هـ، انقطعت السفارة الخاصة، وبدأت الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام.

أو تلك الفترة كانت الظروف مناسبة له فنجح، ولكن استمراره كل هذه الفترة الطويلة، ومروره بكل الأدوار المعقدة، والظروف الصعبة، والمحن والآلام، ومع ذلك ظل يحقق النجاحات، فهذا يعني: أن له خصوصيات متميزة قادرة على الإنتاج في كل الظروف الحياتية.

## اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالحوزة العلمية

كان الدور الأساسي لأئمة أهل البيت عليهم السلام في الخارج بشكل عام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعد أن أزيحوا عن قيادة الحكم الإسلامي، هو المحافظة على بقاء أصل الرسالة الخاتمة، ودرء التهديدات والأخطار الحقيقية عنها<sup>(١)</sup>.  
و حين استقر الأمر، وأصبحت الرسالة ثابتة لا شيء يهددها، انتقلوا عليهم السلام إلى مشروع الحوزة العلمية، التي وضع أسسها في الكوفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ورعاها من بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث كانت مشروعهم الأساسي، الذي يحققون أهدافهم الإسلامية، ويارسون نشاطهم العام في المجتمع الإسلامي، ويديرون الأوضاع العامة من خلاله، سواء على مستوى مواجهة الأفكار الدخيلة، كالزندقة والضلالة التي كان يتعرض لها المسلمون، أم على مستوى إرساء الحقائق الإلهية التي كانوا عليهم السلام يعرفونها أكثر من غيرهم، أم على مستوى بناء الجماعة الصالحة المتمثلة بشيعتهم، أم غير ذلك من الأهداف التي قاموا بها عليهم السلام.  
فقد بلغ المشروع ببركة جهودهم عليهم السلام الكبيرة والمخلصة درجة عالية

(١) للتفاصيل انظر: دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة ١: ٢٣.

جداً من السعة، والأهمية، والمحتوى والمضمون العلمي في زمن الإمام الصادق عليه السلام، حتى قال الراوي: «إني أدركت في هذا المسجد تسع مئة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد الصادق عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

ثم بدأت تنتشر الحوزات العلمية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كمدينة قم المقدسة، التي قامت فيها حوزة كبيرة ومهمة في الزمن المعاصر لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك قامت حوزة علمية في مدينة (ري)<sup>(٢)</sup>، ومدينة الكوفة، ثم انتقلت منها إلى بغداد، عندما تحولت الأخيرة إلى مركز وعاصمة للدولة الإسلامية، ثم انتقلت إلى النجف الأشرف في عهد الشيخ الطوسي<sup>(٣)</sup>، ومرّت بتحويلات ومراحل، وتوسعت إلى كربلاء المقدسة، والحلة الفيحاء،

(١) جاء في رجال النجاشي: «عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، قال: خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث، فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء، فسألته أن يخرج لي كتاب: العلاء بن رزين القلاء، وأبان بن عثمان الأحمر، فأخرجهما إليّ، فقلت له: أحب أن تجيزهما لي. فقال لي: يا رحمك الله، وما عجلتلك، اذهب فاكتهما واسمع من بعد. فقلت: لا آمن الحدثان. فقال: لو علمت أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فإني أدركت في هذا المسجد [أي: مسجد الكوفة] تسع مئة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر بن محمد». رجال النجاشي: ٣٩، ترجمة الوشاء: ٨٠.

(٢) تقع مدينة ري اليوم في المنطقة الجنوبية من العاصمة طهران، وفيها الكثير من مشاهد العلماء والسادات، كمرقد السيد عبد العظيم الحسيني، وحمزة ابن الإمام الكاظم عليه السلام، وطاهر ابن الإمام السجاد عليه السلام.

(٣) الشيخ أبو جعفر، محمد بن الحسن بن علي الطوسي، الملقب بـ(شيخ الطائفة المحقة). ولد في سنة ٣٨٥ هـ في (طوس) بإيران، ونشأ وترعرع فيها، ثم هاجر إلى بغداد وله ثلاث وعشرون سنة، وفيها قطع شوطاً كبيراً في طلب العلم، وصنف في جميع علوم الإسلام، وكتبه أشهر من أن تذكر، وغنية عن التعريف، ككتاب (التيبان)، و(التهذيب)، و(الاستبصار)، و(النهاية)، و(المبسوط)، و(العدة)، و(الفهرست)، و(مصباح المتجهد)، وغيرها الكثير. هاجر إلى النجف الأشرف بعد أن أحرقت كتبه وكرسيه الذي كان يجلس عليه للكلام؛ بسبب الفتن التي تجددت ببغداد. توفي فـ في النجف الأشرف سنة ٤٦٠ هـ، ودفن فيها. للتفاصيل انظر: الفوائد الرجالية ٣: ٢٢٧ - ٢٣٦.

وسامراء المشرفة.

## الإمام المهدي والحوزة العلمية

إن العلاقة بين الحوزة العلمية والإمام المهدي عليه السلام علاقة وثيقة وجوهرية، لا يمكن الفصل بينهما، فالفهاء هم نواب له عليه السلام بحكم التوقيع المشهور<sup>(١)</sup>، وأبناء الحوزة العلمية هم الذين يوجهون الأمة فكرياً، وثقافياً، وعملياً باتجاه منقذ البشرية ومخلصها، والحوزة العلمية، كمؤسسة دينية إسلامية تُدار - عادةً - من أمواله عليه السلام (سهم الإمام)، إما بملكيتها بحسب نظر أكثر الفقهاء، أو في إدارتها وشأنيتها، فطلاب الحوزات العلمية - بصورة عامة - يعيشون في إدارة شؤونهم ومختلف قضاياهم في إطار هذا السهم المبارك، والأهم من ذلك كله، هو اعتقاد أتباع أهل البيت عليهم السلام، وفي مقدمتهم الفقهاء والعلماء بأن عملهم ينجز تحت لوائه عليه السلام بالفعل، وهذا أحد الفروق المهمة بين المذهب الإمامي وباقي الفرق الإسلامية، فالمسلمون كلهم يؤمنون بفكرة الإمام المهدي عليه السلام، ويعتقدون بحتمية مجيء يوم يظهر فيه ذلك الإنسان، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً<sup>(٢)</sup>، ولكن الإمامية يعتقدون بوجوده بينهم

(١) انظر: الاحتجاج ٢: ٢٨٣.

(٢) انظر: الغيبة للطوسي: ١٧٨، ح ١٣٥. كنز العمال ١٤: ح ٣٨٦٦٧. سنن ابن ماجه ٢: ح ٤٠٨٢. المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥٥٧.

ذكر الشيخ المظفر: «إن البشارة بظهور المهدي من ولد فاطمة في آخر الزمان. ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً. ثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله بالتواتر، وسجلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشارهم». عقائد الإمامية: ٣٣٢.

وقال الشهيد الصدر في بحثه حول الإمام المهدي عليه السلام: «إن فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم

فعالاً ويتنفعون به<sup>(١)</sup>، وأنه عليه السلام هو مَنْ يقود المسيرة الآن، وإن كان مختفياً عن الأنظار.

## شهر رمضان والإمام المهدي

وهذا الاعتقاد له معطيات عديدة على السلوك الفردي والعام للإنسان، وانعكاسات مهمة على الرؤية المستقبلية العامة له، وهي - المعطيات والانعكاسات - كثيرة، منها ما نلاحظه في شهر رمضان الشريف، الذي هو شهر الرحمة والمغفرة، وشهر ليلة القدر وضيافة الله، وشهر القرآن الكريم، وغير ذلك من الميزات الكثيرة، حيث تمّ توظيف وتكريس نصف دعاء (الافتتاح)<sup>(٢)</sup>

إلى الأفضل قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم عموماً، وفي روايات أئمة أهل البيت خصوصاً، وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك. وقد أحصي أربع مئة حديث عن النبي صلى الله عليه وآله من طرق إخواننا أهل السنة، كما أحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهدي من طرق الشيعة والسنة فكان أكثر من ستة آلاف رواية، وهذا رقم إحصائي كبير لا يتوفر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لا يشك فيها مسلم عادة». بحث حول المهدي: ١٠٣.

(١) روى الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله. قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب». بحار الأنوار ٥٢: ٩٢، ح ٦.

وسأل جابر الأنصاري النبي صلى الله عليه وآله: «هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته، كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب». المصدر السابق: ح ٨.

(٢) انظر: إقبال الأعمال ١: ١٣٨.

- وهو من الأدعية التي يستحب قراءتها كل ليلة فيه<sup>(١)</sup> - للإمام المهدي عليه السلام، فالدعاء - الذي يقال: إنه مأخوذ من الإمام المهدي عليه السلام - من بدايته تمهيد له عليه السلام إلى أن يُحتم بذكره عليه السلام، وبعد ذلك يدعو الداعي، ويطلب من الله تعجيل الفتح والفرج له عليه السلام، ويمثل منهجاً لشيئته وأتباعه في زمن الغيبة الكبرى.

وهذا التكريس والتوظيف والاهتمام بقضية الإمام المهدي عليه السلام له بُعدان: أحدهما: يرتبط بشهر رمضان، والآخر: يرتبط بالهدف من الرسالة الإسلامية. أما البعد الأول، فلأن شهر رمضان ليس شهر الصلاة والصيام فقط، وإنما هو شهر التعبئة الروحية، والجهادية، والسياسية، والارتباط بالعمل الاجتماعي والسياسي، وهذه قضية أصلية ومهمة في شهر رمضان. فمعركة بدر كانت في شهر رمضان<sup>(٢)</sup>، وهي من أهم المعارك الإسلامية، إن لم تكن أهمها؛ لأنها كانت في بداية حركة الإسلام، وحقق الله تعالى فيها النصر للمسلمين، وكان الفتح فيها يمثل بداية لفتح مكة، والجزيرة العربية، والفتوحات الإسلامية الأخرى، وكان البديرون المثال والقُدوة لكل المجاهدين، حتى أصحاب الحسين عليه السلام - الذين هم أفضل الأصحاب - عندما مدحهم الإمام الصادق عليه السلام قال: إنهم كالبدرين<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٥.

(٣) كما ورد ذلك في زيارة العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام.



وفي شهر رمضان أيضاً كان فتح مكة<sup>(١)</sup>، الذي يمثل المعركة المهمة الأخرى في زمن النبي ﷺ، وهكذا الاستعداد للفتوحات الأخرى، كالاستعداد لخبر، فشهر رمضان كان يمثل الشهر الذي يعبيء فيه رسول الله ﷺ المسلمين للقتال والجهاد، وممارسة هذا الدور في حياة المسلمين؛ ولذلك لم يُجعل شهر رمضان - على قداسته وعظمته - من الأشهر الحُرْم؛ لكونه شهر التعبئة الروحية والجهادية والسياسية للمسلمين، ولهذا كان نصف دعاء الافتتاح، سياسة وممارسة لهذا الدور السياسي.

وأما البعد الآخر، فلأن وجود الإمام المهدي ﷺ، الذي بشر به كل الأنبياء<sup>(٢)</sup>، هدف كل الديانات والرسالات الإسلامية، سواء أخذنا الإسلام اسم لكل دين نزل من الله سبحانه وتعالى، أم أخذناه بأنه خاص بالرسالة الخاتمة، والمسيرة التاريخية على امتدادها، إنما هي مقدمة للوصول إلى ذلك الهدف، ولا بدَّ أن تنتهي حركة التاريخ إلى الإمام المهدي ﷺ، ولا يمكن أن يصدق النص الإلهي، الذي خاطب الله به ملائكته في أول خلقه لآدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(٣)</sup>، إلاّ بظهوره ﷺ، فهذا التأكيد في دعاء الافتتاح، إنما هو بلحاظ هذا الهدف.

## فكرة الإمام المهدي من ميزات الرسالة الخاتمة

وقد يثار تساؤل عن سرّ جعل شرف إقامة الدولة الإسلامية العظمى،

(١) انظر: المصدر السابق: ٥٨.

(٢) انظر: حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر: ٧٢.

(٣) البقرة: ٣٠.

وخلافة الله في الأرض على عاتق الإمام المهدي عليه السلام، دون أن يكون هذا الشرف العظيم، والوظيفة الكبيرة لأفضل الأنبياء والمرسلين؟ وفي مقام الجواب يمكن القول: إن هذا الشرف العظيم شرف لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله؛ لأن الإمام المهدي عليه السلام ليس إماماً مستقلاً عن الرسالة الخاتمة، التي تمتاز بعدة قضايا، منها قضية الإمام المهدي عليه السلام، فكما أن القرآن الكريم من مميزات الرسالة الخاتمة، وكذلك ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهكذا قضية الأئمة الإثني عشر عليهم السلام من حيث العدد المخصوص، التي تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وآله <sup>(١)</sup>، وكذلك قضية الإمام المهدي، التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكد عليها بقوله: «المهدي من ولدي» <sup>(٢)</sup>، هي من مميزات الرسالة الخاتمة، بل هي جزء منها، فعندما يقول صلى الله عليه وآله: «من ولدي» أو «من أهل بيتي» <sup>(٣)</sup>، يعني: أن الإمام المهدي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو صلى الله عليه وآله منه عليه السلام، كما قال صلى الله عليه وآله ذلك أيضاً عن الإمام الحسين عليه السلام: «حسين مني، وأنا من حسين» <sup>(٤)</sup>، وبالتالي فالدولة التي تقوم، إنها شرفها لرسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) انظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٥٢، باب: في عدد أوصياء النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) روى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون به غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الناقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً». كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٦، ح ١.

(٣) عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي، وهو يأتم به في غيبته قبل قيامه ويتولى أوليائه، يعادي أعداءه، ذلك من رفقائي، وذوي مودتي، وأكرم امتي عليّ يوم القيامة». المصدر السابق: ٢٨٦، ح ٢.

(٤) عن يعلى بن أمية، قال: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فدعينا إلى طعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي صلى الله عليه وآله أمام القوم، ثم بسط يديه، فجعل الحسين يمر مرة هاهنا، ومرة هاهنا، يضحكه حتى أخذه،

غاية الأمر أن هذا العمل لا يمكن أن يكون محدوداً بالسنوات المحدودة، التي عاشها رسول الله ﷺ.

فقد قدر الله تعالى أن يكون عمر رسول الله ﷺ عمراً محدوداً، وهذا العمل العظيم لا يمكن أن ينسجم مع هذا العمر المحدود؛ لذلك شاء الله تعالى أن يكون تنفيذ الرسالة الخاتمة على مراحل، فهناك مرحلة نُفِذت في مكة امتدت لثلاث عشرة سنة قضاها ﷺ في البلاغ، ومرحلة في المدينة، امتدت لعشر سنوات قضاها ﷺ في بناء المجتمع الإسلامي، ومرحلة في عصر أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومرحلة في عصر الغيبة الكبرى، نُفِذت ولا زالت تُنفذ الآن في الرسالة الخاتمة، وهناك مرحلة أخيرة - إن شاء الله - هي ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وهي الرسالة الخاتمة أيضاً.

كما شاء أن يكون تنفيذ الرسالات الإلهية كلها على مراحل، فقد كانت رسالة نوح عليه السلام، ثم إبراهيم عليه السلام، ثم موسى عليه السلام، ثم عيسى عليه السلام، ثم محمد ﷺ.

## مؤشرات الظهور

ويبدو أن هذا العصر هو عصر ظهور الإمام المهدي عليه السلام<sup>(١)</sup>؛ لوجود بعض المؤشرات التي تدل على ذلك، فعالم اليوم يواجه مشكلات كبيرة ومعقدة،

فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه فقبله، ثم قال رسول الله ﷺ: حسين مني، وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط». مسند الشاميين ٣: ١٨٤.

(١) ولست بصدد التوقيت، فقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام: «كذب الوقتون»، لكن كأن الإنسان يرى. والله أعلم بالمستقبل. أن هذا هو عصر الظهور. منه قسراً.

لا بدَّ أن تنتهي به إلى سقوط الحضارة الغربية تحت تأثيرها؛ لأن المشكلات التي يواجهها الإنسان من ناحية، والتضاد الحاصل بين طبيعة الشعارات والمفاهيم التي يرفعها الإنسان وبين الواقع الفاسد الذي يعيشه من ناحية ثانية، يفرض وجود التحول المستقبلي في وضع العالم، فالمجتمع اليوم يعاني عدة مشاكل<sup>(١)</sup>، منها:

## ١ - مشكلة الأسرة

لقد أخذت الأسرة في التصميم الإلهي للمجتمع البشري كلبنة أولية في البناء الاجتماعي، حيث أشار القرآن الكريم الى معالم ذلك في بعض آياته الكريمة<sup>(٢)</sup>، وعندما تحدث عن تاريخ البشرية نلاحظ أنه ربط بين تهديد الأسرة بهدم وجودها، وبين نزول النعمة والغضب الإلهي على المجتمع، كما حصل لقوم لوط<sup>(٣)</sup>.

(١) سأضطر إلى تعدادها بالعناوين؛ لأن كلاً منها يحتاج إلى بحث، وأترك التفاصيل للأبحاث العلمية للأخوة الأعزاء والسادة الأفاضل. منه فَرِحَ.

(٢) لعله يشير فَرِحَ إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. النساء: ١.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. المحجرات: ١٣.

(٣) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ \* وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي صَنِيِّي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ \* قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ \* قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ \* قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ

فقوم لوط ارتكبوا ذنباً، والذنوب الكبائر كثيرة، وليست منحصرة بما ارتكبه، حتى ينزل العذاب الإلهي عليهم بالطريقة التي يذكرها القرآن الكريم، ولكن لكون القضية ارتبطت بتهديد وحدة المجتمع البشري؛ بسبب العمل الذي كان يقوم به هؤلاء القوم، نزل الغضب الإلهي والهلاك المطلق عليهم.

وتعتبر الأسرة الآن من المفردات، التي تواجه مشكلة حقيقية في المجتمع الإنساني، وخصوصاً في الحضارة الغربية، فعلاقة رجل برجل أو علاقة امرأة بامرأة جعلوها علاقة أسرية، بل جعلوا علاقة رجل بحيوان، أو امرأة بحيوان، أو حيوان بحيوان علاقة أسرية، وتوجد الآن قوانين وتشريعات بهذا الخصوص صدرت من المجالس البرلمانية عندهم.

وعندما عُقد المؤتمر العالمي للأسرة في بكين عام ١٩٩٧م - وهو أعظم مؤتمر عُقد في العصر الحاضر لبحث موضوع الأسرة - طرح الغربيون الحمقى فيه ثمانية عشر شكلاً للأسرة، منها: علاقة إنسان بحيوان، أو علاقة حيوان بحيوان، فأدخلوا الحيوان ضمن الأسرة البشرية، لكونه يعيش مع الناس، وبالتالي جعلوا مفهوم الأسرة في صورة ظلامية ضبابية غائمة غير واضحة، كأن لا وجود لها في المجتمع الإنساني.

## ٢- التجارة السوداء

إن التجارة السوداء - المخدرات والجنس - هي أحد أعظم وأخطر

---

يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ \* فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ \* مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِعِيدٍ ﴿٧٧﴾ . هود: ٧٧-٨٣.

المشكلات، التي يواجهها المجتمع الغربي<sup>(١)</sup>، فتجارة المخدرات مستشرية الآن في أوساطه بشكل كبير، وتُدار من قبل قوى خفية تتمتع بنفوذ كبير إلى حد التأثير على وجود دول، بحيث تُسقط حكومات وتُنصب أخرى؛ لكون الأموال التي تتاجر بها تمثل نسبة عظيمة جداً من رأس المال العالمي. وهكذا تجارة الرقيق الأبيض، أي: تجارة البغاء والجنس، الذي تحوّل إلى أمر يهدد الكيان الغربي، فالاطلاع على التقارير ذات العلاقة بهذا الأمر يؤدي إلى إصابة الإنسان بالهلع والدهشة، وعدم القدرة على تصور وجود هذه الحالة في المجتمع الإنساني.

### ٣. أسلحة الدمار الشامل

إن التجارة بالأسلحة التدميرية أمرٌ شائع بين دول العالم، وسوقها رائج، مع أنها من التجارات المحرمة عالمياً؛ لكونها تهدد السلم العالمي، فاستعمالها يؤدي إلى كوارث بيئية وإنسانية كبيرة جداً، فمثلاً يقال: إن أربعة غرامات من مادة جراثومية تسمى (VX) تكفي لهلاك شعب بكامله، فكيف بمن يملك أضعاف هذه الكمية بآلاف المرات؟! كما هو حال الكثير من الأنظمة في العالم، ومنها إسرائيل، التي تمثل تهديداً عظيماً للعالم الإسلامي.

### ٤. الصراع الاقتصادي

لقد أصبح الاقتصاد الهّم الأول لدى دول العالم بكل مراتبها، ولدى

(١) وعندما أقول: العالم الغربي، لأن العالم الغربي يسيطر على أكثر العالم بالفعل، إما سيطرة اقتصادية أو ثقافية أو عسكرية، فجنوب شرق آسيا الآن. مثلاً. تحت سيطرة العالم الغربي، ومتأثر به، مع أنه بعيد عنه بحسب الواقع الجغرافي. منهذَّبَرَّ.

السياسة بكل اتجاهاتهم، فقوة النظام والدولة بقوة اقتصادها؛ وبسبب التنافس - الذي منشؤه عوامل عديدة - تحولت القضية الاقتصادية إلى مركز لصراع مرير بين أقطاب العالم، حتى بدأ ينعكس ذلك على الشعوب بشكل أو بآخر. وما حدث من سقوط الأسهم في مناطق شرق آسيا، هو أحد المؤشرات الخطيرة على هذا الصراع، الذي سيؤدي إلى انهيار الاقتصاد العالمي، وما يتبع ذلك من تداعيات خطيرة على كل المستويات، فكوريا الجنوبية - مثلاً - كان بعض المتأثرين بالحضارة الغربية وبأمريكا يعتقد: أن نظامها الاقتصادي المتبع فيها جعلها تتطور وتصبح دولة عظيمة، وكان يدعو إلى أن يكون للجمهورية الإسلامية في إيران نظام سياسي اقتصادي مثل، ولكن الآن اتضح: أن هذا الاقتصاد - ونحن نعرف ذلك من أول الأمر من خلال دراستنا للاقتصاد الإسلامي - ليس فقط لا يحفظ شؤون البلد، بل هو اقتصاد مدمر<sup>(١)</sup>.

إذاً، فهناك مشكلة عويصة ومعقدة يعيشها العالم، ولا يمكن السيطرة عليها.

## ٥. التناقض بين الشعارات والواقع

يمرّ العالم اليوم بمشكلة أخلاقية تعتبر من أهم المشكلات، وهي التدافع والتضاد بين الشعارات التي يرفعها الشرق والغرب، وبين الواقع الفعلي

(١) فالعملة الكورية. الآن. تسقط بطريقة مروعة، بحيث أصبح العالم كله يخاف من ذلك، مما أدى إلى أن يبادر صندوق النقد الدولي بقرض كوريا الجنوبية عشرين مليار دولار، فالغريون يريدون أن ينقذوا أنفسهم، فقدموا هذه المليارات إلى كوريا الجنوبية، إلا أنه لم ينفذ هذا؛ لأنهم اكتشفوا أنهم بحاجة إلى خمسين مليار دولار لإنقاذ الموقف، وأصبح الشعب الكوري المسكين المستضعف مديناً للعالم الآن بهذه الأرقام الضخمة.

التمثّل بالمصالح والأهواء والشهوات التي يسعون إليها. فدول العالم كلها اليوم ترفع شعار حقوق الإنسان، بل وتوقع على وثيقة حقوق الإنسان، وترفع في الوقت نفسه شعار وحدة العالم، وتحاول ترجمة ذلك من خلال مؤسسة الأمم المتحدة، التي تمثّل وحدة العالم، ووجود الاتحادات العالمية الكبيرة، من قبيل: حركة عدم الانحياز، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ويعتبرون هذه القضية من معالم الحضارة الجديدة، كما تحاول أمريكا تسويق ذلك من خلال دعوتها إلى النظام العالمي الجديد. ولكن عند ملاحظة الواقع العملي، نجد ثمة فرقاً شاسعاً وكبيراً يكاد يصل إلى مئة وثمانين درجة بين تلك الشعارات المرفوعة وبين الواقع الخارجي. فإسرائيل أول من يسحق حقوق الإنسان، وعندما أقول: إسرائيل، لا أقصد دولة الصهاينة، وإنما أقصد: أمريكا وكل العالم الغربي؛ لأن إسرائيل يراها الغرب ممثلة له في البلاد الإسلامية، ومجسدة للفكر الغربي، والحضارة والطموحات الغربية في الاقتصاد والاجتماع، وينطلق دفاعهم عنها من هذه الرؤية، فإذا كانت إسرائيل أول من يسحق حقوق الإنسان، فهذا يعني: أن الغربيين هم الذين يسحقون حقوق الإنسان. وهكذا نلاحظ الغرب يحاول الآن تفتيت وتمزيق العالم؛ ولذلك نجد في شرق الأرض وغربها صراعات داخلية بين أهل الوطن الواحد، والدين الواحد؛ لتمزيقهم وتفكيكهم، كما هو الحال في العراق، وأذربيجان، وفلسطين، والجزائر، ورواندا، والكونغو، وكمبوديا. فالتناقض الموجود فعلاً في العالم كبير جداً بين الفعل والشعار. نعم، الشعارات المطروحة اليوم تمثّل تكاملاً في طريق الإنسانية؛ لأن قضية



حقوق الإنسان، ووحدة الإنسانية من حيث المبدأ تمثل جانباً تكاملياً؛ لأن الله تعالى خلق الناس من ذكر وأنثى، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(١)</sup>، فالأصل من حيث المبدأ في الإنسانية الوحدة وهذه الحقوق، ولكن في مقابل هذا الشيء التكاملي يوجد تسافل في الأخلاق وانتقائية في التطبيق، بشكل لا ينسجم مع الشيء التكاملي الذي يرفعونه.

وهذا التناقض في الحركة الإنسانية - بين الشعار والعمل - لا بد أن ينتهي بالإنسان إلى السقوط والهلاك، كما حصل ذلك لليهود، فالقرآن الكريم حين يتحدث عنهم، يذكر هذا التناقض، فيقول: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولذلك نعتقد أن هذه المشكلات، وغيرها ستنتهي بالحضارة الغربية وذيوها إلى السقوط حتماً، وإحدى علامات هذا السقوط انهيار الاتحاد السوفيتي<sup>(٣)</sup>.

## ارتباط النهضة الإسلامية المعاصرة بالحوزة العلمية

وأتوقع أن العقود القريبة - والتي قد يشهدها صغارنا - سوف تسقط فيها

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) التوبة: ٣١.

(٣) أثار الاتحاد السوفيتي في ١٩/٨/١٩٩١م، حيث تفكك إلى خمسة عشر دولة، وهي: جمهورية أرمينيا، وجمهورية آذربيجان، وجمهورية إستونيا، وجمهورية أوزبكستان، وجمهورية أوكرانيا، وجمهورية بيلاروسيا، وجمهورية تركمانستان، وجمهورية جورجيا، وجمهورية روسيا، وجمهورية طاجيكستان، وجمهورية كازاخستان، وجمهورية قرغيزستان، وجمهورية لاتفيا، وجمهورية ليتوانيا، وجمهورية مولدوفا.

الحضارة الغربية بكاملها، وعندئذ سوف يتطلع مَنْ يعيش هذه المشكلات إلى النهضة الإسلامية المعاصرة<sup>(١)</sup> كمنقذٍ له، والتي ترتبط بالحوزة العلمية ارتباطاً وثيقاً من خلال عدة قضايا مهمة، منها:

١- إن النهضة الإسلامية الكبيرة التي شهدها العالم الإسلامي في الربع الأخير من القرن الميلادي الماضي كانت ببركة الحوزة العلمية، وهي من النعم الإلهية العظيمة التي مَنْ الله بها على الحوزة العلمية، حيث كانت بقيادة عالم رباني، ومرجع من مراجع المسلمين<sup>(٢)</sup>، تخرّج من أوساط الحوزة العلمية، ونهل من منابعها الصافية النقية، وتربى في ربوعها تربية التزكية والتطهير، حيث تتوفر فيه الشروط العلمية والروحية والسلوكية التي تعتبر شروطاً مهمة في علاقة الإنسان بربه؛ فعلاقة أتباع أهل البيت عليهم السلام بالرسول، والأنبياء، والأئمة عليهم السلام، ومراجع الدين، إنما ترتبط بهذه الشروط والمواصفات، التي تجتمع على مراتب في هؤلاء.

٢- إن النهضة الإسلامية المعاصرة أخذت من الإسلام المحمدي الأصيل، فإن إحدى خصائص الحوزة العلمية، هي أنها تستقي علومها ومعارفها من أئمة أهل البيت عليهم السلام بشكل مباشر، ففقهاء الإمامية لم يأخذوا علمهم إلاّ منهم عليهم السلام، ولم يرتبطوا بأي نحو من أنحاء الارتباط بسواهم، وهم عليهم السلام عدل القرآن<sup>(٣)</sup>، والقرآن الناطق<sup>(٤)</sup>، وبالتالي فالإسلام الأصيل، هم منبعه وعينه.

(١) ويقصد من ذلك الثورة الإسلامية في إيران.

(٢) وهو الإمام الخميني قدس سره.

(٣) كما يدل على ذلك حديث الثقلين المروي بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله.

(٤) انظر: ينابيع المودة ١: ٢١٤، ح ٢٠.

٣- وضوح ارتباط النهضة الإسلامية بقضية الإمام المهدي عليه السلام، حيث إن الفكر الإسلامي الأصيل المتمثل بمضمون الحوزات العلمية، والقيادة الربانية المتمثلة بمراجع الدين، يرتبطان بهذه النهضة المباركة، التي تضع قضية الإمام المهدي عليه السلام أمامها كهدف تسعى إليه، وهو إقامة الحق والعدل، وإنقاذ البشرية من الظلم والجور، وإيصالها إلى مرحلة التكامل المطلق في حركة التاريخ، وبالتالي عندما نتحدث عن ارتباط هذه النهضة بالحوزات العلمية لا بد أن ننظر إليها من زاوية أنها أحد السبل التي تمهّد لتحقيق الهدف الكبير، المتمثل بظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وهذا الفكر مما تختص به الحوزة العلمية دون باقي المراكز العلمية الأخرى؛ لاعتقادنا بأن عملنا ينجز تحت رايته عليه السلام بالفعل؛ لأننا نؤمن بوجوده، وحياته، وبالتالي رعايته لهذا العمل، وهو الذي يقود المسيرة من وراء السحاب؛ لكون وجوده وجوداً فعلياً ومؤثراً.

إذاً، فالنهضة الإسلامية المعاصرة ترى ارتباطها بحركته عليه السلام ارتباطاً فعلياً، وليس تعليقاً أو تصورياً أو مثالياً، وأنها نهضة تمهّد لظهوره عليه السلام.

ومن هنا يتضح حجم الارتباط الوثيق بين الحوزة العلمية وهذه النهضة المباركة، ويتضح أيضاً من خلال هذه الرؤية، أن أبناء الحوزة العلمية، هم جنود الإمام المهدي عليه السلام، وأن التمهيد لظهوره عليه السلام يقع على عواتقهم<sup>(١)</sup>،

(١) فلا يستصغروا أنفسهم؛ فالإنسان قد يستصغر نفسه ويحتقرها ويرى نفسه ضعيفاً. والله خلقه ضعيفاً. ولكن حين يرتبط بالله سبحانه وتعالى، ويكون مخلصاً له، وعلى ثقة به سبحانه، ومتوكلاً عليه، ومستعيناً به، ومستمدداً لقوته منه تعالى، يصبح شيئاً عظيماً جداً. منه عليه السلام.

فهم الذين يوجهون البشرية ويقودونها نحو الهدف المأمول.

## توصيات مفيدة

ولذلك يفترض بأبناء الحوزة العلمية أن ينظروا إلى مسيرتهم من هذه الزاوية، وإلا فلا يوجد شيء يستحق العناء، والتعب، والأذى، والجوع، والمحاصرة، والمحنة، إلا هذا الهدف الكبير، الذي يجب أن يسعى إليه الإنسان من خلال تحقيق عدة أمور، منها:

أولاً: الارتباط بالله تعالى ارتباطاً دائماً، والذي نعبر عنه بـ(الإيمان بالغيب)، وهو شرط من شروط المتقين<sup>(١)</sup>، بمعنى: أن يستحضر المؤمن حضور الله تعالى دائماً في حركته وفعله وعمله، فهذا الاستحضار المستمر له معطيات مهمة جداً في حركة الإنسان، منها أن يجعله يراقب الله في كل عمل يقدم عليه؛ ليكون عملاً خالصاً له تعالى، فيستعين بالله على أدائه، كي يوفقه الله فيه.

وهذا المعنى من الإيمان بالغيب - الذي يجب أن يجسده الحوزوي في كل أعماله، ومشاريعه، وسلوكه - أعمق مما يفهمه بعض الناس، حيث يفهمون الإيمان بالغيب، بمعنى: مطلق الإيمان بالله تعالى، والحال أن الجميع يؤمن بالغيب، وحتى العامي يؤمن بالله، ويشهد الشهادتين.

ثانياً: بذل أقصى جهد ممكن للوصول إلى الهدف، فإذا بذل الإنسان كل جهده - سواء في ميدان العلم، أم التبليغ، أم التقوى والصلاح - من أجل

(١) قال تعالى: ﴿الْم \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾. البقرة: ٣٠١.

الوصول لأيِّ هدفٍ إلهي وتحقيقه، فسوف يصل إليه حتماً؛ بحسب الوعد الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآية الكريمة صريحة في أن الإنسان اذا بذل كل جهده لنصرة الله، فان الله تبارك وتعالى يضيف من قدرته إلى ما عند هذا الإنسان من قدرة؛ ليتحقق النصر، فالمؤمن إذا كان عنده عشرة، يضيف الله له التسعين، وأما إذا كان بمقدور الإنسان عشرة، وقال: إن الله كريم وقادر، وأنا أبذل خمسة فقط، فالله لا يضيف شيئاً، بل يتركه إلى نفسه.

ثالثاً: الجهاد والتضحية في سبيل الله، وهذه القضية من السنن الإلهية، والقوانين الاجتماعية التي تحدث عنها القرآن الكريم - الذي يعتبر الجنة هدف الإنسان في مسيرة التكامل - فالقرآن الكريم عندما وجه خطابه الصريح للمؤمنين، وقال لهم: هل تحسبون وتظنون أن تصلوا الجنة، ما لم يجز عليكم مثلما جرى على الأقسام السابقة، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

إذاً، لا بد للإنسان أن يضحي، ويتحمل البأساء والضراء والآلام والمعاناة، حتى يصل الهدف المطلوب.

رابعاً: الأمل بالنصر، فالإنسان الذي يرتبط بالإمام المهدي عجل الله فرجه، ويتحرك دائماً بشعلة من الأمل يكون أمامه أمل الوصول، وبمجرد أن ينطفئ الأمل

(١) محمد: ٧.

(٢) البقرة: ٢١٤.

في نفسه فسيقف ويجمد.

وإحدى مسائل الإمام المهدي عليه السلام المهمة، هو أن يرى الإنسان نفسه مشتركاً في معركة لا بدَّ أن ينتصر في نهايتها، حتى لو سقط في الطريق واستشهد، فسوف تبقى الراية مرفوعة وتصل إلى أهدافها<sup>(١)</sup>.

---

(١) ولذلك أدعو نفسي والأخوة الأعزاء جميعاً: إلى أن نوَقِّر هذه الشروط في حركتنا، لعلنا نكون . إن شاء الله . في موضع الرضا من الإمام المهدي عليه السلام ، وأن يقبلنا جنوداً عنده، ويقول: نعم، سجلت أسماءكم في قائمة الجنود والأتباع . منه عليه السلام

القسم الأول

رؤى عن الحوزة العلميّة

الفصل الثاني

الحوزة العلميّة

الخصائص.. المسؤوليات





تعتبر الحوزة العلمية - من الناحية التاريخية - مؤسسة أساسية من مؤسسات الدولة الإسلامية، عندما شاء الله أن يكون نصيب الرسالة الخاتمة قيام الكيان السياسي لها في عهد صاحبها نفسه - على خلاف الرسالات الإلهية السابقة - ويقوم ﷺ بتأسيس هذا الكيان بكل امتداداته، ومنها: التأسيس المحكم لولاية علي وأهل بيته ﷺ، والتأسيس للحوزة العلمية؛ ولذا نجد: أن آية النفر، التي تنفي في بدايتها أن يكون النفر كله من أجل الجهاد في سبيل الله، وإنما تقسمه إلى: نفر للجهاد، ونفر لطلب العلم: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup> جاءت في عصر متأخر من حركة الرسالة الخاتمة، وذلك بعد أن تمكنت الرسالة من تركيز دعائمها نسبياً في قاعدتها، وهي الجزيرة العربية.

وشاء الله أيضاً أن يكون مصير الكيان السياسي ليس كما أريد له في التخطيط الإلهي، بإدارة وولاية أهل البيت ﷺ، وهذا ما جعلهم ﷺ يبذلون مساعي وجهوداً كبيرة في فترة من الزمن لإرجاعه إلى خطه الرئيسي والأساسي، غير أن المشيئة الإلهية اقتضت أن لا يتحقق هذا الهدف، وأن يكون تحقيقه في مستقبل الأيام.

من هنا كان لأئمة أهل البيت ﷺ المتأخرين نسبياً الدور في إيجاد هذه المؤسسة - الحوزة العلمية - بصورة مستقلة، فكان التوفيق الإلهي العظيم للإمامين الصادقين ﷺ في إيجاد وتطوير هذه المؤسسة على شكل مؤسسة لا

(١) التوبة: ١٢٢.

على شكل أفراد ينتشرون هنا وهناك؛ لتتحمل المسؤوليات، التي يتحملونها هم عليه السلام.

ولعل من جملة ما يؤكد هذا التصور حول دور الحوزة العلمية، هو التوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام، فبعد توجيه السؤال من أصحاب الأئمة عليهم السلام، ومن معاصريه عليه السلام عن الموقف بعد الغيبة الكبرى، قال: «أما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله»<sup>(١)</sup>.

ولذا فإن مؤسسة الحوزة العلمية في معناها الشامل، المكوّن من المرجع، الذي يمثل قمة الحركة فيها، إلى المدرسين، والعلماء، والطلبة<sup>(٢)</sup>، تمثل القيادة الكلية عن دور الأئمة عليهم السلام في وجود الكيان السياسي الإسلامي. ومن هنا لا بدّ أن تتوفر في هذه المؤسسة مواصفات خاصة ومعينة، لتمثّل هذا الموقع الخاص، الذي أعبر عنه: بالموقع الأهم على الإطلاق بعد الكيان السياسي الإسلامي. فهي في جماعة أهل البيت عليهم السلام - طيلة القرون السابقة ولا زالت - تتمثّل فيها هذه الخصوصية، وتعتبر المؤسسة الأم لكل المؤسسات الأخر، التي يمكن افتراض وجودها في هذه الجماعة. كما تتحمل هذه المؤسسة الأصل المسؤوليات الرئيسة التي تحملها أهل البيت عليهم السلام.

والكلام سيكون في مبحثين:

الأول: خصائص الحوزة العلمية.

الثاني: مسؤوليات الحوزة العلمية.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤، ح ٤.

(٢) الذين نأمل من الله أن يكونوا في مدارج الرقي، فيصلوا إلى قمة الحركة في مستقبل أيامهم. منه ذرير.

## المبحث الأول: خصائص الحوزة العلمية

تمكنت الحوزة العلمية على امتداد تاريخها من تحمّل مسؤولياتها، والنهوض بواجباتها في كل الميادين التي يمكن أن تتحرك بها، بالرغم من كل المشكلات التي واجهتها، وأفضل شاهد، هو ملاحظة الخط البياني المتصاعد لحركة أتباع أهل البيت عليهم السلام، سواء ملاحظته من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتحمّل أئمة أهل البيت عليهم السلام للمسؤولية، أم من بداية الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام وتحمّل علماء الحوزة العلمية ومراجع الدين للمسؤولية، كما هو الحال في زمن الشيخ المفيد<sup>(١)</sup>، والسيد المرتضى<sup>(٢)</sup>، والشيخ الطوسي، حيث يمثل هذا المقطع الزمني بداية تحمّل هذه المسؤولية.

(١) أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، المعروف بالشيخ المفيد) و(ابن المعلم). ولد عام ٣٣٨هـ في قرية (عكبرا). بعد اتقانه لمبادئ القراءة والكتابة، ارتحل مع والده، الذي كان معلماً بواسطة إلى بغداد، وحضر عند أكابر علمائها. روى عن جملة من الأعلام، منهم: جعفر بن محمد بن قولويه القمي، وأبو جعفر بن بابويه الشهير بالصدوق، وابن الجنيد، وغيرهم. مصنفاته كثيرة، منها: (الاختصاص)، و(النكت الاعتقادية)، و(إيمان أبي طالب)، و(تصحیح اعتقاد الإمامية). توفي في بغداد سنة ٤١٣هـ، وصلى عليه السيد الشريف المرتضى بحضور أعداد كبيرة من الناس. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ٣٧.

(٢) أبو القاسم، علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، المشهور بالسيد المرتضى). ولد سنة ٣٥٥هـ في بغداد. ومنذ نشأته توجه نحو طلب العلم، وتدرج في مراتبه، حتى حضر عند (ابن نباته) أولاً، ثم تتلمذ على يد الشيخ المفيد عليه السلام، واستفاد من تبحر علمه، وأصبح قطباً من أقطاب المعرفة، وعلماً من أعلام العلم. له تصانيف مشهورة، منها: (الشافي في الإمامة)، و(الفصول المختارة)، و(الأمالي)، و(الذريعة)، وقد أشاد بفضله وعلمه الكثير من الأعلام من مختلف المذاهب الإسلامية. توفي عليه السلام سنة ٤٣٦هـ، ودفن في داره، ثم نُقل جثمانه إلى جوار جده الإمام الحسين عليه السلام. للتفاصيل انظر: الكنى والألقاب ٢: ٤٨٠.

نعم، هناك اختلاف في صعود ونزول الخط البياني، لكن - بصورة عامة - نجده خطأً متصاعداً ومتنامياً، وهذا يعني: أن العملية بصورتها الإجمالية العامة - لا بجزئياتها وتفصيلها في هذا الوقت، أو في هذا الشخص أو ذاك، أو في هذه المجموعة من أهل البيت أو تلك - كانت صحيحة، وناجحة، وقادرة على تحقيق الأهداف الكلية.

وهذا يفرض - بطبيعة الحال والمنطق - أن تكون لهذه المؤسسة المهمة خصائص وميزات أساسية تفردت بها، وجعلتها قادرة على عبور كل العقبات والمشكلات، وفي ذات الوقت أعطتها قدرة على التكامل والتنامي، بالرغم من كل الظروف الاستثنائية التي مرت بها؛ ولذا يفترض الوقوف عند تلك الخصائص ومراجعتها ملياً؛ لأن ذلك يمثل شيئاً مهماً جداً في دراسة حركتنا ورؤيتنا المستقبلية. وسأشير إلى بعضها بصورة إجمالية، وهي:

### الخاصية الأولى: العالمية

إن أحد الأسرار المهمة لمقدرة الحوزة العلمية على التحرك وتحقيق الأهداف الإلهية، هو ابتعادها، بل تجردها عن الخصائص التي يتأطر بها الإنسان في حركته، فمنذ نشأتها المباركة نأت الحوزة العلمية بنفسها عن أيّ إطار قومي أو جغرافي أو سياسي أو اجتماعي، يمكن أن ينعكس عليها، من قبيل: خصائص الظروف السياسية والاجتماعية، بل كان ولازال الانتماء الحوزوي لا يُفرّق بين الشيعي العربي، والهندي، أو بين التركي، والفارسي. وهذا هو منهج الرسالة الإسلامية، ومنهج أهل البيت عليهم السلام، فالرسالة الإسلامية الخاتمة تمكنت من أن تحقق (العالمية)، بالرغم من الصراع المحتدم

الذي برز بعد وفاة النبي ﷺ على مستوى الدولة الإسلامية، ثم انعكس على مستوى الأمة وشعوبها حول حمل الرسالة الإسلامية، وهمومها، ومسؤوليتها، وإبلاغها، حيث كان هناك اتجاهان:

**الأول:** يفترض: أن حمل الإسلام وشؤونه كرسالة إلهية مختص بالعرب؛ ولذلك عمّم مصطلح (أهل البيت) إلى قريش<sup>(١)</sup>؛ باعتبار أن لهم خصوصيات من الناحية القبلية، ولهم احترام خاص في المجتمع القبلي، وفي أيام عمر بن الخطاب كان هذا الطرح موجوداً<sup>(٢)</sup>، وأريد منه أن يُقرّه، ثم تطور الأمر في زمن الأمويين إلى طرح القومية العربية، وأصبح من الطروحات الواضحة، حتى قيل للإمام علي عليه السلام: «غلبتنا عليك هذه الحمراء»<sup>(٣)</sup>، أي: غلبونا عليك أولئك الذين لا ينتمون إلى العرب.

**الثاني:** يفترض: أن الإسلام دين لجميع الناس، وهم بأجمعهم مسؤولون عنه، وعن كل شؤونه، وقد تبنى أهل البيت عليهم السلام بكل وجودهم هذه الرؤية، وأسسوا لها، وتمسكوا بها، ودافعوا عنها، حتى صارت منهجاً ثابتاً لهم ولأتباعهم<sup>(٤)</sup>، ولعل من أسرار ارتباط غير العرب بهم عليهم السلام وولاءهم لهم، ووجود المراكز الفاعلة والقوية والمهمة للتشيع في غير البلاد العربية - بالرغم

(١) انظر: الإمامة وأهل البيت عليهم السلام لشهيد الخراب: ٢٧٦-٢٩٣.

(٢) انظر: المسترشد للطبري: ٥٢٥.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩: ١٢٤.

(٤) روي عن علي بن الحسين عليه السلام، قال: «لا حسب لقرشي ولا لعربي إلا بتواضع، ولا كرم إلا بتقوى، ولا عمل إلا بنية، ألا وإن أبغض الناس إلى الله عزّ وجلّ من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله».

الخصال: ١٨، ح ٦٢.

من أن التشيع لم ينطلق من المناطق غير العربية، وإنما انطلق من العراق في حركته السياسية والعقائدية<sup>(١)</sup> - هو هذه الرؤية، وهذا الفهم، والطريقة من العمل. وسارت الحركة في الحوزة العلمية على ذات المنهج، فالأشاعرة<sup>(٢)</sup> - وهم من العرب - هاجروا إلى مدينة قم المقدسة، وأسسوا فيها حوزة علمية، تعتبر من أعرق الحوزات العلمية كمؤسسة في تاريخ التشيع. وهكذا كان لبلاد ما وراء النهر - بلاد خراسان - وبلاد الري، وغيرها من المناطق، دور عظيم جداً في هذا التأسيس، وفي مختلف المجالات والمواقع. وفي العصر الحديث، هناك مراجع دين ينتمون إلى العرب، كالإمام الحكيم قلبي<sup>(٣)</sup>، قلدهم الناس واحترموهم بدرجة عالية جداً في مناطق غير عربية، وثمة مراجع دين ينتمون إلى بلاد فارس، وبعضهم ينتمي إلى الترك، أو إلى قوميات أخرى، كانوا موضع الاحترام والتقليد والرجوع المطلق

(١) انظر: الإمام علي، دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج: ١٥٦.

(٢) قبيلة عربية موطنها الأصلي في اليمن، ثم هاجرت إلى الكوفة بعد فتحها واستوطنتها، وفيها تعرضوا إلى حملات من القمع والاضطهاد الطائفي من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي إلى حد إخراجهم منها؛ بسبب تشيعهم وولائهم لأمر المؤمنين عليه السلام، فاستوطنوا مدينة قم المقدسة. للتفاصيل انظر: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٥: ٨ - ١٠.

(٣) السيد محسن ابن السيد مهدي الطباطبائي الحكيم. ولد سنة ١٣٠٦ هـ في النجف الأشرف، وتوفي والده وهو ابن سبع سنين، فتولى تربيته العلمية أخوه الأكبر السيد محمود الحكيم، فدرس عليه وعلى جملة من الفضلاء المقدمات والسطوح، ثم حضر البحث الخارج للشيخ كاظم الخراساني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والميرزا محمد حسين النائيني، والسيد محمد سعيد الجبوي. وفي سنة ١٣٣٢ هـ عندما قاد السيد الجبوي جمهور المسلمين في العراق في جبهة الناصرية ضد الاحتلال البريطاني استصفى لنفسه السيد الحكيم وصحبه معه وأولاده ثقته. بعد وفاة المرجع الديني السيد البروجردي صار الإمام الحكيم المرجع الديني الأول لأتباع أهل البيت عليهم السلام. توفي عام ١٣٩٠ هـ، ودفن في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٩: ٥٦ - ٥٧.

إليهم في التقليد في البلاد العربية رغم طرح شعارات الوطنية، والقومية، والجغرافية بين أوساط أتباع أهل البيت عليه السلام بكل قوة، ورغم محاولات الحصار والقمع، الذي فرض على هذا المرجع أو ذاك، من قبل الحكومات المنحرفة، التي كانت - ولا زالت - تحكم بعض مناطق العالم الإسلامي. وبهذا نكتشف: أن ظاهرة (عالمية الحوزة العلمية) لم تنشأ من فراغ، وإنما هي نتيجة تاريخية ناشئة من رؤية إسلامية متجذرة في عمق التاريخ.

### الخاصية الثانية: الاتصاف بالتقوى

اتصفت الحوزة العلمية على مدى تاريخها بالتقوى، سواء على المستوى المفهومي، وإعطاء النظريات والمفاهيم<sup>(١)</sup>، أم على المستوى التطبيقي والعملي، حتى صارت التقوى إحدى الميزات الواضحة فيها، بل صار الفقيه الأتقى والأورع، ومن هو أكثر التزاماً بالجانب الأخلاقي والسلوكي مقدم على غيره في التقليد عند أتباع أهل البيت عليه السلام<sup>(٢)</sup>. فالفقيه مهما كان عالماً، لكنه إذا فقد التقوى فلا قيمة له، ولا يصح الرجوع إليه في أي أمر من الأمور الموكلة للفقهاء شرعاً<sup>(٣)</sup>.

(١) حفلت المكتبة الإسلامية لأتباع أهل البيت عليه السلام بكتب كثيرة في علم الأخلاق، صدرت من خيرة أعلام الحوزة العلمية، ككتاب (قضاء حقوق المؤمنين)، و(منية المرید في أدب المفيد والمستفيد)، و(كتاب جامع السعادات)، و(أخلاق أهل البيت عليه السلام)، و(الفضائل والردائل)، وغيرها الكثير، ولعل الأهم من ذلك، هو أن مفهوم (العدالة) الذي يرتبط ارتباطاً جوهرياً وواقعياً بالتقوى لا زال يُبحث من كل جهاته وعلى مدى قرون من قبل الفقهاء، وعلى أعلى مستويات الدراسة الحوزوية.

(٢) انظر: منهاج الصالحين للسيد محمد سعيد الحكيم ١: ٧، مسألة ٤، ٦.

(٣) انظر: منهاج الصالحين للسيد الخوئي ١: ٨، مسألة ٢١.

فلولا قضية التطهير والتزكية والتقوى والورع الموجودة في الحوزات العلمية، لما تمكّنت الحوزات أن تصمد وتثبت طيلة القرون الطويلة، وهي تتنّ تحت القمع والمطاردة، الذي كانت تمارسه الحكومات الجائرة ضدها، فأساس صمودها وبقائها - سواء كان في طلب العلم، أم في الموقف الثابت من أجل الحق، أم في التضحية من أجل هذا الموقف - هو التقوى والأخلاق وجهاد النفس والورع والعفة والإخلاص لله سبحانه وتعالى، والثقة واليقين به والتوكل عليه؛ لأنه لا يمكن لعلم مفيد، ولا لموقف ثابت، ولا لتضحية من أجل الحق، أن يكون قائماً في وجودنا وحركتنا ما لم تكن هناك قاعدة قوية ورصينة من التقوى والارتباط بالله سبحانه وتعالى تقوم عليها مثل هذه القضايا، وإلا فهناك الكثير من الشعوب التي كانت على درجة عالية من العلم، لكنها انتهت وسحقت بكاملها في الحركة التاريخية عندما فقدت جانب التقوى والورع.

ولهذا عند مقارنة علماء الحوزة العلمية، في موضوع التقوى والورع والإخلاص، بالعلماء الآخرين في المراكز والمؤسسات الإسلامية الأخرى في طول التاريخ، نجد ميزة واضحة وبيّنة لا شبهة فيها لعلماء الحوزة العلمية، وهكذا عند مقارنة الحوزات العلمية بما يجري في العالم الحاضر من أشكال الفساد والانحراف، نجد أن الحوزة العلمية تمتاز على كل الوجودات الأخرى بميزة التقوى<sup>(١)</sup>.

(١) وكلما أمكننا أن نعمّق التقوى بالأحكام الشرعية والأخلاق الإسلامية وبالحركة والمصير نحو الله سبحانه وتعالى، كلما أمكن أن نقرب من أهدافنا السامية العالية، التي وضعها الله سبحانه وتعالى أمامنا. منه ﷻ.



## الخاصية الثالثة: الاجتهاد المنضبط

إن أحد المميزات العلمية والرئيسية للحوزة العلمية - التي أسسها أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام من بعده - هي إبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً، ولكن في ذات الوقت وضع أئمة أهل البيت عليهم السلام موازنة علمية دقيقة ومهمة بين إبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً وبين الضوابط الشرعية له، حيث قيّدوا عليهم السلام الحركة الاجتهادية، بقواعد وأصول دقيقة منعوا من تجاوزها، واعتبروها خطوطاً حمراء؛ لضمان الانضباط في العملية الاجتهادية أو عملية الاستنباط؛ ولذلك لا يوجد عند الشيعة الإمامية مثلاً (صحيح) بالمصطلح السنّي، بالرغم من أنهم أكثر قرباً من مصادر التشريع من حيث الزمن؛ وذلك لأن باب الاجتهاد مفتوح دائماً أمام المجتهد، ومن ثمّ فلا معنى أن نقول: هذا صحيح ونقف بصورة مطلقة، فيمكن أن يتبدل الصحيح في يوم ما إلى شيء غير صحيح بحسب الحركة الاجتهادية.

وهذا بخلاف باقي المدارس الإسلامية، التي تؤمن بالقياس<sup>(١)</sup>، والاستحسان، والمصالح المرسلة، إلى غير ذلك مما يؤمن به الفقه السنّي، الأمر الذي أدى إلى حالة من الانحلال في الاجتهاد، كما تلاحظ الآن هذه الحالة - للأسف - من الانفلات والخروج عن الضوابط العلمية الاجتهادية، فتطلق الفتاوى، التي تجعل المجتمع الإسلامي يهتز لها، وقد تؤدي إلى انفلاته.

(١) «القياس: التماس العلل الواقعية للأحكام الشرعية من طريق العقل، وجعلها مقياساً لصحة النصوص التشريعية، فما وافقها فهو حكم الله الذي يؤخذ به، وما خالفها كان موضعاً للرفض أو التشكيك». الأصول العامة للفقه المقارن: ٣٠٦.

وهذا هو الذي يفسّر - بحسب فهمي للتاريخ الإسلامي - موقف أهل البيت عليهم السلام المتشدد تجاه المدارس الأخرى، حيث خاضوا عليهم السلام معركة عنيفة من أجل المنهج الذي لا بدّ أن يعتمد - بصورة أساسية - على القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والعقل، وعلى مقارنة الآيات الكريمة، وتمحيص الروايات الشريفة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام سنداً ودلالةً، للوصول إلى الحقائق والنتائج، في مقابل مدرسة الرأي بالخصوص، التي أسسها - بشكل رئيسي - أبو حنيفة<sup>(١)</sup>، وإن كانت أصولها وجذورها تمتد إلى زمن ما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث إن أحد مؤسسيها البارزين عمر بن الخطاب، الذي اتبع هذا المنهج والأسلوب كطريقة واسعة في التعامل مع القضايا والأحداث، وإن كان أبو بكر اتبع هذا الأسلوب بشكل محدود من قبله، وفي زمن عثمان أصبح تفسير النصوص بالرأي قضية بارزة في حركة المسلمين، ويعتبر عبد الله بن عمر رائد هذه المدرسة في الصدر الأول للإسلام.

وقضية (السقيفة) اعتمدت على هذا التصور في مقام تفسيرها من قبل بعض المسلمين - مع قطع النظر عن الخلفيات الروحية، والسياسية، والأخلاقية التي كانت وراءها - والذي أشارت إليه الزهراء عليها السلام من خلال قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فأصحاب السقيفة إنما قاموا بفعلتهم خوفاً من الوقوع في الفتنة والاضطراب، فأعملوا

(١) أبو حنيفة، النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه. ولد سنة ٨٠هـ في الكوفة، وهو أفغاني الأصل. اشتهر عنه القول بالرأي والقياس في الوصول للحكم الشرعي، وأسس مدرسة في ذلك. توفي في بغداد سنة ١٥٠هـ. للتفاصيل انظر: وفيات الأعيان ٥: ٤٠٥.

(٢) التوبة: ٤٩.

رأيهم في مقابل النص الذي جاء من الرسول ﷺ؛ لذا فإن مدرسة الرأي لها جذورها، ولكنها تحوّلت إلى مدرسة في زمن أبي حنيفة. وقد خاض أهل البيت ﷺ صراعاً في مختلف الأدوار لمواجهة هذه المدرسة<sup>(١)</sup>، مع أنها كانت أقرب إلى مدرسة أهل البيت ﷺ سياسياً<sup>(٢)</sup> وجغرافياً، حيث كان مركزها العراق، ولكن مع كل ذلك واجهها أهل البيت ﷺ؛ لأنها تعمل خارج الخطوط الحمراء، وبالتالي انفلاتها في عملية الاجتهاد، بل اعتبروها أخطر من مدرسة أهل الحديث، وهي مدرسة الجمود والتحجر والوقوف على النص القرآني، ونصوص الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ، دون تدبر وبحث ومقارنة بينها.

إن المنهج العلمي، الذي تقوم على أساسه الحوزة العلمية، يمثل أصلاً من أصولها، وهو المنهج الوسط بين مناهج المدارس الإسلامية الأخرى، ولا بدّ من تعميمه كثقافة عامة في الوسط الإيماني الشيعي؛ لتحسينه من آثار مدرسة الحديث - مدرسة التحجر والجمود في فهم النصوص الشرعية - ومدرسة الرأي، التي فيها الكثير من الإفراط والعمل بالظنون والاستحسانات<sup>(٣)</sup>،

(١) عن أبي شيبعة، قال: «سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس، فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً، إن دين الله لا يصاب بالقياس».

وعن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله ﷺ، قال: «إن السنة لا تقاس، ألا ترى أن امرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها؟ يا أبان: إن السنة إذا قيست محق الدين». الكافي ١: ٥٧، ح ١٤٤، ١٥. للتفاصيل انظر: الكافي ١: ٥٤، باب البدع والرأي والمقائيس.

(٢) لقد تعرض أبو حنيفة إلى الضرب والاعتقال أكثر من مرة من قبل الأمويين والعباسيين. للتفاصيل انظر: تاريخ بغداد ١٣: ٣٢٧ - ٣٣١.

(٣) ذكر السرخسي في مبسوطه، أن: «الاستحسان: ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس. وقيل:

والخضوع للرغبات والشهوات، أو كما يعبر عنه: بـ(المصالح المرسلّة)<sup>(١)</sup>، وهو أن يفكر كل شخص بما تقتضيه المصلحة، فيحاول أن يفسّر الإسلام والشريعة بما يدركه من هذه المصالح، لا بما يستنبطه من النصوص الشرعية. وهذا ما يعبر عنه - أحياناً - بحركة الإصلاح التي يراد منها هذا المعنى من الإصلاح الذي فيه انحراف في فهم الإسلام.

إن إبقاء الحركة العلمية نشيطة منفتحة قادرة على مواجهة كل المشكلات والحوادث، التي تعيشها الجماعة الصالحة، وفي ضمن الضوابط والأصول الموضوعية لهذه الحركة، جعلت الحوزة العلمية قادرة على التكيّف ومواجهة المشكلات والأحداث والتطور والنمو، وعدم الجمود أو الانفلات.

كما أن إبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً للوصول إلى المعلومة الصحيحة، قضية مهمة جداً، والأهم هو حتمية سيره بدقة عالية وفق الضوابط الشرعية التي حددها الشارع الإسلامي؛ لأن ثمة مشكلة حقيقية يعيشها الوسط الحوزوي، والفكري الإسلامي بهذا الشأن، فهناك مَنْ يمتلك ثقافة جيدة، وقدرة على التنظير، لكنه لا يملك القدرات العلمية المطلوبة في الوصول إلى النتيجة، فالاستنباط صناعة فنية لها أدواتها الخاصة بها، ومع ذلك يُنسب

---

الاستحسان: طلب السهولة في الأحكام فيما يتلى فيه الخاص والعام. وقيل: الأخذ بالسعة وابتغاء الدعة. وقيل: الأخذ بالسماحة وابتغاء ما فيه الراحة. وحاصل هذه العبارات أنه ترك العسر ليسر». المبسوط: ١٠: ١٤٥.

للتفاصيل انظر: الأصول العامة للفقه المقارن: ٣٦١ - ٣٦٢.

(١) المصالح المرسلّة: هي ما لا تستند إلى أصل كلي أو جزئي. للتفاصيل انظر: الأصول العامة للفقه المقارن: ٣٨٢.

هؤلاء أحكاماً ومفاهيماً ونظريات لله تعالى، والقرآن الكريم؛ بادعاء اجتهاده فيها!! ومن خلال الخطاب الجيد، والثقافة المعلوماتية الواسعة، والأفكار الحسنة، يؤثر على بعض الأوساط الثقافية، وغيرها.

وهذه مسألة خطيرة جداً تواجهها الحوزة العلمية، التي يجب أن تجاهد لرفضها، وتقف منها موقفاً سليماً وصلباً، كما وقف أئمة أهل البيت عليهم السلام للدفاع عن المنهج الصحيح وضوابطه؛ لأن الكلام ليس عن النتائج، فهي قد تكون قريبة من نتائج الفقهاء أو متفقة معها، وإنما المهم أن تكون النتيجة، التي تمّ التوصل إليها طبق الضوابط الشرعية، لتكون مُعَدِّرة عند الله أو منجزة؛ لأن الهدف من حركة الاستنباط، هو الوصول إلى ما يرضي الله تعالى، وإلى ما يؤهّل الإنسان للوصول إلى المقامات والدرجات العالية عنده يوم القيامة.

### الخاصية الرابعة: الحالة التطوعية

إن الأصل في مشروع الحوزة العلمية أنه إسلامي سنّه الإسلام، وأكد عليه القرآن الكريم، وليس مشروعاً اخترعه أهل البيت عليهم السلام، وسنّوه سنّة حسنة؛ ولذلك فالمسلمون جميعاً يؤمنون ويرتبطون به، ولكن الفرق بين خط أهل البيت عليهم السلام وغيرهم من الخطوط الإسلامية، هو: أن أئمة أهل البيت عليهم السلام تمكنوا أن يرتقوا به عن أن يكون مشروعاً حرفياً، وبالتالي يتحول إلى واحدٍ من المهن التي يمتنها الناس<sup>(١)</sup>.

(١) وهذا الامتياز والتقييم سمعته من شخصيات مهمة جداً من إخواننا أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى. منه عليه السلام.

ونجد في أحاديثهم عليهم السلام ما يشير إلى ذلك، فبعض الروايات تحرّم أو تجعل من المكروهات المشددة: أن يستأكل العالم بعلمه<sup>(١)</sup>، وهو مضمون قد يثير الاستغراب، ويجعل القارئ يتساءل: لماذا يحرم ذلك على عالم الدين ولا يجرم على غيره من العلماء، فالطبيب يقدم علمه ويستأكل به، وكذا المهندس، وغيرهما من العلماء؟

إن المضمون الرسالي هو الهدف من وراء ذلك، فرجل الدين إذا تحوّل إلى عالم يستأكل بعلمه فسيفقد في حركته العنصر الرسالي، الذي قامت عليه الحوزة العملية، ويتحول إلى إنسان محترف صاحب مهنة تخضع لشروطها الحرفية والمهنية، وتدخل في سوق العرض والطلب، فإذا كانت هناك رغبة في هذا العالم أو الخطيب، أو كانت هناك ندرة في العلماء فسوف يُدفع له أكثر، وهكذا يخضع لهذا الميزان، ويتحول إلى حرفه من الحرف.

فقد تميزت الحوزة العلمية بالحالة التطوعية في كل مراحلها التاريخية، وبجميع شخوصها، فالطالب الذي يتدرّج في طلب العلم، والأستاذ الذي يبذل نفسه في التدريس وبذل العلم وإعطاء الوقت، ومرجع الدين الذي يتحمل كل المسؤوليات الكبيرة، سواء المرتبطة بالحوزة العلمية أم بوضع الأمة، لا تخضع الحالة في كل هذه المفردات لمواثيق وعهود بالمعنى المعاملاتي الشرعي، كعقد الإجارة، والبيع، وما أشبه ذلك، وإنما هي حالة قائمة على عهود ومواثيق مع الله تعالى، ومع رسوله صلى الله عليه وآله، ومع أوصيائه عليهم السلام، والذي نعتقه: هو أن المواثيق والعهود معهم هي المواثيق والعهود الحقيقية.

(١) انظر: الكافي: ١: ٤٦، باب المستأكل بعلمه والمباهي به.

فقد تمكن أهل البيت عليهم السلام من خلال توصياتهم وتوجيهاتهم لأتباعهم أن يحافظوا على الروح الرسالية في عمق هذا المشروع؛ ولذا ينطلق أعلام الحوزة العلمية وعموم منتسبيها في أداء مهامهم، من الشعور بالمسؤولية، والإحساس بها إحساساً كاملاً، ومن أجل أداء الوظيفة الشرعية، والخروج من عهدة التكليف الإلهي.

وعندما صار الآخرون أئمة جماعة، وصارت أمور المساجد بأيديهم، وارتبطوا بالأجور، وبالعناوين والأسماء، وجدنا أن هذه القضية أصبحت قضية حرفة ومهنة، وخسروا أشياء كثيرة.

كما أن الحالة المجانية، التي قامت عليها الحوزة العلمية تظهر الفرق بينها وبين الجامعة الأكاديمية، فالحوزة العلمية قامت على أساس العنصر الرسالي، بخلاف الجامعة الأكاديمية، التي قامت على أسس أخرى.

نعم، يتصدى مراجع الدين أو المؤمنون المتصدون لشؤون طلاب العلوم الدينية، بدفع قسط من المال لطلبة العلوم الدينية لا على نحو العوض؛ وإنما من أجل تنظيم عملية الاكتفاء الذاتي للحوزة العلمية؛ لتتمكن من الوصول إلى أهدافها، وهذا ما يفسر إعطاء بعض المدارس الدينية لطلابها شيئاً من المال.

ومن هنا نفهم أن التتوج بـ(العِمة)<sup>(١)</sup> ليس تعبيراً عن الحرفية والمهنية، وإنما هو تعبير عن التفرغ لطلب العلم، وما يتفرع عليه من تحمل للمسؤولية؛ ولذلك حين ندعو إلى المزيد من التعمم، ندعو إلى المزيد من التفرغ وتحمل المسؤولية.

(١) وهي: الزي الخاص برجال الدين.

## الخاصية الخامسة: الاستقلال

إن استقلال الحوزة العلمية في إرادتها، وقرارها، وكيانها، ومواردها المالية، يمثل أمراً جوهرياً ورئيسياً في حركتها، فقد أريد لها أن تعبر عن الإرادة الإلهية، وألا تخضع لأية إرادة أخرى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا الأمر - الذي لا بدَّ أن تحافظ عليه الحوزة العلمية<sup>(٢)</sup> - هو أحد المميزات الرئيسة التي جعلت الحوزة العلمية قادرة على البقاء، والاستمرار في مواجهة كل المشكلات والضغوط والمؤامرات، وكل عمليات القمع والمطاردة على مدى التاريخ الإسلامي، فبفضل الله وعنايته حافظت على إرادتها واستقلاليتها في أقسى الظروف وأشدّها محنةً بالاعتماد على الله، وعلى أعلامها ورجالها، وعزّت يوماً بعد آخر: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

واستقلالها التام هو الذي جعلها قادرة على تحقيق الإنجاز العظيم في هذا العصر، المتمثل بإقامة الدولة الإسلامية، ودعوة المسلمين عملياً وواقعياً للرجوع إلى الإسلام من خلال هذا المشروع الإسلامي؛ ولذلك رأى الإمام

(١) الأحزاب: ٣٩.

(٢) وعندما أقول: لا بدَّ أن تحافظ عليه الحوزة العلمية، لا أقصد من ذلك إصدار الحكم الشخصي، فأنا واحد من طلاب هذه الحوزة. إن كنت محسوباً كذلك. ولا يحق لي أن أقف هذا الموقف في إصدار الأحكام، وإنما أشير إلى ما أفهمه من مسيرة الحوزة العلمية، ومن النصوص التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام في فهمهم وتفسيرهم للحوزة العلمية. منه فأرجو.

(٣) المنافقون: ٨.



الخميني قدس سره<sup>(١)</sup> - وهو مؤسس الدولة الإسلامية، ومعتقد بشرعيتها اعتقاداً كاملاً - أن تبقى الحوزة العلمية على استقلالها وحريتها، حتى وهي ضمن الكيان الإسلامي؛ لكي تحقق الإنجاز تلو الإنجاز، ولكي لا تسقط كما سقطت الحوزات العلمية الأخرى في العالم الإسلامي، تحت تأثير عوامل عديدة، وفقدت قرارها المستقل.

كما أن استقلالها في قرارها جعلها قادرة على الوقوف في مواجهة الاستكبار العالمي<sup>(٢)</sup>، كما هو الحال في الدولة الإسلامية في إيران، التي تستند على مفاهيم الحوزة العلمية، فمنذ سقوط العالم الإسلامي تحت هيمنة الاستكبار العالمي لم تتمكن أية دولة أن تصمد أمامه صموداً مطلقاً، وتقف في مواجهته دون أن تحني رأسها، وحتى الاتحاد السوفيتي، مع أنه يمثل استكباراً وقوة عظمى، إلا أنه كان ينحني أمام القوى الأعظم منه المتمثلة بـ(حلف الناتو)<sup>(٣)</sup>، وبعد

(١) السيد روح الله ابن السيد مصطفى الخميني. ولد ببلدة خمين في إيران عام ١٣٢٠هـ. استشهد والده في ذي الحجة من سنة ١٣٢٠هـ. درس العلوم الدينية منذ صباه في الحوزة العلمية بمدينة أراك، ثم انتقل إلى قم المقدسة بعد انتقال الحوزة العلمية إليها، وواصل دراسته فيها بمثابرة عالية حتى نال درجة الاجتهاد. تم اعتقاله من قبل نظام الشاه عام ١٩٦٤م، ثم اطلق سراحه، ثم نفى إلى تركيا، ومن بعدها إلى العراق، وبقي في النجف الأشرف حتى عاد إلى إيران عام ١٩٧٩م، وأسس فيها الجمهورية الإسلامية. توفي في الثامن والعشرين من شوال سنة ١٤٠٩هـ. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ٥٥١.

(٢) كما في قضية (سلمان زُشدي)، التي لم تكن مجرد شخص منحرف أَلّف كتاباً وانتهى الأمر، وإنما هي مؤامرة كبيرة جداً على الإسلام، واستهانة واستخفاف بالحرّمات والمقدسات الإسلامية، من آدم وحتى نبينا صلوات الله عليه، فالكتاب يستهزئ ويطعن ويسب بلسان بذيء كل هذه المقدسات بدون استثناء، ولم يقف قبال هذه المؤامرة إلا الحوزة العلمية المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام؛ بسبب ما تمتلك من قرار حر. منه قدس سره.

(٣) هو تحالف سياسي عسكري بين دول أوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، ويسمى اختصاراً بـ(الناتو). تأسس الحلف عام ١٩٤٩م بناءً على معاهدة شمال الأطلسي التي وقعتها (١٢) دولة في واشنطن يوم

ذلك سقط، ولم يتمكن من الاستمرار في المواجهة.

## الخاصية السادسة: الاستعداد للتضحية

قدّم علماء الإسلام - منذ الصدر الأول للإسلام وحتى يومنا الحاضر - التضحيات الكبيرة الغالية في سبيل خدمة الإسلام، وإعلاء كلمة الحق، والحفاظ على المبادئ السامية الحقة، ويزخر التاريخ الإسلامي الإمامي بتضحيات هؤلاء الأولياء، فائمة أهل البيت عليهم السلام ماتوا بين مقتول ومسموم في سبيل الله، وهكذا الكثير من أتباعهم من العلماء الأعلام، الذين تعرضوا للقتل، والتشريد، والمطاردة؛ بسبب تمسكهم بمواقفهم الحقة، كالشيخ الطوسي قدس سره - مؤسس أقدم حوزة علمية - الذي تعرض للمطاردة والتشريد، بعد أن هجموا على بيته في بغداد، وأحرقوا مكتبته ومنبره<sup>(١)</sup>، فاضطر إلى ترك بغداد والإستقرار في النجف الأشرف<sup>(٢)</sup>، وهكذا استشهاد الشيخ محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)<sup>(٣)</sup>، والشيخ

---

٤/٤/١٩٤٩م، حيث تعاهد الأعضاء على الدفاع المشترك عن بعضهم ضد أي هجوم محتمل من الاتحاد السوفيتي.

(١) ذكر ابن كثير ما نصه: «أبو جعفر، محمد بن الحسن الطوسي، فقيه الشيعة، ودفن في مشهد علي، وكان مجاوراً به حين أحرقت داره بالكرخ، وكتبه سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة، فتوفي ودفن هناك». البداية والنهاية ١٢: ١١٩.

(٢) انظر: الاستبصار: ١٧، ترجمة المؤلف للشيخ محمد علي الغروي.

(٣) الشيخ أبو عبد الله، محمد بن مكي العاملي الجزيني، المعروف ب(الشهيد الأول). ولد عام ٧٣٤هـ، وكان عالماً ماهراً فقيهاً محدثاً جامعاً لفنون العقلية والنقلية، له كتب عديدة، منها: كتاب (الذكرى)،

زين الدين بن علي الجباعي العاملي (الشهيد الثاني)<sup>(١)</sup>، اللذين يعتبران من أعلام العلماء الكبار.

وتتوالى شهادات العلماء وتضحياتهم حتى الوقت الحاضر، المقرونة بالنشاط والعمل الفاعل والجاد، فالإمام الحكيم قدس سره الذي تشهد له الحوزات العلمية في كل حواضرها بالعلم والفضل، ولا زالت آراءه ومؤلفاته<sup>(٢)</sup> محوراً

و(الدروس الشرعية)، و(غاية المراد)، و(اللمعة الدمشقية)، و(البيان)، وغيرها الكثير. قتل بالسيف، ثم صلب، ثم رجم، ثم أحرق في اليوم التاسع من جمادى الأولى سنة ١٧٨٦هـ بدمشق، بفتوى القاضي برهان الدين المالكي، وعباد بن جماعة الشافعي، بعد ما حُبس سنة كاملة في قلعة الشام. للتفاصيل انظر: أمل الآمل ١: ١٨٠.

(١) الشيخ زين الدين ابن الشيخ علي بن أحمد الجبعي العاملي، المعروف ب(الشهيد الثاني). ولد قدس سره عام ٩١١هـ. ونشأ في أسرة علمية فاضلة، حيث كان ستة من آبائه من الفضلاء المرموقين، وامتدت هذه الصفات في أبنائه. امتاز بكثرة أسفاره لدواعي علمية وعبادية، حيث قضى قرابة ثلاثين عاماً من عمره في الأسفار والرحلات. مؤلفاته كثيرة ومهمة، منها: (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية)، و(مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام)، و(مُنية المرید في آداب المفيد والمستفيد)، وغيرها الكثير. اغتاله أحد أزمال ملك الروم بوشاية من قاضي مدينة صيدا، وذلك في الخامس عشر من شهر رمضان عام ٩٦٥هـ. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ١٤٩.

(٢) للإمام الحكيم قدس سره مؤلفات عديدة في الفقه وأصوله، بعضها رأى النور، وبعضها الآخر لازال مخطوطاً، وهي: (مستمسك العروة الوثقى) - وهو أشهر وأوسع كتاب له قدس سره - وكتاب (نهج الفقاهة)، و(حقائق الأصول)، و(دليل الناسك)، و(منهاج الناسكين)، و(منهاج الصالحين)، و(شرح تبصرة المتعلمين في أحكام الدين)، و(تحرير المنهاج)، و(مختصر منهاج الصالحين)، و(حاشية على كتاب الدر الثمين)، و(حاشية على الرسالة الصلواتية)، و(شرح كتاب المراح)، و(شرح تشريح الأفلاك)، و(رسالة في سجدة السهو)، و(رسالة مختصرة في علم الدراية)، و(رسالة في بعض المسائل المتفرقة في الصلاة)، و(حواش على نجات العباد)، و(تعليقة على رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل)، و(حواش على تقريرات الخونساري)، و(الشرح النافع)، و(منتخب الرسائل)، و(حاشية استدلالية على كتاب الربا من العروة الوثقى)، و(تعليقة على توضيح المسائل).

من محاور البحث في حلقاتها التدريسية، فإنه يقف إلى جانب الحق، ويصرخ بوجه الظالمين على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، ثم يُقدّم التوضيحات واحدة بعد الأخرى؛ من أجل كشف الحقيقة.

وحين يسأله أحد أولاده<sup>(١)</sup>، وهو على سرير الوفاة، عن تقييمه لموقفه من الحكم العفلقى الظالم الجائر الكافر، بعد الآلام والمعاناة التي لاقاها منهم بسبب موقفه، يؤكد عليه السلام: إني أشعر بالرضا تجاه هذا الموقف؛ لأنني لو لم أصنع شيئاً في موقفى هذا إلا أن أضع حاجزاً بين البعثين المجرمين والشعب العراقي، ولو لمدة عشر سنوات، لكان هذا الموقف يستحق كل هذه التوضيحية<sup>(٢)</sup>.

وهكذا الشهيد الصدر عليه السلام<sup>(٣)</sup>، الذي يعتبر المفردة الأخرى البارزة، التي تمثل في الوقت الحاضر الواجهة لمجمل الحركة الإسلامية في العراق، وهي واجهة نابغة من أعماق الحوزة العلمية، فقد كان عليه السلام عالماً متميزاً في علمه، وفضله، وعمقه، وسعته، وعارفاً بمختلف أبعاد المعرفة الإسلامية، ومؤلفاته وكتبه وأبحاثه وآثاره في الحوزات العلمية أصبحت واضحة للعيان لا يمكن

(١) وهو العلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم عليه السلام.

(٢) انظر: مذكرات العلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم: ١٠٠.

(٣) السيد محمد باقر ابن السيد حيدر ابن السيد إسماعيل الصدر. ولد في الكاظمية سنة ١٣٥٣هـ، في بيت اشتهر بالعلم والتقوى، وقد عُرف عليه السلام بالنبوغ المبكر، واتسم حضوره العلمي. حتى في فترة التلمذة بالأصالة والحرية الفكرية، ووصل إلى مرتبة الأستاذة الكبار في النجف الأشرف ابتداء من سنة ١٣٧٨ هـ. له مؤلفات عديدة ومهمة، منها: (فلسفتنا)، و(الأسس المنطقية للاستقراء)، و(اقتصادنا)، و(البنك اللاروي في الإسلام)، مضافاً إلى كتبه في الفقه وأصوله. استشهد في نيسان عام ١٩٨٠م بعد إعدامه من قبل النظام البعثي في العراق. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٩: ١٨٤ - ١٨٥.

تجاهلها<sup>(١)</sup>.

فعندما انتصرت الثورة الإسلامية في إيران، وكان المسلمون - على أقل تقدير - في العراق بحاجة إلى موقف واضح لا لبس فيه تجاهها، كان الشهيد الصدر هو المتصدي لذلك، وإن كان هناك أشخاص أكبر شأناً منه في الوضع الاجتماعي، ولكنهم قد يكونون لسبب أو لآخر معذورين من اتخاذ هذا الموقف، كما كان الإمام علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله معذوراً في اتخاذ الموقف، الذي وقفته فاطمة الزهراء عليها السلام.

فقد شخص قدس سره تكليفه الشرعي في أن يكون هناك عالم ربّاني يتصدى لاتخاذ موقف تجاه الثورة الإسلامية في إيران، ويوضح للمسلمين جميعاً في كل أنحاء العالم الإسلامي بشكل عام، وللعراقيين بشكل خاص، أن هذه الثورة هي ثورة ربّانية، تمثل امتداداً لحركة الأنبياء، وهي منبثقة في أصلاتها وواقعيتها من أعماق الحوزة العلمية ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، حيث إن هذه المسألة كان فيها لبسٌ كثير عند الكثير من الناس، وكانت تحتاج إلى وضوح في الموقف منها.

وقد كلف هذا الموقف آية الله العظمى الشهيد الصدر ثمناً كبيراً، حيث أنذره البعثيون المجرمون بالقتل إذا استمر في موقفه هذا، ونفذوا وعيدهم وإنذارهم، فقتل قدس سره؛ من أجل تثبيت هذا الموقف في مجرى التاريخ<sup>(٢)</sup>.

ورافق موقف الحوزة العلمية هذا مواقف أخرى منسجمة مع موقفها،

(١) انظر: الإمام الشهيد الصدر، دراسة لجوانب من الفكر والشخصية والمنهج: ١٠٩، الفصل الثاني.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٢٣٤ - ٢٤٢.

وسائرة في ركابها، فهناك الكثير من المؤمنين والشباب، من أطباء، ومهندسين، ومعلمين، وموظفين، وعسكريين، وفلاحين، وكسبة، قدّموا التضحيات الغالية في هذا الطريق، ولكن الواجهة والوجه الناصع الصحيح لهذه الحركة، هي الحوزة العلمية، التي تتقدم دائماً في هذا الطريق؛ لأن الموقف الحق يمثل أصلاً من أصولها، ولا يمكن بأي حال أن تتنازل عنه.

وفي انتفاضة الخامس عشر من شعبان عام ١٤١١ هـ<sup>(١)</sup> التي عبر فيها الشعب العراقي المسلم عن موقفه الواقعي والحقيقي تجاه حزب البعث الكافر، نلاحظ أن الوجه لمجمل هذه الحركة كان مرجعاً من مراجع الإسلام، وبحراً في العلم، ومربي العلماء، وأستاذ المجتهدين، ذلك هو آية الله العظمى الإمام الخوئي قدس سره<sup>(٢)</sup>، الذي لا يمكن لأحد أن يشك في علمه،

(١) انقذت الشراة الأولى للانتفاضة الشعبانية فجر يوم ١٥/٨/١٤١١ هـ. ٢/٣/١٩٩١ م في مدينة البصرة عندما أطلق أحد الجنود العراقيين المنسحبين من الكويت الرصاص على تمثال (صدام حسين) القائم في ساحة سعد في البصرة، حيث كان هذا الموقف البطولي إيذاناً بانطلاق انتفاضة شعبية عفوية لم يخطط لها أحد، عمّت (أربعة عشر) محافظة من مجموع (ثمانية عشر) محافظة التي يتكون منها العراق. وكانت تعبيراً عن رفض عموم العراقيين للسياسات الداخلية والخارجية للنظام البعثي. وقد استخدمت الأجهزة الأمنية بمباركة أمريكا وبريطانيا وفرنسا وباقي الدول العظمى، والسعودية وباقي دول الخليج. أفسى الأساليب الوحشية، وأشد الأسلحة فتكاً لقمعها وإبادتها. انظر: وثيقة رقم (١).

(٢) السيد أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الموسوي الخوئي، ولد في بلدة (خوي) من بلاد آذربايجان عام ١٣١٧ هـ، وهاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٣٠ هـ، وحضر فيها البحث الخارج فقهاً وأصولاً على أكابر فقهاءها، كالشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والشيخ محمد حسين النائيني. وقد أكثر من التدريس في الفقه، والأصول، والتفسير، وري جمّاً غفيراً من أفاضل الطلاب في حوزة النجف الأشرف، وكان أحد مراجع الدين البارزين في العالم الإسلامي. اعتقله المجرم (صدام) عام ١٤١٢ هـ؛ لتصديده لتنظيم شؤون الناس أثناء الانتفاضة الشعبانية للشعب العراقي. توفي سنة ١٤١٣ للهجرة، ودفن في النجف

وعمقه، وسعته في تناوله لمختلف الموضوعات، ففي الوقت الذي اندلعت فيه الانتفاضة الشعبانية المباركة قام قدس سره بوظيفته الشرعية، عندما تصدى لقيادة الأمة<sup>(١)</sup>، وقد عبر لي في رسالة شفهية عن موقفه هذا<sup>(٢)</sup>، وتحمل في سبيل أداء هذه الوظيفة مختلف ألوان الأذى والاضطهاد<sup>(٣)</sup>، في الوقت الذي كان قادراً على الانتقال إلى إيران، ليكون في مأمن من الأخطار، وبعيداً عن الأذى، ويبقى العالم الشيعي مرتبطاً به، لكنه آثر البقاء والصمود في النجف الأشرف إلى أن استشهد، أو مات موتاً شبيهاً بالشهادة.

فهذا الصمود والثبات له معان جليلة، ويجب أن يُقيم، حتى لو كانت هناك ملاحظة ما - ولو كانت صحيحة - لأن تقييم الأشخاص لا بد أن يكون كلياً، أي: بلحاظ كل الخصوصيات، والمواقف، والصفات، لا أن يكون إنتقائياً، فيتم التركيز على بعض الأمور، وإغفال أمور أخرى مهمة. وحتى الإمام الخميني قدس سره - صاحب الإنجاز العظيم الذي حققه بإقامة

الأشرف. للتفاصيل انظر: معجم رجال الحديث ٢٣: ٢٠ - ٢٥.

(١) انظر: وثيقة رقم (٢).

(٢) حيث أرسل لي رسالة شريفة بيد بعض العلماء، عندما جاؤوا من النجف الأشرف إلى قم المقدسة وطلبوا لقاءً خاصاً، وكان اللقاء من أجل إبلاغ هذه الرسالة، التي قال فيها قدس سره لهذا العالم: «قُلْ لفلان [السيد محمد باقر الحكيم]: إني قد بذلت كل ما في وسعي من أجل هذا الأمر، وهذا ما استطعته». وأنا أتصاغر كثيراً أمام مثل هذا الكلام، ولا أعني شيئاً أمام هذا الإنسان العظيم، ولكن أشعر في الوقت نفسه: أن الآلام والمعاناة، التي كان يتحملها هذا الإنسان العظيم، دعتني إلى أن يُعبر عنها بهذه الطريقة لإنسان لا يُمثل تلميذاً من تلامذته قدس سره. منه قدس سره.

(٣) بعد قمع الإنتفاضة الشعبانية قامت السلطات الأمنية باعتقال الإمام الخوئي قدس سره. انظر: وثيقة رقم (٣)، (٤)، (٥).

الدولة الإسلامية - تعرّض أيضاً لمختلف ألوان التهديد، والمطاردة، والتشريد، والنفي من بلد إلى بلد، كما تعرّض للسجن، والاعتقال، بل تعرّض للقتل<sup>(١)</sup>، لكن الله تعالى تفضل على المسلمين فأنجاه من ذلك.

ومن هنا لا بدّ لطالب العلم أن يحافظ على هذه الخاصية، وأن يديمها في حركة الحوزة العلمية، فيفكر دائماً: كيف يضحّي ويقدم للإسلام، لا أنه كيف يستفيد وينتفع منه، ويكرّم، فقد تكون بعض الأمور حقاً من حقوقه، لكن يجب عليه أن يفكر في ذات الوقت: كيف يضحّي ويتألم ويعاني من أجل الإسلام؟

فالإنسان في حركته اليومية يواجه مواقف مختلفة، فيها: حق وباطل، صحيح وخاطئ، فيجب عليه أن يفكر دائماً، كيف يكون إلى جانب الحق والصواب، وكيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذه المسألة يُبتلى بها الإنسان، كما يُبتلى بالصلاة، والصوم، والحج، والخمس، والزكاة، ومن لا يقف إلى جانب الحق الصغير لا يقف إلى جانب الحق الكبير<sup>(٢)</sup>، وهذا أشبه بالذنوب، لأن من يتساهل في الذنوب الصغيرة، فسيأتي يوم يتساهل في الكبيرة أيضاً، بل إن هذا التساهل بنفسه كبيرة يرتكبها الإنسان.

وطالب العلم مطالب بأن يربي نفسه على التضحية بالأمر الصغير، كي يمكنه التضحية بالأمر الكبير، وهذه التضحية فرصها كثيرة، وموجودة دائماً في حركة الإنسان.

(١) انظر: مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٨٢.

(٢) فمن خلال معرفتي بحركة الرجال العظام، الذين عاشرتهم، وكنت قريباً منهم، لاحظت أنهم يقفون في تفاصيل صغيرة من الحق ويتأثرون ويتفاعلون بها، وبذلك تمكنوا أن يقفوا في الأمور الكبيرة التي تحتاج إلى التضحية. منه ذلّيل.



## المبحث الثاني: مسؤوليات الحوزة العلمية

إن الهدف الأساسي من بعثة الأنبياء والرسول إنما هو إبلاغ الرسالة، وهداية الناس إليها، وإرشادهم إلى الحق والهدى والصواب؛ ولذا كانت هذه المهمة هي المهمة الأساسية التي تحملها النبي ﷺ، الذي هو خاتم الأنبياء، ورسالته خاتمة الرسالات، حيث ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(١)</sup>، فالآية الكريمة تثبت ثلاث مسؤوليات يتحملها الأنبياء، وهي: البلاغ، والتزكية، وتعليم الكتاب والحكمة.

وبضم آية النفر: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> - التي تعبر عن مشروع تأسيس الحوزة العلمية، والتي تجعل الغاية والهدف من النفر للتفقه هو الإنذار - إلى الآية المتقدمة، وكذلك ضم قوله ﷺ: «علماء أمتي كأنباء بني إسرائيل»<sup>(٣)</sup>، وقوله ﷺ: «أما الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله»<sup>(٤)</sup> إليها أيضاً.

نستنتج: أن القرآن الكريم جعل الهدف من مشروع: النفر من كل فرقة

(١) الجمعة: ٢.

(٢) التوبة: ١٢٢.

(٣) مستدرک الوسائل ١٧: ٣٢٠، ح ٣٠.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤، ح ٤.

طائفة (الحوزة العلمية) نفس الهدف الذي جعله للأنبياء وللرسالة الإسلامية نفسها؛ لأن الهدف من إرسال النبي ﷺ، هو أن يكون بشيراً ونذيراً: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، والهدف من نفر هؤلاء، هو أن يندروا قومهم: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، كما أن الهدف من إرسال الرسل، هو إبلاغ الرسالة، وهدف النافرين من التفقه، هو إبلاغ الرسالة أيضاً.

إذاً، للعلماء الأعلام دور مهم جداً - على أساس النظرية الإسلامية - في فهم المجتمع وقيادته وإدارته، وهذا الدور يمثله الأنبياء أولاً، ثم الأوصياء من بعدهم، ومنهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، ثم يأتي دور العلماء بعد ذلك. ويمكن من خلال هذا الموقع والدور، إدراك: أن العالم الفقيه يمثل ولي الأمر، كما يمثل في الوقت نفسه، القيادة السياسية للمجتمع الإسلامي، ويمثل القاضي الذي يفصل الخلافات بين الناس، ويبين الحكم الشرعي، ويبلغ الرسالات الإلهية.

غاية الأمر أنَّ البلاغ بمعناه الواسع بالنسبة للأنبياء، لا يحتاج إلى عناء من ناحية المعرفة والعلم، حيث يحصلون على ذلك من خلال اتصاَلهم بالوحي الإلهي، والارتباط بالسماء، وإنما يكون العناء والتعب والآلام التي يتحملونها، من ناحية إيصال الهدى وصوت الحق إلى عقول الناس وقلوبهم، بحيث - هؤلاء الناس - يتعلمون الهدى ويتربون عليه، وتطهر نفوسهم وقلوبهم، من خلال القبول بالتعاليم الإلهية، وهذه هي المهمة الصعبة التي

(١) البقرة: ١١٩.

كان يتحملها الأنبياء.

وأما العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، وبالتالي يمثلون امتداداً لحركتهم، يتحملون مهمتين رئيسيتين فيهما عناء كبير:

**الأولى:** مهمة العلم والمعرفة الإسلامية، حيث إنَّ علمهم يكون بالاكتساب والبحث والتحصيل وبذل الجهد، خصوصاً بعد وجود الفاصل الزمني الكبير، الذي يفصلهم عن مصادر التشريع: القرآن الكريم، والسنة الشريفة؛ لأن فهم القرآن الكريم بحاجة ماسة وضرورية إلى الإحاطة بكل الأجواء والظروف والقرائن التي كانت تحف به، ولوجود الفاصل الزمني الكبير بينهم وبين تلك الظروف والقرائن، يجعل فهمه يتسم بالصعوبة والتعقيد.

وهكذا السنة الشريفة التي نقلها أئمة أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو التي هم بينوها، وتتعدّد المهمة أكثر بعد غيبة الإمام المهدي عليه السلام، فهذا الفاصل يجعل القضية أكثر تعقيداً وعناءً وإشكالاً؛ ومن هنا فلا بدّ من أجل الوصول إلى هدف إبلاغ الرسالة وهداية الناس، أن يتعلم الإنسان الرسالة، ليعرف الهدى والحقيقة أولاً، ومن ثم إبلاغها للناس ثانياً.

**الثانية:** مهمة إبلاغ الرسالة وبيانها للناس، وتمتاز هذه المهمة بالتعقيد الشديد والصعوبة البالغة؛ ولذا قد يطرح التساؤل التالي: هل إن مهمة العلماء أصعب من مهمة الأنبياء؛ باعتبار أنهم يتحملون الآلام في طلب العلم، كما يحتاجون إلى بذل الجهد في إبلاغ الرسالة؟

إن هذه القضية تختلف باختلاف الأنبياء من ناحية، وباختلاف العلماء من ناحية أخرى، فأنبياء (أولي العزم) تكون مهمتهم إيجاد التغيير النوعي في المجتمع بشكل أساسي، وليست الهداية فقط، أي: يبلغون الرسالة في مجتمع

يريدون تغييره تغييراً نوعياً وجذرياً، بأن يحولوا الأوضاع الموجودة فيه من أوضاع مرتبطة بالطاغوت، وهو محورها، إلى أوضاع ترتبط بالله سبحانه وتعالى وتوحيده، وهذه عملية صعبة جداً، والعلماء لا يمارسونها عادةً، وإنما يقومون بعمل في مجتمع مؤمن بالأصل بالله سبحانه وتعالى والرسالة، غاية الأمر، أنهم يريدون أن يجعلوه مجتمعاً مستقيماً في مسيرته، معتدلاً فيها، مرتبطاً بكل خصوصيات الرسالة وجوانبها.

والأنبياء من غير أولي العزم مهمتهم تشبه إلى حد كبير مهمة العلماء من هذه الناحية؛ ولذا جاء في الحديث الشريف: «علماء أمتي كأنباء بني إسرائيل»<sup>(١)</sup>؛ باعتبار أن المهمة هذه من حيث الصعوبة لا تقل عن المهمة، التي كان يتحملها أنبياء بني إسرائيل - أهل الرسالات - الذين كانوا إكمالاً وتتمة ومواصلة لرسالة من الرسالات.

إذاً، فهناك مسؤوليات تتحملها الحوزة العلمية تجاه الشريعة الخاتمة والمجتمع<sup>(٢)</sup>، منها:

## المسؤولية الأولى: التزكية

إن مسؤولية التزكية والتطهير، تتمثل بعملية هداية الناس، وإرشادهم

(١) بحار الأنوار ٢: ٢٢، ح ٦٧.

(٢) من الأمور المهمة، هو أن تكون هناك نظرة واضحة تجاه مسؤوليات الحوزة العلمية، وإلا فقد نجد حتى في أوساط الحوزة العلمية. من يختلف في موضوع الواجبات، حيث يحاول بعض أبناء الحوزة العلمية: أن يأخذ كل حقوق الحوزة العلمية، من الأكل، والشرب، والاحترام، والتقدير، وتقبييل الأيدي، ويجادل أن يقتصر في مقام الواجبات على أقلها. إذا كان يؤمن بالواجبات. وبعضهم قد لا يؤمن بالواجبات، فيفترض: أن الحوزة العلمية مجرد درس وتدریس، ويكتفي بهذا القدر. منه قائلون.

إلى التكامل، وتقوية إرادتهم؛ ليسيّطروا على شهواتهم ورغباتهم. وكذلك مقاومة الانحرافات الداخلية، النابعة من هوى النفس، والمتمثلة بحركات النفاق، أو الارتداد، أو الانحراف، التي تعيش داخل المجتمع الإنساني. فالأنبياء الذين تحملوا هذه المسؤولية الكبيرة، يواجهون عادةً الحركات الداخلية للناس المنطلقة من الهوى، والرغبات، والشهوات التي تملك زمامهم، فيتحول تحمل المسؤولية إلى مقاومة الانحراف والنفاق، والغرق في الشهوات والملذات والمصالح الشخصية والأنانية. وهذه العملية صعبة ومعقدة إلى حد كبير؛ لأنها تواجه قضايا ترتبط بهوى النفس، فالإنسان من خلال نزعته للرغبات والشهوات يقاوم عملية التزكية والتطهير، التي هي عملية تكامل للإنسان.

### المسؤولية الثانية: تعليم الكتاب والحكمة

تضطلع الحوزة العلمية في الوقت الراهن بتحمل مسؤولية المعرفة، وإشاعتها بين الناس، وتعليمهم مختلف أبعادها ذات العلاقة بحياتهم، سواء كانت مرتبطة بالمبدأ - الخالق - وعالم الغيب، أم بالحياة الاجتماعية للناس ذات العلاقة بالنظام الإسلامي وفهمه للحياة، وكيفية إدارة شؤونها ومعالجة مشكلاتها النفسية والروحية، والاجتماعية، والاقتصادية، أم كانت مرتبطة بأساليب تكامل الإنسان ووصوله إلى أعلى المستويات، التي توصله إلى الجنة، وتجعله قادراً على أن يكون في محل رضوان الله تعالى. وتعتبر هذه المسؤولية من المسؤوليات الواسعة والصعبة، خصوصاً في هذا العصر؛ بسبب تعدد العلوم من ناحية، وكثرة الشبهات والإثارات من

ناحية ثانية، وتعقد الحياة الاجتماعية وحركة الإنسان من ناحية ثالثة.

## المسؤولية الثالثة: الإبلاغ

إن العنوان الأبرز والأوضح للحوزة العلمية، والذي يمثل عنوانها وشعارها وواجهتها، هو (العلم)، ولكن عند التأمل في مضمونها ومحتواها، نجد ثمة أمور أخرى لا تقل أهمية عن العنوان، بل يمكن القول: إن العلم، إنما فرض على مؤسسة الحوزة العلمية لأمر وأهداف أخرى، كما يبدو من القرآن الكريم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، ثم يقول: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

ومعنى ذلك: أن ثمة أمر آخر يمثل الهدف والغاية لهذه المؤسسة، وبدونه لا يكون لها الدور المعهود والأهمية المعروفة، وهذا الأمر المهم، هو: إبلاغ الرسالة وإنذار الناس، وإيصال العلم والمعرفة والفقهاء لهم، وهي مهمة أساسية، وفي ذات الوقت، هي مهمة الأنبياء: ﴿مَا عَلِيَ الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٢)</sup>.

## صعوبة الإبلاغ

والإبلاغ لا يعني الإعلان عن شيء فحسب، كمن يتحدث من فوق المنبر، أو تكون لديه صحيفة أو نشرة يكتب وينشر فيها المعلومات لتصل إلى

(١) المائدة: ٩٩.

(٢) الأحزاب: ٣٩.

الناس، وإنما الإبلاغ يكون باستثمار كل الوسائل المتاحة والمتوفرة للإنسان، مع بذل كامل لكل الجهود والطاقات والإمكانات المتوفرة له، فتأليف كتاب ونشره أو إلقاء محاضرة والحديث من فوق المنبر قد يكون سهلاً إلى حد ما، فقد يحتاج الإنسان إلى شيءٍ من المال أو الجراحة أو الإنشاء ليكتب مقالاً أو يلقي محاضرة.

أما إبلاغ الرسالة وإيصالها إلى قلوب الناس في الأماكن القريبة والنائية، مع وجود العقبات، والحواجز، والسدود، والطغیان، والعدوان، ومقاومة المستكبرين والمترفين أحياناً - كما هو الحال في رسالات الأنبياء - فهذا أمر صعب عسير، لا يتأتى إلا لمن اجتباهم الله، ولا يتحملها إلا الخاصة ممن اصطفاهم الله لذلك، وهم: الأنبياء، والأوصياء، والأولياء، والعلماء الربانيون، والمجاهدون، الذين يتحملون المصاعب والمحن والشدائد والآلام.

فقد واجه الأنبياء عند تبليغ رسالاتهم: العدوان، والتكفير، والسخرية، والاستهزاء، والاتهامات، ثم تطور الأمر إلى التعذيب، والمطاردة، والقتل، لكنهم مع ذلك بقوا مصرّين على مواصلة التبليغ، دون أن يتنازلوا أو يتراجعوا عن قضيتهم الأساسية.

ومن هنا فإن المتفقه، الذي يمثل عنصراً رئيسياً في الحوزة العلمية يتحمل مسؤولية الأنبياء، وعلى هذا الأساس يمكن إدراك: أن إبلاغ الرسالات وإيصالها للأمم مسؤولية عظيمة جداً، وتترتب عليها آثار وردود فعل كثيرة، من جملتها: مواجهة الطغاة، والمستكبرين، والمترفين، والمتحكمين برقاب الناس، الذين يريدون أن يستأثروا بالمصالح والمنافع، بينما الرسالات تسعى

لتحقيق العدل والرفاه لجميع الناس، وتحكيم المساواة فيما بينهم؛ لذا يواجهُ إبلاغ الرسالات - عادةً - بإعراض ومقاومة وعدوان وتجاوز من قبل الطغاة والمستكبرين. وبالتالي فالحوزة تحتاج في أداء مهمتها هذه إلى منهج ورؤية مضافاً إلى العلم.

### أركان البلاغ

للبلّاغ والإنذار الآن مجالات واسعة، وأبعاد عديدة، ومعقدة، وهذا الشيء هو الذي نعبر عنه بـ(العمل الإجتماعي أو السياسي)، كما له أصول، وأركان يقوم عليها، وهي:

الأول: أن يعرف طالب العلم موقعه الحقيقي من عملية البلاغ؛ لأن جهله بذلك يجعله:

إما منزوع السلاح، يشعر بالتبعية والضياع وعدم وضوح الهدف، وبالتالي تتنازعه الفئات والتيارات، وتصبح قضية البلاغ والإنذار عنده ذات مداليل ومضامين مختلفة.

أو يكون مسترزقاً لا يفكر إلا بتحسين أوضاعه الشخصية، ويتحول البلاغ إلى حرفة ومهنة وارتزاق، وبالتالي خروج المبلّغ عن موقع الطالب المجاهد، والقائد، والرائد، حيث أريد للحوزة العلمية أن تكون القائدة للأمة والموجهة لها، والمشرقة على حركتها.

ولكن لا ينبغي أن يؤدي هذا الفهم لشعور الإنسان بالغرور، ويعتقد أن كل ما يقوله لا بد أن يستمع له الناس ويتبعوه، فهذه ليست قيادة وإنما رئاسة، وهي



الرئاسة المذمومة في الحديث الشريف<sup>(١)</sup>، وأما القائد، فهو الذي يتحمل ويُعاني ويتألم من أجل الأمة، وعنده سعة صدر لتحملها، ويتصف بالمداراة لأفرادها. فأمر المؤمنين عليهم السلام يقول عن الخلافة، التي هي أهم منصب في النظرية الإسلامية: «أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفة عنز»<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أن يكون الصبر والصمود جزءاً أساسياً من شخصية رجل الدين، بحيث ينسحب ذلك على كل مفردات حياته، فلا يصح أن يصبر على أكله، وشربه، ومسكنه، وملبسه، ولا يصبر على بنائه العلمي والروحي، وتحمله للناس، ومواصلة هدايتهم، إلى غير ذلك مما يتعرض له الإنسان من مصاعب وشدائد في العملية التغييرية.

وله أسوة حسنة بسلفه الصالح، الذي استطاع تأليف المؤلفات، والوصول إلى الدرجات العالية من العلم في ظروف قاسية جداً، حيث لا وجود لأي وسيلة من وسائل الراحة المعروفة الآن، كما أن بيوتهم كانت صغيرة ومحدودة، وكانوا يقتاتون على أقل القليل من الأكل<sup>(٣)</sup>، ومع ذلك وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الدرجات العلمية العالية، وفي ذات الوقت

(١) انظر: الكافي ٢: ٢٩٧، باب طلب الرئاسة.

(٢) نهج البلاغة ١: ٣٦، رقم (٣).

(٣) أذكر: أن الإمام الحكيم عليه السلام كان يقول: نحن أياماً كثيرة كان غداؤنا الرئيس، هو الخبز واللين، وفي أول حياتنا أدركنا شيئاً من هذا القبيل. منه.

أدوا ما عليهم من مسؤوليات دينية، وأخلاقية، واجتماعية، وقادوا الأمة في أحلك الظروف وأقساها، وما ذلك إلا لصبرهم، وصمودهم، وتحملهم؛ لأن البلاغ لا يتحقق ما لم يتمتع طالب العلم بهذه الصفة.

الثالث: أن يكون لدى طالب العلم رؤية عامة للأوضاع الاجتماعية والحركة التاريخية، وهذه الرؤية لحركة المجتمعات والأمم والجماعات تدرّس - أحياناً - كحالة نظرية، ولكن الجانب العملي لها - وهو أن يعيش الإنسان مع المجتمع ويعرف مشاكل الناس، ويفهم حقيقتها، ويدرك الخصوصيات المحيطة بها - مهم جداً، حيث إن أفضل الناس كانوا يصاحبون أفراد المجتمع، ويدخلون معهم، وحتى عيسى عليه السلام، الذي كانت لديه دواعي للإنزواء أكثر من أيّ إنسان آخر، كان يتحرك وسط المجتمع، ويدور بين الناس.

فطالب العلم ينبغي أن يعرف دائماً: أن علمه ليس للعلم فحسب، وليس المطلوب منه أن يكون عالماً، أو يقال: إن هذا إنسان عالم وفاضل، وإنما علمه للعمل، والنشر، والهداية، يحمله للناس؛ من أجل أن يبلغه لهم، ويهديهم، ويعلمهم، ويزكيهم.

والتبليغ ممارسة اجتماعية للمشكلات القائمة بين الناس، وهي تكون جانباً من شخصية العالم، والطالب المجد، لتساعده وتعينه على عملية الاستنباط الصحيح، فمعرفة الأوضاع الاجتماعية لها دور وتأثير كبير في فهم واستيعاب النصوص القرآنية، والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وبالتالي يكون قادراً على تشخيص الموضوع واستنباط أحكام وحلول للمشكلات القائمة بين الناس.

ولذلك نجد الفقهاء الذين كانوا يتصلون بالناس، ويمارسون العمل

الاجتماعي أكثر فهماً وفقاهة ومعرفة للنصوص من أولئك الذين كانوا بعيدين عن المعاشرة، وكانوا يمثلون حالة الانزواء والانطواء. وهو بُعد مهم في عملية البلاغ، حيث إن للبلاغ بُعدين مهمين: أحدهما: الوصول للحكم الشرعي بشكل صحيح، والآخر: إيصال الهدى والمعرفة إلى الناس، وهو أصل الهدف.

فالتكامل لا يمكن أن يحصل إلا بتوفر هذه الرؤية، وهي لا تحصل إلا من خلال الممارسة الخارجية، وأما اذا عزل الإنسان نفسه عن الاحتكاك بالمجتمع، وعن الاطلاع على مشاكله، وجلس في غرفته، يعيش مع النصوص منفصلاً عن الأوضاع الاجتماعية، فلا يمكن له أن يكون فقيهاً متكاملًا في فقهه، ولكن هذا لا يعني أن تكون الحركة الاجتماعية الشغل الشاغل لطالب العلم، وخصوصاً في السنين الأولى من دراسته، التي يفترض بالطالب أن يتوجه فيها لطلب العلم والمعرفة بتركيز عالٍ.

نعم، الحركة الاجتماعية قضية أساسية يجب ألا يغفلها الطالب في مجمل تخطيطه العام؛ لأنها عنصر مهم جداً في نجاح عملية البلاغ، وهي عملية تكاملية للمجتمع من ناحية، وللمبلغ من ناحية أخرى في بُعد العلم، فضلاً عن البعد الأخلاقي والروحي والنفسي.

### أساليب البلاغ

إن للبلاغ أساليب متعددة، ومساحات واسعة، وفرصاً كثيرة ينبغي الالتفات إليها؛ لاستثمارها، والاستفادة منها، فهو لا ينحصر بحمل الإنسان نفسه والذهاب إلى بلد أو قرية بعيدة عن موطنه أو مركز الحوزة العلمية،

بل يمكن للمبلِّغ القيام بهذه العملية حتى في أماكن الدرس والتحصيل أو في المدن التي يدرس فيها، أو من خلال الكتابة والنشر، أو غير ذلك من الأساليب الكثيرة والعديدة.

ولا يتنافى ذلك مع التحصيل الجاد للحوزوي، بل يمكن أن يكون مكتملاً له، فيمكن لطالب العلم المجد أن يستفيد من الموسم الدراسي للحوزة العلمية، ويوظف كل طاقاته وإمكاناته، من أجل التبحر والتعمق في العلم، والتزود منه إلى الدرجات العالية، وفي ذات الوقت يستفيد من أيام العطل والمناسبات المختلفة، التي تتخلل الموسم الدراسي أو من العطلة الصيفية، كفرص يمكن استثمارها في عملية البلاغ، وفي تطوير وضعه العلمي وتعميقه، وبالتالي فهناك وقت كافٍ للتوفيق التام بين بناء الوضع العلمي الرصين، وبين أداء التكليف الشرعي المرتبط بالبلاغ.

نعم، قد يقال: إن طالب الحوزة العلمية إذا لم يكن عالماً عارفاً فاهماً للشريعة وأحكامها بدرجة عالية، فقد لا يكون قادراً على أداء رسالته بوجه أكمل، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن مشكلات مجتمعات اليوم ليست على مستوى الأحكام الشرعية فحسب، بل مشكلات فكرية، واجتماعية، واقتصادية، وغيرها، وبالتالي يحتاج العالم (المبلِّغ) أن يكون بمستوى من العلم والفضل بدرجة تمكنه أن يواجه كل هذه المشكلات القائمة في المجتمع. إن الإشكال صحيح في الجملة، ولكن يمكن تلافيه من خلال إيجاد موازنة بين حركة العلم وحركة البلاغ والهدى، أي: لا بدّ - دائماً - من حساب المساحة، التي يتحرك فيها المبلِّغ والمشكلات العلمية، التي يواجهها ويتحملها، فحفظ هذه الموازنة قضية أساسية ومهمة في عملية التبليغ، هذا

من جهة.

ومن جهة أخرى، لا بدّ للحوزوي أن يحصل على التعلّم - الذي هو قضية أساسية ومهمة - قبل الإبلاغ؛ ولذلك نجد الفقهاء حين يتحدثون - مثلاً - عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يشترطون فيه: أن يكون الأمر والنهي يعرف بهما، فيعرف المعروف ويأمر به، ويعرف المنكر وينهى عنه<sup>(١)</sup>، وإذا لم يكن عارفاً بهما، لا يمكن أن يصدر منه ذلك، لأنه قد يأمر بالمنكر، وهو لا يدري، أو ينهى عن المعروف، وهو جاهل به، وبالتالي فالبناء العلمي الرصين لطالب الحوزة أمر ضروري وفي غاية الأهمية، كما أنّ المساحة الجغرافية والعلمية، التي يتحرك فيها طالب العلم للبلاغ لا بدّ أن تؤخذ بعين الاعتبار. إن المسؤوليات الثلاثة المتقدمة، هي المسؤوليات المركزية، ولعل البقية تتفرع عنها، كما أنها قد تتداخل فيما بينها في الواقع الخارجي، ويصعب الفصل والتمييز بينها.

### المسؤولية الرابعة: الوصول إلى الحكم الشرعي

إن الوصول للحكم الشرعي، الذي يمكن أن يُستنبط من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، هو ما يعبر عنه بـ(الاجتهاد)، وهو أحد المسؤوليات الكبيرة، التي تقع على كاهل الحوزة العلمية.

فالحكم الشرعي مصدره، القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما يُذكر من أدلة أخرى، كالإجماع، والشهرة، والعقل، وغيرها، إنما ترتبط بهذين الدليلين الرئيسيين بشكل أو بآخر. وبسبب الفاصل الزمني الكبير بين الواقع الحاضر

(١) انظر: منهاج الصالحين للسيد الخوئي ١: ٣٥١.

وبين نزول الوحي الإلهي، أو نَقْلَةَ الوحي - وهم النبي ﷺ وأئمة أهل البيت - حظي الاجتهاد بأهمية بالغة، وصار واجباً من الواجبات الإلهية؛ لأن معرفة الرؤى الإسلامية المرتبطة بالحياة وما بعدها منحصرة به، بل لا يمكن الحفاظ على العقيدة الإسلامية والفقهاء الإسلاميين، إلا من خلال المحافظة على منهج الاجتهاد الصحيح، الذي رسم معالمه أهل البيت ﷺ، فالإسلام ليس كتاباً يحفظ في الخُزانات، بل هو تراث واسع وكبير محفوظ في القرآن الكريم، وفي ما رُوِيَ عن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، وفي كتابات العلماء والمحققين ومؤلفاتهم؛ ومن هنا أصبحت أحد أهم أهداف ومسؤوليات مؤسسة الحوزة العلمية، هو تخريج المجتهدين المتفهمين القادرين على استنباط الحكم الشرعي من منابعه الأصيلة وفق الضوابط الموضوعية.

### عناء الاستنباط

أصبحت عملية الاستنباط والوصول إلى الحكم الشرعي تتصف بتعقيد ومشقة بالغة في العصر الحاضر، بخلاف عصر الحضور، أي: في زمن النبي ﷺ، والأئمة من أهل بيته ﷺ، حيث كانت عملية بسيطة ومحدودة، لم تحتج إلى الكثير من الجهد والعناء؛ وذلك لأن الدين يمكن معرفته عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية، الذي كان فهمهما أمراً ميسوراً للمسلمين بشكل عام، وعند عدمه، كانوا يرجعون إلى رسول الله ﷺ، حيث إن مجتمع المسلمين كان محدوداً، والرجوع إليه ﷺ أمر سهل لا مؤنة فيه، وبالتالي يمكن معرفة الحكم الشرعي، وكذلك في زمن أئمة أهل البيت ﷺ، حيث كان أتباعهم يرجعون إليهم، إما بشكل مباشر أو عن طريق أصحابهم،

الذين يتصلون بهم دائماً، وينقلون عنهم الأحكام الشرعية، غاية الأمر أن الإنسان قد يبذل شيئاً من الجهد حتى يصل إلى الحكم الشرعي، لكنه لا يحتاج إلى التعقيد الموجود اليوم... ثم بدأت العملية تتعقد بالتدرج، حتى بلغت درجة عالية في الوقت الحاضر؛ لأسباب، منها:

أولاً: الفاصل الزمني، فالإنسان الذي يعيش عصر النص، سواء كان نصّاً قرآنياً أم نبوياً، غير الذي يعيش فاصلاً زمنياً عنه، إذ يحتاج الأخير إلى بذل جهد، حتى يعرف الظروف والقرائن المحيطة بذلك النص، والتي تشكل عنصراً مهماً لفهمه فهماً كاملاً. وهذا الأمر بحد ذاته يحتاج إلى جهد فوق الاستثنائي.

ثانياً: الركام الذي حصل على النصوص الشرعية، من خلال التفسيرات والاحتمالات الكثيرة، التي تُذكر حولها - النصوص - وهي وإن كانت تجعلها ذات طبيعة واسعة ومفصلة، لكنها في الوقت نفسه تشوش على فهمها، ومعرفة المراد منها.

ثالثاً: الوضع والاشتباه في نقل النصوص؛ لأن هناك تعمّداً للكذب أحياناً، وأحياناً خطأً أو اشتبهاً في النقل، إمّا في بتر النص وقطعه، أو بإضافة كلمات له، أو بنقله بصورة غير دقيقة، الأمر الذي جعل البحث فيها شاقاً وصعباً للغاية، وألقى بظلاله على عملية الوصول للحكم الشرعي.

ولذا تمتاز المناهج الحوزوية الموجودة فعلاً، بالعمق والدقة، وتهتم بشكل أساسي بتخريج المجتهدين، ويمكن القول: إن المناهج الحوزوية المتداولة فعلاً في حلقات الدرس والتدريس، هي من أرقى المناهج العالمية، بل أرقاها

في تحقيق هذا النوع من الهدف<sup>(١)</sup>.

وعندما بدت بعض المعالم مما يمكن التعبير عنها: (بغض النظر أو التقليل من أهمية الاجتهاد)، كما في ظاهرة الأخبارية، حصلت تحولات كبيرة في العالم الإسلامي باتجاه التخلف والابتعاد عن الأهداف، التي وضعها الإسلام أمام الحوزة العلمية.

### المسؤولية الخامسة: مواجهة الظلم والطغيان

عندما يتعرض المجتمع الإسلامي إلى الظلم والجور والطغيان، ويواجه المسلمون طاغية يحكم بلادهم، سواء كان مسلماً أم كافراً، وسواء رفع شعار الإسلام أم لم يرفعه، فإن أحد المسؤوليات المهمة للحوزة العلمية، هي مواجهة هذا الطغيان. وهذه من الوظائف الأساسية التي تحملها الرسل، والأنبياء، وكذلك الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، حتى في حال غيابهم عن قيادة الحكم الإسلامي، كما أنها أحد ميزات الحوزة العلمية، فخط الحوزات العلمية دائماً خط مقاوم للجور والطغيان والاستبداد؛ ولذلك بقي خطأ مستقلاً، غير متأثر بالطغاة والمنحرفين والظالمين.

ولذا نعتقد: أن كل من يريد الوقوف بوجه الاستكبار العالمي حقاً، فلا بدَّ له أن يقدم الخدمات العظمى للحوزة العلمية؛ لأنها أفضل وأعظم كيان يمكن أن يقوم بدور مواجهة الاستكبار، والعدوان، والطغيان، وبعث الروح

(١) لا أقول هذا الكلام إدعاءً، وإنما قرأته وسمعت من أشخاص، عاشوا المناهج الحديثة في الجامعات والدراسات العصرية العلمية، التي تنتم بالوصول إلى النتائج العلمية، وفي ذات الوقت اطلعوا على مناهجنا الحوزوية. منه قارى.



المعنوية الكبيرة بين المسلمين، بحيث يصبحون جبهة واحدة ووصفاً واحداً في مقابل أعدائهم، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار: أن تجارب الحوزة العلمية في النجف الأشرف كانت دائماً تجارب الاهتمام بالقضايا الكبرى للمسلمين، كقضية فلسطين<sup>(١)</sup>، ومواجهة الاستعمار والاستكبار العالمي.

وكذلك كانت في تجاربها تدعو إلى وحدة المسلمين، وتقوية صفهم، ومواجهة كل أنواع الضلالات والانحرافات التي تعرض لها العالم الإسلامي، من قبيل: انحرافات الإلحاد والشيوعية والماركسية<sup>(٢)</sup>، أو الضلالات الغربية، التي كان يثيرها المستشرقون، وغيرهم من المبشرين، الذين دخلوا العالم الإسلامي.

فالتصدي للظلم والطغيان من الأصول، التي لا يمكن غض النظر عنها في حركة الحوزة العلمية، بل إن مبدأ (التقية) - الذي يحاول بعضهم طرحه كمبدأ للتشيط وللتخلي عن واجب مواجهة الطغيان والظلم والجور - إذا دققنا فيه: نجد أنه لم يوضع إلا من أجل هذا الواجب، ومن أجل تسديده وجعله واجباً ممكن الإجراء بحسب الخارج.

فإذا لم يكن هناك تصدُّ للطغيان والظلم بنحوٍ من الانحاء، فما الحاجة للتقية إذاً؟ ولماذا نفترض وجودها في الدين، وفي الموقف السياسي وموقف المواجهة؟

فالظلم إذا كان عاماً فلا يحتاج إلى تقية، فالذي يتقي، والذي لا يتقي

(١) انظر: الإمام الحكيم، عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي ٢: ٢٤٦.

(٢) انظر: المصدر السابق ١: ٢٠٠.

كلاهما يتعرض له، فالتقية إنما تكون فيما إذا كان هناك قمع لحركة سياسية في مواجهة الظالم، وأما إذا لم يكن هناك عمل لمواجهة الظالم، أو يكون انسجاماً مع حركته بشكل عام، فلا حاجة للتقية هنا.

إن مبدأ التقية إنما وضع؛ لوجود واجب التصدي للظلم والطغيان على عاتق المسلمين، والحوزة العلمية، والذي يعتبر جزءاً من العمل السياسي. وقد ترجم أعلام الحوزة العلمية هذا الواجب على مدى التاريخ إلى مواقف عملية، كما هو الحال في حركة (المشروطة)<sup>(١)</sup>، التي كان منشؤها الوقوف بوجه الاستبداد.

وهكذا عندما تعرض العراق الجريح للغزو العسكري البريطاني، حيث كان هناك إجماع من قبل مراجع الدين، وعلماء الحوزة العلمية على مواجهته، ودخل آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي<sup>(٢)</sup> - الذي كان أحد مراجع الدين الكبار آنذاك - بقوة فيه، وأرسل ولده الأكبر السيد محمد

(١) المشروطة أو الحركة الدستورية، وهي: حركة قادها الفقهاء في إيران مطلع القرن العشرين الميلادي، والتي تتقوم بتقييد نظام الحكم بمجلس نيابي، له دور الرقيب على مؤسسات الدولة، ويتمتع بصلاحيات هامة. وسميت بـ(المشروطة) لكون القائمين بها اعتبروا مواد الدستور بمنزلة الشروط التي يجب أن يتقيد بها الملك في حكم الرعية. للتفاصيل انظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٣: ١٠٣.

(٢) السيد محمد كاظم ابن السيد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي. ولد عام ١٢٤٧ هـ بإحدى قرى محافظة يزد في إيران. وفيها درس المقدمات، ثم سافر إلى أصفهان؛ لإكمال دراسته، وفيها بلغ مرتبة الاجتهاد، ثم هاجر إلى النجف الأشرف واستقر فيها. مواقفه كثيرة، منها: إصداره فتوى الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي لدولة ليبيا، وضد الاستعمار البريطاني لاحتلاله جنوب إيران، وضد الاحتلال الروسي لشمال إيران. وكان من جملة علماء الدين المجاهدين في العراق ضد الاحتلال البريطاني. توفي عام ١٣٣٧ هـ بالنجف الأشرف. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ٣٣٧.

الطباطبائي اليزدي الى جبهات القتال<sup>(١)</sup>.  
وهكذا الأمر بالنسبة لفلسطين، والجزائر، وجنوب لبنان، وافغانستان.

## المسؤولية السادسة: الجهاد الفكري والثقافي

لقد واجه الإسلام منذ فجره الأول الكثير من الشبهات والإثارات، وطالما ذكر القرآن الكريم بعضها في بيانه، سواء التي طرحت على العقيدة أم التي طرحت على الأحكام الشرعية، وناقشها وردّها، كما قام أيضاً أئمة أهل البيت عليهم السلام برد بعضها بأنفسهم أو بدفع أبناء الحوزة العلمية بهذا الاتجاه، وتشجيعهم وحثهم على ممارسة هذا الدور، حتى كان لبعضهم اختصاص في ذلك، كهشام بن الحكم<sup>(٢)</sup>، الذي حظى بتأييد ومدح وثناء الإمام الصادق عليه السلام<sup>(٣)</sup>؛ لقدرته الفائقة في دفع هذا النوع من الشبهات والإثارات المتجددة، بل كانوا عليهم السلام في بعض الأحيان يتدخلون في اختيار من هو مؤهل لممارسة هذا الأمر<sup>(٤)</sup>.

(١) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٤: ١٣٢.

(٢) أبو محمد، هشام بن الحكم الكوفي الشيباني، حدّث عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، وكان عالي المنزلة عندهما. رويت له عنهما عليهما السلام مدائح كثيرة. برع في الكلام، وكان فيه حاذقاً حاضر الجواب، له مناظرات عديدة مع أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، وله كتب كثيرة. توفي سنة ١٩٩ هـ على الأظهر. للتفاصيل انظر: قاموس الرجال ١٠: ٥٢١.

(٣) كما في قوله عليه السلام له: «يا هشام لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك». الفصول المهمة: ٤٩.

(٤) عن عبد الأعلى، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يعيون عليّ بالكلام، وأنا أكلم الناس، فقال: أما مثلك من يقع ثم يطير فنعم، وأما من يقع ثم لا يطير فلا». بحار الأنوار ٧٠: ٤٠٤.

ويختزن التاريخ الإسلامي في ذاكرته أنماطاً من هذه الشبهات، والإثارات المتجددة في أساليبها وصيغها، وأحياناً في مضمونها ومحتواها، التي سرعان ما تطورت إلى تيارات فكرية تحمل ثقافات متباينة من الإفراط والتفريط، حتى في وسط مذهب أهل البيت عليهم السلام.

فتيار الغلو - مثلاً - كان من التيارات الموجودة وسط أتباع أهل البيت عليهم السلام، وهو يمثل حالة من الإفراط في فهم الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وفهم شخصيتهم وفكرهم. ويقابله تيار يمثل حالة من التفريط، كبعض التيارات الموالية لهم عليهم السلام، والتي خرجت عن ارتباطها بهم عليهم السلام؛ بسبب تفريطها، كالزيدية<sup>(١)</sup>، الذين فرطوا في الكثير من الخصوصيات ذات العلاقة بأهل البيت عليهم السلام، ومنها (الإمامة المتوازنة)، التي تتمثل بالجمع بين الصفات المطلوبة في الإمام، من: العلم، والتقوى، والشجاعة، والخبرة، والمعرفة بشؤون الحياة، وبين عدم الانتهاج لمنهج واحد، لكن الزيدية فرطوا بهذا الأمر، واقتصروا في مسألة الإمامة على مبدأ الخروج بالسيف فقط، وأن الإمام، هو من يخرج بالسيف<sup>(٢)</sup>.

وهكذا التيار الأخباري، الذي تطرف في فهمه للحكم الشرعي، وطريقة الوصول إليه، حيث حصر ذلك بالنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام، فقرط بالجانب العملي والتحليل العقلي لفهم النصوص، مما

(١) فرقة إسلامية، تختلف في أصولها وفروعها في العديد من النواحي عن الإمامية الإثني عشرية، وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام؛ ومن هنا جاءت تسميتهم بالزيدية. ومعظمهم موجودون حالياً في اليمن.

(٢) انظر: الملل والنحل ١: ١٥٤.

عرض الحالة الفكرية والثقافية الشيعية لهزة كبيرة. ويقابله تيار الشيخية<sup>(١)</sup>، الذي يعبر عن حالة تفسير النصوص تفسيراً باطنياً بعيداً عن القواعد العلمية، والمبادئ والأصول الفكرية، فيتحول إلى حالة من الغلو والإفراط في فهم المعاني. إن هذه الأخطار ليست من الأخطار السياسية، وإنما هي أخطار ترتبط بالحالة الفكرية والثقافية، فإذا تعرضت الأمة لخطر الإفراط أو التفريط، فالحوزة العلمية هي التي يمكن أن تتصدى له، وتتحمل مسؤولية دفعه، فهي أولى من غيرها في ذلك؛ بحكم موقعها الذي وضعها الله تبارك وتعالى فيه، ولأن الكثير من الشبهات - ولا زال الإسلام يواجه الكثير منها - يحتاج إلى فقاهاة وشمّ اجتهادي، وبحكم ما تبنته من منهج وسط معتدل ومتوازن، يعبر عنه بـ(التيار الأصولي)، وباعتبار أنها تمثل العمق الفكري والعلمي للإسلام، فتقدم الجواب الصحيح، والرؤية الواضحة، التي تنطلق من الإسلام، في قبال ما يُشاع من ضلالات، وانحرافات، وبدع، وإثارات تؤدي إلى تشويش أفكار الناس، وتفرقهم وتمزقهم، وتجعلهم يضرب بعضهم بعضاً.

### انفتاح الحوزة على مشاكل الأمة

ويتطلب هذا التصدي من الحوزة العلمية انفتاحها بمجموع حركتها على الأمة، وعلى مشاكلها الفكرية والاجتماعية، حيث تعيش الأمة الإسلامية

(١) الشيخية: مدرسة فكرية شيعية اثنا عشرية. أوجدها وأرسى قواعدها (الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي)، حيث تُنسب إليه آراء خاصة في الحكمة وردّ الفلسفة. ويتواجد الشيخية في الكويت، والأحساء، وكرمان، وتبريز، والبصرة. وسبب تسميتهم بـ(الشيخية)؛ فلأنهم قلدوا الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٢: ٥٨٩.

مشاكل كثيرة؛ جرّاء الغزو الفكري والثقافي للأعداء، وتداخل العالم فيما بينه، بحيث تحول إلى قرية بسبب تطور الاتصالات.

ونحن كمسلمين نعتقد اعتقاداً جازماً: بأن الرسالة الإسلامية رسالة كاملة، فيها الحل لكل مشكلة وحادثة<sup>(١)</sup>، والحوزة العلمية، هي الجهة الوحيدة القادرة على تقديم الحل لكل مشكلة وحادثة، ولكن بعض الحوادث تحتاج إلى دراسة دقيقة لكل تفاصيلها، حتى يمكن معرفة الحكم الشرعي المناسب لها.

وهنا يأتي دور هذا النوع من الانفتاح على الأمة، بل التعايش معها، فالانفتاح على مشاكل الأمة لا ينحصر بإعطائها الرؤية والموقف الصحيح، وإنما يحصل من خلال التعايش مع همومها ومشاكلها؛ لأن الحوزة العلمية لها أدوار رسالية، والرسالة تقدم الرؤية الصحيحة والحكم الصائب، الذي يُعبر عنه القرآن الكريم: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وتقوم بدور تزكية الناس وتربيتهم وتطهيرهم، والارتقاء بهم من السقوط في أحضان الدنيا

(١) روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله عزّ وجل أنزل في القرآن تبياناً لكل شيء، حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العبد، حتى والله ما يستطيع عبد أن يقول: لو كان في القرآن هذا، إلا وقد أنزله الله فيه».

وعن سماعة بن مهران، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله أنزل عليكم كتابه الصادق النازل، فيه خيركم، وخير ما قبلكم، وخير ما بعدكم، وخير السماء، وخير الأرض، فلو أتاكم من يخرىكم عن ذلك لعجبتم». المحاسن: ٢٦٧، ح ٣٥٢، ٣٥٣. للتفاصيل انظر: المحاسن: ٢٧٦، باب إنزال الله في القرآن تبياناً لكل شيء. الكافي: ١: ٥٩، باب الرد إلى كتاب الله والسنة.

(٢) آل عمران: ١٦٤، الجمعة: ٢.

والإخلاق<sup>(١)</sup> إلى الأرض، وتجعلهم يتوجهون إلى الله سبحانه وتعالى. فالتركية والتطهير لا يمكن أن تحصل إلا من خلال التعايش مع الأمة، ولقد قام رسول الله ﷺ بهذا الدور بنفسه: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(٢)</sup>، بالرغم من المسؤوليات العظيمة الملقاة على عاتقه في إبلاغ الرسالة.

وأما النظر إلى الأمة من بعيد، وإلقاء الكلام، وإعطاء الرؤية الصحيحة من دون تعايش، فهذا لا يحقق التركية والتطهير.

(١) قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ . الأعراف: ١٧٦.

(٢) آل عمران: ١٦٤، الجمعة: ٢.





القسم الأوّل

رؤى عن الحوزة العلميّة

الفصل الثالث

طالب العلم

الصفات، شروط القبول



إن الانخراط في سلك طلب العلم توفيق إلهي، ونعمة من أعظم النعم الربانية، واصطفاء واجتباء وشرف عظيم، كما أنه جهاد في سبيل الله، ومحنة وفتنة وابتلاء يبتلي الله سبحانه وتعالى به عباده المخلصين، كما ابتلى الأنبياء واصطفاهم واختارهم لحمل الرسالات. فالانتساب للحوزة العلمية ليس انتساباً لموقع حافل بالأضواء والعناوين العريضة التي قد تؤدي بوقوع الإنسان في غياهب الغرور والعجب والاستكبار، وإنما هو انتساب للجهاد الأكبر وما يحمل من آلام ومعاناة، وانتساب للحياة الأخرى وما تفرضه من زهدٍ وتقشف، وانتساب إلى المسؤوليات الكبيرة والضخمة التي فرض الله تعالى حملها على المصطفين.

ولذا لا ينبغي لطلبة الحوزة العلمية أن يقصروا نظرهم لها على البُعد العلمي فقط، كقضية محدودة في المعلومات، وفهم هذه المسألة وتلك مهمها كان هناك من تعقيد أو سعة؛ لأن الحوزات العلمية تمثل المشروع الأساس في الجماعة الصالحة، والمسلمين، وسيكون لها دور حقيقي في تاريخ البشرية كلها، وهذا ما يفسر اهتمام أهل البيت عليهم السلام بتأسيسها، والتأكيد على دورها، ودعوة الناس للانتساب إليها؛ لأنهم يعرفون أن دورها سيكون كبيراً في حياة أتباعهم، وحياة المسلمين، والبشرية جمعاء.

وسيكون الكلام في مبحثين:

الأول: صفات طالب العلم.

الثاني: شروط القبول في الحوزة العلمية.

## المبحث الأول: صفات طالب العلم

إن الحوزة العلمية هي المشروع الرئيس الذي اعتمده النواب العامون لأهل البيت عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى؛ للدفاع عن الشريعة وعن المؤمنين بها، حيث قام العلماء الأعلام ومراجع الدين العظام في ظل رعاية الإمام المهدي عليه السلام - وهم يفتخرون ويعتزون بأن يكونوا جنوداً له، وخداماً لأهداف رسالته - بمقام حضوره عليه السلام في أغلب المهام الموكلة له عليه السلام.

فمن يعمل في هذا المجال يعمل بالنيابة عنه عليه السلام؛ ولذا من الخطأ اختزال طالب العلم للحوزة العلمية بالعلم فقط، فالحوزة العلمية بالرغم من أن عنوانها ومحورها العلم، لكنه ليس كل شيء فيها، لا في بداياتها ولا في بنائها، ولا في أهدافها التي تسعى إليها، وإنما العلم يمثل صفة تكاملية في حركة الإنسان، ومن الوسائل التي وضعها الله أمامه؛ ليحقق من ورائها الأهداف التكاملية التي يسعى لها.

إذاً، فهناك صفات وخصائص أخرى مهمة تشكّل بمجموعها، حالة التكامل في حركة طالب العلم، وحركة الحوزة العلمية بصورة عامة، منها:

### الصفة الأولى: الشعور بالمسؤولية وتحملها

لقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفة في آية النفر: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، حيث قسمت الناس إلى: جماعة تنفر للجهاد، وأخرى تنفر لطلب العلم والتفقه في الدين، والنفر الثاني يعبر

عن الشعور بالمسؤولية تجاه التصدي، وإبلاغ الرسالات الإلهية، وإيصال الحكم الشرعي، ومعالم العقيدة والهدى للناس، إلى غير ذلك مما يرتبط بهذه المسؤولية.

### الصفة الثانية: الشعور بالإنتماء للرسالة الإسلامية

إن الانتماء إلى مشروع الحوزة العلمية ليس انتماءً للذات، كي يصبح الإنسان بذاته شيئاً مهماً، ويكون إنساناً محترماً لذاته، وإنما هو انتماء إلى الرسالة الإسلامية؛ ولذلك جاء في الحديث الشريف: «طالب العلم أفضل عند الله من المجاهدين، والمرابطين، والحجاج، والعمّار، والمعتكفين، والمجاورين، واستغفرت له الشجر، والرياح، والسحاب، والبحار، والنجوم، والنبات، وكل شيء طلعت عليه الشمس»<sup>(١)</sup>؛ لأن طلب العلم يراد منه نشره والعمل به، فإذا فقدت هذه الغاية فقد أصل الانتماء للرسالة الذي يفرض بطبيعته قيوداً على طالب العلم، كما يفرض عليه اهتمامات أوسع أفقاً من الاهتمامات الذاتية، كالاهتمام بحمول هموم الأمة، وتطلعاتها، ومشاكلها، وغير ذلك؛ ولذا يجب على طالب العالم أن يستكمل في حركته وبنائه الذاتي هذا البعد الأساسي؛ لأن الحوزات العلمية أريد لها أن يكون لها دور خاص في حركة الأمة، ودور متكامل في العبادة الروحية، والأخلاقية، والعلمية، والاجتماعية.

فلا يكفي أن يكون طالب العلم ذا روح عالية، ومتواضعاً وزاهداً ومتقياً، وطالِباً متعمقاً في العلم، ومستعداً للصبر تحت السياط أياماً طويلة، ولكن ليس له - مثلاً - أي اهتمام بالأوضاع الاجتماعية، فهذا الإنسان فقد جانباً مهماً

(١) ارشاد القلوب: ١٦٤.

من حركته، بل يمكن القول: إنه حصل على أشياء، ولكن في ذات الوقت قد يكون فاقداً للهدف من انتمائه للحوزة العلمية، وارتباطه من خلالها بالرسالة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

### الصفة الثالثة: التقوى والاخلاق

إن التقوى والأخلاق<sup>(٢)</sup> يمثلان ركناً أساسياً من أركان الحوزة العلمية، فالعلم بلا تقوى قد يتحول إلى سيف يستخدم في إيذاء الناس، والإضرار بهم، والإفساد، كما هو الحال في علماء السوء، الذين سخرّوا علمهم وإمكاناتهم في خدمة الشيطان والطاغوت والهوى، فأضرّوا الدين والأمة، كما هو حديث القرآن الكريم عن علماء اليهود وغيرهم<sup>(٣)</sup>، وأحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته عليه السلام في التحذير من علماء السوء<sup>(٤)</sup>؛ لدورهم في إفساد

(١) من خلال التجارب الطويلة التي عشتها. فمنذ صغري كنت أعيش الحوزة في همومها وخصوصياتها، وكانت لي تجربة طويلة. كنت أرى أن بعض الأخوة ينسى طبيعة انتمائه، فيفهم: أن الانتماء للحوزة العلمية، يعني: أن يكون الإنسان متعبداً، فيلتزم الحرم الشريف بالعبادة، ويكون مكباً على الكتاب ليل نهار، وأن يكون زاهداً متواضعاً. منه قوله ﷺ.

(٢) أنا أحجل أن أقف هذا الموقف، وأتحدث عن التقوى في هذا الاجتماع، الذي يضم أبناء الحوزة العلمية الشريفة، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والذكرى تنفعني قبل أن تنفع الآخرين. منه قوله ﷺ.

(٣) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. التوبة: ٣٤.

(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب. وقال ﷺ: أوحى الله إلي داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطع طريق عبادي المريرين، إن أدنى ما أنا صانع بهم

المجتمع والإضرار به.

فالعلم بدون تقوى وأخلاق لا دور له في حياة الإنسان التكاملية؛ لأن صفة العلم - بحسب الرؤية الإسلامية - يُراد منها أن تنعكس على علاقة الإنسان بربه، وتكون سبباً في اتصاف الإنسان بالورع، والتقوى، والخشية من الله في مجمل سلوكه وحركته ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

كما أن رأس الانحراف السلوكي - الذي يؤدي إلى الابتعاد عن الله تعالى - هو التخلي عن القضية الأخلاقية، فإبليس - رغم معرفته بالله تعالى - بدأ انحرافه عن الصراط المستقيم من قضية أخلاقية، فعندما خلق الله سبحانه وتعالى (آدم) وطلب من الملائكة السجود له، فسجدوا إلا إبليس الذي امتنع عن ذلك تكبراً ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>، فهو لم يقل: أنا جاهل، وإنما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، ومعنى ذلك: أن مبدأ الكفر والانحراف بدأ بقضية أخلاقية تمثلت بالتكبر والاستكبار.

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن المنافق، يوضح أن الفرق بينه وبين المسلم، إنما هو في الجانب الأخلاقي، فالمنافقون يأتون النبي ﷺ ويشهدون أنه رسول الله، ولكن القرآن الكريم يؤكد أنهم كاذبون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ

أنزِع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم». الكافي ١: ٤٦، ح ٤.

وروى مسعدة بن صدقة، عن جعفر ع، عن أبيه محمد بن علي ع، قال: «إياكم والجهال من المتعبدین، والفجار من العلماء، فإنهم فتنة كل مفتون». قرب الإسناد: ٧٠، ح ٢٢٦.

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) الأعراف: ١٢.

قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ  
لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾، والدليل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا  
رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهكذا عندما يتحدث الله سبحانه وتعالى مع شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام نرى أن حالة (التسليم) - التي هي حالة نفسية وأخلاقية - هي التي جعلته عليه السلام يبدأ بمسيرة الإيمان الصحيحة<sup>(٢)</sup> ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، والتي أوصلته إلى أن يصبح (خليل الله)<sup>(٤)</sup>، ثم الإمام المنصوب منه تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾<sup>(٥)</sup>، وفي الرواية: «إن الله اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً، واتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، واتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، واتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إماماً»<sup>(٦)</sup>.

ويربط القرآن الكريم في موضع آخر بين التسليم لله تعالى، ولرسوله، ولأولي الامر، وبين الإيمان، فالتسليم إذا لم يتحقق، فلا وجود للإيمان ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ

(١) المنافقون: ٥.

(٢) انظر: تفسير التبيان ١: ٤٧١.

(٣) البقرة: ١٣١.

(٤) قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾. النساء: ١٢٥.

(٥) البقرة: ١٢٤.

(٦) الكافي ١: ١٧٥، ح ٤٤.



حَرَاجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿١﴾.

ثم يذهب القرآن الكريم بالتقوى إلى أبعد المديات حين يصرح بتأثيرها على الكون كله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُم جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿٣﴾، فعندما تكون الجماعة متقية ومتخلقة بالأخلاق الإسلامية في حركتها العامة، سيتأثر الكون بذلك، وتفتح عليها بركات السماء والأرض.

إذاً، تعتبر الأخلاق قضية مركزية وأساسية في الرؤية القرآنية، وركناً أساسياً من أركان الحوزة العلمية، بل الركن الأصلي فيها، الذي يعبر عنه في المصطلحات الحوزوية بـ(التقوى والعدالة)، فمرجع الدين لا يكون مرجعاً، مهما كان عالماً ومتبحراً في علمه إلا أن يكون عادلاً، فالعدالة أول ما يُسأل عنها بالنسبة لمن يتصدى للمرجعية الدينية، بل يشترط أن تكون عدالته على مستوى عالٍ تتناسب مع موقعه ومنصبه وعلمه، لا مجرد العدالة، التي تشترط في إمام الجماعة من حُسن الظاهر، وإن كان عند المذاهب الإسلامية الأخرى لا يشترطون العدالة في إمام الجماعة<sup>(٤)</sup>.

(١) النساء: ٦٥.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) المائدة: ٦٥، ٦٦.

(٤) انظر: الشرح الكبير ١: ٣٢٦.

كما لها دور مهم في الإيمان، ولها تداعيات كبيرة ومهمة أيضاً، فالقلب مثلاً إذا لم يكن نورانياً ومستودعاً للتقوى، لن يستوعب العلم استيعاباً حقيقياً، كما يشير إلى ذلك قوله عَلَيْهِ السَّلَام: «ليس العلم بكثرة التعلم، وإنما هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يريد الله أن يهديه»<sup>(١)</sup>.

### آليات تزكية النفس

إن التقوى والالتزام بالخلق الإسلامية لا تأتي من فراغ، وإنما هي وليدة العمل الجاد والجهاد الكبير للنفس، فالنفس دائماً تحاول التحرر من كل القيود، والتقوى في واقعها: مجموعة من القيود فرضتها الشريعة الإسلامية، وكل الشرائع الإلهية.

ويفرض هذا النوع من التضاد صراعاً مريراً داخل النفس لا بد أن ينهيه الإنسان بشكل عام، وطالب الحوزة العلمية بشكل خاص إلى صالح التقوى من خلال الاتكال على الله، والتضرع إليه في تسهيل هذه المهمة، والتوسل ببعض الآليات التي يمكن الاستفادة منها في تزكية النفس وجهادها وتطهيرها، منها:

١- الوقوف ملياً عند آيات القرآن الكريم، التي تتناول التقوى بكل أبعادها، وحيثياتها، وما يترتب عليها.

وهكذا التأمل في أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَام ذات البُعد الأخلاقي، وهي كثيرة جداً، وتعتبر ثروة عظيمة، ولا بد لطالب العلم - مضافاً إلى دروسه - أن يضع لنفسه حصة من الوقت للتفكير والمراجعة؛

(١) منية المريد: ١٦٧.

لأن التدبير قضية مهمة جداً في تربية الإنسان وتزكيتته<sup>(١)</sup>.

٢- الوقوف المتأني عند سيرة الصالحين، كالنظر في قصص الأنبياء، لا سيما النبي الأكرم ﷺ، وأئمة أهل البيت عليهم السلام وملاحظة تجاربهم، وسلوكهم العبادي، ومنهجهم في العمل، وطريقة تعاملهم مع الناس. وهكذا السيرة الأخلاقية للعلماء الأبرار ومراجع الدين العظام.

٣- الالتزام بالعبادة، سواء كانت واجبة أم مستحبة، فالعبادة لها تأثير كبير جداً في هذا المجال.

٤- ترويض النفس وتعويدها على تطابق الفعل مع العمل؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى التأثير في الناس ما لم يكن كلامه نابعاً من قلبه ومعبراً عن أخلاقه؛ ولذلك كانت للأنبياء قدرة كبيرة في التأثير على الناس، فالكلام إذا خرج من القلب دخل القلب.

ويروى بهذا الصدد عن المرحوم العلامة الشيخ الشوشتري<sup>(٢)</sup> - أحد كبار الواعظين في أواسط القرن الثالث عشر الهجري - أن عبداً جاءه، وطلب منه: أن يطلب من سيده اعتاق رقبته. فوعده العلامة: خيراً، لكن الشيخ لم يتكلم

(١) وأقول ذلك عن تجربة شخصية، وعن تجارب الذين عرفتهم في حياتي، وقرأت عنهم في التاريخ. منه قارى.

(٢) الشيخ جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي الشوشتري النجفي. كان عالماً، فقيهاً، واعظاً، حيث اشتهر بالوعظ والخطابة، وكانت تجتمع الألوفاً تحت منبره لسماع مواعظه. ولد في مدينة شوشتر. تستر - إحدى مدن إيران. هاجر إلى العراق واستوطن مدينة (الكاظمية). أساتذته: الشيخ إسماعيل التستري الكاظمي، والشيخ عبد النبي الكاظمي، وصاحب الفصول، وشريف العلماء، والشيخ صاحب الجواهر. له مؤلفات عديدة، منها: (الخصائص الحسينية)، و(رسالة في أصول الدين)، و(رسالة في واجبات الصلاة). توفي سنة ١٣٠٣هـ، ودفن في الصحن الحيدري الشريف. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٤: ٩٥ - ٩٦.

مع سيد العبد، فجاءه العبد مرة ثانية، وقال له: وعدتني خيراً، ولم تفعل شيئاً؟ فأجابه: سأفعل إن شاء الله، ولكن لم يفعل الشيخ شيئاً، فجاءه العبد مرة ثالثة وكرر عليه الطلب، فقال الشيخ: غداً إن شاء الله. وفي اليوم التالي ذهب الشيخ الشوشتري وتحدث مع السيد، فأعتق السيد العبد. فجاء العبد للشيخ الشوشتري يشكره على عمله، ثم قال له: لماذا لم تقم بالعمل في المرة الأولى؟

فقال الشيخ: لقد عودت نفسي ألا أطلب من إنسان عمل خير حتى أقوم به أولاً؛ لأرى ثقله على نفسي، ثم بعد ذلك أطلبه من الآخرين، وأعتقد أنني بهذه الطريقة يمكن أن أؤثر فيهم. ففي المرة الأولى لم أكن أملك عبداً حتى أعتقه، ومن ثم أطلب ذلك من مولاك، وكنت في هذه المدة أجمع مالاً حتى أشتري عبداً وأعتقه، وفعلاً اشتريت عبداً واعتقته لوجه الله تعالى، ثم طلبت من مولاك في المرة الثالثة أن يعتقك.

فقد يتعلم بعض المؤمنين شيئاً من الكلام ويتحدثون به ويعظون ويرشدون، لكن في مقام السلوك والعمل يكونون بعيدين عن هذه الموعظة، فكلامهم في وادٍ، وعملهم في وادٍ آخر، والقرآن الكريم خصّ المؤمنين بخطابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

نعم، قد يهتدي بعض الناس بكلام هؤلاء الوعاظ، ولكن لا يكون هذا هو التأثير المطلوب في هدايتهم، والأهم من كل ذلك أن يتكامل الإنسان في نفسه، ويكون قريباً من الله، وفي موقع الرحمة منه.

(١) الصف: ٢.

ومن هنا إذا أراد طالب الحوزة العلمية أن يوفقه الله سبحانه وتعالى، ويكون في موضع البركة والرحمة الإلهية، والوصول إلى أهدافه المقدسة، التي وضعها الله سبحانه وتعالى أمامه، ويكون من بركة الأنبياء والأوصياء والأولياء، أن يفكر ملياً في كيفية الاتصاف بصورة حقيقية بالتقوى، وأن يكون كلامه مطابقاً لواقعه.

٥- مراقبة الممارسات السلوكية في الحركة اليومية، سواءً ذات العلاقة بالواجبات والمحرمات، أم ذات العلاقة بالمستحبات والمكروهات والآداب، بأن يكون في داخل الإنسان وازع نفسي وروحي ومعنوي، يراقبه في كل حركاته وسكناته، وفي كل كلماته وأفعاله ونشاطاته، بل يمكن أن يراقبه في تصوراتهِ وتخيالاتهِ ومسموعاته، فقد يسمع الإنسان أشياء ليست محرمة، لكنه لا يستحقها، كما إذا كان جالساً في مكان ما وامتدح فيه، فعليه أن يراقب ما سمعه مراقبة دقيقة، ويحاسب الكلمات التي صدرت، ويقيس نفسه لها، ومدى انطباقها عليه أو بعده عنها، الذي يكون أحياناً على بُعد شاسع منها. لأن عدم مراقبة المدح مثلاً مراقبة شديدة قد يؤدي بالإنسان تدريجياً إلى حالة من الغرور، والجهل المركب في فهمه لنفسه، وتكون له بعد ذلك تأثيرات خطيرة وكبيرة جداً على حياته وحركته.

٦- إن نشر الهدى والصلاح بين الناس، من خلال تعليمهم الأحكام الشرعية، وتوعيتهم، وتطوير فهمهم للإسلام، وإشعارهم بالمسؤولية، أحد المهام الملقاة على عاتق رجل الدين، وقد يرى بعضهم: أن هذا الواجب يتحقق من خلال أمور معينة، ويغفل عن أخرى، ولكن عند ملاحظة السيرة العطرة للنبي الأكرم ﷺ كأسوة وقدوة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أُسُوَّةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١﴾، وسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومراجع الدين العظام، نكتشف أن ثمة بُعدين لنشر الهدى، أحدهما: نظري، والآخر: عملي، وأعتقد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله على ما وهبه الله من درجات وكمالات عالية، وآتاه من علم وحكمة وفضل، كان صلى الله عليه وآله لسلوكه المتميز تأثير كبير وعظيم في هداية الناس، وإقبالهم عليه، وقبولهم للقرآن الكريم، فهم لم يتأثروا بالمفاهيم والمطالب العلمية فحسب، وإنما تأثروا أيضاً وبصورة كبيرة بالسلوك العالي، والخلق العظيم، والآداب الرفيعة، وبالتحمل والصبر، وحسن المعاشرة والمداراة له صلى الله عليه وآله، فقد روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض» <sup>(٢)</sup>.

إذاً، فللسلوك الخارجي لطالب الحوزة العلمية دور مهم في نشر الهدى والتزكية؛ ولذا تفرض على طالب الحوزة العلمية بعض القيود المرتبطة بالجانب السلوكي؛ ليستفيد منها في تكامله الذاتي، وفي التزاماته تجاه الأمة، كالتقيد بلبس (الزِّيِّ الخاص برجال الدين)؛ لما في ذلك من فوائد كبيرة ومهمة <sup>(٣)</sup>، حيث إن التقيد بلبس الزي المعهود والمعروف لعلماء الدين يمثل منهجاً من مناهج التربية، فالإنسان حين يريد تربية بدنه على بعض الحركات،

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) مشكاة الانوار: ٣٦٩.

(٣) فأنا تعممت بين الثانية عشرة والثالثة عشرة، وعندما نتعمم ونحن صغار، نتقيد بسلوك محدد، فإذا رأنا أحد الصالحين من أهلنا وأحبتنا، أو من الذين لهم علاقة بنا. وهم كثيرون في النجف الأشرف. نأكل في السوق، فالتصرف هذا يكون من القضايا القبيحة في سلوكنا وحركتنا، وهكذا إذا كان الشعر طويلاً فإنا نحاسب عليه حساباً شديداً، وكذلك الحذاء إذا كان له شكل خاص ومتميز. وبذلك كنا نتكيف ونستفيد استفادة كبيرة من هذه القيود، سواء في إحساسنا بالمسؤولية، أم في التزاماتنا العامة تجاه الأمة. منه صلى الله عليه وآله.

فلا بدّ أولاً أن يقوم بتمرين حركي واسع، وفي المجال الروحي والنفسي عندما يريد أن يكون داعية لله تعالى يحتاج أيضاً إلى رياضة روحية، من خلال القيام بفرض تمارين وقيود على نفسه؛ ليصل إلى المستوى المطلوب، ويمكن تفسير الكثير من العبادات المستحبة بهذا التفسير.

إذاً، فالتقيّد بالزي ليس مجرد شعار وتكثير للسواد، وإنما هو قضية لها بعدها التربوي لطالب العلم، ومدلولها الأخلاقي، الذي يرتبط بنظرة الناس إليه، كمرشد وقدوة، في كلامه، ومشيته، وتعامله.

كما أن للزي بُعداً آخر، فالطالب عندما لا يكون معمماً يبقى متردداً في صحة اختياره للحوزة العلمية، فهو يدرس، ولكنه يبقى يتساءل في داخله عن مصيره. فلا بدّ في مرحلة ما أن يتحدد اختياره، ويتفرغ لطلب العلم، ويتحمل مسؤوليته، ويرتبط بميثاق بينه وبين الله، وبينه وبين أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا يحتاج إلى أن يعبر عن هذا الميثاق والارتباط، الذي هو أشبه بالبيعة إلى مظهر معين، والزي الخاص هو المظهر.

وأما التهيّب من لبس الزي، فعلاجه نصيحة أمير المؤمنين عليه السلام، التي يقدمها في الوصول للغايات والأهداف، وهي قوله عليه السلام: «إذا هبت أمراً فقع فيه، فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه»<sup>(١)</sup>، فعندما يخاف الإنسان من لبس (العمّة)، فليقع بهذا الأمر مع توكل عالٍ على الله سبحانه وتعالى، وإرادة قوية بأن يسير في هذا الخط، فالقيود التي هي بسيطة ورائها فوائد كبيرة، تجعل الإنسان يصبح مثلاً قادراً على التأثير في الآخرين.

(١) نهج البلاغة ٤: ٤٢، رقم (١٧٥).

وهذا بعكس ما يراه بعضهم: من أن الزي الخاص والمعهود يفرض قيوداً كثيرة على رجل الدين، وبالتالي تجعله في ظرف صعب، ولعل هذه القيود، هي التي تجعلهم يتهربوا من ارتداء الزي؛ للقيود الملازمة له.

أو كما تقول بعض التشكيلات السياسية والثقافية: إن هذا الزي لم ينزل الله به من سلطان، حيث لا يوجد به نص شرعي، ولا كان زياً خاصاً بالمعصومين عليه السلام، وبالتالي لماذا هذا التقييد به؟

بل كانوا يتعمدون كسر هذه المفاهيم؛ من أجل إعطاء تصور على أن هذه القضية لا أصل لها من الشريعة، فاذا أقيمت صلاة الجماعة في أحد محافلهم، فإنهم يتعمدون الائتنام بشخص غير معمم حتى لو كان بعض طلبة الحوزة العلمية موجودين، ويبررون ذلك: بعدم وجود نص شرعي على اختصاص إمامة الجماعة بـ(المعمم).

٧- عدم إحساس رجل الدين مهما كان موقعه وأهميته بالأمن والطمأنينة من الوقوع في الابتلاءات والامتحانات الإلهية، لكونه يستوطن مدينة مقدسة مثلاً، أو يسكن بجوار أحد أولياء الله، أو لكونه متفقهاً، وملتزماً بالواجبات، وغير ذلك، فتتسرب إلى نفسه تدريجياً حالة الطمأنينة والشعور بالأمن من الوقوع في المحرمات، أو التعرض للمغريات؛ باعتبار وجود هذه الحصون والأسوار والموانع، التي تحيط به، وبالتالي يتصور أنه في حالة أمن واستقرار. إن الله سبحانه وتعالى وضع الامتحان والفتنة، كقانون عام، يبتلي به كل إنسان مهما كانت حصونه وأسواره، شأنه شأن الموت، الذي يلاحق الإنسان



ويدركه، حتى لو كان في حصون محصنة، أو بروج مشيدة<sup>(١)</sup>، غاية الأمر أن الموت يأتي في آخر حياته، والإمتحان معه في كل لحظة ومكان، وهذا هو مقتضى العدالة الإلهية، فالناس يمتحنون ويبتلون، وطالب العلم شأنه شأن بقية الناس، غاية الأمر أن ابتلاءاته قد تختلف عن ابتلاءات الآخرين في أنواعها وأصنافها، ولكن مضمونها وأهدافها شيء واحد.

فطالب العلم إذا أراد أن يكون مسؤولاً، وقائداً، ورائداً، وهادياً، ودليلاً للناس، فهو يحتاج إلى مستوى أعلى منهم في التيقظ والحذر من مكر الله تعالى.

٨- قراءة الكتب المهمة بجانب التقوى والأخلاق الإسلامية، ككتاب (جامع السعادات)<sup>(٢)</sup> أو كتاب (أخلاق أهل البيت عليهم السلام)<sup>(٣)</sup>، أو كتاب (منية المرید في أدب المفید والمستفيد)<sup>(٤)</sup>، فهذه الكتب وأمثالها لا بد من وجودها في الحوزات العلمية، ليطلع الطالب على مضمونها ومحتواها باستمرار.

### الصفة الرابعة: الجدية في طلب العلم

إن العلم عنوان وشعار للحوزة العلمية، وركن أساسي فيها منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وإلى اليوم الحاضر؛ ولذا لا تسمى إلا به، فلا يقال: الحوزة التبليغية، أو الأخلاقية، أو السياسية، أو الاجتماعية، وإنما

(١) قال تعالى: ﴿أَيَّمَا نَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾. النساء: ٧٨.

(٢) تأليف أحد أعلام المجتهدين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الهجرة، وهو الشيخ الجليل المولى محمد مهدي النراقي، المتوفى عام ١٢٠٩ هـ.

(٣) تأليف العلامة السيد محمد مهدي الصدر، المتوفى عام ١٣٥٨ هـ.

(٤) تأليف الشيخ زين الدين بن علي العاملي، المعروف ب(الشهيد الثاني).

الحوزة العلمية، ولا يمكن للحوزة أن تكون قادرة على القيام بمسؤولياتها الإلهية ما لم يكن فيها علم جاد، وحقيقي، وعميق، ونافع، حيث إن أحد الأمور التي يتعوذ الإنسان منها، هو العلم الذي لا ينفع: «اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع، ومن قلب لا يخشع، ومن علم لا ينفع»<sup>(١)</sup>.

وقد تميزت الحوزة العلمية بأصالة علمها، ونقائه، وصفائه؛ لامتداد جذوره إلى تلك ينباع الصافية المتمثلة بأهل البيت عليهم السلام دون واسطة، ودون تأثر بأي ثقافة أو فكر آخر، ولم تخضع طوال التاريخ إلى المؤثرات الخارجية أو الداخلية، فلا الطغاة والسلاطين والجائرون كانت لهم يد في هذه الحوزات؛ لأنها كانت بعيدة، بل مطاردة من قبلهم، ولا الشهوات والمناصب والأموال والمواقع كان لها تأثير عليها؛ لأن عامل التقوى والتزكية، الذي غرسه أئمة أهل البيت عليهم السلام وأصلوه في نفوس أتباعهم عموماً، وطلبة الحوزة العلمية خصوصاً كان قوياً وفاعلاً ومؤثراً، بحيث إن عدالة رجل الدين مهما كان موقعه ومسؤوليته تبقى تحت أعين الناس وتراقب بكل دقة، وبالتالي بقيت الحوزة العلمية بعيدة عن كل المؤثرات.

بخلاف الدوائر الثقافية والعلمية - وإن أدت أدواراً وخدمات - في العالم الإسلامي، كجامع الأزهر<sup>(٢)</sup>، والزيتونة<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن الجامعات،

(١) المصباح للكفعمي: ٣٥.

(٢) يعتبر من أهم المساجد الإسلامية الكبرى في مصر. أسسه جوهر الصقلي قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي في أعقاب فتحه لمصر، حيث تم الانتهاء منه سنة ٣٦١هـ.

(٣) هو ثاني الجوامع التي أقيمت بإفريقيا، بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان. وينسب أمر تشييده إلى حستان بن النعمان فاتح تونس وقرطاجنة، فيكون أمر بنائه لأول مرة سنة ٧٩هـ.

والمؤسسات، والمعاهد، والمراكز العلمية الأخرى، التي وقعت تحت تأثير العوامل السياسية، أو الفكرية، أو الثقافية، سواء كانت عوامل خارجية، من قبيل: الحكومات الجائرة التي كانت تفرض سياستها، وأفكارها، وعقائدها، وأغراضها، وأهواءها على العلماء في بعض المؤسسات العلمية في التاريخ الإسلامي، وفي العصر الحاضر، أم عوامل داخلية، ذات علاقة بقضية المصالح، والمنافع، والمناصب، والمواقع، والشهوات، والأموال، التي كان يحصل عليها، الذين يتصدون لمثل هذه القضايا في المراكز العلمية. وفي العقود القليلة الماضية أدت سيطرة الغرب عسكرياً، وسياسياً، واقتصادياً، وثقافياً على العالم الإسلامي، إلى وقوع جلّ المراكز العلمية في العالم الإسلامي تحت تأثير الفكر الغربي وحضارته، باستثناء الحوزة العلمية التي بقت بعيدة عن ذلك.

### اقتران العلم بالمعانة

إن أحد المعالم الجوهرية في الحوزة العلمية هو اتصاف طلبتها بالجدية في طلب العلم، سواء كان سائراً في خط الاجتهاد، أم في خط التبليغ، أم التحقيق، فالمهم أن يكون الطالب عميقاً في تفكيره، ويحصل على العلم الحقيقي، كما هو شأن الأسلاف الصالحين من المراجع، والعلماء، والفضلاء، ولا تحصل الجدية إلا ببذل الجهد، والمثابرة، والصبر على فهم واستيعاب العلوم الحوزوية بشكل حقيقي ودقيق؛ لكونها علوماً زاخرة بروى وأفكار عمالقة الفكر الإسلامي والإنساني على مدى قرون عديدة، فهي تحتاج إلى مزيد من التأمل والوقوف عندها، حتى يعرف الدارس كيفية الوصول

السليم للأحكام الشرعية الإلهية، خصوصاً بعد الفاصل الزمني الكبير عن مصادر التشريع؛ لأن الإحاطة بالأجواء والظروف والقرائن المحيطة بالقرآن الكريم، أو بسيرة المعصوم، أو النص الروائي، أمر في غاية الأهمية في فهم الرسالة الإسلامية؛ ولذا تكثرت النظريات، وتعددت الأقوال، وتشعبت الآراء، وتعمقت.

ولذلك عندما يطلب من الطالب أن يكون جاداً في طلب العلم، وتوضع أمامه مواد علمية، لا بدّ أن يتقنها ويؤدي الامتحان فيها؛ من أجل الوصول للحقيقة، لا أن يسعى ويبذل الجهد؛ من أجل الحصول على درجة امتحانية جيدة، فالدرجة الامتحانية ليست هدفاً من أهداف طلب العلم، وإنما الهدف الحقيقي، هو أن يكون الإنسان طالباً للعلم حقاً، ومهتماً بالمعرفة والوصول إلى الحقيقة، لا مجرد الوصول إلى الدرجة؛ بدافع التقرب إلى الله، أو التفاخر أمام الأقران أو الأساتذة، وإلا فسوف يقع في جهل مركب، وهذا أشد ضرراً على الإنسان في دنياه وآخرته.

وأيضاً عليه الالتزام بالضوابط الإدارية التي توضع أمامه؛ لتنظيم العملية الدراسية، وتهيئة الأجواء المناسبة للدارس، كتحديد أوقات الدرس، وتحديد زمن الدخول له والخروج منه، وإلى غير ذلك؛ لأن الإنسان مكلف بوضع مثل هذه القضايا التنظيمية في مجمل حركته.

وبالتالي فهذا الطريق محفوف بالمصاعب والمعاناة، كما يؤكد ذلك العلماء الذين عاشوا في كل الحواضر العلمية، بل ويصرّون على أن الوصول للمراتب العالية في العلم والتقوى، والجانب الروحي والمعنوي، والتكامل النفسي لا بدّ أن يقترن بالمصاعب، والمشاكل، والآلام، ويشيرون، أو يتحدثون عن

بعضها بشكل واضح في مؤلفاتهم، سواء في مقدمتها، أم في ثناياها. وإذا كانت هذه النظرية اهتزت الآن ضمن أطر ثقافية، ومساحات علمية معينة؛ بسبب ظروف العالم، وتطوراته الاقتصادية والحياتية، فإنها لم تهتز في الحوزات العلمية، حيث تمكنت - نظرية المعاناة - أن تحقق الإنجازات العظيمة في التاريخ الإنساني والإسلامي؛ لأن المعاناة - بحسب النظرية الإسلامية - تربّي الإنسان، وتجعله قادراً على تحقيق الأهداف الكبرى التي يسعى إليها، فعندما يتعرض لمعاناة بفعل الطغاة، أو الظروف الحياتية القاسية، أو العلمية الصعبة، فهو باختياره يتحمل، ويصبر، ويصمد أمامها، وبالتالي من خلال تحمله للآلام والمعاناة، والصبر عليها، يتكامل، وإذا تكامل تمكن أن يحقق أهدافه، ويصل إلى مرحلة الخشية التي يشير إليها القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

### الصفة الخامسة: الوعي السياسي

إن القفزة التقنية الكبيرة التي حصلت في العقود الأخيرة حولت العالم إلى مدينة واحدة، من خلال وسائل الاتصال المتطورة، التي فرضت - شئنا أم أبينا - دخول القضية السياسية إلى أعماق المجتمع، وجعلتها قضية يومية، كما فرضت واقعاً جديداً على طالب الحوزة العلمية، الذي لا بدّ له من التعاطي معه بإيجابية، من خلال المتابعة والاهتمام بما حوله؛ لتكوين رؤية عما يدور في الساحة السياسية، لا أن يتعد وينكمش في حركته اليومية عن إفرازات الساحة السياسية وتداعياتها، كما يتصور بعضهم أن ذلك هو الأفضل؛ باعتبار أن رغبة الحوزة العلمية هي أن يتعد طلابها عن المشكلات السياسية

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. فاطر: ٢٨.

في مراحل طلب العلم، ويفرغوا أنفسهم له؛ لأن دورهم الأساسي ومهمتهم الرئيسية تتمحور بطلب العلم.

إن هذا التصور غير صحيح؛ لسببين:

**الأول:** إن العزلة التي يريد أن يحصن طالب العلم نفسه بها - إذا لم يوجد تخطيط دقيق لها - ستؤدي إلى انعزال بعض الأشخاص وليس اعتزالهم، بمعنى: أنهم يُعزلون، والباقون يقعون تحت تأثيرات القضية السياسية؛ لأنها أصبحت الحدث اليومي، الذي يؤثر بشكل واضح في حركة المجتمعات، وتفاعلها المستمر مع الأحداث الدولية والإقليمية.

**الثاني:** لا بد من التفريق بين القضايا السياسية الكلية وبين القضايا التفصيلية، والتفريق أيضاً بين التحزبات والدخول في الصراعات الجانبية، كالدخول في هذا الحزب، أو هذه الجماعة، أو الحركة، أو الجناح، وبين الاهتمام بهموم الأمة وقضاياها، وبالتالي من الضروري أن نحذر ونحذر من الوقوع في كل وجودات القضية السياسية، ومن الوقوع تحت تأثير صراعاتها، التي لا بدّ لطالب العلم الابتعاد كلياً عنها من خلال اتصافه بالوعي السياسي.

وبعبارة أخرى: ليس المقصود مما تقدم، هو أن يكون طالب العلم متفرغاً للعمل السياسي؛ لأن الآية الكريمة: ﴿مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ تقسم النفر إلى:

نفر للعمل السياسي، حيث يكون الإنسان متفرغاً له، وهو همّة الأول والأكبر.

ونفر لطلب العلم، ومن ثم حملة للناس، وإنذارهم به وتحذيرهم، ويكون أيضاً في إطار العمل السياسي، وهذا نوع من أنواع التصدي للعمل السياسي،

ولكنه محدود، بحيث يكون همّه الأول التفقه في الدين وطلب العلم. وتأسيساً على ذلك ضرورة دخول مسألة الوعي السياسي، والاجتماعي العام في الحركة العامة للحوزة العلمية، ومبادرة المخططين، والمهتمين المخلصين بالحوزة العلمية بطريقة مناسبة، قبل الأعداء، والمنافسين، والمغرورين، إلى وضع منهج كلي عام في ذلك؛ حماية لطلابها، ومناعة لمنتسبيها من الوقوع في المشكلات السياسية التي لا نريد أن يقعوا فيها، أو على أقل تقدير أن تتضح رؤيتهم للحوزة العلمية، ودورها، ومهامها، ومسؤولياتها، فبعض طلبتها لا يعرفون ذلك ولا يفهمونه، ومن ثم يقع طالب العلم تحت تأثير هذه الجماعة أو تلك.

ويمكن الاستفادة في تحقيق ذلك من الإمكانيات المتاحة، كالندوة الأسبوعية - مثلاً - التي تعقدها بعض المدارس الحوزوية، حيث يمكن استثمارها في إيجاد الوعي السياسي، من خلال طرح القضايا ذات العلاقة بالأمّة وحركتها، ويمكن الاستفادة أيضاً من النشرات الطلابية، والمجلات التي تصدر عن الحوزة العلمية ومراكزها.

## المبحث الثاني: شروط القبول في الحوزة العلمية

إن تأسيس الحوزات العلمية وبنائها أمر مطلوب ومهم؛ لدورها في بناء المجتمع، ولحاجة الجماعة الصالحة لها، ولكن يفترض أن يقوم التأسيس على رؤية واضحة لدى المعنيين بالأمر، أساسها الفهم المعمق لآية النفر.

إن النفر لطلب العلم ليس ثقافة عامة، وواجباً عاماً يتوجه لكل المسلمين، كالصلاة، والصيام، والحج، التي أخذت فيها شروط معينة كشروط عامة لكل المسلمين، وإنما الآية الكريمة قسّمت المسلمين إلى طائفتين:

إحدهما: تقوم بمهمة النفر لطلب العلم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾، وحملتها مسؤوليات عامة إزاء المجتمع الإسلامي انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَكَيْتَدْرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
والأخرى: تقوم بواجبات، ومهمات أخرى.

ويتضح من ذلك: أن التفقه في الآية الكريمة غير التفقه في الدين، الذي هو واجب على كل مسلم ومسلمة<sup>(٢)</sup>، فالمسلم يجب عليه التفقه بمقدار ما يحتاج إليه في شؤونه الحياتية من العبادات والمعاملات، فالتفقه المراد من الآية الكريمة درجته أعلى؛ لكونه تفقهاً للآخرين، ومن أجلهم، ومن أجل تلبية إحتياجاتهم،

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) عن عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم». الكافي ١: ٣٠، ح ١.  
وعن عيسى بن عبد الله العمري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «طلب العلم فريضة». المصدر السابق،



وحل مشكلاتهم، وإنذارهم.

وهذا الفهم للآية الكريمة ضروري أخذه بنظر الاعتبار في التخطيط لتأسيس الحوزات العلمية، وفي تكوين الرؤية الإستراتيجية، سواء على مستوى قبول الطلبة، أم على مستوى المضمون العلمي، الذي يُعطى لهم، فعمل بلا رؤية واضحة ونابعة من الواقع لا يكتب له النجاح والاستمرار. ويمكن الإشارة إلى مفردات تلك الرؤية بما يلي:

### المفردة الأولى: مراعاة الأولويات

إذا أردنا النظر إلى الشروط الأساسية التي نشترطها في القبول في الحوزة العلمية، وتقييمها، ومعرفتها بشكلها الواقعي، فمن الضروري أخذها من الحاجات أولاً، ومن المسؤوليات التي يتحملها العالم، والحوزات العلمية ثانياً؛ لأن الفهم الحقيقي وبمستوى عالٍ للحاجات من جهة، ومن جهة أخرى للفراغات التي تعيشها الأمة الإسلامية بشكل خاص، وجماعة أهل البيت عليهم السلام بشكل أخص، والبشرية بشكل أعم، وخصوصاً بعد تطلّع العالم إلى الإسلام كمنقذ له من مشاكله وآلامه ومحنه، ببركة التحول العظيم الذي حدث بتأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران، وما نتج عنه من صحوة دينية كبيرة، تُفرز تزامناً بين الأخص، والخاص، والأعم، الذي بدوره يفرض تقديم الأهم على المهم.

وهنا تأتي أهمية تشخيص الأولويات انطلاقاً من مفاد آية النفر، ومن المهمة التي تقوم بها الحوزة العلمية تاريخياً، وعقائدياً، وواقعياً، تجاه المجتمع الإسلامي، فهذا الواقع العقائدي، والتاريخي، والفعلي، لا بد أن يؤخذ بنظر

الاعتبار في الموازنة بين الحاجات والمسؤوليات، وبين نوع الأشخاص الذين يجب أن يُقبلوا في الحوزة العلمية. وطبيعي تكون الحاجات مختلفة من بلد لآخر، ومن مجتمع لآخر، ومن وسط لآخر.

### المضردة الثانية: المواصفات الرساليّة

إنَّ الإنذار عنوان لأشرف موقع اختاره الله سبحانه وتعالى لعباده، وهو موقع الأنبياء، وهو أكثر المواقع ابتلاءً، ومحنةً، وعذاباً، وآلاماً: «إن أشد الناس بلاء: النبيون (صلوات الله عليهم أجمعين)، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل»<sup>(١)</sup>.

ولذا حين يريد المتصدون لشؤون الحوزة العلمية اختيار العناصر لهذا الموقع المهم والخطير، فمن الحرِّيِّ بهم ملاحظة المواصفات التي تؤهل تلك العناصر لتحمل المسؤوليات الضخمة المناطة بهم، والقدرة على التضحية، والفداء، وتحمل الآلام، والمشكلات، والصبر، والثبات<sup>(٢)</sup>، وهذا هو الذي

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٥٩، ح ٧.

(٢) ألاحظ أن بعض الأشخاص يرغبون بالتدريس في الأماكن المهمة المعروفة، أكثر من رغبتهم بالتدريس في زاوية من الزوايا، أو في مدرسة من المدارس المستضعفة.

كما ألاحظ أن ثمة أشخاصاً على استعداد للذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أو كندا، أو بلدان أمريكا اللاتينية؛ للتبليغ، وعند السؤال عن سبب هذا الذهاب، وتحمل عناء تعلُّم اللغة الإنكليزية أو الأسبانية أو لغة أخرى من اللغات التي ترتبط بتلك المناطق؟ يجيبك: أريد التبليغ؛ لوجود أناس بعيدين عن الإسلام، وعن مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأنه يتمكن أحياناً أن يجعل من غير الشيعي شيعياً، ومن غير المسلم مسلماً. وعند السؤال عن عدد هؤلاء الناس؟ فيذكر ألف شخص. مثلاً. نساءً ورجالاً، أو ألفان، أو ثلاثة آلاف، إذ إن الجاليات الشيعية الموجودة في هذه المناطق لا يتجاوز عددها. عادةً. عن هذه الأرقام. ولو قلنا لأحد هؤلاء الأخوة الأعزاء: اذهب إلى أحد مخيمات اللاجئين العراقيين واسكن فيه، حيث يوجد

نعبّر عنه في المصطلحات الأدبية بـ(العمل السياسي)، فالإنذار ليس مجرد صعود الإنسان المنبر والتحدث بحديث جميل، أو حديث يتضمن معلومات تُقال هنا وهناك، وإنما هو عملية أكثر تعقيداً من ذلك بكثير.

ولذلك حين يقع الاختيار على شخص ما فلا بدّ أن يكون -على الأقل- قادراً على السير في طريق الامتحانات، والابتلاءات، والتكامل باتجاه المواصفات الرسالية، التي توصله إلى المستوى العالي من تحمّل المسؤوليات.

فيه أكثر من ثلاثة آلاف شخص، وهذا العدد يعادل أضعاف الجالية التي تذهب إليها، وتقطع آلاف الكيلومترات، وتنفق آلاف الدولارات، وهؤلاء قريون، وهم محتاجون أيضاً لك ولعلمك. وإذا كنت تريد . ولك رغبة . أن تحوّل أناساً من سنّة إلى شيعة، فيمكنك الذهاب إلى شمال العراق، وهي منطقة قريبة، وتؤثر على أوضاعنا وخصوصياتنا وظروفنا، وتحول المئات . نتيجة لعوامل وظروف كثيرة جداً . من أبنائه إلى مسلمين أو شيعة، فهؤلاء الناس يفتك بهم المبشرون الآن، حيث إنّ فعاليات الجمعيات التبشيرية هائلة وواسعة هناك، وتنشط أيضاً جمعيات الإفساد بألوانه المختلفة، وتفتك بهم المؤسسات الوهابية الناشطة، وكذلك التيارات السياسية الكافرة، تراه يتململ ويتردد كثيراً، ويتوقف عن هذا الأمر، ولا يجد نفسه مستعداً لذلك.

لأنه عندما يذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية يجد فيها جماعة منظمة ومرتبطة ومستعدة أن تجمع الأموال وتشترى أرضاً وتبني مسجداً، ويأتي الطلاب بعد ذلك إليه ويتعلمون العربية مثلاً أو الدين، فيرى المبلّغ نفسه بعد ستة أشهر . مثلاً . أسس مسجداً ومدرسة، وأنه صنع شيئاً مرتباً ومنظماً.

أما التبليغ في المخيمات أو في شمال العراق، فهو كمن يحفر البئر بياطرة، أو كمن يتسلق قمم الجبال بأدوات بسيطة، فيحتاج إلى أن يبذل جهوداً جبارة، ويتحمل الآلام والمعاناة كبيرة حتى يحقق الهدف.

فالمسألة أن هنا عناءً وتعباً، حيث يوجد أمامك أناس فقراء ومستضعفون ولديهم العشرات من المشاكل، وإذا أردت معاشتهم والتبليغ في أوساطهم فلا بدّ أن تهتم بأموالهم، وخصوصياتهم، ومعاناتهم.

بينما لا يوجد هناك مريض يشكو أو طالب يعاني، وإنما تأتي موقراً محترماً مع تقبيل اليد، والتوسل والالتماس لكي تلقي محاضرةً أو درساً، مع توفر التلفون، والفاكس، والسيارة، والأكل، والسكن.

إن طالب العلم إذا ترك موضوع الجهاد جانباً، فسيتجه باتجاه الحرفة، كالطبيب الذي يفتش دائماً عن المستشفى الأفضل . منه فَلْيَتَّقِ اللَّهَ.

## المضردة الثالثة: المساحات الجغرافية والبشرية

إن الحوزة العلمية مؤسسة عالمية، لا تحدّها الحدود الجغرافية، ولا تؤطر آفاقها النزعة القومية، وبالتالي فهمومها هموم عالمية، وانطلاقاً من ذلك لا بدّ أن تؤخذ بنظر الاعتبار في عملية القبول: المساحة الجغرافية لأتباع أهل البيت عليه السلام، والكثافة البشرية لهم في مختلف دول العالم الإسلامي وغيره، أي: لا يكون التركيز في عملية القبول على شعب دون آخر، ولا على قومية دون أخرى، وإنما ينصب الاهتمام على الجميع، لتلبية حاجات الجميع. كما أنّ هناك ضرورة في أخذ المساحات العلمية والثقافية أيضاً، وسد كل الفراغات في مجال العلم، والثقافة في كل مناطق العالم.

## المضردة الرابعة: أمن الحوزة العلمية

تعرضت الحوزات العلمية منذ وجودها للأخطار، والمؤامرات، والتهديد، من الأعداء، يختلف مقدارها من ظرف لآخر، ومن زمن لآخر، وتواجه الآن تهديداً وأخطاراً لا مثيل لها في التاريخ المنظور. فأمريكا بكل إمكاناتها، وقدراتها، وأوروبا الغربية، والدول، والأجهزة المرتبطة بالقوى الاستكبارية تعمل ليل نهار؛ من أجل ضرب هذا المركز القيادي، والريادي المهم في العالم الإسلامي، ويتآمرون باستمرار بهدف النفوذ والتسلل والتغلغل، إليه، وهدمه من الداخل، بدسّ العناصر السيئة وغير النافعة في الحوزة العلمية، فضلاً عن المؤامرات التفصيلية الأخرى التي

تحدث في هذا البلد أو ذاك<sup>(١)</sup>.

ومن هنا لا بدّ من الاهتمام بالقضية الأمنية في القبول اهتماماً بالغاً وكبيراً، بشرط أن يكون التطبيق دقيقاً، بحيث لا يُظلم البريء، ويُجرّم من هذا الواجب، والثواب، والمسؤولية، أو يُجرّم بلده منه.

### المفردة الخامسة: الإخلاص والكفاءة في طلب العلم

الإخلاص في طلب العلم أمرٌ ضروري، وركن يجب توفره في مَنْ يريد الانتساب للحوزة العلمية، وهكذا الكفاءة في طلب العلم، فالطالب المتقدم للقبول لا بدّ أن يكون مؤهلاً لحمل الأمانة والمسؤولية، أو على الأقل قادراً على تطوير وضعه العلمي، وتنمية قدراته التبليغية بكل تفاصيلها، فعلى المتصدين لشؤون الحوزة العلمية، والمهتمين بتطويرها، والساهرين على حفظ موقعها، ألا يدعوها تتحول إلى مجرد مهنة، أو مجرد سبب من أسباب كسب لقمة العيش، أو منفذ من منافذ البحث عن الجاه والدنيا - خصوصاً وإنما الآن تتمتع باحترام وجلالة وهيبة - وذلك من خلال التدقيق الجيد والتمحيص المعمق في هذا الامر؛ ليطمئنوا إلى أن الوافد قصد الحوزة العلمية، ليتحول إلى عالمٍ وداعية من دعاة الله، ورائد من رواد المسيرة الإلهية، ومبلِّغ حقيقي.

وليس من الضروري أن تكون مقاييس القبول تعتمد على مدى اهتمام

(١) فبعض البلاد في المنطقة والعالم تقف لسبب أو لآخر في مواجهة الجمهورية الإسلامية في إيران، وبالتالي عندما تفكر في النفوذ إلى واقع الجمهورية الإسلامية، فأفضل وأكبر موقع تراه، هو هذا الموقع المهم.

الطالب بالفقه والأصول، وإن كان خط الاجتهاد في الفقه والأصول يمثل قضية مركزية وأساسية لا بدَّ من الاهتمام بها الى أقصى الحدود، على مستوى الكتب والمضمون الدراسي، وعلى مستوى الطلبة والدارسين أيضاً؛ لأنه إذا أردنا إحداث ثورة حقيقية في الجانب العلمي، والثقافي، والروحي، في العالم الإسلامي، وخصوصاً بين أتباع أهل البيت عليه السلام، فلا بدَّ من الاهتمام بتربية مجتهدين في تلك الأوساط، فوجود ثقل علمي بهذا المستوى في الوسط الإسلامي لا شك أنه يُحدث تحولاً كبيراً جداً في وضع الحوزة العلمية الذي سينعكس تلقائياً على الوضع الثقافي في البلاد الإسلامية.

لأن هناك خطوطاً متعددة تتحرك في الحوزة، كالتبليغ، والتأليف، والتحقيق، وكلها تحتاج إلى عناصر قديرة، وهذا يعني: أن يعتمد المتصدون إلى وضع شروط محددة لأشخاص يأتون لفترة زمنية معينة لدراسة مضمون معين، ويرجعون إلى أهلهم ليندروا.

ولكن مع كل ذلك لا ينبغي أن يكون خط الاجتهاد، هو الفكرة الحاكمة على المراكز الحوزوية، كما لا ينبغي أن تكون الفكرة الحاكمة على هذه المراكز أنها تستقبل المبلّغين، وكأنها متفرغة لتربية المبلّغ وحسب - وإن كان المبلّغ له دور كبير جداً - فهناك موازنة دقيقة يجب أخذها بنظر الاعتبار عند القبول بين كل الخطوط التي تتحرك في جسم الحوزة العلمية.

### المفردة السادسة: الأخلاق

إنّ قضية الأخلاق تشكل أساساً لطالب العلم، وأعني بها: الأخلاق بالمعنى السلوكي، يعني: أن يكون هذا الإنسان ورعاً عن الوقوع بالمحرمات،

ومتديناً ملتزماً بالواجبات وبعض المستحبات؛ كي يتحمل الأمانة. وهذا شرط أساسي لا يمكن التنازل عنه تحت أي ظرف من الظروف؛ لأن عدم توفره يعني: أن الطالب - مهما كان - لا يمكنه تحمّل هذه الرسالة، بل يكون وجوده خطراً عظيماً عليها، كما نرى ذلك في حديث القرآن الكريم عن علماء اليهود وغيرهم<sup>(١)</sup>، وكما ورد في الأحاديث الشريفة عن رسول الله ﷺ في علماء السوء.

## ملاحظة

وثمة ملاحظة مهمة في المقام، وهي: إن هناك شروطاً أساسية ثابتة في مسألة القبول، كالقضية الأمنية، والإخلاص، والتقوى، لا يمكن التساهل فيها، لكن في ذات الوقت توجد شروط تكميلية، كشرط العمر، والمؤهل الأكاديمي، وغيرها توضع؛ لتكون المسيرة أفضل وأكمل، وقد يقع التزاحم بينهما، فالإخلاص قد يكون موجوداً في إنسان لا تتوفر فيه بعض الشروط التكميلية؛ ولذا يفترض إيجاد موازنة تقوم على أسس مدروسة جيداً بين الجانب الكمي، الذي يفرزه التنازل ولو جزئياً عن الشروط التكميلية، وبين الجانب الكيفي، الذي ينتج عن الالتزام الصارم بالشروط الأساسية والتكميلية، فدراسة الموازنة بين الكم والكيف من القضايا التي لا بدّ من إثارها وإن كان الأساس في العمل هو الاهتمام بالكيف، لكن أحياناً في ظروف معينة تكون قضية الكم مطلوبة ومهمة.

(١) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. التوبة: ٣٤.





القسم الأول

رؤى عن الحوزة العلميّة

الفصل الرابع

الحوزة العلميّة والهـ الثقافي



تحتل القضية الثقافية موقعاً أساسياً في البناء الذاتي المحكم للإنسان وتكامله الإنساني على المستوى الفردي، وعلى مستوى حركته كمجتمع يسير ويتحرك في طريق التكامل، باتجاه الأهداف العالية، التي وضعها الله تعالى أمامه.

وذلك لأن الأساس الأول في تسلسل البناء المحكم للإنسان وحركته في النظرية الإسلامية، هو (الجانب الاعتقادي)، المتمثل بالإيمان بالله تعالى، والإيمان بالوحي، والرسالات، واليوم الآخر، والإمامة، وكل ما يرتبط بذلك، ثم تأتي بعد ذلك مباشرة (القضية الثقافية) بكل خيوطها وتشعباتها وتشقياتها، وهذا يعني: أنها حظت باهتمام كبير في النظرية الإسلامية.

والكلام سيكون في مبحثين:

الأول: معالم ثقافة الحوزة العلمية.

الثاني: تحديات أمام الحوزة العلمية.

## المبحث الأول: معالم ثقافة الحوزة العلمية

إن الحديث عن ثقافة الحوزة العلمية ينصرف - عادةً - إلى علوم أهل البيت عليهم السلام، من الدراسات الفقهية، والأصولية، والكلام، والحديث، والرجال، وإلى غير ذلك<sup>(١)</sup>، وتتحرك هذه المفردات ضمن إطارين أو معلمين، هما:

### المعلم الأول: المنهج

تميزت الحوزة العلمية بمنهجها العلمي، الذي تبنته منذ نشأتها الأولى، والذي أثمر عن نموها وتكاملها بشكل مطرد، بالرغم من الظروف الصعبة التي مرّت عليها، بحيث يمكن القول بجزم: لم تواجه جماعة في التاريخ الإسلامي كالذي واجهته جماعة أهل البيت عليهم السلام، من مطاردة وملاحقة ومحن عبر القرون، والشواهد كثيرة، منها: قضية استشهاد الزهراء عليها السلام، وقضية استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، التي لا يوجد لها نظير في التاريخ الإنساني، فضلاً عن الإسلامي، وغيرهما الكثير والكثير مما عرفته هذه الجماعة في تاريخها.

فمع كل هذه المصاعب استطاعت الحوزة العلمية الاستمرار في عطائها وحركتها دون انقطاع، بل كانت تنمو وتتكامل وخطها البياني في صعود مستمر، وإن أحد الأسباب المهمة في ذلك هو منهجها الرصين، الذي يتقوم

(١) لا أريد الدخول في المصطلحات، وهل إن هذا يسمى ثقافة حوزوية؟ وإنما المهم: أن هناك ثقافة في الحوزة العلمية أطرها محددة بما سأذكره. منه والله.

بثلاثة عناصر:

**العنصر الأول:** الرجوع الكامل في فهم الشريعة إلى القرآن الكريم، والنبى الأكرم ﷺ، والمصادر الصافية النقية المتصلة به، وهم أئمة أهل البيت ﷺ، القرآن الناطق<sup>(١)</sup>.

فعند الرجوع إلى ما توصلت إليه المذاهب الإسلامية الأخرى من نتائج شرعية، قد لا نرى اختلافاً كبيراً فيها، وإذا كانت ثمة اختلافات، فهي لا تزيد عن الاختلافات بين المجتهدين من مدرسة واحدة ومذهب واحد، ولكن مع ذلك هناك اختلاف جوهري بين حوزة أهل البيت ﷺ وباقي الحوزات الإسلامية الأخرى، وهو اعتماد المنهج الذي يؤدي إلى الحكم الشرعي.

فقد تحدث أهل البيت ﷺ عن المنهج أكثر مما تحدثوا عن النتائج في الأحكام الشرعية، كنتائج استنباطية يتوصل لها الإنسان، وأكدوا في تربيتهم لأتباعهم على ضرورة الرجوع إليهم بعد القرآن الكريم، والنبى ﷺ؛ لكونهم الأعلم بالقرآن الكريم وما فيه، وهم حملة سنة النبي ﷺ، فقد ورد عن الإمام أبي عبد الله ﷺ قال: «قال أمير المؤمنين ﷺ: أيها الناس: إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول ﷺ، وأنزل إليه الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من المبرم، وعمى عن الحق، واعتساف من الجور، وامتحاق من

(١) روى القندوزي ما نصه: «ولما أراد أهل الشام أن يجعلوا القرآن حكماً بصفين، قال الإمام علي ﷺ: أنا القرآن الناطق». ينابيع المودة ١: ٢١٤، ح ٢٠.

الدين، وتلظ [ي] من الحروب، على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا، وبيس من أغصانها، وانتثار من وقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها قد درست أعلام الهدى، فظهرت أعلام الردى، فالدنيا متهجمة في وجوه أهلها مكفهرة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، مزقتم كل ممزق وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دمائهم، ودفنوا في التراب المؤودة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا، لا يرجون من الله ثوابا ولا يخافون والله منه عقابا، حيهم أعمى نجس وميتهم في النار مبلس، فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام. ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبين ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلمتكم»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى عن عبد الأعلى بن أعين، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق، وما هو كائن إلى يوم القيامة، وفيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر الجنة وخبر النار، وخبر ما كان، و[خبر] ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي، إن الله يقول: فيه تبيان كل شيء»<sup>(٢)</sup>.

وفي أخرى، قال عليه السلام: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم،

(١) الكافي: ١: ٦٠ - ٦١، ح ٧٠.

(٢) المصدر السابق: ٦١، ح ٨.

وفصل ما بينكم، ونحن نعلمه»<sup>(١)</sup>.

العنصر الثاني: اعتماد العلم في الوصول إلى المعلومة؛ لأن الظن، والوهم، والاحتمال، والاستحسان لا يغني من الحق شيئاً، وبالتالي لا يجوز الاستناد إليها في ثقافة الحوزة العلمية.

ولذلك هاجم أهل البيت عليهم السلام الاجتهاد، الذي كان مفهومه آنذاك يطلق على الوصول إلى الأحكام الشرعية، من خلال الرأي والظن والقياس، وغير ذلك، وطعنوا فيه وذموه بشدة<sup>(٢)</sup>.

نعم، قد يصح اتخاذ الظن سبيلاً للوصول إلى الحكم الشرعي، ويكون حجة على المكلف، ولكن بشرط استناده إلى العلم وانتهائه إليه<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما يميز أيضاً ثقافة الحوزة العلمية عن الثقافة العامة المطروحة في وسائل الإعلام، كالصحافة، والإذاعات المرئية والمسموعة، التي لا تكثر كثيراً باتخاذ العلم وسيلة للوصول إلى النتائج؛ ولذا هناك ضرورة ملحّة في تعميم ثقافة الحوزة العلمية في أوساط الأمة، فأيّ أمة إذا أريد لها الصلاح والارتقاء في حركتها وتكاملها فلا بدّ أن تُعمّم فيها هذه الثقافة؛ ولذلك طرح القرآن الكريم هذا الموضوع وتحدث عنه كثيراً، حين ذم تقليد الآباء<sup>(٤)</sup>،

(١) بصائر الدرجات: ٢١٦، ح ١٠.

(٢) انظر: الكافي ١: ٥٤، باب البدع والرأي والمفائيس.

(٣) انظر: دروس في علم الإصول، الحلقة الثالثة، القسم الأول: ٥٩.

(٤) لعل شهيد المحراب عليه السلام يشير إلى قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدَّرَ مَا كَانَ يُعْبَدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعَدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فانتظروا إِنِّي مَعَكُمْ مِّن

واتباع الظنون<sup>(١)</sup>؛ من أجل تأسيس هذا المنهج.

**العنصر الثالث:** الحوار العلمي أو ما يعبر عنه بـ(فتح باب الاجتهاد)، والذي يقوم على أساس المنطق والعلم والمعرفة، في ضمن إطار القواعد والضوابط والأصول المنهجية، التي وضعت للوصول إلى الحقيقة، وضمن التقوى، والأدب، والاحترام، وعفة اللسان.

لا على أساس الحرية في الحديث، بمعنى: أن يقول الإنسان ما يشتهيهِ ويستذوقه، ويتحول الحوار إلى هتك، وسب، وفضيحة، وكشف للأسرار، ومقاصد خسيصة يُراد من ورائها الوصول إلى أهداف خبيثة، كما في كثير من الحوارات المفتعلة هنا وهناك<sup>(٢)</sup>، فمثل هذا لا يصلح أن يكون حواراً علمياً. لقد قيّد أهل البيت عليهم السلام الاجتهاد بضوابط جعلت منه وسيلة شريفة للبحث عن الحقيقة، وللوصول إلى أهداف سامية، مع حفظ وصون صاحب الرأي إن كان اجتهاده وفق الضوابط العلمية التي أسس لها القرآن الكريم،

الْمُنْتَظِرِينَ ﴿الأعراف: ٧٠، ٧١﴾.

(١) لعل شهيد الخراب عليه السلام يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾. يونس: ٣٦.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. النجم: ٢٨.

(٢) وما بثته فضائية (الجزيرة) من لقاء مع (أحمد الكاتب) عام ١٤٢٠ هـ لم يكن حواراً قائماً على أساس العلم والمعرفة، وإنما كانت هناك أهداف معينة تريد هذه المؤسسة أن تصل إليها من خلال هذا النوع من الحوارات. وهذا النوع من الحوار ليس فتحاً لباب الاجتهاد والحرية في الرأي والكلام، وإنما يراد من ذلك الوصول إلى قضايا مفتعلة. منه عليه السلام.

انظر: وثيقة رقم (٦).



والنبي الأكرم ﷺ .

## المعلم الثاني: التقوى

إن التقوى جزء لا يتجزأ من ثقافة الحوزة العلمية، فما ورد في كتاب (آداب المفيد والمستفيد) من آداب وسنن تشكل ثقافة حوزوية حقيقية، لا يمكن تجاوزها من قبل أي حوزة إذا أرادت أن تتكامل، ولا يعني ذلك: إن كل ما في الكتاب المذكور صحيح، وإنما هذا النوع من الأخلاق والالتزامات والسلوك جزء أساسي من ثقافة الحوزة العلمية.

فالثقافة الحوزوية ليست مجرد علوم يتلقاها الإنسان، وإنما تدخل فيها أيضاً قضية (السلوك) الخارجي لرجل الدين، والتي ترتبط بمفهوم منافيات المروءة، من قبيل: لا تضحك في السوق، أو لا تتكلم بصوت عالٍ، أو لا تأكل، وهناك مسائل كثيرة جداً ترتبط بهذا النوع من الآداب التي أقرها وأكدها الإسلام<sup>(١)</sup>، مع أن هذه الأمور مباحة شرعاً، ولكنها محرمة في الثقافة الحوزوية على طالب العلم<sup>(٢)</sup>. وهذا ليس تحجراً وخروجاً عن الضوابط الإنسانية العامة، وإنما الالتزام بهذه التفاصيل - ولعل الزي الخاص برجال

(١) كما إذا دخل شخص كبير السن فعلى الصغير أن يحترمه، ومن لا يفعل ذلك يسقط في نظر الحوزة؛ لكونه غير مثقف بثقافتها.

أو عندما يدخل عالم ويكون هناك شخص أقل منه علماً موجوداً، فإنه يعطي مكانه لهذا العالم، وعندما يدخل شخص مقدس على درجة عالية من التقوى ينبغي أن يحترمه الآخرون، وهكذا باقي الأمور الأخرى. منه قَلْبَرٌ .

(٢) لا أريد فرض تلك التفاصيل على ما موجود الآن، فقد يتغير المجتمع، ولكن لا بد من التقيّد بالآداب العامة، الذي يعبر عن تكامل الإنسان في حركته الاجتماعية والسلوكية. منه قَلْبَرٌ .

الدين من جملتها؛ لأن الشكل يدخل في التكامل - تعبير عن نوع من الانسجام في حركة الإنسان مع المجتمع، ومع التكامل الإنساني، فالحوزة العلمية يُراد لها أن تكون متقية، لا بمعنى عدم ارتكاب المحرمات والقيام بالواجبات، فهذا يراد من الجميع، وليست هذه تقوى خاصة بالحوزوي، وإنما يراد منه أن تكون لديه ثقافة التكامل في السلوك، واهتماماً بالغاً في أن يكون يومه أفضل من أمسه في كل حركته، وهذا قد لا يتمكن منه في الجانب العلمي، لكنه يتمكن منه في الجانب السلوكي، وجانب التهذيب الأخلاقي.

## المبحث الثاني: تحديات أمام الحوزة العلمية

الحوزة العلمية وجود أسس بأمر من الله سبحانه وتعالى منذ بداية تأسيس المجتمع الإسلامي، ومن المؤسسات القلائل التي تحدّث عنها القرآن الكريم، وخضعت لإشرافٍ مباشر من رسول الله ﷺ، فكان لها الدور العظيم في زمنه ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، ثم كان دورها الأعظم بعد الغيبة الكبرى، حيث تقوم بمقام النيابة عن الإمامة.

وكان من لطف الله سبحانه وتعالى على عباده، وفضله ونعمته عليهم، أن استمرت هذه المؤسسة الشريفة في عطائها إلى يومنا الحاضر، وأدت بشكل تكاملي دورها في كل مراحل التاريخ الإسلامي.

وهذا ما جعلها تحتل موقعاً عالمياً متميزاً، وفي ذات الوقت وضعها أمام مسؤوليات عظيمة، وتحديات أعظم، فالعالم الشيعي تعرض ولا زال يتعرض إلى هجوم ثقافي واسع من الوهابيين، والبهائيين<sup>(١)</sup>، في مختلف مناطق العالم، ومن الأحمديين<sup>(٢)</sup>، في بعض المناطق، ومن الأغاخانيين<sup>(٣)</sup>، وما أشبه ذلك في

(١) البهائية: فرقة، أسسها (حسين علي النوري) المعروف بإسم (بهاء الله) في إيران في القرن التاسع عشر الميلادي. من مبادئ البهائية: التأكيد على الوحدة الروحية بين البشر. للتفاصيل انظر:

<http://info.bahai.org/arabic>

(٢) طائفة إسلامية نشأت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في شبه القارة الهندية. مؤسسها (ميرزا غلام أحمد القادياني) عام ١٨٨٩م في بلدة قاديان، إحدى القرى في إقليم البنجاب في الهند، معلناً: أنه ذلك الموعود الذي بشر به النبي (صلى الله عليه وآله). وللأحمديين نشاط كبير في أفريقيا، وفي بعض الدول الغربية. للتفاصيل انظر: <http://www.islamahmadiyya.net>

(٣) فرقة نشأت في إيران، في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، مؤسسها (حسن علي شاه)،

أفغانستان، والهند، وأفريقيا، وأوروبا، وغيرها من المناطق. مضافاً إلى مشكلات حقيقية أخرى تولدت نتيجة للمتغيرات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، التي طرأت على العالم عموماً، وعلى العالم الإسلامي خصوصاً، وعلى أتباع أهل البيت عليهم السلام بشكل أخص، مما جعل الحوزة العلمية أمام تحديات كثيرة ذات طابع ثقافي، منها:

### التحدي الأول: التطرف الفكري والسطحية

تعرضت الحركة الثقافية منذ الصدر الأول للإسلام وحتى الوقت الحاضر لأخطار عديدة، سواء من داخل البيت الإسلامي أم من خارجه، وتزداد أهميتها في هذا العصر، الذي أصبحت فيه المعرفة والثقافة قضية عامة لا تقتصر على النخبة، بخلاف العصور السابقة، حيث كان العلم محصوراً بهم، وأما عامة الناس فكانوا على حالة الجهل والأمية، ولعل الأكثرية الساحقة منهم كذلك. وهذا الواقع الجديد يجعل طلبة الحوزة العلمية، الذين يتحملون مسؤوليات أكثر مما يتحمله الآخرون؛ لتفرغهم لطلب العلم والمعرفة والتحقيق والتدقيق أمام تحديات كبيرة. والأخطار، هي:

الأول: خطر الجمود على النص، سواء كان قرآنياً أم غيره، دون إعطاء فرصة للفكر الإنساني في التحرك والوصول للحقيقة من خلاله، وبالتالي وقوع الإنسان في انحراف كبير على المستوى الاعتقادي والثقافي، كما وقع

---

الملقب هو وأبناءؤه الذين خلفوه في زعامة الفرقة ب(أغاخان)، وترجع عقيدتهم إلى الإسماعيلية النزارية. للتفاصيل انظر: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي: ٢٢٦.

بعض المسلمين في ذلك، عندما فسروا آيات القرآن الكريم بطريقة جامدة، كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، أو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(٢)</sup>، حيث فسروا اليد والعرش بما هو المتبادر منها عرفاً<sup>(٣)</sup>.

مع أن القرآن الكريم أول من نبه إلى ضرورة إعطاء فرصة للحركة العقلية، حين أشار إلى وجود نوعين من الآيات: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فالمتشابهات آيات تحتاج إلى دقة، ونظر، وتدبر، وتفكير؛ من أجل الوصول إلى الحقيقة من خلالها<sup>(٥)</sup>.

وأما مدرسة أهل البيت عليهم السلام فمن خصائصها، أنها كانت تؤمن بالنص، وتلتزم به، وتأخذ الحكم منه، بعد التدبر والتأمل والتفكير فيه، ومقارنته بالنصوص الأخرى.

الثاني: خطر الإفتاء على أساس الرأي، أو تفسير القرآن الكريم، والوصول إلى العقيدة والثقافة والحكم الشرعي على أساس الذوق، والهوى، والاستحسانات، والميول، وهذا خطر آخر يمثل الجهة المقابلة للتطرف الأول، فالإنسان في حركته العلمية تحدث عنده بعض الميول والرغبات الناشئة من توجهاته، فيستحسن شيئاً، ويستقبح آخر، أو يراه بعيداً، فيصبح ما يستحسنه وكأنه هو الحاكم في فهم

(١) الفتح: ١٠.

(٢) طه: ٥.

(٣) انظر: الهدية السنوية والتحفة الوهابية النجدية: ٩٢، الرسالة الخامسة.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) لشهيد المحراب عليه السلام بحث مفصل حول المحكم والمتشابه في كتابه (علوم القرآن) في القسم الثاني منه،

ص ١٦٥ - ١٩٠.

الإسلام، واستنباط الثقافة الإسلامية، وهذا ما يسمى في الوسط الفكري والثقافي بـ(مدرسة الرأي)، التي ورد ذمها على لسان أئمة الهدى عليهم السلام، كقوله عليه السلام: «من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء، وملائكة الأرض، وملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه»<sup>(١)</sup>، أو «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٢)</sup>.

وأما مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهي تتعامل مع النص بكل مرونة، وتعتمد عليه وفق منهجها الذي رسمه أهل البيت عليهم السلام لأتباعهم، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مِنهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، حيث إن (أم الكتاب) تكون مرجعاً للآيات القرآنية في مقام تفسير القرآن بعبه ببعضه الآخر؛ فالأم لغة، هي الأصل<sup>(٣)</sup>.

وأما ذوق الإنسان ورأيه ورغبته واستحسانه، وهذا أتفاعل معه، وهذا لا أتفاعل معه، فهذه مسائل لا يعتمدها أعلام الإمامية والحوزة العلمية في البحث العلمي، وإنما استنباطهم كان يعتمد على القواعد والأصول والأسس المقررة في المنهج الموضوع، كاستنباط (صاحب الجواهر)<sup>(٤)</sup>

(١) دعائم الإسلام: ١: ٩٧.

(٢) غوالي اللغالي: ٤: ١٠٤، ح ١٥٤.

(٣) مجمع البحرين: ١: ١٠٤.

(٤) الشيخ محمد حسن ابن الشيخ باقر بن عبد الرحيم النجفي، المعروف بـ(صاحب الجواهر). ولد حوالي عام ١١٩٢هـ بمدينة النجف الأشرف. وفيها بدأ دراسته العلمية منذ صغره، وامتاز بالذكاء والفتنة، حتى كان تفوقه العلمي واضحاً، حيث تتلمذ على يديه أكابر العلماء ومحققى الفقهاء؛ لقوة بيانه، وغزارة علمه، وثاقب فكره الجوال، وبحثه الدؤوب. مؤلفاته عديدة، ومهمة لا يُستغنى عن بعضها، ككتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام). تُوِّفِيَ فَاتِحًا غَزَةَ شَعْبَانَ ١٢٦٦هـ بالنجف الأشرف، ودُفِنَ بمقبرته المجاورة لمسجده

و(الشيخ الأنصاري)<sup>(١)</sup>.

الثالث: خطر التعصب للرأي، إلى درجة يؤدي بصاحبه إلى الخروج عن الحالة الموضوعية بكل حدودها وموازينها؛ لأن التعصب هو رجوع إلى النفس، فالإنسان المتعصب يفترض أن الرأي المعتقد به هو الحقيقة المطلقة التي تشبّع وجوده بها، وصارت جزءاً منه؛ ولذا حين يدافع عنه، فكأنه يدافع عن وجوده وحياته؛ ولذلك يفقد توازنه في مقام انتقاد الآراء، ويكون غير مستعد أن يسمع نقداً، فهو مستعد أن يتكلم ويتحدث بعنوان حرية الرأي، لكنه عندما يسمع نقداً تثور ثائرتة، ويتهم المنتقد بشتى التهم، ويعتبره عدواناً على الحق وعليه هو، وعلى كل مظلوم في الدنيا، وتتحول القضية إلى مسألة طويلة وعريضة.

والأخطر من كل ذلك، هو أن يؤدي التعصب إلى حالة الخروج من الدين، كما في النواصب والغلاة، الذين يلخص الإمام علي عليه السلام نهايتهم والموقف منهم بسبب تطرفهم، بقوله: «هلك في رجلان: محب غال، ومبغض قال»<sup>(٢)</sup>، فالنواصب تطرفوا في سلبيتهم تجاه أهل البيت عليهم السلام وصبوا العدا

المشهور. للتفاصيل انظر: معارف الرجال ٢: ٢٢٥.

(١) الشيخ مرتضى ابن الشيخ محمد أمين ابن الشيخ مرتضى الأنصاري. ولد عليه السلام سنة ١٢١٤ هـ في مدينة دزفول في إيران. وفيها بدأت دراسته العلمية، ثم هاجر إلى العراق فحضر مجلس درس السيد محمد الجاهد، والسيد شريف العلماء في كربلاء المقدسة، ومجلس درس الشيخ موسى كاشف الغطاء في النجف الأشرف. انقادت له المرجعية الدينية بعد وفاة الشيخ صاحب الجواهر. له مؤلفات كثيرة ومهمة أشهرها كتابا (الرسائل) و(المكاسب) اللذان صارا نارا على علم في الحوزات العلمية. توفي سنة ١٢٨١ هـ، ودفن في صحن أمير المؤمنين عليه السلام. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ١٠: ١١٧.

(٢) نصح البلاغة: ٤: ٢٨، رقم (١١٧).

لهم، مع أن حبهم ﷺ واحترامهم تحدث عنه القرآن الكريم بشكل واضح: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>، فالآية الكريمة تشمل النبي ﷺ وعلياً<sup>(٣)</sup>، وفاطمة<sup>(٤)</sup>، والحسن، والحسين<sup>(٥)</sup>، حسب ما ذهب إليه الكثير من علماء الفريقين<sup>(٦)</sup>، وحتى الذي يفترض إنها تشمل زوجات النبي ﷺ، فهو يرى شمولها لهؤلاء الخمسة<sup>(٧)</sup>.

ولكن مع ذلك تعصب بعضهم في الرأي إلى حد أنه أبغضهم ونصب العداء لهم ﷺ، بل أباح لنفسه قتالهم وقتلهم تحت شعار الإسلام، حتى قال أحدهم: إن الحسين قُتل بسيف جده<sup>(٨)</sup>؛ ولذلك ورد: إن الناصبي أنجس من الكلب<sup>(٩)</sup>؛ لأن النصب حالة من الانحراف تؤدي إلى الكفر، وهكذا الغلو، الذي يمثل مدلولاً آخر لحالة التعصب، ونقيضاً للحالة الأولى،

(١) الشورى: ٢٣.

انظر: شرح الأخبار: ١٧٢ - ١٧٣. معاني القرآن: ٦: ٣٠٩. تفسير ابن أبي حاتم: ١٠: ٣٢٧٧. شواهد التنزيل: ١: ٥٥٢ - ٥٥٤.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) انظر: تفسير التبيان: ٨: ٣٣٩ - ٣٤٠. تفسير مجمع البيان: ٨: ١٥٨. أسباب نزول الآيات: ٢٣٩. خصائص أمير المؤمنين<sup>(٤)</sup>: ٤٩. صحيح ابن حبان: ١٥: ٤٣٢ - ٤٣٣. الاستيعاب: ٣: ١١٠٠. تفسير البغوي: ٣: ٥٢٩.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١٤: ١٨٣. تفسير الرازي: ٢٥: ٢٠٩. تفسير السمعاني: ٤: ٢٨٠ - ٢٨١.

(٥) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥: ٣١٣، رقم (٧١٦٣). تفسير الألوسي: ٢٦: ٧٣.

(٦) علل الشرائع: ١: ٢٩٢، باب ٢٢٠.



فأضراره على المستوى الفردي وخطورته على مستوى حركة الأمة والدين لا تقل عن أخطار وأضرار نقيضه (النصب)، فقد أدى الغلو إلى مشكلات كبيرة وخطيرة في زمن الإمام علي عليه السلام وزمن باقي الأئمة عليهم السلام، حيث إن بعض التجمعات الشيعية غالت في أئمة أهل البيت عليهم السلام وانحرفت عن جادة الإسلام، فكان الضرر المترتب على غلوهم ليس عليهم فحسب، بل على عموم أتباع أهل البيت عليهم السلام.

وهذا أحد الوجوه التي تفسر ذم الغلاة، والحديث عنهم بشدة وقسوة من قبل أئمة الهدى عليهم السلام<sup>(١)</sup>؛ لأنهم عليهم السلام يرون أن الأضرار المترتبة على هذا الغلو تلحق الغالين، ومن ينتسبون له، وإن انشقوا وأصبحوا فرقة برأسهم، فأحياناً يحصل الخلط وعدم التمييز بين المرتبطين بأئمة أهل البيت عليهم السلام، وبين

(١) روى الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: «من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة. يا ابن خالد: إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه والجبر الغلاة، الذين صغروا عظمة الله، فمن أحبهم فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبنا، ومن آلامهم فقد عادانا، ومن عاداهم فقد آلامنا، ومن وصلهم فقد قطعنا، ومن قطعهم فقد وصلنا، ومن جفاهم فقد برنا، ومن برهم فقد جفانا، ومن أكرمهم فقد أهاننا، ومن أهانهم فقد أكرمنا، ومن قبلهم فقد ردنا، ومن ردهم فقد قبلنا، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا، ومن أساء إليهم فقد أحسن إلينا، ومن صدقهم فقد كذبنا، ومن كذبهم فقد صدقنا، ومن أعطاهم فقد حرمنا، ومن حرمهم فقد أعطانا، يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم ولياً ولا نصيراً». التوحيد: ٣٦٣ - ٣٦٤.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم، فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة شر من اليهود، والنصارى، والمجوس، والذين أشركوا». أمالي الشيخ الطوسي: ٦٥٠.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اللهم إني برئ من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً، ولا تنصر منهم أحداً». المصدر السابق.

هؤلاء المغالين.

الرابع: خطر السطحية في فهم الأمور، والالتزام بنتائجها، وهي من الأخطار الكبيرة والتحديات المهمة التي تواجه الحالة الثقافية قديماً وحديثاً، ولعل أبرز حالة تاريخياً عرفت في هذا المجال، هي حالة الخوارج، الذين لم يفهموا من الإسلام سوى القشور، وتمسكوا بنتائج فهمهم السطحي ليقولوا لمدينة العلم عليه السلام: «لا حكم إلا لله»<sup>(١)</sup>، بعد أن خطّوه في فهمه للموقف السياسي، ومدى انسجامه مع الشريعة والدين، بل استعدوا لمنازلته عليه السلام، مع أن القاضي والداني وحتى مناوئيه<sup>(٢)</sup> يعترف له عليه السلام بالعلم والفضل.

وأما حديثاً فثمة كتاب وباحثين يطلقون على أنفسهم بـ(الإسلاميين) يتحدثون أو يكتبون بشكل سطحي بعيد عن الواقع.

فمثلاً حين يتحدث بعضهم عن الحوزات العلمية - تحت ضغط العزة بالرأي - يتحدث بطريقة وكأنها تعيش القرون الوسطى في ابتعادها عن الواقع، وهو الذي يعرف الواقع، وحركة الإنسان، والمجتمعات الإنسانية، لمجرد قراءته ثلاث أو أربع صحف، وخمس مجلات، ومقداراً من الكتب

(١) الغارات ١: ٣٠.

(٢) بعث معاوية ابن أبي سفيان . الذي يعتبر من ألد أعداء الإمام علي عليه السلام . رسالة إلى محمد ابن أبي بكر، جاء فيها: «من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر: سلام على أهل طاعة الله. أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيت فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبي طالب وقدم سابقته، وقربته من نبي الله، ونصرته له، ومواساته إياه، في كل خوف وهول، واحتجاجك عليّ، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك. فاحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا...». شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ١٨٩ - ١٩٠.

العلمية، واستمع لبعض التحليلات من الإذاعة، وما أشبه ذلك، وتغافل أو غفل عن الصمود العظيم الذي أبدته الحوزات العلمية لأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمن، أمام عمليات القمع الفكري والإرهاب الجسدي المنظم والواسع والقوي، من قبل أعظم دول العالم قديماً وحديثاً، وما ذلك إلا لالتصاقها بالواقع ومعايشتها له باستمرار، بل وتمكنت الحوزة العلمية أن تنتشر، وتتجذر في التاريخ، وتحقق إنجازات عظيمة، لم يتمكن أن يحققها أحد بعد أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتصبح الأمل الكبير الذي يعيشه الإنسان في هذا العصر.

فنشاطها الدؤوب والمتواصل كان سبباً في حصول النهضة الإسلامية في لبنان، وأفغانستان، وباكستان، والهند، ومناطق الخليج، وفي بعض مناطق أفريقيا، فضلاً عن إيران والعراق قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران بثلاثة أو أربعة عقود، بل ما حدث في إيران من انجاز عظيم، وما تبعه من نهوض إسلامي كبير، وحركة إسلامية علمية، كان حجره الأساس، هو الحوزة العلمية ونشاطها<sup>(١)</sup>، وهو أحد الإنجازات العظيمة لها.

نعم، هناك بعض الإشكالات البسيطة على الحوزة العلمية، وهو أمر طبيعي، فأي مؤسسة يمتد العمر بها لأكثر من عشرة قرون متتالية، وتكون بهذه السعة والحجم يمكن تثبيت بعض الملاحظات عليها، ولكن بلحاظ الدور المهم الذي أدته، ولا زالت تؤديه في الحياة الإسلامية يمكن أن يستوعب كل الإشكالات والنواقص الموجودة فيها.

(١) فإذا كانت الحوزات العلمية مع كل هذه الانجازات تمثل القرون الوسطى، فلا بأس في ذلك على كل حال، فنحن لا نتعصب للقرن الأخير، ولا للقرن الأول، وإنما نتعصب للحق، والعدل، والواقع. منه فَلْيَسِّرْ.

فاتهام هؤلاء الكتاب وتحليلهم وتصويرهم المتقدم ناشئ من الحالة السطحية، التي هي خطر عظيم جداً يواجه الحركة الثقافية. إذًا، لا بد لطلبة العلوم الدينية من عزم أكيد، وأن يعدّوا العدة لمواجهة هذه الأخطار، التي - إن تركت - ستؤدي بالحركة الثقافية إلى الحضيض، كما لا بدّ من بذل جهدٍ استثنائي لتطوير وتنمية الحوزات العلمية، المعنية بدرء الأخطار أكثر من غيرها؛ لكونها المركز الأصيل للإشعاع الثقافي والفكري في المجتمع الإسلامي.

ولكن بشرط توخي الحذر الشديد، والدقة العالية على مستوى التعامل مع التطوير، الذي قد يؤدي إلى الضياع والوقوع في منزلقات وانحرافات وفوضى، خصوصاً عندما تكون الحالة استثنائية.

أو على مستوى التعامل مع الحركة الثقافية القوية والمتطورة؛ كي لا نضيع في متاهات الحالة الاستثنائية التي يمر بها المجتمع الإسلامي - بكل أطرافه - وعلى كل مستويات المعرفة والثقافة؛ لكونه أصبح وجهاً لوجه أمام الحضارة الغربية بكل قدراتها وإمكاناتها، وألاً ندعها تشتت تركيزنا، فأحياناً تحصل غفلة عند الإنسان في حركته العلمية تحت تأثير ضغط عامل أو عوامل معينة، فيقع في المطبات والمنزلقات والإشكالات من حيث لا يدري.

### **التحدي الثاني: استهداف حوزتي النجف وقم**

إن أحد أهم التحديات التي تواجهها الحوزة العلمية ككيان ومؤسسة، هو إثارة الشبهات بطريق أو بآخر، ومن ثم إشاعتها، حول حوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة، وكأنهما في عَرَضٍ واحد، وكلاً منها مؤسسة مستقلة

عن الأخرى في أهدافها وآمالها ومشاريعها. فقد يشيع بعضهم: أن حوزة النجف الأشرف تمتاز بالدقة، والعمق، والمثابرة، وغير ذلك، وفي مقابله يشيع الآخر: أن حوزة قم المقدسة تمتاز بالتححرر، والثورية، ومواكبة هموم الأمة، وما شاكل ذلك.

إن هذه الكلمات وأمثالها يكون منشؤها أحياناً حالة أخلاقية ونفسية موجودة عند هذه الجماعة أو تلك يغذيها نوع من التعصب والتطرف، حيث إن بعضهم عندما يريد الحديث عن نفسه - وهو ينتمي للنجف الأشرف - يحاول أن يتحدث عن ذلك بالحديث عن النجف الأشرف، كما يتحدث الإنسان أحياناً عن نفسه من خلال الحديث عن عشيرته، فقد يتحدث بعض الناس عن النجف وقم بهذه الطريقة، وما يستتبع ذلك من إثارات وشبهات.

وهو حديث مرفوض في نفسه، فإذا كان الإنسان يرى في نفسه شيئاً من الفضل، والعلم، والتحرر، فليحدث عن نفسه وفضله مباشرة، وأما الحديث بهذه الطريقة الإيهامية، فهو غير صحيح؛ لأن هذه الكلمات أو التقييم، وإن بدى عفويّاً أو بسيطاً، لكن مداليله الثقافية، والفكرية - كما هو واضح، ولا تحتاج إلى بسط الكلام فيها - خطيرة على الكيان العام للحوزة العلمية عموماً، وعلى أتباع أهل البيت عليهم السلام خصوصاً، وعلى طلبة الحوزة العلمية بالأخص.

وهذه الأحاديث وغيرها تارة: تصدر من عدوٍ للحوزة العلمية مفضوحة عداوته، وحينها لا تشكل إثاراته همّاً حقيقياً للحوزة العلمية وأنصارها؛ لسهولة ردها - عادة - وبيان مثيرها، والأهداف المتوخاة من ذلك.

وتارة أخرى: تصدر من أناس محسوبين على الحوزة العلمية أو من

منتسبها الحقيقيين، وهنا تكمن الخطورة وقوة التحدي.  
ومن هنا لا بدّ من مواجهة ذلك من خلال تسليط الضوء على تاريخ  
الحوزتين المباركتين، وبيان نقاط القوة والضعف لكلٍ منهما، وبالتالي يبقى  
الكيانان يكملان بعضهما، ويسيران في اتجاه واحد.

## تاريخ الحوزتين

استوطن مدينة قم المقدسة العلماء، والمحدّثون، والعاملون في سبيل الله  
منذ حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكانوا عليهم السلام يؤكّدون في أحاديثهم على أهمية  
هذا البلد<sup>(١)</sup>، وأهمية الجماعة التي سكنته، وهم الأشعريون<sup>(٢)</sup>، الذين كانوا  
من مستوطني الكوفة، لكنهم أُبعدوا وهجّروا من ديارهم في زمن الحجاج

(١) عن صفوان بن يحيى قال: «كنت يوماً عند أبي الحسن عليه السلام فحرى ذكر أهل قم، وميلهم إلى  
المهدي عليه السلام، فترحم عليهم، وقال: رضي الله عنهم، ثم قال: إن للجنة ثمانية أبواب، واحد منها لأهل  
قم، وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد، خمر الله تعالى ولايتنا في طينتهم». بحار الأنوار: ٥٧:  
٢١٦، ح ٣٩.

روي أن عدة رجال من أهل الري دخلوا على الإمام الصادق عليه السلام، وقالوا: «نحن من أهل الري، فقال:  
مرحباً ياخواننا من أهل قم. فقالوا: نحن من أهل الري، فقال: مرحباً ياخواننا من أهل قم. فقالوا: نحن  
من أهل الري، فأعاد الكلام! . قالوا ذلك مراراً وأجابهم بمثل ما أجاب به أولاً، فقال: إن لله حرماً وهو  
مكة، وإن لرسوله حرماً وهو المدينة، وإن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، وإن لنا حرماً وهو بلدة  
قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة». المصدر السابق:  
٢١٦، ح ٤١.

(٢) ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «اللهم اغفر للأشعريين صغيرهم وكبيرهم». المصدر السابق: ٢٢٠.  
كما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال لتركيا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري:  
«إن الله يدفع البلاء بك عن أهل قم كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقبر موسى بن جعفر عليه السلام». المصدر السابق.

بن يوسف الثقفي<sup>(١)</sup> إلى أن استقروا بـ(قم)، وحملوا مذهب وفكر أهل البيت عليهم السلام إلى أهلها، فأصبحت من المقرات التي تقوم بهذا الواجب في ذلك العصر<sup>(٢)</sup>.

بخلاف النجف الأشرف، التي لم تكن مدينة آنذاك، وإنما كانت حاضنة لقبر الإمام علي عليه السلام، والتمدن فيها أساسه التشيع واجتماع الشيعة حول المرقد العلوي المطهر<sup>(٣)</sup>.

ولكن مدينة قم لم تكن فيها الحوزة كمدرسة تحتوي على المجتهدين والمدرسين والطلاب، ولها فعل ونشاط، كما أن الحركة العلمية فيها لم تكن دائمة ومستمرة، بل حصلت فيها انقطاعات وتحولات، بحيث مرّت بعقود من الركود والابتعاد والانقطاع عن العلم، على خلاف النجف الأشرف. فالنجف الأشرف احتضنت الحوزة العلمية كمؤسسة علمية قائمة بذاتها منذ زمن الشيخ الطوسي قدس سره - وقد يكون قبله بقليل - واستمرت في نشاطها

(١) الحجاج بن يوسف الثقفي (٤١ هـ . ٩٥ هـ) قائد عسكري وسياسي أموي. عينه عبد الملك بن مروان والياً على العراق عام ٧٥ هـ، واستمرت ولايته عشرين سنة. وتميزت شخصيته بالقسوة والبطش باتباع أهل البيت عليهم السلام، وبغضه لعلي عليه السلام وآل علي، فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه: «ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولي عبد الملك بن مروان، فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين يبغض علي، وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضلهم، وسوابقهم، ومناقبهم، وأكثروا من الغضب من علي عليه السلام وعيبه والظعن فيه والشنآن له». شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ٤٦ .

(٢) انظر: أعيان الشيعة ١ : ٨٨ .

(٣) انظر: ماضي النجف وحاضرها ١ : ٢١

العلمي إلى يومنا الحاضر، وإن كان الخط البياني له متغير<sup>(١)</sup>، لكنه لم ينقطع بتوفيق الله تعالى. وهذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها أو يتجاوزها أحد من الباحثين، وغيرهم.

فالشيخ الطوسي أوجد بانتقاله للنجف الأشرف القاعدة العلمية والبشرية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام المستقلة عن بقية القواعد، حيث إن إيجاد القاعدة البشرية المستقلة، يمثل خطوة مهمة جداً للحركة العلمية لأتباع أهل البيت عليهم السلام، حيث إن مدرستهم في الكوفة، ثم في بغداد أيام الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، وفي قم المقدسة، ومناطق أخرى كانت غير مستقرة، وضمن الحالة العلمية العامة، إلا في بعض المعالم الجزئية التي كانت في قم المقدسة، وهذه من خصائص هذه المدينة، لأنها كانت مدينة شيعية.

مضافاً إلى أن الشيخ الطوسي قدس سره - الذي كان علماً من أعلام الإسلام - مثل مرحلة جديدة في الحركة العلمية في عصر الغيبة، ويمكن القول: إنه مثل التمرکز لكل الحركة العلمية لأهل البيت عليهم السلام في عصر الغيبة الكبرى. فإذا لاحظنا الخطوط الرئيسة للحركة العلمية العامة، نرى: أن تاريخ الشيخ الطوسي وحركته العلمية يشهدان حالة من التطور الكيفي والكمي الملحوظ<sup>(٢)</sup>.

(١) ربما يشير شهيد الحراب قدس سره إلى النشاط العلمي لبعض المراكز في فترات زمنية معينة، كمدينة الحلة، وكربلاء المقدسة، وسامراء، وقم.

(٢) «يمكن تقسيم مؤلفات الشيخ الطوسي من حيث تنوع موضوعاتها إلى العلوم الاسلامية التالية: ١. التفسير وعلوم القرآن، وله فيه: أ: التبيان. ب: المسائل الرجبية. ج: المسائل الدمشقية. ٢. الحديث، وله فيه: أ: تهذيب الأحكام. ب: الاستبصار فيما اختلف من الأخبار. ٣. الرجال، وله فيها: أ:



فمثلاً خط الحديث بدأ بصورة أساسية بأعمال الشيخ الكليني قُلَيْبِ بْنِ <sup>(١)</sup>، ثم الشيخ الصدوق قُلَيْبِ بْنِ <sup>(٢)</sup>، وتطور هذا العلم وتمركز أيام الشيخ الطوسي

الفهرست. ب: الرجال. ج: اختيار الرجال. ٤. علم الكلام والإمامة، وله فيه: أ. تلخيص الشافي. ب: الغيبة. ج: المفصح في الإمامة. د: الاقتصاد فيما يجب على العباد. هـ: النقض على ابن شاذان في مسألة الغار. و: مقدمة في المدخل إلى علم الكلام. ز: رياضة العقول في شرح المدخل المتقدم. ح: ما يعلل وما لا يعلل. ط: أصول العقائد. ي: المسائل في الفرق بين النبي والإمام. ك: المسائل الرازية في الوعيد. ل: ما لا يسع المكلف الإخلال به. م: تمهيد الأصول، في شرح كتاب السيد المرتضى (جمال العلم والعمل). ن: الكافي، في علم الكلام. س: تعليق ما لا يسع. ع: مسألة في الحسن والقيح. ف: ثلاثون مسألة كلامية. ص: اصطلاحات المتكلمين. ق: الاستيفاء في الإمامة. هـ: علم الفقه والفقه المقارن، وله فيه: أ: النهاية. ب: المبسوط في الفقه. ج: الإيجاز في الفرائض. د: الجمل والعقود. هـ: المسائل الجنبائية. و: المسائل الحائرية. ز: المسائل الحلبية. ح: مسألة في تحريم الفقاع. ط: الخلاف. ٦. علم الأصول، وله فيه: أ: العمدة في أصول الفقه. ب: شرح الشرح. ج: مسألة في العمل بخبر الواحد. ٧. الأدعية والعبادات، وله فيها: أ: مصباح المتهجد. ب: مختصر المصباح. ج: هداية المسترشد وبصيرة المتعبد. د: مختصر عمل يوم وليلة. هـ: مناسك الحج. ٨. الأمالي وكتب متفرقة. أ: المجالس في الأخبار. ب: مختصر في مقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَام. ج: مختصر أخبار المختار بن أبي عبيدة الثقفي. د: مسألة في وجوب الجزية على اليهود والمتمتعين إلى الجابرة. هـ: أنس الوحيد. و: المسائل الإلياسية. ز: مسائل ابن البراج. ح: المسائل القمية. ط: مسألة في الأحوال» أمالي الشيخ الطوسي: ١٨، مقدمة المحقق.

(١) الشيخ محمد بن يعقوب الكليني. ولد في قرية (كُلَيْن) من قرى الري الواقعة جنوب طهران. عاش زمن الغيبة الصغرى، وفيها توفي أيضاً. هاجر إلى مدينة بغداد، واستوطنها؛ ليتفرغ للتدريس والفتيا. له مؤلفات عديدة، منها: كتاب (في الرد على القرامطة)، وكتاب (في الرجال)، وكتاب (رسائل الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَام)، وكتاب (الكافي)، الذي يعتبر أشهر وأهم كتاب له. توفي قُلَيْبِ بْنِ في سنة تآثر النجوم، وهي سنة ٣٢٩هـ، ودُفِنَ في بغداد. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ٧.

(٢) الشيخ أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ولد ببركة دعاء الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام، ونال بذلك عظيم الفضل والفخر، وعمّت بركته قُلَيْبِ بْنِ الأنام، وبقيت آثاره ومصنفاته مدى الأيام. ورد بغداد سنة ٣٥٥هـ، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن. له كتب كثيرة، منها: كتاب

بما أدخله من تحقيق، لا سيما في موضوع الجمع والتنسيق بين الروايات والوصول فيها إلى رؤية واحدة مستخلصة من مجموعها. وهكذا علم الرجال الذي بدأه الكشي<sup>(١)</sup>، والبرقي<sup>(٢)</sup>، ثم التطور الذي حصل عند النجاشي<sup>(٣)</sup>، حتى وصل إلى الشيخ الطوسي الذي مثل القمة في

(التوحيد)، و(النبوة)، و(المقنع)، و(الحصائل)، و(من لا يحضره الفقيه)، و(العوض عن المجالس)، و(علل الشرائع)، وغيرها الكثير. توفي بالري سنة ٣٨١هـ، وقبره فيها قرب مرقد السيد عبد العظيم الحسنی. للتفاصيل انظر: معجم رجال الحديث ١٧: ٣٤٠.

(١) أبو عمرو، محمد بن عمر بن عبد العزيز، أحد كبار علماء الشيعة في القرنين الثالث والرابع الهجري. اهتم عليه السلام بعلم الرجال، والتدقيق في أحوال الرواة، فكان كتابه المعروف ب(رجال الكشي)، أحد الكتب المهمة التي يعتمد عليها العلماء في معرفة أحوال الرواة. أساتذته كثر، منهم: محمد بن مسعود العياشي، صاحب تفسير العياشي، ومحمد بن أحمد بن شاذان، ومحمد بن قولويه القمي. توفي عليه السلام في منتصف القرن الرابع الهجري. للتفاصيل انظر: سماء المقال في علم الرجال ١: ٦٩.

(٢) أبو جعفر، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، من رواة الحديث، ومن كبار فقهاء الشيعة، ومن أصحاب الأئمة عليهم السلام. ولد في قرية (برق رود) من توابع مدينة قم المقدسة، ولكن أصله من الكوفة. كان من الشخصيات البارزة بين رواة الشيعة في القرن الثالث الهجري، وتنتهي كثير من أحاديث الشيخ الصدوق، والشيخ الكليني إليه. وقد تلمذ على يديه الكثير من العلماء، منهم: علي بن إبراهيم، ومحمد بن حسن الصفار، ومحمد بن يحيى العطار، وغيرهم. له مؤلفات كثيرة، منها: كتاب (المحاسن)، وكتاب (العويض)، و(التبصرة)، وغيرها. توفي عليه السلام سنة ٢٧٤هـ، وقيل: سنة ٢٨٠هـ. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٣: ١٠٥.

(٣) أبو الحسين، أحمد بن علي بن أحمد بن عباس بن محمد بن عبد الله النجاشي. ولد في مدينة الكوفة سنة ٣٧٢هـ، وكان أبوه من محدثي الشيعة الكبار، وجده (عبد الله) كان والياً على الأهواز، وقد كتب رسالة إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وكتب إليه الإمام جواباً، وهي: (الرسالة الأهوازية). أمضى أبو الحسين النجاشي أكثر عمره في مدينة بغداد، وسافر إلى الكوفة عدة مرات، وسمع فيها الحديث وحصل على إجازته فيها أو منح إجازة الرواية فيها. واقتصر في النقل عن الموثقين والمعتبرين، وبلغ به الاحتياط في ذلك إلى حد جعله غير مستعد حتى لسماع الحديث من الضعفاء؛ ولذا فإن ما نقله النجاشي من الروايات له قيمة كبيرة. ويعتبر كتابه (رجال النجاشي) من أهم مصادر التعرف على وثيقة الرواة. توفي عليه السلام سنة ٤٥٠هـ في

هذا المجال.

وهكذا علم الكلام، عندما بدأه الشيخ الصدوق، والمفيد، والمرضى، ثم  
تمركز عند الشيخ الطوسي.

ثم في علم التفسير، الذي بدأه العياشي<sup>(١)</sup>، وابن إبراهيم القمي<sup>(٢)</sup>، ثم  
تمركز عند الشيخ الطوسي في التبيان.

### الحوزتان في الميزان

وقد انعكست حالة الثبات والاستقرار للحوزة العلمية في النجف  
الأشرف على الحالة العلمية والتراث العلمي لأتباع أهل البيت عليهم السلام،  
وخصوصاً في القرون الثلاثة الماضية، حيث إن كبار العلماء تخرجوا من  
حوزة النجف العلمية، التي كان نشاطها العلمي في أوجه.

مطيرآباد من نواحي مدينة سامراء. للتفاصيل انظر: المصدر السابق: ٣٠.

(١) الشيخ أبو النضر، محمد بن مسعود بن محمد بن العياش التميمي الكوفي السمرقندي. ولد في القرن  
الثالث الهجري. ونشأ على مذهب أهل السنة، ثم تشيخ، فكان أحد أساطين العلم وأعيان الطائفة، واشتغل  
في حداثة سنّه بتحصيل العلم، حتى برع وتمهّر في شتى العلوم، فكانت داره مجمع رجال العلم والثقافة،  
وطلاب الفضيلة من محصلّ وباحث وكاتب، حتى قيل: إنّه أنفق في سبيل العلم جميع ما كان عنده من مال  
وثروة بالغة. توفي رحمته الله عام ٣٢٠هـ. للتفاصيل انظر: قاموس الرجال ٩: ٥٧٠.

(٢) الشيخ أبو الحسن، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي. ولد في القرن الثالث الهجري. أساتذته عديدون،  
منهم: أبوه: الشيخ إبراهيم، وأخوه: الشيخ إسحاق، وحسن بن موسى الخشاب، وأحمد بن محمد البرقي.  
ومن تلامذته: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، ومحمد بن موسى المتوكل، وأحمد بن زياد الهمداني. يُعدّ  
القمي رحمته الله من أشهر رواة الشيعة وأبرزهم، ويتمتع باحترام كبير، وتبجيل خاص عند علماء الإمامية. مؤلفاته  
عديدة، منها: (تفسير القمي)، و(قرب الإسناد)، و(فضائل أمير المؤمنين عليه السلام)، و(الناسخ والمنسوخ).  
توفي رحمته الله عام ٣٢٩هـ، ودفن بمدينة قم المقدّسة. للتفاصيل انظر: تفسير القمي ١، مقدّمة المحمّدي.

ولكن هذا لا يعني خلوها من بعض السلبيات، فهناك نقطة مهمة جداً ترتبط بموضوع العلم والعمل، وتعيننا بشكل خاص كطلبة حوزة علمية، ولا بدّ من تسليط الضوء عليها؛ لمعرفة خلفيات بعض الأمور التي تدخلت، فأفرزت واقعاً صار في ظاهره فارقاً بين الحوزتين، وهي: أن الحوزة العلمية في النجف الأشرف أصيبت بالضمور من ناحية عدد الطلبة العراقيين المنتسبين لها في فترة ما بعد سقوط الدولة الإسلامية - الدولة العثمانية - وقيام ما يسمى بـ (الحكم الوطني) في العراق، مما جعل أن تكون الكثرة الكاثرة من طلابها من غير العراقيين، فكان المهاجرون من إيران هم الجماعة الكبرى فيها - من حيث العدد - ومن بعدهم المهاجرون من أفغانستان، ومن المناطق المشتركة بين أفغانستان وباكستان، مضافاً إلى مجموعات أخرى.

فالطلبة العراقيون - بسبب الظروف الصعبة - كانوا يمثلون الأقلية القليلة في الحوزة العلمية، باستثناء ما حدث في السنوات العشر الأخيرة من مرجعية الإمام الحكيم قلبي، وتوجهه الخاص للاهتمام بهم، فحصل نوع من التطور في وضع الطلاب العراقيين الموجودين في النجف الأشرف، وبدأ يأخذ أثره بشكل واضح في تطور الحوزة العلمية.

لكنه لم يصل في حركته إلى الحد المناسب؛ لقصر المدة، ثم جاء الحكم البعثي الكافر الظالم، وبدأ يهاجم الحوزة العلمية بكل وجودها، ومن جملة من تضرر فيها بشكل بالغ هو الوجود العراقي.

وقد انعكست حالة عدم التوازن في العدد على الحوزة العلمية في النجف الأشرف بأثرين:

أحدهما: إيجابي، وهو أن المهاجرين، باعتبارهم يعيشون ظروف الهجرة،

كانوا معزولين عن العمل الاجتماعي والسياسي لأمتهم وأوطانهم؛ لبعدهم عنها، وعن العمل السياسي والاجتماعي العراقي؛ لاختلاف اللغة بينهم وبين المجتمع الذي يعيشون وسطه، مضافاً إلى الاختلاف في الهموم، التي لها ارتباط بالأوضاع السياسية والاجتماعية في ذلك المجتمع. ونتيجة لهذه العزلة السياسية والاجتماعية تفرغوا تلقائياً لطلب العلم والمعرفة، وتوجهوا إلى البحث والدرس والتدريس، فاستمت أوساطهم بشكل واضح بالنشاط العلمي.

والآخر: سلبي، وهو أن المهاجرين بسبب بعدهم عن الحالة السياسية والاجتماعية أصبحت مساهمتهم في القيام بواجباتهم مساهمة قليلة جداً، وأحياناً معدومة؛ لأن المهاجر، إما لا يجد الفرصة ليساهم، أو لا يسمح وضعه الحياتي بالمساهمة، أو لوجود حاجر نفسي بينه وبين المساهمة؛ نتيجة لانشغاله بالجانب العلمي، وهموم الحوزة، وابتعاده عن الحالة السياسية، وعدم تأثره بالوضع الاجتماعي؛ ولذا أصبحت الحوزة العلمية في النجف الأشرف بشكل عام وليس الحوزة العراقية فقط تعيش ظروفاً قاسية؛ ومن هنا نجد هذا النوع من الحديث في التنافس بين حوزتي النجف الأشرف وقم المقدسة.

وعلى عكس ذلك حوزة قم المقدسة، فالأكثريّة الساحقة من طلابها، بل كلهم تقريباً من أهل البلد، فعدد الغرباء فيها من اللبنانيين، والأفغان، والباكستانيين محدود جداً؛ لكون التوجه العام لطلبة العلوم الدينية كان نحو النجف الأشرف، فالكثرة الكاثرة في حوزة قم المقدسة كانت من أبناء إيران، ومن ثم فهم يتفاعلون مع الأحداث الموجودة فيه؛ باعتبارها جزءاً من

حياتهم ووجودهم، وتوجد لديهم فرصة في أن يذهبوا ويبلغوا، وتنعكس عليهم الهموم والمشاكل، وبالتالي أصبح نشاطهم الاجتماعي العام جزءاً من وجودهم.

وهذا الأمر كان له تأثير إيجابي من ناحية، وسلبى من ناحية أخرى، ومعاكس للتأثيرين السابقين.

**فالتأثير الإيجابي**، أن أفراد الحوزة العلمية اهتموا بقضايا الناس والشؤون العامة للأمة اهتماماً بالغاً، وأخذوا يعيشون مختلف تفاصيلها، فنتج عن ذلك: الاهتمام ببناء المساجد، والحسينيات، والمكتبات، إلى غير ذلك من الشؤون المرتبطة بمواجهة الظلم والعدوان والجور، وصار التبليغ في المواسم من السنن، التي لا يسمح بتجاوزها في الحوزة العلمية، وتبعاً لذلك تطورت وسائله، وتطورت أيضاً قدرات المبلغين على الخطابة والحديث وغير ذلك، حتى أصبحت هذه القضية جزءاً مهماً في حركة الحوزة العلمية، باعتبار أنها تمثل الحالة الموجودة في البلد، وليست حوزة مهاجرة.

وأما التأثير السلبي، فقد انعكس الاستغراق في الاهتمام بقضايا الأمة سلباً على الاهتمام بطلب العلم والتعمق فيه، مضافاً إلى أن إعادة الحياة لحوزة قم المقدسة تم في عهد قريب، على يد أحد مراجع الإسلام المرحوم الشيخ عبدالكريم الحائري<sup>(١)</sup>، بعد الحرب العالمية الأولى - تقريباً - وبعد قضية

(١) الشيخ عبد الكريم بن محمد جعفر البيزدي الحائري. ولد عام ١٢٧٦هـ في إحدى قرى يزد في إيران، وفيها تعلم القراءة والكتابة والعلوم الابتدائية، ثم هاجر إلى العراق، الذي كانت حواضره قبلة العلم والعلماء، وتنقل بين سامراء وكربلاء والنجف، وتعلم عند أشهر العلماء، كالميرزا الشيرازي الكبير، والآخوند الخراساني. وفي عام ١٣٤٠هـ استقر في قم المقدسة، وأعاد نشاط وتفعيل حوزتها العلمية. وتعلم على يديه

المشروطة، بخلاف حوزة النجف ذات العمق التاريخي، مضافاً إلى أن حوزة قم انشغلت بالأحداث الموجودة في إيران، وتلك الحوزة لم يكن لديها هذا الانشغال بشكل عام.

إن هذه المقارنة التحليلية بين الحوزتين عند تعميمها يمكن أن تدحض كل أو جل الإثارات والإشكالات التي ترد على الحوزتين معاً. كما لا بدّ من الاستفادة، وأخذ العبرة من ذلك، فمن الضروري أن تحفظ الحوزة العلمية التوازن بين الاهتمامات العلمية، وهي ضرورية، ولا بدّ من الوصول إلى درجة مناسبة فيها، بحيث لا يضيع العلم على حساب الانشغال بأمور أخرى، وبين أن تحافظ الحوزة العلمية على الاهتمام بالعمل وقضايا الأمة في الوقت نفسه.

### التحدي الثالث: ضمور حوزة النجف الأشرف

تواجه الحوزة العلمية كمؤسسة دينية تقود المجتمع نحو الخير والكمال أحد أهم التحديات الحقيقية، وهو الضمور الواضح في حوزة النجف الأشرف<sup>(١)</sup>، التي تعتبر من مفاخر العراق؛ لتاريخها العريق، ولكونها امتداداً لمدرسة الكوفة التي وضع أسسها الإمام علي عليه السلام، ثم أقام دعائمها ووضع

العديد من العلماء، كالإمام الخميني، والسيد صدر الدين الصدر، والشيخ محمد تقي الخونساري. مؤلفاته عديدة، منها كتاب (درر الفوائد)، وكتاب (الصلاة). توفي عام ١٣٥٥ هـ. للتفاصيل انظر: درر الفوائد: ١٧. مقدمة المحقق.

(١) المحاضرة كانت قبل سقوط النظام البعثي في العراق، وبالتحديد في يوم الأحد ١٤١٨/٩/٩ هـ. ١١/١/١٩٩٨م في مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام في قم المقدسة.

نُظمتها العامة وطورها بشكل كبير الإمامان الصادقان عليهما السلام.  
ولكونها مصدراً مشعاً للهدى والمعرفة لمختلف أنحاء العالم الإسلامي،  
ولما قامت به من إنجازات مهمة، وأداء الخدمات الكبيرة للمسلمين في مختلف  
البلدان. وللقديسية الخاصة لها المستمدة من روح ومعنويات سيد الوصيين  
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث أنشئت في جواره وكنفه، وهي تستمد  
معنوياتها وجانبها الروحي منه عليه السلام، كما تستمد الجانب العلمي والسلوكي  
من منهجه؛ ولذا ارتبط بها أبناء العراق، والعالم الإسلامي، وخصوصاً أتباع  
أهل البيت عليهم السلام ارتباطاً وثيقاً.

### العدوان البعثي

أدرك النظام البعثي منذ الوهلة الأولى لمسكه زمام الأمور<sup>(١)</sup> أن الحوزة  
العلمية في النجف الأشرف تشكل التهديد الأخطر لكيانه وفكره؛ ولذا  
شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام قادته، ومساحة واسعة من تخطيطهم، فكان  
نتاج ذلك عدة خطوات وإجراءات أرادوا منها القضاء عليها أو - على الأقل -  
احتوائها والسيطرة على حركتها، فعمدوا إلى:

١- سلب استقلال الحوزة العلمية الذي امتازت به، بإتباع أسلوب  
الإرهاب والترويع، ولذا كانت المؤسسة الأولى التي استهدفتها النظام

(١) تسلم البعثيون مقاليد الحكم في العراق في عام ١٩٦٣م بعد انقلاب على (عبد الكريم قاسم) واغتياله،  
واستمرروا في السلطة ما يقارب تسعة أشهر. ثم في ١٧/٧/١٩٦٨م وصل حزب البعث من جديد إلى سدة  
الحكم بانقلاب عسكري على حكم (عبد الرحمن عارف).



بالعدوان، وكان الاصطدام المباشر مع الإمام الحكيم قدس سره <sup>(١)</sup> باكورة إجراءاته الظالمة والتعسفية، ورسالة قوية لكل أوساط الحوزة العلمية بضرورة تجنب أي اصطدام مع النظام مهما كان، وبالتالي جعلها غير قادرة على القيام بواجباتها، وتحمل مسؤولياتها.

٢- تفرغ الحوزة العلمية من مضمونها ومحتواها العلمي، وذلك بتسفير وإبعاد طلبتها وفضلائها غير العراقيين، الذين وفدوا من مختلف أنحاء البلاد الإسلامية للنجف الأشرف؛ للنهل من منابع حوزتها العلمية <sup>(٢)</sup>، ومطاردة واعتقال الكثير من فضلائها وطلبته، وعلمائها و شخصياتها، ومدرسيها، كالسادة آل الحكيم <sup>(٣)</sup>، وغيرهم الكثير جداً من

(١) انظر: الإمام الحكيم، عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي ٢: ١٥٨ - ١٧٥.

(٢) قام النظام البعثي في ١٨/٢/١٣٨٩ هـ بحملة واسعة من التسفير والإبعاد القسري للأجانب من رجال الحوزة العلمية. ثم تبعها بحملة أخرى عام ١٣٩١ هـ. وفي عام ١٣٩٥ هـ أعاد الكوفة من جديد وبشكل واسع. وفي عام ١٤٠١ هـ ألحقها بحملة كبيرة لم يعرف العراق لها مثيلاً وبعيدة عن كل الأخلاق والقيم والأعراف الدولية والإنسانية. للتفاصيل انظر: كتاب التهجير جريمة العصر. وكتاب الحوزة العلمية في النجف: ٣٥٨ - ٣٦٢.

(٣) تعرضت أسرة آل الحكيم بشكل عام، ورجال الدين منها بشكل خاص إلى ضغوطات السلطة البعثية واضطهادها منذ مجيئها عام ١٩٦٨ م، وحتى اسقاطها عام ٢٠٠٣ م، منها:

١. اقتحام أزمال السلطة لمنزل الإمام الحكيم قدس سره عام ١٩٦٩ م، بحجة البحث عن نجله العلامة الشهيد السيد محمد مهدي، بعد اتهامه بالتورط في عمليات تجسسية لصالح دول أجنبية. كما تم اعتقال نجله حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد العزيز في ذات العام.

٢. في عام ١٩٧٥ م منعت السلطات الأمنية مجموعة من أفراد الأسرة من السفر إلى خارج العراق، كالشاهد حجة الإسلام والمسلمين السيد كمال الدين الحكيم، والشاهد حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد الهادي، وحجة الإسلام والمسلمين السيد عبد العزيز، وحجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد علاء الدين أنجال

- الإمام الحكيم، وحجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد مرتضى الحكيم، وغيرهم.
٣. في ذات العام قام البوليس السري بمطاردات منظمة لعدد من أفراد الأسرة، كما تمّ اعتقال شهيد المحراب قُدِّسَ سِرُّهُ.
٤. في عام ١٩٧٧م اعتُقل شهيد المحراب مرة أخرى، وحُكِمَ عليه بالسجن المؤبد، بعد مروره بمرحلة من التعذيب الجسدي والنفسي، كما اعتُقل أخوه الشهيد السيد علاء الدين.
٥. في عام ١٩٨١م اعتُقل آية الله الشهيد السيد مجيد السيد محمود الحكيم.
٦. وفي ١٤٠٣/٧/٢٥ هـ. ١٩٨٣/٥/٩م تمّ اعتقال (٧١) شخصاً من آل الحكيم دفعة واحدة على خلفية رفضهم الحضور والتواجد في المؤتمر الإسلامي الذي عقده النظام آنذاك، ففي أواخر عام ١٩٨٢م، وبعد تصاعد حدّة المعارك على طول خط الجبهة مع إيران، وتزايد عمليات الكفاح المسلح للمعارضة العراقية الإسلامية، قرر (صدام) عقد مؤتمر إسلامي ذي طابع شعبي، يجمع علماء السنّة والشيعه، عراقيين وغيرهم، على طاولة واحدة، وتحت سقف واحد.
- وكلف وزارة أوقافه بتوجيه الدعوات للشخصيات الدينية، وجاء وزير الأوقاف بنفسه إلى آية الله السيد محمد تقي الحكيم يدعوه للحضور، كما جاء مدير أمن النجف الأشرف، وبرفقته مسؤول أكبر منه لدعوة حجة الاسلام والمسلمين الشهيد السيد محمد رضا نجل الإمام الحكيم، كما زار آية الله السيد محمد علي الحكيم في داره وكيل مدير أمن النجف ودعاه للحضور. وكانت لهجة الداعين شديدة، حيث تضمّنت تهديداً صريحاً تارة، وأخرى مبطناً، فقد قيل للسيد محمد علي: إن عدم حضوركم، يعني: أن العائلة معادية للدولة. كما قيل للسيد محمد رضا: إن عدم حضوركم يُعرّض الأسرة للخطر، والتشكيك في مواطنكم، فليس هناك حياد في فكر الحزب، فإما لنا أو علينا.
- كان صدام يريد الاستفادة من التجمع الكبير لرجال الدين، واستثماره في تحقيق أغراض مهمة، منها:
١. تحويل المؤتمر من تجمّع مصالحة - حيث أعلنت أجهزة الإعلام: أن المؤتمر يهدف إلى التوسط لدى إيران في نزاعها مع الجارة العراق؛ لإيقاف نزيف الدم بينهما - إلى مؤتمر إدانة؛ لأنه يعلم على النحو القاطع رفض إيران لهذه الوساطة، وهذا ما سيجعل الأجواء مهيباً لإدانتها إسلامياً، والتشكيك بشعاراتها الدينية.
  ٢. محاولة الظهور بثوب الدين أمام الرأي العام، وإبطال ادعاءات قادة الثورة في إيران بعدائه للإسلام.
  ٣. دفع حوزة النجف الأشرف لخط المواجهة والاصطدام مع قادة الثورة الإسلامية في إيران.
  ٤. الإيحاء إلى عموم الشعب العراقي بحصوله على تأييد ديني واسع، خصوصاً من القطاع المعروف بمناهضته له ولسياساته الداخلية.

العلماء<sup>(١)</sup>، بل وتصفية عدد كبير من كوادرها<sup>(٢)</sup>، ومراجعتها<sup>(٣)</sup>، وغير ذلك

٥. الإيحاء إلى عموم شيعة العراق، بخروج آية الله السيد محمد باقر الحكيم عن خط أسرته، وأنه بعيد عنها سلوكاً وفكراً، من خلال حضور عدد من علماء الأسرة لذلك المؤتمر.

لم يتم لدى علماء وفقهاء آل الحكيم دليل شرعي على جواز حضور المؤتمر المزمع عقده في بغداد، كما أدركوا مبكراً أهداف صدام ونواياه الخبيثة، وأيقنوا أنهم سيكونون جسراً وأداة بيد بغداد، فرفضوا الدعوة، وتحمل كل تبعاتها.

وقد ترتب على الرفض أن تلقت الأسرة مساء الخامس والعشرين من رجب ١٤٠٣هـ أعنف ضربة من صدام، حيث تم اعتقال (٥٩) شخصاً بعملية أمنية واحدة، فيهم أكثر من سبعة مجتهدين مشهود لهم بالتقوى والورع، والفقاهة والعلم والفضل. ثم أعقب ذلك باعتقال (١٢) شخصاً، بما فيهم (إمرأة) ليصبح العدد الكلي في غضون ثلاثة أيام (٧١) معتقلاً. وفي غضون الأسبوعين الأولين تم إعدام (ستة) أشخاص منهم. وفي آذار عام ١٩٨٥م تم إعدام (عشرة) آخرين. كما توفي (شخصان) آخران في سجن أبي غريب عند نقل أفراد الأسرة إليه؛ بسبب سوء التغذية، والإهمال المتعمد، والذي كان سبباً مباشراً في فقد أحد أفراد الأسرة لبعده بشكل تام.

هذا وقد طالت اعتقالات وإعدامات لعدد من أفراد الأسرة تحت مسميات عديدة، قبل هذه الواقعة وبعدها، خصوصاً بعد الانتفاضة الشعبانية، حيث وصل عدد الشهداء الكلي للأسرة إلى (سبعة وأربعين) شهيداً. منهم (ستة عشر) شهيداً من فقهاء وفضلاء الحوزة العلمية في النجف الأشرف، و(إمرأتان)، وباقي الشهداء موزعون بين خدمة الروضة الحيدرية، وحملة الشهادات الجامعية. للتفاصيل انظر: وثيقة رقم (٧)، (٨)، (٩)، (١٠).

(١) انظر: وثيقة رقم (١١) التي تعتبر نموذجاً بسيطاً مما جرى للحوزة العلمية.

(٢) للتفاصيل انظر: دماء العلماء في طريق الجهاد: ١٤٩.

(٣) قام النظام الصدامي بإعدام السيد محمد باقر الصدر في نيسان ١٩٨٠م، وابتغتيال الشيخ مرتضى البروجردي في الرابع والعشرين من ذي الحجة عام ١٤١٨هـ، بعد عودته من أداء صلاة المغرب والعشاء، كما قام باغتيال الشيخ علي الغروي ليلة الجمعة، الثالث والعشرين من صفر عام ١٤١٩هـ، في الطريق بين مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، بعد عودته من زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وفي شهر رمضان عام ١٤١٩هـ تعرض الشيخ بشير النجفي إلى الهجوم عليه بالقنابل اليدوية، وهو جالس في ركن مكتبه، وفي ذات العام تعرض السيد علي السيستاني إلى محاولة اغتيال فاشلة في بيته، وفي الرابع من ذي القعدة ١٤١٩هـ تم اغتيال السيد محمد محمد صادق الصدر مع اثنين من أبنائه وهو في طريقه إلى بيته.

من الاجراءات<sup>(١)</sup>، وفي ذات الوقت ضخ عناصر طفيلية فارغة المحتوى والمضمون فيها، وإعطائها فرصة للحركة.

٣- إثارة الاستفهامات والشبهات المختلفة حولها - الحوزة العلمية - كاتهامها بالتخلف والانعزال وعدم مواكبتها العصر، وإظهارها بمظهر العاجز عن القيام بواجباتها وأداء مسؤولياتها، من خلال محاصرة علمائها العاملين، وإلّا لماذا يُمنع الآن مرجع دين كبير يُعتبر من المراجع الأوائل - إن لم يكن الأول - في العالم الشيعي، وهو آية الله العظمى السيد السيستاني<sup>(٢)</sup> من

(١) ومن اجراءاته في هذا الصدد:

١. مصادرة جامعة الكوفة التي كانت أحد المشاريع المهمة التي تلقت دعم ورعاية المرجعية الدينية «في خطوة مفاجئة وغير مسبوقه أعلن صالح مهدي عمّاش، وكان وزيراً للداخلية في ٩/٢/١٩٦٩ م المصادف ١٣٨٨/١٢/٢ هـ عن قرار الحكومة العراقية في الغاء جامعة الكوفة ومصادرة كل أموالها». الإمام الحكيم، عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي ٢: ١٤٠.

٢. إصدار قانون بإعادة تفعيل فقرة التجنيد الإجباري لطلبة الحوزة العلمية مما جعل الإمام الحكيم<sup>قده</sup> يحتج في وقتها عليه. انظر: مذكرات العلامة الشهيد محمد مهدي الحكيم: ٨٣.

٣. تأميم كلية الفقه «ففي عام ١٩٧٤م ألحقت الكلية بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وأصبحت كلية رسمية، وانفصلت تماماً عن منتدى النشر». السيد محمد تقي الحكيم، سيرته ومسيرته الفكرية: ١٢٨. وللتفاصيل انظر: جرائم نظام صدام: ١٨ - ٦٩.

(٢) السيد علي ابن السيد محمد باقر ابن السيد علي الحسيني السيستاني. ولد عام ١٣٤٩ هـ في مدينة مشهد المقدسة في إيران. بدأ بدراسة العلوم الحوزوية عام ١٣٦٠ هـ، وفي أواخر عام ١٣٦٨ هـ هاجر إلى قم المقدسة، وحضر عند السيد حسين البروجردي، والسيد محمد الحجة الكوهكمرى، وفي أوائل عام ١٣٧١ هـ هاجر إلى النجف الأشرف، وحضر بحوث السيد أبي القاسم الخوئي، والشيخ حسين الحلبي. وفي أوائل عام ١٣٨١ هـ ابتدأ بالقاء محاضراته خارج الفقه والأصول. اعتقله النظام البعثي بعد إخماده للانتفاضة الشعبانية، وتعرض للتعذيب في معسكر الرزاة، ومعتقل الرضوانية. انتقادت له المرجعية الدينية بعد الإمام الخوئي<sup>قده</sup>.

للتفاصيل انظر: <http://www.sistani.org/index.php?p=469882>

الصلاة في مسجد الخضراء<sup>(١)</sup>، ثم يوضع في منزله تحت الإقامة الجبرية غير الظاهرة للعيان؟

فعندما ينقطع مرجع الدين - الذي هو قمة الهرم - عن الأمة، ويُعزز انقطاعه بسيل من الدعايات المغرضة ضده، وضد كيان الحوزة العلمية، فمن الطبيعي أن يترك ذلك أثراً سلبياً لدى الأمة تجاه مراجعها وقادتها، وبالتالي قد تعتقد: أن مراجعها لا يقومون بواجباتهم، ولا يؤدون مسؤولياتهم، ولا يتابعون الأحداث. وهذا ما يريد أن يصل إليه النظام، وهو إضعاف الكيان المرجعي إلى أكبر قدر ممكن.

وهذا ما صنعه الطواغيت أيام العباسيين، فعندما وجد الخلفاء الذين جاؤوا بعد المأمون العباسي أن الدور الذي قام به الإمامان الرضا والجواد عليهما السلام دور عظيم جداً في نشر الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام، قاموا بمحاصرة الإمامين الهادي والحسن العسكري عليهما السلام؛ من أجل الإيحاء لأتباعهم، أنهم عليهم السلام غير قادرين على القيام بدور في حياة المسلمين.

ولكن مع كل ذلك استحال على نظام صدام محق الحوزة العلمية، بل فاجأته بصمودها وبقاء وجودها المبارك شاخصاً؛ بفضل رجالها وقدرتهم على استيعاب الضربات وصبرهم على ذلك، وبفضل موقف الشعب العراقي الراض للنظام من ناحية، والمتمسك بالحوزة من ناحية أخرى،

(١) أحد المساجد القديمة في النجف الأشرف. يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الصحن العلوي الشريف، وله بابان، أحدهما: داخلي يطل على الصحن العلوي الشريف، والأخرى: تؤدي إلى الشارع المحيط بالصحن الحيدري. وكان الإمام الخوئي قده يَوْم المصلين فيه، واتخذة مقراً لإلقاء دروسه العلمية. لتفاصيل انظر: ماضي النجف وحاضرها: ١٠٢.

والذي ترجمه مرات عديدة، أوضحها في انتفاضة الخامس عشر من شعبان عام ١٤٢١هـ، وبفضل الجهود المخلصة والعمل الجاد الذي قامت به بعض قوى المعارضة الإسلامية في العراق خلال كل هذه السنوات، وفوق كل ذلك التأييد والرعاية والعناية الربانية للحوزة، ورعاية الإمام المهدي عليه السلام لها، التي هي من وراء الغمام<sup>(١)</sup>.

### الخسارة الفادحة

لقد كلفت السياسة البعثية تجاه الحوزة العلمية الأمة الإسلامية ثمناً باهضاً، وكلفة كبيرة، انعكست على ذات الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وعلى العراق بالخصوص، حيث تركت فراغاً كبيراً جداً في الجانب الثقافي، وما هو موجود في المخيمات العراقية للاجئين في إيران<sup>(٢)</sup> من تردي على المستوى

(١) ورد في التوقيع الشريف عنه عليه السلام: «وأما وجه الانتفاع في غيبي، فكان الانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان أهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء...». الغيبة: ٢٩٢، ح ٢٤٧.

(٢) اضطرت الحكومة الإيرانية إلى فتح مخيمات عديدة في مدن مختلفة؛ لاستيعاب العدد الكبير للمهجرين، والمهاجرين العراقيين، الذين فروا من بطش نظام صدام، خصوصاً بعد القضاء على الانتفاضة الشعبانية، وأشهر هذه المخيمات، هي: مخيم إبراهيم آباد في المحافظة المركزية، ومخيم ازنا في محافظة لرستان، ومخيم الشهيد أشرفي أصفهاني، ومخيم أنصار، ومخيم الشهيد مطهري، ومخيم الشهيد بهشتي، ومخيم البعثة، ومخيم كوتوند في محافظة خوزستان، ومخيم جهرم، ومخيم سروستان في محافظة فارس.

كما كانت للاجئين الأكراد مخيمات خاصة، وهي: مخيم خوي، ومخيم حلبجة، ومخيم برزان آباد، ومخيم بزيلة، ومخيم لاوين، ومخيم زيوه، ومخيم دلزه، في محافظة آذربيجان الغربية، ومخيم سقر، ومخيم بمرام آباد، ومخيم ومهنك، ومخيم دهكلان، ومخيم دزلي في محافظة كردستان، ومخيم كركاور، ومخيم سفيد جوقه، ومخيم سنقر في محافظة كرمنشاه.

الثقافي شاهد على ذلك<sup>(١)</sup>.

لأن نظام العفالة المجرمين عندما جاء إلى الحكم عام ١٩٦٨م، كان عدد طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف يقدر بسبعة آلاف شخص، من العلماء والطلاب والفضلاء، والعدد الكبير منهم كان من المجتهدين، والمدرسين، والمثقفين، والخطباء، والمبلغين، والكتّاب، والباحثين، وأحد معالم هذا الجانب الكيفي، هو أن أكثر المدرسين الكبار المعروفين فعلاً في حوزة قم المقدسة كان موجوداً في حوزة النجف الأشرف قبل هجرته إلى إيران بسبب الظلم والعدوان.

وعند وفاة زعيم الحوزة العلمية، الإمام الخوئي قدس سره عام ١٩٩٣م، كان عدد العلماء والطلاب بين ستمئة وسبعمئة شخص.

فلو كانت الحوزة العلمية سائرة بنفس الوتيرة والنهج الذي سارت فيه أيام مرجعية الإمام الحكيم قدس سره - قبل مجيء البعثيين المجرمين - لكان من الممكن أن يصل عددها خلال الأربع والعشرين سنة، التي تبدأ بمجيء البعثيين إلى

(١) إن الضعف في الحالة الثقافية الذي لا زالت تعاني المخيمات منه يعود لسببين:

**الأول:** يرتبط بحرمان أبناء الشعب العراقي في العراق من الثقافة والمعرفة، بسبب وجود النظام الفاسد الجائر؛ لأن ثقافتنا مصدرها: إما المنبر الحسيني، أو العالم في الجامع، أو الكتاب الإسلامي، أو الجمعيات والمدارس، وكلها قضى عليها النظام.

والناس ظلوا يجنون الإسلام؛ لإسلامية جذورهم.

**الثاني:** إن الأخوة، الذين يذهبون إلى هذه المخيمات . جزاهم الله خيراً، وأنا أدعو لهم بشكل خاص . ليسوا على مستوى عال جداً من القدرة الثقافية، بحيث يتمكنون من معالجة هذا الضعف الثقافي، والذين عندهم ثقافة أفضل لا يذهبون، فقد يرى بعضهم أنه مدرس في الحوزة العلمية، فكيف يذهب ويبلغ لأناس مساكين من أهل الهور مثلاً؟! . منه قدس سره.

حين وفاة الإمام الخوئي قدس سره، الذي صمد بوجه البعثيين في النجف الأشرف من أجل الحفاظ على حوزتها العلمية إلى أربعين ألف دارس ومدرس، وكان من الممكن أن يتطور الجانب الكيفي أيضاً بصورة كبيرة. ومن هنا يمكن إدراك وفهم الحالة التراجعية التي حصلت بسبب الظلم والعدوان.

### إعادة بناء حوزة النجف الأشرف

ولذا يحتاج هذا الوضع المأساوي والاستثنائي من المتصددين لشؤون الحوزة العلمية، والمهتمين بها، والحريصين عليها إلى عمل جاد وواسع، وهو من الواجبات الشرعية، والأخلاقية، والإنسانية، والثقافية المهمة والكبيرة، وذلك من خلال بعض الخطوات التي تعيد بناء الحوزة العلمية في النجف الأشرف ولو بلحاظ المستقبل، ومن هذه الخطوات:

#### الخطوة الأولى: رعاية الحوزة في المهجر

إن الاهتمام الخاص بالكيان المبارك للحوزة العراقية في بلاد المهجر، وخصوصاً في مدينة قم المقدسة، خطوة مهمة لإعادة فاعلية حوزة النجف الأشرف، فالعراقيون في المهجر تمكنوا أن يستوعبوا ظروف الهجرة وتأثيراتها، ويكونوا لأنفسهم وجوداً كبيراً في حوزة قم المقدسة التي أصبحت الآن الحوزة الأم والعظمى في تشكيلاتها وقدراتها.

والحوزة العراقية في قم المقدسة بمجتهديها، وأساتذتها، وطلابها، وباحثيها، ومؤلفيها، وكتابتها تأتي بالدرجة الثانية بعد الحوزة الإيرانية من حيث الكم



والكيف<sup>(١)</sup>، فلا توجد الآن مؤسسة من مؤسسات البحث أو التحقيق أو التأليف والنشر أو مؤسسات العطاء الثقافي والفكري، إلا وللحوزة العراقية مساهمة فيها، فضلاً عن المساهمات داخل حوزة قم المقدسة، والمساهمات الأخرى على مستوى التبليغ ونشر الرسائل الإلهية.

### الخطوة الثانية: تطوير المدارس الحوزوية

إن أحد الخطوات المهمة، التي قام بها بعض العلماء العراقيين في قم المقدسة المهتمين بالحوزة العلمية هو تأسيس المدارس العلمية الحوزوية<sup>(٢)</sup>؛

(١) أقول هذا عن دقة ناتجة من علم، وهذا ما يعترف به بعض السادة الأفاضل العلماء في حوزة قم المقدسة.

فبالأمس كان المسؤول عن شؤون الحوزات غير الإيرانية في المركز العالمي الإسلامي يقول: إن الحوزة العراقية الآن هي الأولى بين الحوزات غير الإيرانية من حيث كمها وكيفها، ولعل الجانب الكيفي يغلب على الجانب الكمي. منه قاري.

(٢) منذ هجرة وتهجير علماء، وفضلاء، وطلاب الحوزة العلمية من العراق إلى إيران، بادرت ثلة منهم إلى تأسيس المدارس الحوزوية في قم المقدسة؛ للاستمرار في المشوار العلمي، ولتلبية حاجة الساحة، حيث إن أعداد العراقيين المهاجرين والمهجرين كانت تزداد مع مرور الأيام، خصوصاً بعد الانتفاضة الشعبانية، والمدارس هي:

١. مدرسة الإمام الهادي عليه السلام، وهي أقدم مدرسة عراقية في قم المقدسة.

٢. مدرسة الشهيد الصدر قده.

٣. مدرسة دار الحكمة. وهي المدرسة التي أسسها السيد شهيد الخراب قده.

٤. مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام. وقد قال عنها شهيد الخراب في إحدى زيارته لها: «أبارك هذا الانتساب والانتماء والعمل الجاد في هذه المدرسة الشريفة، الذي يمكن أن يعتبر عملاً نموذجياً ومثالياً في حركة مدارس الحوزة العلمية في هذا العصر».

٥. معهد الإمام الرضا عليه السلام.

٦. مدرسة الهجرة.

لتقوم بمسؤوليتها في بناء الطالب معرفياً وروحياً، وخدمته ورعايته، وتهيئة الظروف المناسبة له، من مكان، وأساتذة، ورعاية علمية أخرى، وجعله نواة صالحة لرفد الكيان العام للحوزة العلمية، وبالخصوص حوزة النجف الأشرف التي تتعرض للانحيار، وتبعاً لذلك انحيار الحالة الثقافية الدينية في العراق، الذي له خصوصيات مهمة وكبيرة، فهو مهد التشيع، ومنه انطلق الإسلام الأصيل، المتمثل بمذهب أهل البيت عليهم السلام إلى أنحاء المعمورة، وبلد الأئمة الأطهار عليهم السلام، حيث يضم ستة من مراقدهم الطاهرة عليهم السلام، كما يضم أعرق حوزة علمية عرفها أتباع أهل البيت عليهم السلام. مضافاً إلى موقعه الاستراتيجي، وثرواته الاقتصادية الكبيرة جداً، ودوره المستقبلي المهم الذي سيلعبه عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

إن هذه الخصوصيات، وغيرها تجعل للعراق أهمية استثنائية، وللحالة الثقافية الدينية أهمية وألوية، وللحوزة العلمية - المنبع الثقافي الأصيل والمأمون الذي يمكن الأخذ منه - ومدارسها العلمية دور مهم؛ ولذا يعتبر تطوير البناء العلمي والثقافي والروحي للمدارس العلمية العراقية ضرورة ملحة، وفي ذات الوقت مهمة صعبة ومعقدة تحتاج إلى الكثير من الجهد والعمل المتواصل، والمشارك بين ثلاثة أطراف:

أولها: الإدارة بكل امتداداتها، فثمة حاجة إلى إدارة قوية، وإشراف مناسب، وتخطيط جيد، وتهيئة ظروف مناسبة لتحقيق الطموح.

٧. مدرسة السبطين عليهم السلام.

٨. مدرسة العلوم الإسلامية.

٩. مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ثانيها: الأساتذة، الذين يتحملون مسؤولية كبيرة، ويمثلون طرفاً مهماً جداً فيه.

ثالثها: الطلاب، فمجرد وجود إدارة جيدة، وأساتذة جيدين يبذلون كل جهد وكل عناء لا يكفي في تحقيق الهدف، ما لم يتحمل الطرف الثالث (الطلاب) مسؤولياتهم الكاملة تجاه تحقيق الهدف، بل قد يكونون الرقم الأهم في ذلك. فباجتماع هذه الأطراف الثلاثة يكون الأمل في تحقيق الهدف معقولاً وممكناً.

### مسؤوليات الإدارة

ولكن الإدارة بامتداداتها هي الطرف الأهم في المعادلة؛ لكونها العقل المدبر والمخطط للتطوير المنشود، وهذا يفرض أمرين:  
أحدهما: أن يكون أصل تأسيس المدرسة العلمية أو تطويرها متمثلاً بمنهج أهل البيت عليه السلام، أي: أن يكون العمل في طريق الخدمة العامة للجماعة الصالحة، وللمسلمين بصورة عامة، والبشرية بصورة أعم، وهذا هو الشيء الذي تحرك من أجله أهل البيت عليه السلام؛ لأن هذا التأسيس ليس عملية انطواء، أو تعبير عن الذات، أو عن وجود إنسان في عمل محدود يحصر نفسه فيه، بحيث يصبح وكأنه جماعة وفئة محدودة، مهما كان هذا العمل واسعاً ومهماً وصالحاً ومحققاً للأهداف الصالحة.

ومن هنا لا بد أن تتحمل الإدارة المسؤولية بنفس المسؤولية المشتركة مع كل المواقع الأخرى، لأنها جميعاً تنتسب لمدرسة أهل البيت عليه السلام، وهذا يتطلب بدوره الاهتمام بتطوير مناهج المدارس الأخرى عندما نرى أن منهجاً معيناً

هو الأفضل والأكمل، وبذات الوقت يمكن الاستفادة من مناهج المدارس الأخرى وتجربتها عندما نراها مفيدة ونافعة في حركتنا وتكاملنا.

**والآخر:** ألا يكون تأسيس مدرسة ما، مجرد مشروع تكراري لمشاريع قامت في الساحة، وإنما يكون طموح كل مدرسة قائمة أو ستقوم، هي أن تكون أسوةً وقدوةً للمدارس الأخرى.

ومهما يكن من أمر، فالإدارة تتحمل مسؤوليات مهمة في العملية التطويرية، منها:

### **الأولى: استثمار الوقت**

إن أحد الأمور المهمة في التطوير، هو الاستفادة من الوقت بأعلى درجة ممكنة؛ لأهميته في الوصول إلى الأهداف من ناحية، ولحاجة الطالب الملحة إلى التوظيف المناسب له من قبل الإدارة من ناحية أخرى.

وبكلمة أخرى: إن المناهج العلمية السابقة لم تؤخذ فيها مسألة الوقت بشكل دقيق، وإنما تُرك الأمر للطالب حسب ظروفه، كما لم تكن سابقاً أموراً تشغل الطالب غير العلم، فلا وجود للصحف، ولا وجود للتلفزيون ولا الراديو، ولا وسائل الاتصال الحديثة، وحتى الأسواق كانت محدودة، بل حتى طموحات الإنسان في الأكل والشرب واللبس كانت محدودة، وهذه الظروف بطبيعتها، تجعل الطالب متفرغاً للعلم وطلبه، فليس لديه طريق إلاّ فتح الكتاب، والكتب المحيطة به غالباً ما تكون من الكتب العلمية الخاصة التي يستفيد منها.

أما الآن فالمجالات الثقافية والإعلامية والحياتية والاجتماعية أصبحت

واسعة جداً، وبالتالي إذا لم يُنظم وقت الطالب بشكل دقيق ويُرتب بشكل منهجي صحيح يتماشى مع الأهداف، فيمكن أن يضيع الطالب وبيته في زحمة ما يحيط به، وأقلها الأمور الاجتماعية.

### الثانية: تكثيف الحصص الدراسية

ضرورة زيادة الوقت المخصص للدراسة ساعة أو ساعتين في اليوم على أقل تقدير؛ لتصعيد الحالة الدراسية، ولاتاحة الوقت الكافي لبناء الطالب، فالوقت المخصص فعلاً لدراسة طلبة الحوزة العلمية بشكل عام أربع ساعات، وهذا الرقم غير كافٍ للمراحل الأولية، التي تمثل الدراسة القاعدية، والأساس لحركة الحوزة، خصوصاً إذا أخذنا بالاعتبار أن السنة الدراسية فعلاً عبارة عن (١٢٥ - ١٢٠) يوماً تزيد أو تنقص حسب الظروف التي تمر بها الحوزة، وهذا الرقم يمثل ثلث أيام السنة، وهو رقم قليل بالنسبة للدراسات القاعدية؛ وذلك لأن أكثر المضمون العلمي في هذه المرحلة من الدراسات يحصل عليه الطالب من خلال الوقت المخصص للدرس.

نعم، قد يكون الرقم جيداً للدراسات المتقدمة؛ باعتبارها لا تعتمد في تطورها ونموها ورشدها على الأوقات والحصص المخصصة للدرس والتدريس، وإنما على حركة الطالب خارج الحصص، من مطالعات ومتابعات، فأحياناً يصرف طالب الدراسات العليا ساعات كثيرة جداً في متابعة مسألة واحدة يسمعه من الأستاذ في مدة نصف ساعة.

وقد بادرت إدارة مدرسة (دار الحكمة)<sup>(١)</sup> في تنفيذ هذه التجربة، ونجحت

(١) إن دار الحكمة في النجف الأشرف مدرسة أسسها الإمام الحكيم في أواخر أيامه، بعد أن قام بعمل

في ذلك، حيث أصبحت تدرّس ستة دروس يومياً بدل الدروس الأربعة التي تدرس في المدارس الأخرى، مع توفير الاجواء المناسبة لاحتضان التجربة الفتية.

### الثالثة: تنوع المعرفة

الاهتمام بالتنوع والتعدد المعرفي للطلاب، ففي المرحلة القاعدية من الدراسات الحوزوية تكون حاجة الطالب إلى المعرفة التصورية أكثر من التصديقية؛ لكونه مسؤولاً عنها وليس عن التصديق، فتقدم له معرفة تصورية صحيحة؛ ليكون قادراً على مواكبة المعرفة العامة في المجتمع، الذي لم يعد مجتمعاً محدوداً في إمكانياته وقدراته بعد تطور وسائل المعرفة والعلم والإعلام، وصارت في متناول الجميع، كالراديو، والتلفزيون، والصحف، والمجلات.

وتعتبر الحالة الأفقية للمعرفة قضية معقدة، وفيها الكثير من الإشكالات والعقبات، كما هناك أولويات بين ذات المعارف، وبالتالي يعتبر التوفيق بينها عملية معقدة أيضاً، ولكن على كل حال هي من القضايا، التي يجب أن

---

واسع في بناء وتحديد المدارس الدينية الموجودة في النجف الأشرف، وكان البناء في بعضها بناءً كاملاً، كما هو الحال في مدرسة (اليزدي الصغرى)، وبتحديد بناء مجموعة أخرى؛ من أجل استيعاب التطور الكبير، الذي حصل في حوزة النجف الأشرف، ثم في أواخر حياته بنى مدرسة أسماها (دار الحكمة). وقد حاولنا أن نعطي هذا الاسم لهذه المدرسة في قم المقدسة؛ باعتبار أن ظروف الهجرة فرضت علينا أن نقوم بإحياء وتحديد المشاريع، التي أسسها الصالحون من سلفنا، لأن أوضاع النجف الأشرف هي أوضاع صعبة وشديدة، ومن خلال اهتمامات بعض السادة الأفاضل والأخوة الأعزاء بهذه المدرسة، بدأت تتحول إلى مدرسة متميزة نموذجية، تمثل القدوة والأسوة لبقية المدارس. منه قس

تحظى باهتمام كبير جداً، وتتعاون حقيقي بين الإدارة، والأساتذة، والطلاب المجدين والمجتهدين الصابرين والصامدين، فبالتعاون يمكن تطبيق هذا التصور.

وأما آليات إيصال المعارف إلى الطالب، فهي كثيرة، وبطبيعتها متحركة، فيمكن الاستفادة من الأوقات التدريسية، ومن أوقات خارج حدود التدريس، كالندوة الأسبوعية<sup>(١)</sup>، فالطالب حين يُطلب منه كلمة لعدة دقائق في الندوة، فقد يستغرق منه ذلك عدة ساعات في أن يراجع المصادر ويقرأ الكثير من الكتب، وبالتالي فقد تمّ توفير فرصة له للحصول على معلومات متنوعة في عدة ساعات.

أو من خلال كتابة الأطروحات والرسائل في نهاية كل مرحلة، وحسب المستويات المختلفة.

أو تكليفه بمطالعات معينة وإدخالها كعنصر أساسي في تقييمه، أو غير ذلك مما يمكن أن يُخطط له، بحيث يرفع الطالب مجمل حركته العلمية والمعرفية إلى مستوى يكون قادراً فيه على التعايش مع المجتمع في معلوماته العامة، وقادراً على أن ينفعه، ويعطيه من تخصصاته.

(١) دأبت المدارس الدينية العراقية في قم المقدسة على إقامة ندوة إسبوعية لطلابها، لساعة ونصف أو ساعتين، حيث يتناوب طلابها على إلقاء المحاضرات، وقصائد الشعر، وفعاليات أخرى حسب ما ترتأيه إدارة المدارس. وقد تعمّد بعضها إلى استضافة شخصيات علمائية ودينية من خارج المدرسة؛ ليتحدثوا في الندوة، كما فعلت ذلك مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام، حين استضافت المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني بتاريخ ١٧/١١/١٤١٧هـ، وآية الله السيد شهيد الخراب عليه السلام مرتين، إحداهما بتاريخ ١٧/٦/١٤١٧هـ - ٣٠/١٠/١٩٩٦م، والأخرى بتاريخ ٩/٩/١٤١٨هـ - ١١/١/١٩٩٨م، والدكتور السيد خليل الطبطبائي، وغيرهم.

### الرابعة: التدريب العملي

إن الإدارة المتميزة التي تريد للطالب أن يكون نموذجياً، لا تكتفي منه بأن يكون مطلعاً على المعلومات وجامعاً لها، بل أن يكون قادراً على تقديمها للناس من خلال حديث مؤثر ومفيد، ومحسوب فيه الوقت، وخصوصيات المستمعين، والأوضاع الحياتية والسياسية والاجتماعية التي يعيشها الناس، وهذا ما يعبر عنه بـ(البلاغة)، والتي أصبح درسها - للأسف - مجمداً عملياً وواقعياً، حيث أضحى مجرد مفاهيم ومعلومات عند الإنسان، دون أن يكون لها تأثير في الحياة الواقعية.

ولذا نلاحظ بعضهم أحياناً في مقام الاختصار ينساق في الحديث، حتى يصير كلامه طويلاً ومملاً ومتعباً للمستمع، وفي مقام الإسهاب يختصر إلى حد الإخلال، وكلا الحالين خلاف البلاغة، التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال<sup>(١)</sup>.

كما أن بعضهم عندما يتحدث عن أوضاع معينة، سياسية أو اجتماعية، يكون موضوعه منفصلاً تماماً عن حياة المستمعين، وظروفهم، وأوضاعهم، فالمجتمعات الريفية، التي لا يوجد فيها السفور أو التبرج، يقف المتحدث ويطيل الحديث عن هذا الموضوع المنفصل عنهم، بينما يترك موضوعات أخرى ذات علاقة بالأوضاع السلوكية والاجتماعية المرتبطة بهم مباشرة. وهكذا مسألة تقويم اللسان في الحديث، سواء من ناحية الأخطاء النحوية أم اللغوية، أم ضبط النصوص التي يستشهد بها من الآيات الكريمة،

(١) انظر: مختصر المعاني: ١٤.



والأحاديث الشريفة، فإن بعض الذين يملكون معلومات ومواهب وقدرات جيدة يرتقون المنبر، ولكن عندما يقرأ آية كريمة قد لا يتمكن أن يضبطها، أو عندما يقرأ بيتاً من الشعر، يقرأه غير مضبوط وغير مقوم، إلى غير ذلك من الخصوصيات التي لها تأثير كبير في الحالة النفسية والروحية التي يقدمها الإنسان للآخرين<sup>(١)</sup>.

وهكذا الأمر في الكتابة، فالكتابة الجيدة تخضع لمنهج معين في العرض والأداء، وهو - المنهج - من القضايا المهمة جداً التي ترتبط بالجانب المعرفي، ويجب أن يدرّس في المرحلة القاعدية؛ ليكون البناء قوياً قادراً على التكامل والنمو مستقبلاً، وبالتالي لا بد أن تسلك الإدارة الناجحة طريقاً في التدريب العملي المكثف لطلبتها في الخطابة والكتابة بأنواعها وأصنافها؛ لأهمية ذلك، ولارتباطها بالبلاغ والتزكية.

### الدقة في طرح المعلومة

ويتفرع على هذا الاهتمام اهتمام مشترك يتقاسمه الطالب مع إدارته، وهو الاهتمام الجاد بتعليم وتعلم انتقاء المعلومة وطرحها، أي: إن طالب العلم بحاجة إلى الاهتمام البالغ في الحصول على المعلومة التي تمّ تحقيقها بشكل كامل من قبل العلماء الأعلام، واتصفت بكونها معلومة مسلّمة، وتعتبر نتيجة واضحة في مجمل الالتزامات العقائدية، والأخلاقية، والتاريخية لمذهب أهل

(١) أنا أتكلّم بهذا الكلام من خلال معاناة، فنحن لم نتمكن أن نحصل على هذا المستوى من العلم والمعرفة في بداية حياتنا العلمية؛ ولذا عندما واجهنا الحقائق والوقائع والحاجة لهذا الأمر شعرنا بالمعاناة الشديدة تجاه عدم القدرة على الاستفادة من هذه النصوص، وعدم وجود التقويم الصحيح لها. منه قائل:

البيت عليه السلام، كما هو الحال في مجال الفقه، حيث نتحدث - عادةً - عن الأحكام والمسائل الشرعية الواضحة المسلمة.

فإذا كان ثمة رأي مسلم به، فيمكن نسبته إلى علماء أتباع أهل البيت عليهم السلام، ولا ضير في ذكر الإنسان له؛ لكونه مسلماً به في الخط العام للعلماء، والمفسرين، والمؤرخين، والمتكلمين من علماء أتباع أهل البيت عليهم السلام.

ولكن عندما يكون هناك رأي أو نظرية، أو تفسير لآية كريمة أو رواية شريفة لم يتصف بما تقدم، ورأى الإنسان المصلحة في ذكره، فلا بد أن ينسبه بشكل واضح إلى صاحبه، حتى يتحمل ذلك العالم والمجتهد تبعه هذا الرأي، باعتباره مجتهداً، ومن حق أي مجتهد أن يبدي رأيه.

وأما إذا لم يكن الرأي منسوباً إلى مجتهد، وإنما هو رأي في رواية من الروايات، فلا يحسن ذكره إذا لم يكن متطابقاً مع المسلمات الواضحة المعروفة لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهذا الأمر في باب الفقه واضح، فلو رجعنا إلى الروايات الفقهية نجد: أن بعضاً منها يتضمن أحكاماً شرعية، ولكن لا يقول بها الفقهاء، بل يعرضون عنها، ولا نجد أحداً ممن يرتقي المنبر يقول: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام الحكم الفلاني، وهو موجود في رواية، وإن كان قد عمل بها بعض العلماء في أدوار سابقة، ولكن لما كانت آراء شاذة أو غريبة، حيث ينسب إلى بعض العلماء السابقين هذا الرأي أو ذلك، لا تذكر عادة.

وهكذا قضية سهو النبي صلى الله عليه وآله، التي ينسبها العلماء إلى الشيخ الصدوق<sup>(١)</sup>، مع أنه توجد روايات تتحدث عن سهو النبي صلى الله عليه وآله، ولكن لا نجد شخصاً

(١) انظر: من لا يحضره الفقيه ١: ٣٥٩.

يصعد المنبر ويقول: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال كذا، ويتحدث عن سهو النبي صلى الله عليه وآله.

وذلك لأن هذا الرأي يعتبر رأياً شاذاً غريباً، وغير مقبول في الرأي العام، فعندما يذكر فإنه يذكر بعنوان أنه رأي يقول به الشيخ الصدوق، وإن كان الصدوق من العلماء الأجلاء، وفي أعلى درجات القبول والاحترام، لكن نحترمه كعلم، وأما رأيه فنجد: أن هناك عشرات، بل مئات من العلماء لا يقبلون به<sup>(١)</sup>، وبالتالي فهو غير مقبول.

وقد يذكر المبلِّغ والخطيب بعض الروايات غير الواضحة ويضطر إلى تأويلها، وبالتالي لا يعرف الناس كيف يحملونها، على الظاهر أم على التأويل؟ فبدلاً من الدخول في مثل هذه المشكلات والمزالتق، ووضع الآخرين أمام حديث غريب، يفضّل أن تجري هذه الأبحاث في الأوساط العلمية، وأمّا الأحاديث العامة، التي تلقى إلى الناس فلا بدّ أن تلقى النتائج التي توصل إليها العلماء؛ لأنّ الناس يريدون النتيجة ولا يريدون البحث العلمي والإثارات العلمية.

ولذلك نأخذ على من يقوم بالإثارات التي توجب الرد والبدل، ونقول: أنتم من حقكم أن تناقشوا، فباب الاجتهاد والبحث العلمي مفتوح، وهو ما تميّزت به مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولكن هذا البحث العلمي ليس مكانه المنابر؛ لأنّ الناس يريدون منها أن يحصلوا على نتيجة البحث العلمي، وأمّا نفس البحث العلمي فله دوائره الخاصة.

(١) انظر: النكت الإعتقادية: ٣٧. المسلك في أصول الدين: ١٥٥. الرواشح السماوية: ١٤٢.

فالقرآن الكريم - باعتبار أنه أنزل من أجل أن يلقي على الناس - ليس فيه أبحاث علمية واستدلالات بالمعنى الذي نعرفه من الاستدلالات الفلسفية أو العلمية، وإنما هو خطاب لكل الناس؛ ولذلك يتفاعل معه الناس في كل عصر وزمان؛ لأنه يتحدث معهم ويعطيهم النتائج المنجزة الأخيرة.

ومن هنا حري بطالب العلم الذي له دور المبلِّغ أن يجتهد في التقيد بالمنهج القرآني؛ لأنه يتحمَّل مسؤولية كبيرة في تثقيف الناس وتربيتهم من الناحية العقائدية، والفقهية، والتاريخية، والأخلاقية، خصوصاً وأن المسائل العقائدية، والتاريخية، والأخلاقية، لم تبحث من قبل علمائنا بمستوى البحث الذي تمَّ في المسائل الفقهية؛ ولذلك لا تتبلور النتائج بطريقة يمكن أن تدوّن في الرسائل العملية، بخلاف المسائل الفقهية التي تمَّ بحثها بحثاً كاملاً، وحولت النتائج إلى الرسائل العملية المتداولة بين أيدي الناس، حيث يرجعون لها وإلى مراجعهم، فيعرفون الأحكام الشرعية.

صحيح أنّ بعض العلماء الماضيين قاموا ببعض الأبحاث الكلامية، والعقائدية، والتاريخية، ولكن لم تتم بالطريقة التي تمت بها الأبحاث الفقهية، فلم تعالج بنفس الأساليب العلمية الدقيقة، التي انتهت إليها النتائج في المسائل الفقهية.

ولذلك لا بدّ أن تؤخذ هذه المسائل بهذه الطريقة، وإلا فسوف يتحمَّل المبلِّغ مسؤولية شرعية أمام الله سبحانه وتعالى، عندما يقول رأياً عقائدياً قد لا يكون متطابقاً مع العقيدة الواقعية، التي جاء بها النبي ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام.

وقد ورد في الحديث الشريف: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده»<sup>(١)</sup>، فعندما يتحدث المتحدث ويستمتع له الآخرون فسيتأثرون بحديثه، ويأخذون منه، ويتفاعلون معه، وعندما يلقي المتكلم أموراً غير دقيقة في مضمونها العقائدي أو التاريخي أو الأخلاقي، فسوف يتحمل مسؤولية عبادة هؤلاء، أي: تأثرهم به واتباعهم لحديثه.

والخلاصة: إن هناك ضرورة للتدريب العملي لطلبة العلوم الدينية على الخطابة الصحيحة، والكتابة السليمة؛ ليكون حديثهم نافعاً ومؤثراً.

### الخطوة الثالثة: الجهد الاستثنائي للطلبة

قام النظام البعثي الحاكم في بغداد بالعدوان على الحوزة العلمية؛ باعتبارها تشكل القاعدة الثقافية الأساسية، والعدوان على المنابر الحسينية؛ لكونها الأداة والوسيلة الواسعة لنشر الثقافة، فالمجالس الحسينية ممنوعة في العراق، ولا يُسمح بإقامتها، وبالعدوان على كل المؤسسات الثقافية الدينية، كالمكتبات العامة، حيث أغلقها أو هدمها أو أفرغها من مضمونها وقدرتها على ممارسة دورها الثقافي، وباضطهاد الكتاب الإسلامي، حيث إن هناك أكثر من ألف عنوان من الكتب الدينية منعت من التداول، بما في ذلك الكتب التي يمتد بها الزمن إلى عشرة أو اثني عشر قرناً، ككتب الشيخ الطوسي، والصدوق، وأمثالهما من علماء الإسلام الكبار، فضلاً عن الكتب الإسلامية الحديثة المعاصرة، بل حتى الرسائل العملية للفقهاء أصبحت ممنوعة، مع أنها أحكام شرعية محضة.

(١) الكافي ٦: ٢٣٤، ح ٢٤٤.

فأنتج هذا العدوان فراغا ثقافيا كبيرا جداً في العراق، وجعله يعيش وضعاً استثنائياً على المستوى الثقافي والديني، ولما كانت الحوزة العلمية هي محور الفكر والثقافة، وطلابها هم الأذرع الأمانة في نشرهما وتنميتها، صاروا - وبالأخص العراقيين منهم في بلاد المهجر من المجاهدين المقاومين للطغيان والعدوان لنظام صدام وسياساته - يتحملون العبأ الأكبر من المسؤولية، وعليهم أن يتعاملوا مع هذه الاستثنائية ببذل جهد استثنائي في دراستهم، فأحد أساليب مواجهة هذا العدوان - بشكل واقعي وعملي وبعيداً عن الشعارات - هو التعامل باستثنائية كبيرة في إعادة بناء الحوزة العلمية، ولإعادة ما تضرر منها جرّاء العدوان عليها، وبالتالي تهيئتها - ولو مستقبلاً - لأخذ دورها الحقيقي في إعادة بناء الداخل العراقي، والدفاع عن الإسلام الأصيل في كل البقاع.

كما أن طلبة الحوزة العلمية - سواء المرتبطون بالمدارس الدينية، أم طلبة الدراسة الحرة، الذين يعتمدون في دراستهم وحركتهم العلمية على تخطيط لا مركزي، وحركة لا مركزية - مطالبون بإعداد أنفسهم إعداداً علمياً وثقافياً وسياسياً جيداً، فالمهات التي تنتظرهم بعد التغيير، الذي سيحصل في العراق<sup>(١)</sup>، كبيرة ومهمة، كتعبئة طاقات الأمة باتجاه الأهداف الإسلامية

(١) لقد تأخر سقوط النظام البعثي، وتأخره تعرضت المعارضة الإسلامية لحمالات من النقد اللاذع طال كل أطرافها، ومفاسلها وتشكيلاتها، حتى اتهمت بأنها لم تحقق أيّ نجاح فعلي في مجابهة النظام البعثي. إنّ هذا الحكم غير صحيح؛ لأننا نعتقد: أننا حققنا إنجازات عظيمة، وأقصد هنا: المعارضة الإسلامية، لا المعارضة الوهمية الخيالية، المعارضة العراقية خيطان:

أحدهما: أصبح ورقة بيد الغرب . لسبب أو لآخر . يستخدمها للضغط على النظام لتحقيق مصالحه، فالغرب يريد أوراقاً متعددة، فيستخدم مجلس الأمن، والقوة العسكرية، وبعض دول الخليج، وكذلك بعض

## العليا، وتعليم الناس أحكام الشريعة الإسلامية المقدسة، ونشر الأخلاق

أطراف المعارضة العراقية.

والآخر: المعارضة الإسلامية، وهي التي تقف إلى جانب الشعب في محنته.

وأهم الإنجازات التي حققتها المعارضة الإسلامية، أنها أسقطت أطروحة البعث في العراق، فللبعث أطروحة كان يُراد منها مسخ هوية الشعب العراقي، وانتمائه إلى الإسلام، ومن عاش في السجون يعرف الأساليب التي استخدمها البعثيون؛ ليحققوا هذا المسخ.

فمن خلال العمل الكبير الذي قامت به القوى الإسلامية، والتضحيات العظيمة، والصمود والصبر تمكنت أن تثبت الهوية للشعب العراقي، بحيث اضطر النظام إلى أن يتعامل مع هذه الحقيقة، فصدّام حسين، الذي تجرأ أن يحكم على كل داعية وعامل للإسلام سياسياً بالقتل، ثم يقتل بهذا الحكم عشرات الآلاف من الناس في العراق، يضطر الآن؛ من أجل احتواء الحالة الإسلامية، والهيمنة على قضية الهوية الثابتة للمتدينين، أن يتحدث عن الحملة الإيمانية، حيث قام بحملة أسمائها بهذا الاسم، وشجع بعض المظاهر العامة، وبث البرامج التلفزيونية والإذاعية، واستغل بعض المأجورين لخدمة أغراضه، وقام بالإشراف على هذه الحملة نائبه (عزت الدوري).

وعندما جاء وفد النظام العراقي إلى مؤتمر القمة الإسلامي المنعقد في طهران عام ١٩٩٧م كان يحمل خطاب صدام في صفحتين، ويتحدث وفيه وكأنه أحد طلبة الحوزة العلمية، من حيث الاستشهاد بالآيات القرآنية، ولو أن المضمون كان سخيفاً، لكنه حاول أن يعبر عن التظاهر بالإسلام في هذا الخطاب. إلى غير ذلك من المظاهر التي صارت الآن توجه الشعب العراقي إلى الإسلام.

والانتفاضة الشعبانية العظيمة، التي حصلت في العراق أمر عظيم جداً، حيث كان الناس بمهذه الحالة من الوعي والاستعداد لمنازلة النظام، فيقاتلون ويضحون ويقدمون أنفسهم شهداء، ويستمررون في هذا الطريق، فمن الذي قام به؟

لقد كان وراء ذلك . بعد الله سبحانه وتعالى . دماء الشهداء، والتضحيات، وصمود القوى الإسلامية، فكيف يمكن أن يطلق بعضهم أحكاماً جاهزة، ويقول: لم يتحقق أي نجاح فعلي؟ إن من إنجازات المعارضة المهمة وبالخصوص الإسلامية منها، توحيد كلمتها من خلال مجموعة من الخطوات، وهي:

**الخطوة الأولى:** إيجاد الإطار السياسي الإسلامي، الذي يجمع القوى الإسلامية السياسية العراقية، وهذا الإطار يتمثل بالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وهو يضم في الوقت الحاضر مجموعة من القوى الإسلامية السياسية، ويفتح. أيضاً. على القوى السياسية الأخرى.

## الفاضلة، والثقافة الإسلامية الأصيلة، وتوعية الناس لمواجهة المؤامرات

**الخطوة الثانية:** إيجاد لجان واجتماعات للهيئات التنسيقية لكل القوى الإسلامية في الساحة العراقية، ومن خلال ذلك يتم تداول القضايا المهمة، وتُتخذ بشأنها القرارات المناسبة.

**الخطوة الثالثة:** التوجه لتوحيد العمل والجهد الميداني في مواجهة النظام في داخل العراق، حيث نجد: أن القوى المجاهدة، بالرغم من تعدد تشكيلاتها السياسية، والعسكرية تقف صفاً واحداً في مواجهة النظام، ويشترك بعضها مع بعضها الآخر، ويساعده في مقاتلة هذا النظام، نتيجة لهذه الخطوة المهمة والكبيرة التي عملنا على تثبيتها في ساحتنا الإسلامية العراقية، وهي خطوة توحيد الجهد الميداني.

مضافاً إلى ذلك أن الساحة الإسلامية العراقية من الساحات السياسية المتميزة في وحدتها السياسية، حيث نجد بين القوى السياسية العاملة في هذه الساحة علاقات وثيقة، من: التزاور، والاجتماع، والاهتمام المشترك، والتداول في مختلف القضايا.

وإذا أردنا أن نقيس هذه الساحة بالساحات الأخرى، سواء الإسلامية أم غيرها، نجد: أن هناك فرقاً واسعاً وكبيراً بين ساحتنا الإسلامية العراقية، وغيرها من الساحات.

ففي الساحة الكردية أو الفلسطينية أو الأفغانية نجد: أن العلاقات تصل إلى حد الاقتتال، مع أنها ساحات مهمة جداً، ولديها أهداف كبيرة مهمة. أما في ساحتنا العراقية . والله الحمد . نجد علاقات المحبة والتزاور والاجتماعات المشتركة، والاتتلاف والتشاور في مختلف القضايا، فضلاً عن تلك القضايا التي ذكرتها.

إن مسألة سقوط النظام ليست بسيطة جداً كما يتصورها بعضهم، ونحن نتمنى في كل لحظة أن يسقط النظام، خصوصاً بعد التضحيات الكبيرة، والدماء الغزيرة التي سالت، ولكن إذا أردنا الرجوع إلى تاريخ النظام، نجد أنه نظام فتي وليس هرمياً، ويرتكز على دعائم قوية من الناحية المادية، وفي فترة من الفترات كان يحصل على الدعم العالمي، فالصين كانت تقف إلى جانبه، وكذلك الاتحاد السوفيتي، وأمريكا، وأوروبا الغربية، والهند، ودول المنطقة، والدول العربية، والإسلامية، ومنها: باكستان، وتركيا.

وأفضل شاهد على هذا، هو قائمة ديون النظام في تلك الفترة، حيث إنه استدان من كل دول العالم، حتى من الدول الفقيرة، كالأردن، الذي أصبح دائناً لنظام صدام (بمليار دولار)، والهند . التي يموت الناس فيها جوعاً . أصبحت دائنةً لصدام (بثلاثة مليارات ونصف المليار دولار)، ويوغسلافيا . التي هي دولة ممزقة وفقيرة وعملتها سقطت مثل ما سقط الدينار العراقي . أصبحت دائنة لنظام صدام بحوالي (أربعة مليارات دولار)، وهكذا فرنسا الدائنة بمبلغ (خمسة وعشرين مليار فرنك)، وروسيا (بثني عشر مليار دولار)، وهذه كلها مساعدات كانت توافيه خلال الحرب مع إيران.

فالنظام كانت عنده هذه القوة والقدرة، والآن انتهى إلى أن جاءت نفس أمريكا وضربته، وعندما ننظر



ومحاولات التضليل والتشويه وصرف الأذهان عن الحقائق، التي يقوم بها أعداء الإسلام.

فقد يتخذ بعض الساسة مواقف ليس فيها ذلك الوضوح تجاه أمر ما لسبب من الأسباب، أو لمصلحة سياسية تقتضي ألا يكون الموقف واضحاً بدرجة كاملة، لكن الحوزة العلمية باعتبارها الحارس الأمين على مبادئ الإسلام، وصاحبة المبادئ والعقائد والمواقف الصامدة الثابتة الأصيلة المستقيمة، ينبغي أن تكون هي صاحبة المبادرات في هذا الجانب، ومخاطبة الأمة، وإيضاح المواقف لها، وبالتالي توعيتها وتحذيرها وحمايتها من كل مؤامرة.

إن المهام الفعلية أو المستقبلية الملقاة على عاتق طلبة الحوزة العراقيين منهم بالتحديد تفرض عليهم أن يبذلوا جهوداً كبيرة تتناسب مع حجم التحدي

بشكل دقيق نرى: أن هذه ضربة إلهية ببركة دماء الشهداء، والتضحيات، ولدينا حساب يؤكد: أن سلسلة الأحداث وترايط بعضها مع بعض، من صمود الشعب العراقي، وما قامت به القوى الإسلامية من عمل متواصل، وضعت النظام في الزاوية الحرجة، التي أدت به إلى القيام بغزو الكويت، الذي أدى به إلى أن توجه له الضربة المدمرة عام ١٩٩١م، ولا زال محاصراً بسبب هذا الموقف.

فلولا وقوف الشعب العراقي، والقوى الإسلامية، التي ثبتت على هذا الموقف وصمدت، ولم تتنازل أمام الضغوط، من القتل والإرهاب الذي مارسه النظام، كان يمكن للنظام العراقي أن يصبح مثل نظام كوبا، التي لم تتمكن أمريكا أن تفرض عليها لجان تفتيش أو تنازلات، ولم تتمكن أن تأخذ من أموالها، لكن موقف الشعب العراقي يجعل النظام البعثي يشعر دائماً بحالة خوف من الشعب، فيقدم تنازلات للآخرين، من أجل أن يحفظ نفسه في مقابل الشعب العراقي.

فقضية إسقاط النظام تحتاج إلى عمل متواصل وطويل؛ لأن وراءه مثل هذه الخلفية الكبيرة، ورسول الله ﷺ على عظمته لم يتمكن من إسقاط قريش إلا بعد عشرين سنة من الدعوة، فالقضاء على مثل هذه الأنظمة الفتية يحتاج إلى وقت كبير. منه قريش. كان حديثه ﷺ بتاريخ ١٣١٨/٩/٩ هـ. ١١/١١/١٩٩٨م.

الذي وضعنا أمامه العدو، وأن يواجهوه بحزم وقوة عملية وواقعية بعيدة عن الشعارات الثورية؛ لإعادة بناء ما تهدم من حوزة النجف الأشرف، وإرجاعها إلى حيث كانت.

### الخطوة الرابعة: بث روح التفاؤل

إن من أهم عوامل نجاح أي مشروع، هو بث روح التفاؤل بين أفرادهِ وجمهورهِ؛ لأنه لا يأس من روح الله تعالى المتفرد بالقدرة الحقيقية المطلقة، ولا يأس من رحمته ونصره؛ ولذا لا ينبغي للإنسان الرسالي في أي ميدان من ميادين الحياة أن ييأس ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

بل لا بدّ - دائماً - أن يكون مسلماً أمره الله سبحانه وتعالى، وقائماً بوظائفه وواجباته، ومنتظراً النصر الإلهي ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالانتظار مفردة أخلاقية ثابتة ومتأصلة في حياة ووجود أتباع أهل البيت عليهم السلام، فقد مضى على غيبة الإمام المهدي عليه السلام أكثر من اثني عشر قرناً، ومع ذلك لم ييأس أتباعه ومحبه والمعتقدون بوجوده الشريف؛ ولذا لا يصح - بأيّ شكل من الأشكال - أن يطرأ اليأس، ويتسرب القنوط إلى النفس، فعندما يصبر الإنسان، ويصمد، ويستمر في طريقه القويم، يتفضل الله عليه بالنصر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* إِذْ

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) يوسف: ١١٠.

تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ \* بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ \* وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾.

فمع الصبر والتقوى يُنزل الله سبحانه وتعالى على المؤمنين نصره، سواء نزل الملائكة أم لم ينزلوا، وسواء كانت هناك عدة وعدد أم لا؛ ليفرحوا وتدخل البشري إلى قلوبهم، وتطمئن أفئدتهم.

فنحن نحتاج إلى الصبر والصمود، وفي الوقت نفسه، إلى التقوى والالتزام بحكم الله وحدوده ووظائفه الشرعية؛ ليكون صبراً في سبيله تعالى، لا صبراً في سبيل جاه، أو مقام، أو مال، أو انتقام، أو أي شيء آخر من الأمور التي ترتبط بالحالة النفسية للإنسان، أو صبراً من أجل الدنيا ومطامحها.

وقد صبرت وصمدت الحوزة العلمية في النجف الأشرف طوال كل هذه السنوات، وهذا ما يجعلنا متفائلين جداً بمستقبلها الذي سيكون مستقبلاً زاهراً يبشر بكل خير، وسيكون لها - كما للحوزات الأخرى في العالم الإسلامي - الدور العظيم في تقوية محورية الإسلام، وبعث الروح المعنوية لدى الأمة الإسلامية.

(١) آل عمران: ١٢٤-١٢٦.



القسم الأول

رؤى عن الحوزة العلميّة

الفصل الخامس

الحوزة العلميّة والهجرة السياسيّة



القضية السياسية، حركة إلهية ربانية إسلامية، يُراد منها: إبلاغ الرسائل السماوية، فهي أفضل عمل - حين يكون ضمن الضوابط والالتزامات الشرعية التي وضعها الله سبحانه وتعالى - عند الله يمكن أن يقوم به الإنسان. وقد جسد ذلك رسول الله ﷺ، الذي هو أسوة وقدوة للمسلمين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup>، وجسده أيضاً أمير المؤمنين ع<sup>(عليه السلام)</sup>، والأئمة الطاهرون ع<sup>(عليهم السلام)</sup> من بعده.

وبهذا ندرك أن الحركة السياسية - التي هي جزء أساسي من القضية الاجتماعية - ليست عبارة عن كذب وخداع وبهتان والأعيب، وغير ذلك مما يمارسه بعض الساسة، أو أولئك الذين لا يفهمون معنى السياسة في الإسلام، فيفقدون أنفسهم عندما يدخلون العمل السياسي، ويتحولون إلى مخادعين وكذابين، وبالتالي يسقطون في مستنقع النفاق. وإنما هي عمل يمكن أن يتقرب به المؤمن إلى الله تعالى، ويحصل بسببه على الأجر الإلهي في الدنيا والآخرة.

## الحوزة العلمية والعمل السياسي

ولذا نلاحظ أن الحوزة العلمية لم تتخلَّ عن تحمل مسؤولياتها ذات الطابع الديني، أو الأخلاقي، أو الاجتماعي يوماً ما، فمسارها في طلب العلم الجاد والوصول إلى المعرفة كان يقترن بالموقف الحق في اللحظات والظروف

(١) الأحزاب: ٢١.

الصعبة التي كان يمر بها المسلمون، والتضححية والفداء من أجل هذا الموقف؛ اقتداءً بالأنبياء، والأولياء، والأوصياء، وكل الربانيين والأحبار، الذين لم يكن الهدف من وجودهم عليهم السلام العلم فحسب، وإنما بما هو طريق إلى خشية الله سبحانه وتعالى، وتحقيق الأهداف التي وضعها أمام الإنسان والبشرية. فالزهراء عليها السلام وإن كانت عالمة غير معلّمة، لكنها لم تكتفِ بعلمها، حين تطلّب الأمر منها أن تقف موقفاً واضحاً؛ لكشف الحقيقة وتثبيتها عندما حاول الآخرون كتمانها وحجبها، أو التلاعب فيها وتشويه صورتها، وبذلت من أجل ذلك كل ما تملك، وبالتالي كان موقفها عليها السلام أول موقف شجاع وواضح بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولولا موقفها عليها السلام وتضحياتها الجسيمة، لما أمكن أن تكون الحقائق واضحة وناصعة بعد مرور أربعة عشر قرناً من الزمن<sup>(١)</sup>.

والحوزة العلمية وريثة خط الزهراء عليها السلام، ووريثة مواقف أبيها صلى الله عليه وآله، وتضحيات أهل بيته عليهم السلام؛ ولذا كان المجرى والاتجاه العام لها يتمثل بثلاث حقائق، وهي: طلب العلم والمعرفة الإسلامية، والوقوف إلى جانب الحق، والتضححية من أجله.

## موقع الحوزة العلمية من العمل السياسي

إن موقع الحوزة العلمية في النظرية الإسلامية، ولا سيما في رؤية أهل البيت عليهم السلام - التي تعبّر عن الرأي الإسلامي الأصيل - يأتي في الدرجة الثانية

(١) انظر: الزهراء عليها السلام، أهداف، مواقف، نتائج: ٨٣ - ١٢١.



- على ما يبدو - من حيث الأهمية في سلسلة المؤسسات والكيانات بعد الدولة الإسلامية. وفي غياب الدولة الإسلامية تأخذ الحوزة العلمية موقع الدولة في إدارة المجتمع والأمة الإسلامية، والتعامل مع ظروفها حسب إمكاناتها وقدراتها المتيسرة.

إن هذه الرؤية لهذا الموقع الحساس من الضروري جداً أن تكون واضحة لدى أوساط طلاب العلوم الدينية، والمؤسسات ذات العلاقة بها<sup>(١)</sup>، كما لا بدّ أن تكون للتشكيلات والحركات السياسية الإسلامية في الساحة الإسلامية الشيعية رؤية واضحة، تنطلق من القرآن الكريم والسنة الشريفة تجاه المرجعية الدينية والحوزة العلمية.

لأن الحوزة العلمية تمثل أبعاداً مهمة للحركات الإسلامية السياسية<sup>(٢)</sup>،

وهي:

(١) وفي هذا المجال أود أن أشير: إلى ضرورة أن يكون هذا الموضوع من موضوعات البحث والتداول في أوساط فضلاء الحوزة العلمية وعلمائها، كما هو حال تفاصيل الشريعة الإسلامية التي هي موضع بحثهم وتداولهم، ومجالسهم العلمية، ولقاءاتهم، فالعلماء حين يلتقون يطرحون الموضوعات العلمية ويتداولونها، وإن كان المجلس في نفسه لم يعقد من أجل البحث، ولكن العالم عندما يلتقي بعالم آخر تكون القضية العلمية حاضرة بينهم، والعنوان المتقدم لا بدّ أن يكون من الموضوعات المهمة التي تطرح؛ لكي تصبح واضحة المعالم من خلال البحث العلمي، والدليل والبرهان، والنص الشرعي الذي يؤكد هذا المضمون. **منهذات**.

(٢) سأحاول طرح المبادئ والأفكار مجردة عن أدلتها التفصيلية؛ لأن هذا البحث يحتاج إلى وقت طويل إذا أردنا دعمه بالأدلة التفصيلية؛ ولذا أكتفي بمقدار ما تكوّن في ذهني طيلة المدة السابقة من العمل والبحث والتصور، وأعتقد أن هذا هو الشيء الصحيح الذي يمكن أن يدعيه الإنسان تجاه النظرة والموقف العام للحوزة العلمية. **منهذات**.

## ١. البعد العقائدي

إن الحركة السياسية الإسلامية تعتمد في عقيدتها على فكرة الإمامة، والحوزة العلمية تمثل امتداداً لهذه الفكرة<sup>(١)</sup>، حيث إن الإمامة بالأصل للنبي ﷺ، ومن بعده لأوصيائه الأئمة المعصومين من أهل بيته ﷺ، والفقهاء هم نواب عامون لهم ﷺ.

والحوزة العلمية بكيانها المتعدد الأطراف، هي المؤسسة التي يتخرج منها النواب العامون الشرعيون، والذراع الذي يتحركون - النواب - من خلاله في الأمة والمجتمع، كما أن هذه المؤسسة تمثل الأجهزة والتشكيلات التي تعتمد عليها الإمامة والنيابة.

## ٢. البعد التاريخي

تمثل الحوزة العلمية بعمقها الزمني الجذر التاريخي للحركة السياسية. والبعد التاريخي في كل حركة سياسية - مهما كانت شريفة وراقية ومتكاملة في خصائصها، ومضمونها، ومصادرها، ونقائها - يمثل قضية مهمة جداً؛ لأن التاريخ هو الجذر وعنصر الثبات لها من ناحية، ويمثل وضوحاً في قدرتها على التعايش مع الفطرة الإنسانية، وقدرتها على حل المشكلات الإنسانية، والانسجام مع المجتمع الإنساني من ناحية أخرى.

وهذا بخلاف ما يطرحه بعضهم، من أن لا قيمة ولا أهمية للتاريخ الذي تتحدثون عنه، فالتاريخ حقب زمنية انتهت بالنظر إلى الحاضر والتطلع

(١) راجع صفحة ٧٣ (المسؤوليات) من هذا الكتاب.

للمستقبل، فإذا كان الحاضر نقياً صحيحاً أصيلاً له علاقة بالله سبحانه وتعالى، فلا تبقى أهمية للحديث عن الماضي، ولا دور حقيقياً يبقى له. ولكن هذا الطرح غير صحيح، بدليل: أن الرسالة الخاتمة مع أنها أفضل رسالة موحة من الله تعالى عرفها تاريخ البشرية، وجاء بها أفضل الأنبياء وسيدهم، وأن القرآن الكريم معجزتها الخالدة، والدليل الدائم المستمر على صحتها، ومع ذلك نسبت نفسها للتاريخ الإلهي، والرسالات السماوية السابقة، كارتباطها بإبراهيم عليه السلام؛ وذلك لكي تصبح رسالة تمثل الشجرة الطيبة، التي لا بد لها من جذور متأصلة في عمق التاريخ؛ لتكون قادرة على الثبات، والاستمرار، والبقاء، فالحوزة العلمية في حركتنا السياسية تمثل هذا التاريخ المتجذر، كما عبّر عنه الإمام الخميني قدس سره في شعار: (ولاية الفقيه امتداد لحركة الأنبياء)، حيث أراد بذلك: أن يعطي هذا الجذر التاريخي لقضية الولاية.

وعندما نتحدث عن الحركة السياسية لا نتحدث عن مقطع زمني معين، يحدد بالسنين والعقود، وإن كانت حياة المؤمن محدودة، وبالتالي يكون تصديه مؤطراً بالسنين والعقود؛ لأن البعد التاريخي في حركته السياسية يرتبط بحركة الحوزة العلمية كلها، منذ تأسيسها على يد النبي صلى الله عليه وآله إلى أن أصبحت تمثل النيابة العامة للإمامة في حركتها.

ولذلك لا بد للحركة السياسية أن تعبر في عملها السياسي عن حقيقة هذا الجذر التاريخي، في شعاراته، ومفاهيمه، وانتهاه، وطبيعة حركته، وفي كل خصوصياته، وإلا سيبقى الانتها مجرد ادعاء.

ولا بد أيضاً أن تكون الحوزة العلمية، هي القاعدة المركزية في تنفيذ

الحركة والنشاط والعمل، الذي يمكن أن تقوم به الحركة السياسية للوصول إلى أهدافها وغاياتها، التي وضعها الله تعالى أمامها.

ومن هنا يمكن أن نفهم آية النفر التي جاءت في سياق آيات الجهاد، حيث يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾، ثم يشير القرآن الكريم إلى معالم هذا الجهاد بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يُغَيِّظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا﴾، ثم يقول: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾.

وفي هذا الإطار طرحت الحوزة العلمية، ووضعت كأداة من أدوات تحقيق هذا الغرض؛ ولذلك جاءت الصيغة بهذا الشكل: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَر...﴾<sup>(١)</sup>، أي: على المؤمنين ألا ينفروا للجهاد في سبيل الله جميعاً، بل عليهم - من أجل تحقيق هذه الأهداف - نفر آخر، وهو النفر للتفقه في الدين، ومن ثم هداية الناس وإرشادهم وتحذيرهم؛ ليصلوا إلى أهدافهم.

فالحوزة العلمية تمثل أداة أساسية ومهمة للوصول إلى هذه الأهداف من الناحية العملية، ولا يمكن افتراض أن الأهداف المشار إليها يمكن الوصول إليها، والحوزة العلمية على هامش العمل، أو لا يكون لها دور رئيسي فيه.

### ٣. بعد الولاء

الولاء ترجمة لمفهومي (التولي) و(التبري)، والإطار السياسي يمثل محوره

(١) التوبة: ١٢٠ - ١٢٢.

في العمل؛ ولذلك لا بدّ أن يتم النشاط السياسي من خلال الحوزة العلمية وفي إطارها.

### محور الولاء وأطرافه

وهذا الأمر ليس بدعاً ولا غريباً، فإذا لاحظنا الساحة الدولية، نجد عندما تكون الحكومة ملكية يكون محور الولاء فيها (الملك)، فهو الإطار السياسي للمملكة.

وعندما تكون الحكومة جمهورية، يكون محور الولاء فيها (الشعب)، وما يرتبط به وبمصالحه، أو أهوائه وشهوته ورغباته، حسب المفاهيم التي تُطرح في هذه الحكومة الشعبية.

وعندما تكون الحكومة ديكتاتورية، يكون محور الولاء فيها (الدكتاتور)، الذي يُجعل دائماً الإطار السياسي في حركة هذه الجماعة، كما هو الحال في نظام صدام في العراق، فالولاء في هذا النظام إنما هو لهذا الدكتاتور؛ لذلك يكون الإطار السياسي مرتبطاً به.

وعندما تكون الحكومة حكومة الحزب الواحد، كما في النظرية الماركسية، التي تعتبر الولاء للطبقة، والحزب يعبر عن وجودها، ومن ثم يكون الحزب هو الحاكم بحسب التسلسل يصبح (الحزب) محور الولاء السياسي في هذه الجماعة، ويكون هو الإطار السياسي الذي تتحرك فيه الأمة.

وفي النظرية الإسلامية السياسية يكون محوره الله تبارك وتعالى، وتكون الأمة، وهم: المؤمنون الذين يتحركون ويعملون، طرفاً منه؛ لأن العمل السياسي ليس مجرد نشاط يقوم به الإنسان في حركته، بل هو - في واقعه -

نشاط يكون في إطار عهد وميثاق بين الإنسان وبين الله سبحانه وتعالى، وقد أوضح القرآن الكريم هذا العقد والعهد والميثاق.

وهناك محور آخر، كما يذكر القرآن الكريم، يكون ولاؤه في طول الولاء لله، وهو النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، ثم هناك محور ثالث من محاور الولاء، يمثل امتداداً للثاني والأول، وهم المؤمنون، الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، ويُشخّص الولي بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٣)</sup>، باعتباره أول الأوصياء والأئمة، الذين وُضعوا لمحور الولاء، ويكون الامتداد لذلك في الأئمة عليهم السلام من بعده، ومن ثم يكون نوابهم هم المحور.

ويكاد يشترك كل المسلمين في محور الولاء لله سبحانه وتعالى والرسول ﷺ، وعندما نصل إلى الإمامة قد نختلف مع بعض المسلمين، فنرى ونعتقد: أن (الإمامة) هي محور الولاء، وعندما نزل من الإمامة إلى ما بعدها في الغيبة الكبرى، نجد ثمة نوعاً من الاختلاف في محور الولاء، حتى في أوساط من يعتقد بالإمامة، فقد نجد اختلافاً بين الأصوليين والأخباريين

(١) قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. الأنفال: ١.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. الأنفال: ١٣.

(٢) المائدة: ٥٥، ٥٦.

(٣) انظر: تفسير القمي ١: ١٧٠. شواهد التنزيل ١: ٢٠٩. المعجم الأوسط ٦: ٢١٨. تفسير السمرقندي ١: ٤٢٣. ٤٢٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٧٦.

- أحياناً - فيما يتعلق بهذا النوع من الفهم لقضية العمل والإطار السياسي .  
والخلاصة: نعتقد: أن الحوزة العلمية تمثل محور الولاء في الحركة السياسية،  
وأن الهوية السياسية للتشكيلات الإسلامية التي يمثلها محور الولاء للحوزة  
العلمية، لا بد أن تكون رؤيتها قائمة على: أن الحوزة العلمية لها هذا الموقع  
الخاص. وهذه هي الحركة السياسية الصحيحة التي نعتقد بها.

### وقفة قصيرة

وإذا عدنا للوراء نلاحظ أن ثلاث تيارات كانت تتحرك في الحوزة العلمية  
وفق رؤاها باتجاه العمل السياسي والاجتماعي:

الأول: تيار تصدى للشأن الاجتماعي والسياسي ضمن إطار الحوزة  
العلمية، وهو تيار مرجعيات: الإمام الحكيم، والشهيد الصدر، والإمام  
الخميني، الذي بقي في عقول الناس وقلوبهم، والذي يعبر عنه القرآن الكريم:  
﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

الثاني: تيار العزلة والانزواء والانطواء على النفس، وعدم التصدي  
لقضايا الأمة.

الثالث: تيار تصدى للعمل الاجتماعي والسياسي، ولكن خرج عن  
إطار الحوزة العلمية، حيث يرى أصحابه: أهمية التصدي للعمل السياسي  
والاجتماعي، لكنهم يفقدون القدرة على بقاءه وارتباطه بالحوزة - بسبب  
الظروف التي عاشتها الحوزة - فخرج بعضهم من إطار الحوزة العلمية إلى  
خارجها للقيام بهذا الواجب، وإن كان عمل بعضهم لم يكن نافعا، بل كان

(١) الرعد: ١٧.

مضراً ومؤذياً.

ولكن لو أن الذين كان عملهم منسجماً بشكل عام مع حركة الحوزة العلمية وأهدافها لم يخرجوا عنها في تصديهم، لكان أنفع لهم وللحالة الشيعية العامة.

## الثقافة السياسية

تشكل القضية السياسية ذات الارتباط بالشأن الإسلامي أو بوضع المسلمين بعد تحوّل العالم إلى قرية صغيرة تتفاعل في مصالحها ومشاكلها وقضاياها وعواطفها، أحد أهم الأمور التي تواجهها الحوزة العلمية كمؤسسة علمية ثقافية تربوية، ولا أقصد من ذلك: العمل السياسي، وإنما الثقافة السياسية، فثمة فرق كبير بين الثقافة السياسية، والعمل السياسي، الذي لا بدّ لطالب العلم التصدي له بنحو يتناسب مع وضعه العلمي والعمل، فأوعى الناس وأفضلهم هم الذين يمارسون العمل السياسي، مع احتفاظهم بالجانب العلمي.

إن غياب الثقافة السياسية الصحيحة القائمة على أسس علمية في كل تفاصيلها سيؤدي بنا - كحالة شيعة، أو كحوزة علمية - إلى حالة من التشويش؛ لوجود أسباب الجهل أحياناً، ولوجود السطحية في الأخذ أحياناً أخرى، ويعرضنا لفوضى فكرية، فكل الموجودين يتحدث عن الإسلام، ولكن يتصارع بعضهم مع بعضهم الآخر، ويكفر بعضهم بعضاً، بل ويتقرب إلى الله بذلك، وبالتالي هناك عمليات تسقيط للشخصيات الإسلامية، وللمجاهدين، وللكيانات السياسية الإسلامية، تحت مبررات



يحاول بعضهم جعلها شرعية بشكل أو بآخر من ناحية ثانية، ومن ناحية ثالثة سيعرضنا لفوضى مثيلة للتي واجهتها المدارس الإسلامية على مستوى الأحكام الشرعية، حين غيبت الاجتهاد، فوَقعت في التضاد والتناقض في الأحكام الشرعية، وحدثت فوضى حتمت على الحاكم - الذي لم يكن مهتماً بالإسلام - أن يقيدها بالمذاهب الأربعة، فأصبحت الأمة فرقاً وجماعات، وتمزقت دون أن يكون لها منهج واحد.

ولذلك نحن بحاجة إلى ما أُعبر عنها بـ(الثقافة السياسية)، ذات مناهج أساسية تتناولها الحوزة العلمية بصورة دقيقة وعلمية متطابقة مع منهج الاجتهاد؛ ليعرف المرء من أين يأخذ ثقافته هذه، وبذات الوقت هي خطوة صحيحة باتجاه غلق الطريق على الكثير من الذين يقصدون المصادر السقيمة للأخذ منها، كوكالات الأنباء المغرضة والمضللة<sup>(١)</sup>، والصحف والمجلات ذات الأهداف الخبيثة.

## جوانب الثقافة السياسية

ولذلك هناك حاجة إلى عدة أمور تشكّل بمجموعها الجوانب الأساسية في الثقافة السياسية، وهي:

أولاً: الحاجة إلى ثقافة أُعبر عنها بـ(العقيدة السياسية)، وذلك من ناحية فهمنا للأوضاع السياسية والاجتماعية، فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى، وبما

(١) فعندما تذيع المونتيكارلو، أو البي بي سي، أو صوت أمريكا أخباراً، تؤخذ هذه الأخبار وتُنشر في صحافتنا، وتعتبر ذات مداليل؛ وذلك بسبب السطحية في الآخذ، فإننا نلاحظ الأجهزة الإعلامية كيف تتحرك في بعض الوقائع؛ من أجل توجيه الناس باتجاه معين. منه قَلْبِي.

يتعلق بموقع الرسول ﷺ، وموقع الولاية، والمرجعية الدينية، وفي كثير من التفاصيل ذات العلاقة بالجانب العقائدي. فكل مؤمن يحتاج لعقيدة سياسية، وإلا فيمكن لأي إنسان درس العلوم الدينية أن يقف موقف المدافع عن الشيوعية<sup>(١)</sup> مثلاً.

ثانياً: الاهتمام بالبحث العلمي للمفردات الأخلاقية المرتبطة بالعمل السياسي، فأكثر ما تحتاجه الحوزة العلمية في حركتها اليومية، هو الأخلاق التي ترتبط بموقعها الهادي والمرشد.

ثالثاً: الحاجة إلى تاريخ صحيح يستند إلى الوقائع، ويعبر عن المنهج الثقافي والسياسي للعلماء الأعلام، والمرجعية الدينية، والحوزة العلمية ومواقفها وحركتها، فهناك عملية تشويه وتضليل وتدليس للتاريخ السياسي، كما حصل ذلك في الصدر الأول للإسلام، فعند قراءة التاريخ الإسلامي بشكل عام قد لا يصل القارئ للحقيقة، وقد يفسره بشكل آخر، وذات الشيء يجري الآن؛ ولذا هناك حاجة للتحقيق؛ من أجل بيان وإيضاح الحقيقة ونشرها.

رابعاً: الحاجة إلى خطاب سياسي واضح لا لبس فيه، يُستند إليه في التحرك والتحدث مع العالم<sup>(٢)</sup>؛ لأنه مع انعدام الخطاب المبرمج والقائم على أسس العقيدة السياسية الثابتة، قد يؤدي بالكثير من الناس إلى انحراف عن الإسلام بنحو من الأنحاء بعد التداخل الكبير الآن بين قضايا الدين والثقافة

(١) وقد رأيت هذا بعيني، فقد كان هناك إنسان صالح. توفي ويمكن أن استغفر له. يدافع عن الشيوعية، ولكنه بعد ذلك تراجع عن هذا الأمر، بعد أن توضحت له الحقائق، وكان هذا ناشئاً من عدم وجود العقيدة السياسية والفهم السياسي. منه قرأت.

(٢) تناول شهيد المحراب قزويني هذه الجوانب الأربعة بالتفصيل في كتابه (المنهاج الثقافي السياسي).

والسياسة.

إذاً، هناك حاجة ماسة إلى كتابة منهج في الثقافة السياسية، بحيث يدخل كعنصر أساسي في مناهج الحوزة العلمية<sup>(١)</sup>؛ لتحسين الطالب، وجعله قادراً على ممارسة دوره الحقيقي في المجتمع.

فمؤسسة الحوزة وإن كانت علمية، ولكنها كما تحتاج إلى المادة العلمية في الحكمة، والكلام، والفقه، والأصول، والرجال، والحديث، والمنطق، وغيرها، تحتاج أيضاً إلى مادة علمية سياسية، وإلى فكر سياسي مستنبط من القرآن الكريم والسنة الشريفة حاله حال باقي الأحكام الشرعية التي يتوصل لها الفقهاء؛ لأن مسألة التولي والتبري من المسائل الشرعية، التي لا يمكن التغاضي عنها أو إغفالها، وهي ترتبط بالحدث السياسي الذي لا يمكن عزله عن حياة الحوزة العلمية والأمة، حتى لو أرادت الحوزة ذلك، وصممت عليه، ووضعت خططها على الفصل بين الحركة العلمية والسياسة؛ وذلك لأن الموضوع السياسي أصبح موضوعاً متحركاً في العالم لا يمكن فصله عن الناس، والحوزة العلمية<sup>(٢)</sup>.

(١) إن بعض الكتب السياسية، التي كتبتها بحسن تدريسها في الحوزات العلمية؛ من أجل أن يكون الإنسان دائماً قريباً من الفهم الاجتماعي والسياسي للأوضاع، وذلك من قبيل: كتاب (الحكم الإسلامي)، وكتاب (الوحدة الإسلامية)، وكتاب (دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة)، وكتاب (علوم القرآن) الذي يعطي في بعض فصوله الرؤية السياسية للأحداث، وكتاب (قصص القرآن)، فإنه مفيد جداً في هذا الباب. منه قُلِّبَتْ.

(٢) من خلال تجربتي الطويلة في العمل الحوزوي والسياسي، أقول: إن القضية السياسية مفروضة علينا. ويشهد الله عليّ. وأنا أصبحت متقدماً بالسن. لولا أن تُفرض عليّ القضية السياسية بهذا المستوى من التصدي لما تصديت، وكان عملي بطريقة أخرى. وربما كنت أتصدى، ولكن ليس بهذا المستوى. منه قُلِّبَتْ.

وإلا قد يتيه طالب العلم بدون وجود رؤية ثقافية سياسية في تحليل الكثير من الظواهر التي تحدث في المجتمعات، كظاهرة (الزيارات للعتبات المقدسة) الآن في العراق<sup>(١)</sup>، وهي ظاهرة كبيرة وضخمة وليس لها نظير حتى في أيام عز المرجعية الدينية، وظاهرة الحجاب، والإقبال على صلاة الجماعة، والجمعة، والإقبال على الكتب الإسلامية، إلى غير ذلك من الظواهر الدينية. وقد يسقط طالب العلم في تفسيرها؛ لعدم وجود الرؤية والوضوح لديه في الحركة السياسية وما يتبعها من إفرازات على الساحة الثقافية، كما سقط عدد كبير جداً من شباب العراق - دون أن يشعر - في الانحراف والضلالات، من مدعي السلوكية أو المهدوية، أو إلى أولئك الذين وقعوا في التصوف أو الوهابية، فما لم تكن هناك ثقافة سياسية شاملة يفهم من خلالها الإنسان معالم طريقه وحرركته، فلا يمكنه أن يتجنب هذا الأمر.

مضافاً إلى أن التفاعل مع القضية السياسية إن كان بوعي وعلم ومعرفة فسيكون تفاعلاً إيجابياً، وبالتالي ستقوم الحوزة العلمية بدور المؤثر والموجه والقائد المحقق للأهداف الصالحة، أما عندما يكون الوعي والثقافة السياسية مفقودين فيها، فستصبح القضية معكوسة، وتكون الحوزة عندئذ في موضع الانقياد والانفعال بالمؤثرات الخارجية، وتصبح تابعة للعوامل الخارجة عنها والمؤثرة في أوضاعها.

## الرؤية الاجتماعية والسياسية

إن الرؤية الاجتماعية والسياسية الواضحة للواقع الاجتماعي تفرز

(١) كان حديث شهيد المحراب عليه السلام في ٢٤/٥/١٤١٩ هـ - ١٦/٩/١٩٩٨ م.

الأولويات وتنظيمها في عملية البلاغ - التي هي أحد أهم مهام الحوزة العلمية - وتجعلها تأخذ مداها إلى حيز التنفيذ بانسيابية، وبالتالي ستؤدي الحوزة العلمية دورها بخطوات ثابتة؛ ومن هنا لا بدّ لطالب العلم - الذي يمثل اللبنة الأساسية في بناء الحوزة العلمية - أن تكون لديه رؤية للأوضاع الاجتماعية والسياسية؛ ليكون قادراً على أداء مسؤولية البلاغ والإنذار، وإلا فسيكون معزولاً أو فاشلاً في أداء مهمته وقدرته على الوصول إلى تحقيق أهدافه الرسالية.

وانطلاقاً من هذه الأهمية، أشير إلى بعض أبعاد هذه الرؤية، كإثارات وملاحظات، وهي:

### البعد الأول: مستقبل الحوزة العلمية

تعتبر حركة الإسلام الآن حركة متنامية ومتطورة باطراد، ستنتهي إلى إقامة الحق والعدل الإلهي الكامل في الأرض على يد مهدي أهل البيت عليه السلام. وهذه الرؤية العامة، التي هي جزء من العقيدة وفهم التاريخ، لها بعض المفردات في الواقع الفعلي القائم تعبر عنها، مثل: مفردة (حوار الحضارات)<sup>(١)</sup>، ذات البعدين؛ لأنه إذا نظرنا إلى الحضارة من خلال فهم الكون والحياة، فهناك تقاطع وصراع بين الحضارات، وإذا نظرنا إليها من خلال التطور العلمي

---

(١) طرح الرئيس الإيراني السيد محمد خاتمي نظرية (حوار الحضارات) في أيلول عام ١٩٩٧م، خلال كلمة ألقاها في الجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث يرى: أن فكرة حوار الثقافات محاولة من أجل التفاهم لتفادي التصادم، وتبنى العديد من المثقفين هذه النظرية، ودعوا إلى تنمية الحوار بين العالم الإسلامي والغرب؛ ليتفهم كل طرف الآخر ويتعايش معه.

والمدني والوسائل التي توصل لها الإنسان لتطوير أساليب المعيشة، فيمكن التعبير عنها بـ(حوار الحضارات)؛ لإمكانية اتفاق الناس عليها، وتصبح قضايا مشتركة في حياتهم، مهما كان انتماءهم الحضاري في المعنى الفكري والعقائدي، ورؤيتهم للكون والحياة.

وقد اعتبرت الأمم المتحدة هذا العام<sup>(١)</sup> عالمياً عام حوار الحضارات، وعُقدت اجتماعات على إثر ذلك على المستوى العالمي لا نظير لها في التاريخ الإنساني، شاركت فيها الحوزة العلمية بصورة محدودة.

فهذه المفردة المطروحة - الآن - عالمياً تمثل حالة تقدمية في حركة الإنسان باتجاه الوصول إلى الهدف الكبير، وهو إنقاذ العالم على يد المصلح الكبير.

كما تفتح آفاقاً عريضة أمام الحوزة العلمية؛ لتبني وجودها بصورة تتمكن فيها أن تساهم بشكل حقيقي في هذا الحوار، وتحقق النصر فيه، والتقدم باتجاه الهدف الكبير، وبالتالي تصبح الحوزة العلمية المهد الحقيقي لذلك الهدف، وهو إقامة الحق والعدل المطلق على يد الإمام المهدي عليه السلام.

وهكذا مفردة (حوار الأديان)، تعبّر عن الرؤية المستقبلية للحوزة العلمية، فلأول مرة يُعقد عالمياً وبأفق واسع، حوار يسمى بـ(حوار الأديان)، بحيث شارك فيه أكثر من ألف شخصية تنتسب لمختلف الأديان الإلهية أو الوضعية<sup>(٢)</sup>.

(١) حددت الأمم المتحدة عام ٢٠٠١ م عام حوار الحضارات، وعيّنت مندوباً متخصصاً له.

(٢) ومع الأسف لم نوفق للمشاركة فيه بالرغم من أننا دُعينا له. منهذَرِيح.

فبعد توقف الحرب العراقية الإيرانية<sup>(١)</sup> وحتى الآن<sup>(٢)</sup> عقدت مؤتمرات عديدة تنطلق من هذه المفردات، بعضها في إطار الأديان كلها، وبعضها يكون الحوار ثنائياً فيها، من قبيل: المسيحية والإسلام، وبعضها ثلاثياً أو رباعياً، بحسب اختلاف المؤتمرات التي عقدت.

إن هذه الحركة الموجودة والقائمة في الواقع والمجتمع الإنساني، تعبّر عن رؤية إسلامية، فالقرآن الكريم منذ نزوله أكد على الحوار وأهميته، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup>، وهكذا أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث نجد في سيرتهم معالم واضحة لهذا النوع من الحوارات.

كما أنها تعبّر عن رؤية مستقبلية في موقف الإسلام من حوار الأديان عندما يصبح معها وجهاً لوجه، وعن مستقبل الحوزة العلمية، التي كانت محاصرة - سابقاً - نتيجة للظروف التي مرت بها.

وهكذا مفردة (الآفاق الواسعة) التي انفتحت في الألفية الثالثة، من خلال التلفزة والمذياع والإنترنت ووسائل الاتصال الأخرى، حيث إن آفاق الحديث مع الناس في كل مكان أصبح ميسوراً ومتوفراً، وهذا الإنفتاح هو الذي يفسّر الاهتمام العالمي بحوار الحضارات، والأديان.

(١) توقفت الحرب العراقية الإيرانية في ٨/٨/١٩٨٨ م.

(٢) حديث شهيد الحراب كان بتاريخ ١٤/٦/١٤٢١ هـ - ١٣/٩/٢٠٠٠ م في مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية في مدينة قم المقدسة.

(٣) آل عمران: ٦٤.

إن هذه المفردات والعشرات من أمثالها، تجعل الحوزة العلمية أمام آفاق واسعة، وتعبّر عن رؤية مستقبلية؛ ولذا يجب أن تكون هذه الرؤية جزءاً حقيقياً من حركة الحوزة العلمية.

وبذلك يشكّل هذا البعد أهمية خاصة لطالب العلم وللحوزة العلمية، ويجعلها أمام آفاق عريضة تحتم عليها إعطاء أهمية لأمر ترتبط بهذا البعد وحيثياته.

### البُعد الثاني: الهجمة الاستكبارية على الحوزة

استطاع الاستكبار العالمي في القرن التاسع عشر الميلادي من الهيمنة على العالم الإسلامي، وعلى مقدراته وثرواته، بعد الهجوم على الفكر الإسلامي، من خلال حركة الاستشراق والتبشير المسيحي، ولكن لم يكن من أهدافه الأساسية الحوزات العلمية، وإنما الدولة والخلافة الإسلامية في ذلك الوقت. أما الآن، فالحوزة العلمية أصبحت من المفردات الرئيسة التي تتعرض لهجوم الاستكبار، ولا أعني: هجوم أذنابه أو عملائه، كصدام وأمثاله في هذا البلد أو ذاك، وإنما وضع الاستكبار العالمي في مخططاته المركزية والإستراتيجية الحوزة العلمية بتشكيلاتها وفكرها ومنهجها هدفاً رئيساً في الهجوم على الإسلام.

وأحد أسباب ذلك هو النهضة الإسلامية التي دخلت العالم، من خلال الوجود المبارك للدولة الإسلامية في إيران، التي أقامت الحوزة العلمية وعلمائها، ولا زالوا يتصدون لإدارتها، ولا زالت الحوزة العلمية مركزاً



أساسياً فيها، من خلال مجلس الخبراء<sup>(١)</sup>، وموقع ولاية الفقيه، وغير ذلك. إن دخول الإسلام الآن بنهضته إلى صراع الحضارات أو حوارها كان أحد عوامله وأسبابه - حسب فهم الاستكبار - هو النهضة الإسلامية، إن لم يكن هو العامل الأول؛ ولذلك توجد هجمة واسعة جداً على مؤسسة الحوزة العلمية، سواء على مراجعها، أم على مناهجها، أم على طريقة تفكيرها، أم على عقيدتها، أم غير ذلك، وهذا ما يفسر نشوء ظواهر جديدة في الإعلام العالمي والإقليمي الآن، فقد يستغرب الإنسان أن تطرح قضية الزهراء عليها السلام - مثلاً - في الفضائيات ذات التوجهات غير الإسلامية أو غير الشيعية، ويدور الحديث عن إثباتها أو نفيها.

وهكذا قضية ولاية الفقيه التي جندوا لها جيوشاً من الإعلاميين، وهكذا المرجعية الدينية التي أصبحت مفردة يتداولها الإعلام الغربي والشرقي بشكل لم يسبق له مثيل، وغير ذلك من القضايا التي لم تكن مطروحة سابقاً. إن الالتفات إلى هذا البعد والوقوف عنده سيجعل طالب العلم يعيد ترتيب أولوياته في مسألة البلاغ والتزكية، ويجعله يعطي أهمية خاصة لأمر ترتبط بهذا البعد.

---

(١) هيئة تتكون من (٨٦ عضواً) يتم انتخابهم عن طريق اقتراع شعبي مباشر لدورة واحدة، مدتها ثمانية سنوات، وكل عضو لا بد أن يكون فقيهاً عادلاً. ومهمته تعيين وعزل قائد الثورة الإسلامية في إيران، حيث يقوم هؤلاء الأعضاء (الخبراء) باكتشاف الشخص المناسب لمنصب الولي الفقيه (قائد الثورة الإسلامية في إيران) من بين الفقهاء العدول الموحدين والمتصدين، كما يتولى المجلس في ذات الوقت الإشراف على أداء القائد.



القسم الأول

رؤى عن الحوزة العلميّة

الفصل السادس

الحركات الإصلاحية  
في الحوزة العلميّة



إن حركة الإصلاح بمعناه الواسع والشامل موجودة وقائمة في الحوزة العلمية منذ الغيبة، وحتى يومنا الحاضر، وهي أحد الجوانب المشرقة فيها، وأحد العناصر المهمة التي جعلتها تحقق الإنجازات الكبيرة، وتتطور وتفتح على العالم، ويصبح لها دور في هذا العصر.

والحركة الإصلاحية - أي حركة إصلاحية كانت - تارة: يكون وجودها من خلال المفاهيم والشعارات المطروحة من قبل أصحابها، وأخرى: يكون من خلال الجهد الواقعي المبذول في تحقيق الإصلاح خارجاً، وحجم الموقع والمسؤولية والضغط والتضحيات التي يتحملها رجل الإصلاح أو الجماعة، حيث إن طرح المفاهيم والشعارات قد يكون في بعض الظروف أمراً ميسوراً وسهلاً، خصوصاً في زمن الحريات، ولكن المهم هو تطبيق هذه المفاهيم والشعارات وتنفيذها وإنزالها إلى الواقع العملي.

## المنهج في حركة الإصلاح

إن حركة الإصلاح في الحوزات العلمية - في تقويم عام لها - سارت ضمن منهجين رئيسيين، قد يلتقيان في بعض المفردات والمصاديق، ولكنها يختلفان في المنطلقات الأساسية والتصوير العام، وهما:

**المنهج الأول:** الانطلاق بالإصلاح من النظرية الإسلامية، عقائدياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً، ومن أهدافها، ومن قضايا الأمة الأساسية المعاشة، وهمومها العامة الفعلية ذات العلاقة بتلك الرؤية، ثم بعد ذلك يتحرك الإصلاح على المفردات والمصاديق المختلفة والكثيرة، ذات العلاقة بهذه القضايا والهموم، والتي تمثل بتفاصيلها مصاديق لمعالجة وتناول تلك القضايا والهموم، وتصب في خدمة الأهداف الكلية.

وبكلمة أخرى: ينطلق هذا المنهج من الرؤية الكلية العامة، والمسؤوليات المركزية للأمة، والقضايا التي تعيشها في أيّ عصر وزمان، بحيث يرى - المنهج - ارتباط بعضها ببعضها الآخر، ويتفاعل معها، ويؤثر العمل في هذا الميدان من قضايا الأمة على الميادين الأخرى.

فالنظرة العامة لهذا المنهج تركت على أمرين:

أحدهما: النظر إلى القضايا العامة، دون الجزئية منها، ودون المفردات التفصيلية هنا وهناك.

والآخر: النظر إلى القضايا العامة بنظرة كلية شمولية، تؤمن بالترابط الموضوعي، والعلاقة التركيبية، والتأثيرات المتبادلة الإيجابية أو السلبية بين المفردات والأجزاء والمصاديق.

المنهج الثاني: الانطلاق بالإصلاح من مفردات المشاكل القائمة في المجتمع الإنساني، وتفصيلها الجزئية؛ لمعالجتها واحدة بعد الأخرى، ضمن النظام القائم والواقع المعاش، وحسب الإمكانيات الميسورة في هذا الشخص وهذه الجماعات، والأولويات في فهم المشكلة وحجمها وأهميتها في المجتمع أو دورها في الإصلاح العام.

فرواد هذا المنهج لا يطرحون - لأي سبب من الأسباب - القضية الكلية الشاملة، ولا يلتفتون إلى القضايا الأساسية الجديدة الموجودة في الأمة؛ لأن نظرتهم الإصلاحية تجزئية تنطلق من الجزئيات والمفردات، والمشاكل التي تعيشها الأمة في مختلف مجالاتها. نعم، قد ترى - في أحسن الحالات - أن إصلاح الأجزاء وضم بعضها إلى الآخر يؤدي في النهاية إلى الإصلاح العام، وهو نفس ما يستهدفه المصلحون من المنهج الأول؛ لأن مجموع أجزاء القضية هو كلها.

أو لأن الميسور من الإصلاح، هو الإصلاح الجزئي في هذه المفردة أو تلك؛ لتعذر الإصلاح العام.

ومن الواضح أن المنهجين يلتقيان في الاهتمام ببعض المفردات، إلا أنها يختلفان بصورة أساسية في منطلقات فهم عملية الإصلاح والنظرة العامة إلى الأشياء، أو التقدير للظروف السياسية والاجتماعية.

## الاتجاه في حركة الإصلاح

لقد شهدت الحوزة العلمية في تاريخها المعاصر كلاً من المنهجين، ووجد كل واحد منهما رجاله وشخصياته من الناحية الخارجية والظاهرية، التي

يمكن استكشافها من خلال السلوك والمواقف، مع قطع النظر عن الجانب الخفي، المتمثل بالنوايا أو المتبنيات العقائدية الواقعية، وبقطع النظر عن كل ذلك نجد في كل من المنهجين اتجاهين على مستوى الواقع العملي<sup>(١)</sup>:

**الاتجاه الأول:** الاتجاه الذي كان يرى: أن الإصلاح العام أو الخاص - كلياً أو تجزئياً - يمكن أن يتم عملياً ضمن إطار الحوزة العلمية، وفي داخل جهازها، من خلال مؤسساتها ونشاطاتها وامتداداتها في الأمة كمؤسسة ذات طبيعة واسعة وشمولية.

**الاتجاه الثاني:** الاتجاه الذي كان يرى: أن الأفضل في الإصلاح أن يكون خارج إطار الحوزة العلمية<sup>(٢)</sup>، سواء كان منطلقاً منها برجالها أم منطلقاً من خارجها، فهو يبدأ من وسط الأمة، ولا يكون جزءاً من الحوزة العلمية، أو يرتبط بها كمؤسسة.

وقد يشترك كل من الاتجاهين في الأهداف، وفي مجالات العمل والحركة أو في الأساليب، ولكن الخط الفاصل بينهما الذي يحدد هويتهم، هو الخط الذي يبدأ من نقطة: أيرتبط العمل الإصلاحي بالحوزة العلمية ارتباطاً عضوياً، بأن يكون مؤسسة من مؤسساتها وفي إطارها أم لا يكون كذلك؟

(١) وهذا ليس كلاماً نظرياً، وإنما سأطبقه على أمثلة خارجية معاصرة عشناها شخصياً، أو سمعناها من آبائنا تدخل في حياتنا المعاصرة. **منه فليترجم**.

(٢) قد يكون سبب ذلك اليأس من إمكان إصلاح الحوزة العلمية، فيتحول الاتجاه إلى خارجها، أو بسبب الشعور بأنّ إطار الحوزة العلمية إطار متخلف فكرياً وتنظيمياً لا يمكنه الانفتاح على الأمة والأوضاع المدنية الحديثة، أو بسبب عدم وجود الفرصة لرجل الإصلاح. لظروف خارجية. للتحرك من خلال الحوزة العلمية أو غير ذلك من الأسباب. **منه فليترجم**.



## فرضيات الإصلاح

ومن هنا سنجد أمامنا من الناحية الواقعية أربع فرضيات للإصلاح:

### الفرضية الأولى: الإصلاح الكلي في إطار الحوزة

اعتمدت هذه الفرضية على المنهج الذي ينظر إلى مشاكل الأمة نظرة كلية، وينطلق في حركته الإصلاحية من الحوزة العلمية، التي يريد لها وللمؤسساتها أن تتحول إلى إطار عام للعمل الإسلامي، يستوعب أوساط الأمة كلها تنظيمياً، ويتبنى في ذات الوقت همومها وقضاياها المصيرية؛ من أجل إصلاح المجتمع والأوضاع العامة فيه بكل مفرداتها ومصاديقها.

ولتوضيح الفرضية وبسطها أكثر؛ لفهم النظرة الكلية من ناحية، وفهم الاتجاه الذي كان يسير عليه المنهج من ناحية أخرى، يمكن ذكر بعض المعالم الرئيسة العامة لها على مستوى (الإطار)، وعلى مستوى (الأهداف والهموم والقضايا المصيرية) التي تبنتها واهتمت بها في حدود الظروف التي عشناها في العصر الحاضر، خصوصاً بعد النكسة التي أصابت حركة الإصلاح في الحوزة العلمية بعد (ثورة العشرين)<sup>(١)</sup>، وقيام ما يسمى بـ(الحكم الوطني)

(١) ثورة شعبية ضد الاحتلال البريطاني وسياسته في نقض عهوده بمنح الاستقلال للعراق، وكانت النواة الأولى للثورة هو الاجتماع الذي ضمّ شيوخ قبائل المشخاب، والشامية، والرميثة، وغيرها بالمرجع الديني الكبير الإمام الشيخ محمد تقي الحائري مع عدد مع علماء الدين في كربلاء ليلة الخامس عشر من شعبان سنة ١٣٣٨هـ، حيث تقرر اعتماد الوسائل السلمية للمطالبة باستقلال العراق، ولكن القوات البريطانية لم تستجب لهذه المطالبات، بل أوغلت في إذلال المطالبين من خلال قمع المظاهرات السلمية، واعتقال

آنذاك بنفي مراجع الدين والعلماء وإخراجهم من العراق إلى مناطق مختلفة، وبالخصوص إلى إيران<sup>(١)</sup>.

## معالم إطار الفرضية الأولى

أما على مستوى الإطار والشكل التنظيمي، فنجد أن معالمه هي: **المعلم الأول:** اعتماد نظرية (ولاية الفقيه) والحاكم الشرعي المتمثل بالمجتهد العادل الجامع للشرائط في القيادة الإسلامية، حيث كان مراجع الدين يلتزمون بهذه الولاية بمستويات مختلفة ويستندون فيها: إمّا إلى النصوص الدينية من الكتاب والسنة، أو إلى العقل ودليل الحسبة، وضرورة إقامة الحكم الإسلامي؛ حفاظاً على كرامة الدين وعزته، وعلى عقيدة المسلمين، وأنّ الفقيه يمثلّ القدر المتيقن الذي يتولى ذلك. كما أنهم كانوا يمارسون هذه الولاية والدور عملياً في حدود المجالات التي تنالها يد الفقيه وقدرته.

**المعلم الثاني:** أن المرجعية الدينية، هي الإطار الأفضل للعمل الإسلامي ونشاطاته، فهو إطار تنظيمي يعتمد على العلاقات المباشرة مع الأمة من

---

الناشطين ونفيمهم، فتأزم الوضع وتدهور حتى انفجر إلى مواجهات مسلحة انطلقت شرارتها الأولى من مدينة الرميثة في الثالث عشر من شوال عام ١٣٣٩ الموافق للثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠م. للتفاصيل انظر: الثورة العراقية الكبرى، الفصل السادس، والسابع.

(١) قامت حكومة السعدون . التي كانت تعمل تحت الانتداب البريطاني . في ٢٥ حزيران عام ١٩٢٣م باعتقال آية الله الشيخ مهدي الخالصي ونفيه خارج العراق، ثم قامت بعدها بإبعاد عشرين عالماً آخرًا، في ضمنهم المرجعان آية الله العظمى الشيخ محمد حسين النائيني، وآية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني إلى إيران، ثم أعقبتها بحركة واسعة من الاعتقالات والتضييق ضد العلماء والزعماء الذين كانوا يتعاطفون مع حركة العلماء بمقاطعة الانتخابات المزيفة التي كانت تجريها الحكومة السعدونية. للتفاصيل انظر: تاريخ الوزارات العراقية ١: ١٥٦.

ناحية، وتربية وإعداد الحواريين والمصطفين؛ ليقوموا بدور تنظيم الأمة وتوعيتها وإيجاد النوع والمستوى الآخر من العلاقات والارتباط<sup>(١)</sup> من ناحية أخرى.

**المعلم الثالث:** أن الوسط الحوزوي - بكل أصنافه - يشكّل حلقة الوصل الطبيعية الأخرى غير المباشرة بين الأمة والقيادة الإسلامية، ويمكن للمؤسسات الأخرى، كالجمعيات، والمنظمات ذات الأهداف المختلفة، القيام بهذا الدور أيضاً في أوساط معينة وتجاه أهداف محدودة.

**المعلم الرابع:** استقلالية المرجعية الدينية وأجهزتها عن الحكومات والأنظمة من ناحية، وعن التأثيرات الخارجية، سواء كانت قوى محلية، أم تنظيمات حزبية، أم غير ذلك من المؤثرات والضغوط من ناحية أخرى؛ للاحتفاظ بالقدرة على اتخاذ القرار الصحيح، والإبقاء على قدسية المرجعية ونقائها بعيداً عن الظنون والريب والشكوك.

### أهداف وهموم الفرضية الأولى

وأما على مستوى الأهداف والهوموم والقضايا المصيرية، فيمكن ملاحظة النقاط التالية:

**النقطة الأولى:** تعبئة الأمة روحياً وسياسياً للمشاركة والمساهمة الفعّالة في عملية الإصلاح العامة، فالأمة إذا أُريد لها أن تساهم، فلا بدّ أن تعبأ

(١) شرحنا طبيعة هذا التنظيم والعلاقات فيه والنظرية الإسلامية فيها في كتابنا الجماعة الصالحة، فصل التنظيم العام. منه قلائد.

انظر: دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة ١: ٢٥٣.

روحياً ومعنوياً؛ لدورها الأساسي في إيجاد الإصلاح وإحداث التغيير، فهي موضوعه وأداته، مضافاً إلى أن تعبّتها روحياً يؤدي بها إلى خروجها من عزلتها النفسية والسياسية، فالأمة في العراق فرضت عليها العزلة لأسباب عديدة، منها:

أ - التراكمات التاريخية للحكومات الجائرة المستبدة، وخصوصاً الحكم العثماني، حيث عُزلت في عهده عن العمل السياسي والاجتماعي، وأخذت تعيش حالة الأقليات في المجتمعات السياسية، التي لا ترى لها دوراً حقيقياً في العمل السياسي، وإنما هي تابعة لمتغيراته؛ وذلك لأنها كانت بعيدة عن الحكام بحسب انتماءاتها المذهبية والقومية.

مع أن شيعة أهل البيت عليهم السلام هم الأكثرية في العراق، والأكراد، هم المجموعة الثانية بعدهم، غير أن كلتا المجموعتين تمّ إقصائها عن الحالة السياسية العامة الحاكمة في العهد العثماني، خصوصاً في الأدوار الأخيرة له، التي أُدخل فيها العنصر القومي والمذهبي كقضية رئيسة في العمل السياسي، وبالتالي أصبح كلٌّ منهما بعيداً، بل في عزلة تامة عن الأوضاع السياسية العامة، باستثناء فترة قصيرة ومحدودة التقت فيها المصالح العامة للحكم العثماني مع مصالح الأمة العامة، وذلك عندما هُدد العراق بالغزو البريطاني. وأما الأقليات القومية والدينية الأخرى، ففي أحسن حالاتها كانت تفكر في تنظيم وإصلاح أوضاعها الخاصة، والتعايش الإيجابي مع الحكم والأوضاع العامة، لشعورها - عادةً - بالعجز في قدرتها على الإصلاح في المجال العام.

ب - تداعيات الإحباط الشعبي العام بعد فشل (ثورة العشرين)، فأتباع

أهل البيت عليهم السلام - وهم الأكثرية - هم الذين فجروها وقادوها؛ فكان نصيبهم: المطاردة، والنفي، والتشريد لقادتهم وعلمائهم - الذين كانوا يمارسون دور التعبئة الروحية والسياسية للأمة - والحرمان سياسياً وثقافياً واقتصادياً لجماعتهم، والإبعاد عن الإدارة والحكم والمواقع الحساسة، وذلك تحت ضغط السياسات الاستعمارية للبريطانيين ونفوذهم السياسي. وبالتالي إبقاء الأكثرية معزولة عن الأحداث القائمة في العراق، حيث كانت الأحداث السياسية تباشر من خلال القمة الحاكمة، دون أن يكون أي دور للأمة فيها.

ج- عدم وجود الرؤية السياسية الشاملة للأوضاع الاجتماعية وملاساتها وظروفها والقوى المؤثرة فيها، حيث كان التصور السائد - آنذاك - أن البديل الطبيعي للحكم الأجنبي، هو قيام حكم إسلامي وطني يضمن الحقوق الطبيعية لجميع أبناء الأمة، شيعة وسنة، وعرباً وأكراداً، وتركماناً وفرنساً، وأقليات أخرى.

ولكن العلماء عندما وجدوا أن هناك بديلاً آخر للحكم الأجنبي الكافر المباشر، هو الحكم الأجنبي غير المباشر من خلال الوصاية والمعاهدات، وبدأت تتكشف الأوضاع السياسية عن هذه البدائل الأخرى، والأهداف الخبيثة، وأساليب المكر والخداع للبريطانيين وعملائهم المحليين بدؤوا يتراجعون في حركتهم الإصلاحية.

النقطة الثانية: الاهتمام بقضايا العالم الإسلامي الكبرى، فثمة قضايا مهمة وكبرى وضعها قادة الإصلاح من العلماء ومراجع الدين أمام أعينهم وتحركوا بشأنها، منها:

أ - الاهتمام بمكافحة الهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية لقوى الكفر الدولي والاستكبار العالمي، التي كانت تنفذ مخططاً واسعاً لفرض هيمنتها على العالم الإسلامي، من خلال الشركات متعددة الجنسية، كشركة قناة السويس<sup>(١)</sup>، ومن خلال الحكومات المرتبطة بها، أو من خلال الحروب العسكرية، وقد كان العراق أحد البلدان، التي تعرضت للهيمنة العسكرية والسياسية والاقتصادية من قبل قوى الاستعمار العالمي.

ب - الاهتمام بالمحافظة على وحدة الأمة الإسلامية، أو العربية - على الأقل - سياسياً بعد محاولات الاستكبار العالمي زرع الشقاق والاختلاف والصراع بين أطرافها، فقد كانت أمة موحدة من خلال الحكم العثماني، وإن كان جزءاً منها اقتطع في القرن السابع عشر من خلال شركة الهند الشرقية<sup>(٢)</sup>، التي سيطرت على شبه القارة الهندية، ووجود الخلافات بين الدولة القاجارية<sup>(٣)</sup> والعثمانية، ولكن القسم الأكبر من العالم الإسلامي كان موحداً يخضع للدولة الإسلامية، وبعد سقوطها أصبح مجزأً ومتفرقاً إلى دويلات، حتى وصل الأمر إلى أن بريطانيا طرحت فكرة تقسيم العراق إلى ثلاثة أقسام، وإيران إلى خمسة أقسام، فضلاً عن التقسيمات الأخرى التي حصلت في مناطق أخرى.

(١) شركة فرنسية أسسها الفرنسي (مسيو دي لسبس) عام ١٨٥٨م لحفر قناة السويس.

(٢) شركة تجارية بريطانية، تأسست إثر صدور مرسوم ملكي عام ١٦٠٠م منح سلطات احتكارية للشركة على تجارة الهند وجميع مستعمرات بريطانيا في جنوب شرق آسيا لمدة ٢١ عاماً. وبهذا تحولت الشركة من مشروع تجاري إلى مؤسسة تحكم جميع الولايات الهندية وجميع مستعمرات التاج البريطاني في المنطقة بدعم سياسي وعسكري من بريطانيا.

(٣) القاجار: سلالة تركمانية من الشاهات، حكمت إيران من سنة ١٧٧٩م إلى سنة ١٩٢٥م.

ج - الاهتمام بالقضية الفلسطينية، وفلسطين أرض مباركة، فيها بعض المقدسات، وموقعها الجغرافي، الذي يربط بين جزئي العالم الإسلامي الكبير، بين آسيا وأفريقيا، يجعلها ذات أهمية خاصة وكبرى في قضايا العالم الإسلامي، فقد قام الاستكبار العالمي بمحاولة اقتطاع هذه المنطقة الحساسة من العالم الإسلامي والعربي وتغيير هويتها، لأسباب وأهداف عديدة ترتبط بالهيمنة الأجنبية، والاستضعاف للمسلمين، وفرض الإحساس على الأمة الإسلامية بالضعف والدونية والتبعية.

د - الاهتمام بمواجهة الغزو الثقافي والعائدي الذي قام به المستكبرون، من خلال حملات التبشير الواسعة بالمسيحية، ونشر الفكر الوجودي اللاديني، والتحلل الأخلاقي، أو الغزو الثقافي السياسي، من خلال التيارات الفكرية السياسية الماركسية، أو الرأسمالية الغربية، أو الاشتراكية، أو القومية العنصرية، وغيرها من الحركات الفكرية.

فقد كان هناك غزو ثقافي سياسي فكري منظم وخطير، ظهر في أحد صورهِ بالدعاة والمروجون لحذف الحرف العربي من حياة المسلمين، وقد تمت هذه العملية في تركيا<sup>(١)</sup>، وأريد لها أن تتم في إيران، لكنها فشلت؛ بسبب موقف الإصلاحيين، وقد أريد تطبيقها أيضاً في البلاد العربية. فعندما يحذف الحرف

(١) انتهجت تركيا منذ سقوط الخلافة الإسلامية تحجاً يتسم بالذوبان الكامل في سياسات الغرب، فأول دولة في العالم الإسلامي على الإطلاق اعترفت بإسرائيل هي تركيا، وتطورت العلاقة بينهما إلى التعاون العسكري، وهذا يشكل خطراً كبيراً جداً على الحالة الإسلامية. والشعب التركي شعب مسلم، وتركيا بلد إسلامي، لكن الجيش التركي يمثل خطراً كبيراً جداً على الأوضاع الموجودة في العالم الإسلامي. منه قارئ.

العربي من ثقافة المسلم، فهذا يعني: سلب شعوره بالانتماء لتاريخه الثقافي، والأخلاقي، والسياسي الإسلامي.

**النقطة الثالثة:** المحافظة على الوعي الديني، والالتزام العقائدي والسلوكي في أوساط الأمة الإسلامية الواحدة، فعند سقوط الدولة الإسلامية، ومجيء الدول والأنظمة الجديدة بالقوانين المدنية اهتز الالتزام الديني بكل جوانبه، وشكل مشكلة حقيقية، واجهها المصلحون، بما يلي:

أ- الاهتمام بالعبادات العامة، كالصلاة، والصوم، والحج.

ب- المحافظة على العلاقات الداخلية بين الجماعات المتعددة للأمة، بل تطويرها إلى علاقات تفاهم وتعاون لتحقيق الأهداف المشتركة، خصوصاً في ظل التحولات الجديدة في الأوضاع الاجتماعية، حيث برزت الحاجة الملحة إلى تطوير ذلك، كالعلاقات المتكافئة بين السنة والشيعة.

ج- تطوير الوعي الديني للمناطق المستضعفة دينياً في أطراف العالم الإسلامي، التي كانت تعيش المحاصرة أو العزلة الثقافية والسياسية المفروضة؛ بسبب ظروف الاضطهاد والقهر المذهبي والديني، والتي وصلت إلى مستويات دنيا من التخلف والضياع، وبدأت تتعرض لخطر الارتداد عن الإسلام، كـ(العلويين) في سوريا الكبرى، الذين عزلوا عن الثقافة الإسلامية؛ بسبب ظروف السياسة العثمانية، وكادت تكون هذه الجماعة محكوماً عليها بالإعدام من الناحية الدينية. وهكذا (البكداشية)<sup>(١)</sup>

(١) وهي إحدى الطرق الصوفية التي كانت في تركيا أيام الدولة العثمانية. للتفاصيل انظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ١: ٣٣.



الذين يمثلون الآن ثلث الشعب التركي، و٨٥٪ من مسلمي ألبانيا؛ فلارتباطهم بأهل البيت عليه السلام تحولوا تدريجياً إلى جماعة معزولة من الناحية الدينية والوعي الديني، وهكذا (الشبك) <sup>(١)</sup> في العراق، وغيرهم في مناطق آسيا وأفريقيا.

د - رعاية الحركة الإسلامية والدفاع عن وجودها، وإلى غير ذلك من الإجراءات والخطوات التي اتخذت في هذا الصدد.

**النقطة الرابعة:** المطالبة بالحقوق السياسية والمدنية المهضومة للأكثرية الساحقة لأبناء الشعب العراقي، التي أصبحت تقريباً في العهد الأخير للحكم العثماني مفقودة؛ بسبب الاستبداد الطائفي أو القومي أو السياسي، وهكذا الحال بالنسبة للعهد الوطني؛ لكون الحكومات منصبة من قبل الاستعمار، الذي كان نهجه الاستمرار والإبقاء على القمع والإرهاب والمحاصرة؛ ليضمن بقاءه واستمراره، فقامت حركة الإصلاح بمحاربة الظلم الاجتماعي، كحالة عامة وشاملة، ومحاربة التمييز العنصري والطائفي والطبقي، والعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية، والرفاه الاقتصادي، والحريات العامة، وتطبيق الشريعة الإسلامية في المجالات الاجتماعية، خصوصاً بعد تحول الأنظمة التي أقامها الاستعمار العسكري والسياسي

(١) الشبَك: فئة من الأقوام الآرية التي سكنت مدينة الموصل قبل أكثر من ٥٠٠ سنة، ولهم عاداتهم وتقاليدهم، ويقدر عددهم بأكثر من ٢٥٠ ألف نسمة. وجميع الشبك مسلمون، والنسبة الغالبة منهم من الشيعة الإمامية (الاثني عشرية)، ويشترك الشبك. رغم انقسامهم المذهبي. بميراث عقائدي طقوسي خاص من ميراث العرفان والتصوف؛ لتأثرهم في زمن معين ببعض الطرق الصوفية، ومنها: الطريقة البكتاشية التي كانت عقيدة الجيش الانكشاري العثماني. للتفاصيل: انظر:

إلى حكومات تدعو إلى تطبيق الأنظمة الوضعية الأوربية، وتقلص دور الشريعة الإسلامية في الحياة العامة.

**النقطة الخامسة:** تطوير مناهج التربية والتزكية والتعليم والتثقيف العام، فقد واجه المصلحون مشكلة قدم المناهج وبدائية وسائلها التي كانت تتناسب مع الظروف المدنية للعصور السابقة، فعمدوا إلى تطويرها بكل السبل المتيسرة؛ لجعلها تناسب الأوضاع المدنية الجديدة، والتطور العلمي للمضمون الثقافي، وليستوعبوا الحالة الجديدة التي واجهها العالم الإسلامي، وذلك في مجالات: المدارس، والمساجد، والأماكن الدينية، كالعربات المقدسة والحسينيات والتكايما، والمنبر الحسيني والمراكز الثقافية، والمكتبات، والاحتفالات، والكتاب، والمجلة، والصحيفة، وقنوات الإعلام العامة، وغيرها من الوسائل.

**النقطة السادسة:** المحافظة على العلاقة الروحية والمعنوية والعلمية بين الحوزة العلمية - كمرکز هداية وتوجيه - ومؤسساتها الدينية والثقافية ونشاطاتها الاجتماعية من ناحية، والأوساط المثقفة الجديدة في الأمة، كطلبة الجامعات، والمعلمين، والكتّاب، والباحثين، والأدباء، وغيرهم، التي انفتحت على الثقافات والوسائل الجديدة، كالجامعات والمراكز العلمية من ناحية أخرى.

فقد كان هناك تخطيط دولي لهزّ هذه العلاقة، تحت عناوين مختلفة، ومسميات متعددة، حتى أصبح الخط الثقافي، المتمثل بالجامعات والمدارس والمؤسسات التعليمية الجديدة، يشكّل وجوداً واسعاً ومستقلاً ينافس الحوزات العلمية، بل مرشحاً لمعارضتها ومواجهتها تحت شعار العلمنة، واللا دينية، وانفصال العلم عن الدين، فكان الطالب حين يتخرج ويصبح مهندساً أو طبيباً أو معلماً، فكأنه

خرج عن الحوزة العلمية، وعن الارتباط المعنوي بها. في حين أن هذه الأوساط كانت تشكّل جزءاً من الحوزات العلمية أو تابعة لها؛ لمركزية الحوزة العلمية في التثقيف والتعليم في كل المجالات العلمية، فابن سينا<sup>(١)</sup>، وجابر بن حيان<sup>(٢)</sup>، وغيرهما كانوا من أبناء الحوزة. ولذلك أصبح أحد المهوم الرئيسة لحركة الإصلاح - سواء في العراق، أم في باقي البلدان الأخرى - هو المحافظة على العلاقة الروحية بين الحوزة العلمية، والأوساط الثقافية الجديدة<sup>(٣)</sup>، وهو الذي عبر عنه الإمام الخميني قدس سره بـ (وحدة الحوزة والجامعة). إن هذه القضايا كانت ولا زالت تشكّل عناوين بارزة ومهمة في الأهداف،

(١) الشيخ أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية (أفشنة) التركمانية قرب بخارى سنة ٣٧٠هـ. ٩٨٠م. عرف بـ (الشيخ الرئيس)، وسماه الغربيون بـ (أمير الأطباء). مؤلفاته كثيرة جداً، منها: كتاب (الإشارات والتنبيهات)، و (مختصر علم الهيئة)، و (القانون)، و (كتاب الأدوية القلبية)، و (دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية)، و (القولنج). توفي في إيران سنة ٤٢٧هـ. ١٠٣٧م في مدينة همدان. للتفاصيل انظر: سير أعلام النبلاء ١٧: ٥٣١.

(٢) أبو عبد الله، جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي. ولد على أشهر الروايات في سنة ١٠١هـ. وقد عاش معظم حياته في الكوفة. انضم إلى حلقة الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الكوفة، فتلقى علومه الشرعية، واللغوية، والكيميائية على يديه. توفي في الكوفة في التسعين من عمره بعدما فرّ إليها هرباً من بطش العباسيين بعد نكبة البرامكة، فسجن فيها، وظل في السجن حتى وفاته سنة ١٩٧هـ. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٤: ٣٠.

(٣) لقد كان لشهيد المحراب قدس سره مساهمة فعالة في هذا المجال، حيث كلف قدس سره حجة الإسلام والمسلمين السيد حسين الحكيم بعد سقوط النظام الصدامي مباشرة بإنشاء مؤسسة واسعة تكون حلقة الوصل بين الجامعات الأكاديمية والحوزة العلمية في العراق، وقد تم المباشرة بالعمل، لكن اليد الآثمة والمجرمة اغتالت هذا الحلم وصادرت الجهود المبذولة باغتيال الشهيد الحكيم قدس سره.

والهموم، والمسؤوليات للفرضية الأولى في الإصلاح.

## مصاديق الفرضية الأولى

ويمكن ذكر بعض شواهد ومصاديق للفرضية الأولى، وهي:

**المصداق الأول:** الحركة الإصلاحية - التي اتصفت بالبداية والغموض - التي قادها علماء النجف الأشرف للجهاد في وجه البريطانيين<sup>(١)</sup>، واستمروا في قيادتهم لها عندما دعوا إلى حركة الاستقلال وإقامة الحكم الإسلامي في العراق، أو ما يسمى بمصطلحات الحكم الوطني الجديد بـ(ثورة العشرين)، وهي ثورة الخامس عشر من شعبان عام ١٣٣٨ هـ، التي عُيِّرَ تاريخها ونسبت إلى الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠ م، مع أن أصولها إسلامية، وكذلك تاريخها، فالتاريخ الميلادي لم يكن معروفاً وقتذاك، والذين قادوا - وهم كبار الفقهاء والعلماء - الحركة قادوها من هذا الموقع والمنظار؛ ولذلك عندما تخلفت بعض القضايا المهمة، التي كان يسعى إليها هؤلاء العلماء القادة تراجعوا وانعزلوا عنها، ووجدنا أنهم يتعرضون على يد نفس الحاكم الوطني والمستقل إلى النفي والمطاردة.

**المصداق الثاني:** حركة المشروطة في إيران، فهي حركة ذات شمولية، دعت إلى تغيير كلي في المجتمع، وانطلقت من الحوزة العلمية، وقادها علماء الإسلام؛ للقضاء على الاستبداد، وتقييد الحاكم المستبد بهواه ورأيه - كما هو الحال في الحكم القاجاري - بالنظام الإسلامي والمؤسسات الدستورية، التي

(١) حركة جهادية قادها الفقهاء في العراق للوقوف بوجه الجيش البريطاني لاحتلال العراق. للتفاصيل انظر:

لحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٤: الفصل الخامس: ١٢٧.

تشكل ضماناً في الالتزام بالنظام الإسلامي من ناحية، والمصالح العامة التي يرتبط بها من ناحية أخرى.

ولكن نلاحظ هنا وجود الاختلاف الكبير بين رموز هذه الحركة الإصلاحية في وضوح التصور أو شموليته لهذه التفاصيل أو تلك، الأمر الذي أدى إلى ظهور الاختلاف الشديد بينهم في المواقف، إلى حد التعارض أو إلى حدوث تراجع وإحباطات واسعة.

ولكن الحالة الإجمالية الكلية العامة للحركة، هي حركة إصلاحية تعتمد على المنهج الأول، حيث تنطلق من الحوزة العلمية وإمكاناتها وقدراتها، وتعتمد على أجهزتها، وهكذا حركة الجهاد، فالتعبئة التي جرت فيها اعتمدت على أجهزة الحوزة العلمية، وكذلك حركة الاستقلال، التي اعتمدت على ارتباط العشائر بالحوزة العلمية وأجهزتها، وارتباط الحوزة بالعشائر.

**المصداق الثالث:** الحركة الإصلاحية التغييرية، التي قادها الإمام الحكيم عليه السلام في العقدين الثامن والتاسع من القرن الهجري السابق (١٣٧٠-١٣٩٠)، والتي يمكن أن نجد فيها الإطار التنظيمي بكل نقاطه، وعناوينه، وقضاياها، وهمومه، ومسؤولياته، بل يمكن أن تكون النقاط الستة المتقدمة مستخلصة من رؤيته عليه السلام الشمولية، حيث يرى: أن الإصلاح لا بد أن يتم بشكل شمولي عام، حتى يمكن تحقيق المزيد من المفردات ذات العلاقة بقضايا الأمة؛ ولذا يوجد في حركته لكل واحد من العناوين عدة مصاديق.

فقد أوجد للأمة في أيامه عليه السلام أرضية مناسبة لكي تنشط، فنشطت الكثير من المؤسسات، والمساجد، والجمعيات، وانتشرت الكتب، والنشرات، والمطبوعات، ووجدت كثيراً من الأحزاب والحركات السياسية هنا وهناك،

ولكنها كانت ضمن التحرك العام، الذي يقوده قائدنا .

وبهذا الصدد يحسن الإشارة إلى حديث سمعته من الإمام الخميني قائدنا مباشرة في تقييم وضع الحركة الإصلاحية التي كان يقودها الإمام الحكيم، حيث قال: «كنت أتوقع قيام الحكم الإسلامي في العراق قبل إيران؛ وذلك من خلال ما شاهدته من تحول كبير في أوساط الأمة».

ومما يميّز هذا الشاهد والمصدق من الحركة الإصلاحية، هو وضوح الرؤية فيها في الانتماء إلى الحوزة العلمية ومؤسساتها أولاً، والنظرة الشمولية الواسعة للقضايا وجوانب الإصلاح ثانياً، وموقع المرجعية الدينية العامة من حركة الإصلاح ثالثاً، والاعتبار والاستفادة من التجارب السابقة التي عاشها هو قائدنا في حركة الجهاد وثورة العشرين<sup>(١)</sup> رابعاً، وفي التمييز بين التيارات السياسية العلمانية واللا دينية باتجاهاتها المتعددة والتيار الإسلامي خامساً.

**المصدق الرابع:** الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام الخميني قائدنا، التي انطلقت من الحوزة العلمية وتمسكت بها وبمبادئها وتبنت كل هذه الشعارات والهجوم وتحملت كل هذه المسؤوليات، فلم يُعرف عنه قيامه بعمل إصلاحية

(١) «فقد اشترك [الإمام الحكيم] اشتراكاً فعلياً في العمليات العسكرية التي قام بها المجاهدون ضد الغزو البريطاني للعراق المسلم في الحرب العالمية الأولى، وكان لسماحته دور بطولي بارز بين قادة حركة الجهاد، وقد اعتمد عليه المجاهد الأكبر السيد محمد سعيد الحبوبي رحمته الله اعتماداً مطلقاً فيما يرجع إلى إدارة حركة الجهاد، حيث إنه (دام ظله) تولى إدارة جميع الحركات القيادية وغيرها من شؤون الاتصال بالعشائر العراقية المجاهدة، وبلغ مدى اعتماد السيد الحبوبي عليه أنه أعطاه خاتمه الخاص ليمهر باسمه حسب ما يراه من المصلحة في شؤون الجهاد حتى وافاه الأجل». معارف الرجال ٣: ١٢٢.

في مفردة من المفردات أو في جانب من جوانب المجتمع فقط، كبناء المدارس، والكليات، والجامعات، أو تأسيس الجمعيات الخيرية، وغير ذلك مما يقوم به الكثير من المصلحين، وإنما كان همّه الأساسي إيجاد الإصلاح العام، ووضع قضايا الأمة الرئيسية، وهمومها العامة أمامه في حركته الإصلاحية، وتمكّن من تحقيق الإنجاز العظيم، المتمثل في التغيير الكبير الذي حصل في المجتمع الإسلامي، والذي أدّى إلى إصلاح الكثير من المفردات على مستوى الحوزة العلمية، أو على مستوى المصاديق ذات العلاقة بالقضايا الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية.

وإن إحدى الملاحظات المهمة التي سجلها الشهيد الصدر عليه السلام لصالح الثورة الإسلامية في إيران، هو أنه قال: إن الإمام الخميني لم يقدّم بالكثير مما قام المصلحون به من أعمال إصلاحية جزئية في هذه المفردة وتلك، لكنه قام بعمل عظيم، هو إقامة الدولة الإسلامية، وهذا ما كانت له آثار وامتدادات لم يتمكن جميع المصلحين الذين قاموا بمختلف الأعمال الإصلاحية لمختلف المجالات من تحقيق هذا القدر من النتائج والآثار. وهذه النتائج كانت بسبب النظرة الشمولية العامة للإصلاح.

إن المقارنة بين الشواهد الأربعة المتقدمة، وبيان تفاصيل الارتباط بينها، ومدى انطباق الفرضية المذكورة عليها بشكل واضح يحتاج إلى بحث واسع لا يستوعبه هذا المقال<sup>(١)</sup>.

ولكن أصل الارتباط بينها في المنهج والاتجاه أمر واضح، يمكن إدراكه

(١) يمكن كتابة بحث حول المقارنة بين هذه الحركات الإصلاحية، وبيان نقاط الاشتراك والافتراق بينها.

بمجرد المطالعة السريعة للشعارات، وطبيعة الاهتمامات والمنطلقات والأعمال التي قامت بها هذه الحركات.

## الفرضية الثانية: الإصلاح التجزيئي في إطار الحوزة

انطلقت هذه الفرضية من المنهج التجزيئي الذي ينطلق في حركته الإصلاحية من الحوزة العلمية، أي: الالتزام في اتجاه الإصلاح بالحوزة العلمية ومؤسساتها، وهو الاتجاه الأول، ولكن على أساس المنهج الثاني، وهو اختيار المفردات المهمة في الحوزة العلمية ومؤسساتها من أجل تحقيق الإصلاح فيها، ومن خلال تجميع المفردات المتعددة يمكن أن يتحقق - في أفضل الأحوال - تحوّل كبير في المجتمع؛ لما للحوزة العلمية من أهمية ودور مؤثر في الأوساط الإسلامية، لا سيما أوساط أتباع أهل البيت عليهم السلام. ولتوضيح الفرضية، يمكن ذكر العناوين والمفردات المهمة، التي عاصرناها في مثل هذه الحركة الإصلاحية، سواء على مستوى الحوزة العلمية نفسها، أم على مستوى الأمة.

فأما على مستوى الحوزة، فيمكن الإشارة إلى النقاط التالية:

**النقطة الأولى:** معالجة المنهج الدراسي في الحوزة العلمية، من حيث المحتوى والمضمون، الذي كاد ينحصر في أدوارها المتأخرة، بالفقه والأصول والرجال، وأما العلوم الأخرى، فهي إما دراستها هامشية جانبية، أو لا تدرّس، بل إن دراسة بعضها يعتبر عملاً غير إسلامي، ومحارباً من هذا الشخص أو تلك الجماعة، فقام الإصلاحيون بتطوير المنهج وتوسعة دائرته، فشمّل الفلسفة، والكلام، والتفسير، والتاريخ، والأخلاق، والرجال،



والفقه المقارن، وتدريس اللغات الأجنبية.

**النقطة الثانية:** تنظيم الدروس في الحوزات العلمية، وإيجاد صيغة الامتحان، ووضع الضوابط للمراحل التعليمية والأساتذة والمعلمين.

**النقطة الثالثة:** تنظيم الموارد المالية وتطويرها، والعمل على إيجاد ضمان مالي لطلبة العلوم الدينية، من خلال تعيين الرواتب وتأمين السكن، فقبل مرجعية السيد أبي الحسن الأصفهاني<sup>(١)</sup>، لم تعرف الحوزة العلمية في حواضرها العلمية مسألة الرواتب، فقد كان يأتي الطالب إلى الحوزة العلمية، سواء في النجف الأشرف، أم في كربلاء المقدسة، أم في قم المقدسة، أم في مشهد المقدسة، ويحضر الدرس وينشغل بطلب العلم، ولم يخصص له مورد مالي بعنوان راتب شهري.

ولكن في عهد مرجعية السيد الأصفهاني قام قدس سره بإثبات الرواتب وتنظيمها، حيث بدأت تحت عنوان (الإعانة على شراء الخبز)، ثم تطور الأمر إلى الرواتب الشهرية العامة لعموم طلبة الحوزة العلمية.

**النقطة الرابعة:** تطوير الكتب والنصوص التعليمية وتسهيلها؛ فقد كانت معقدة وواسعة جداً يتيه الطالب فيها، والمرحوم الشيخ الآخوند

---

(١) السيد أبو الحسن ابن السيد محمد ابن السيد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني. ولد عام ١٢٨٣هـ في إحدى قرى أصفهان، وترى وترعرع في ظل والده السيد محمد، الذي كان من العلماء الأفاضل. بدأ دراسته العلمية في أصفهان، وأكمل فيها مرحلة السطوح، ثم هاجر إلى العراق؛ لإكمال دراساته العلمية، وفي النجف الأشرف كان مجلس درسه عامراً بأكابر العلماء والفضلاء. انتقادت له المرجعية الدينية العامة في العقدين الأخيرين من عمره الشريف. مؤلفاته عديدة، منها: (حاشية على العروة الوثقى)، و(شرح كفاية الأصول)، و(أنيس المقلدين). توفي في مدينة الكاظمية عام ١٣٦٥هـ، ودفن في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: المصدر السابق: ٤٦.

الخراساني<sup>(١)</sup> أول من بادر للقيام بهذا العمل، حيث لخص كتابي (الفصول)<sup>(٢)</sup> و(القوانين)<sup>(٣)</sup> اللذين كانا يدرسان سابقاً في الحوزة العلمية بكتابه (الكفاية).  
**النقطة الخامسة:** تطوير المنبر الحسيني، الذي كان يمثل مدرسة سيارة متحركة في أوساط الأمة، وجعله قادراً ومؤثراً في تعليمها وإرشادها، من خلال تطوير فن الخطابة للعلماء والمبلغين.

**النقطة السادسة:** تطوير وتنشيط حركة التبليغ، واستخدام الأساليب الجديدة فيه، كإصدار المجلات، والنشرات، والدوريات، وتبسيط المفاهيم الدينية وشرحها، وكذلك إرسال البعثات التبليغية إلى مناطق الفراغ في العالم الإسلامي، أو إلى الحج.

وأما على مستوى الأمة، فيمكن ملاحظة النقاط التالية:

**النقطة الأولى:** الإهتمام بالشعائر الإسلامية الحسينية، وتطويرها من حيث

(١) الشيخ محمد كاظم ابن ملا حسين الهروي الخراساني، المعروف بـ(الأخوند الخراساني). ولد في مدينة مشهد المقدسة عام ١٢٥٥هـ. وأكمل دراسة المقدمات فيها، ثم سافر إلى مدينة سبزوار، وفيها درس الفلسفة. وفي سنة ١٢٧٨هـ هاجر إلى النجف الأشرف؛ لإكمال دراسته الحوزوية، وفيها اشتهر بكونه من مدرّسي علم الأصول البارزين، وأصبح مجلس درسه يقصده خيرة العلماء والفضلاء. مؤلفاته عديدة، منها: (درر الفوائد)، و(حاشية على أسفار صدر المتأهين الشيرازي)، و(حاشية على منظومة السيزواري)، و(كفاية الأصول). توفي في ظروف غامضة عام ١٣٢٩هـ، عندما كان عازماً على السفر إلى إيران؛ لحفظ ثغور الإسلام من عساكر الروس والبريطانيين. ودفن في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ٣١٩.

(٢) (الفصول الغروية في الأصول الفقهية) كتاب أصولي للمحقق الشيخ محمد حسين الخائري المتوفى سنة ١٢٥٠هـ.

(٣) (قوانين الأصول) كتاب أصولي للمحقق الميرزا أبو القاسم ابن المولى حسن الشفتي القمي المتوفى سنة ١٢٣١هـ.

الأداء والمضمون؛ لما لها من دور في التزكية والتعليم والتربية.

**النقطة الثانية:** الانفتاح على أوساط المذاهب الإسلامية، من العلماء، والمثقفين، والمفكرين، والأدباء بهدف التقريب المذهبي والتعاون المشترك.

**النقطة الثالثة:** إيجاد المؤسسات المتخصصة المساندة للحركة الإصلاحية؛ للقيام بالأعمال والنشاطات الخاصة، كمؤسسات النشر والتحقيق، والمكتبات العامة، والمدارس التعليمية، والأعمال الخيرية، والقضايا الصحية.

**النقطة الرابعة:** تعمير العتبات المقدسة، والمساجد، والحسينيات في مناطق التجمع الشيعي، والتشجيع على بنائها، وتشجيع الناس على إقامة الشعائر الدينية فيها، كصلاة الجماعة، والدعاء، والزيارة، والاحتفال بذكرات الإسلام وأهل البيت عليهم السلام.

**النقطة الخامسة:** محاربة الفئات الضالة في الأمة الإسلامية - عقائدياً - كالبهائية، والوهابية، والنواصب، والغلاة، وكذلك حركات التبشير المسيحي، والمجموعات المتحللة، والتيارات الفكرية والسياسية المنحرفة، وغيرها.

**النقطة السادسة:** تأسيس المدارس الدينية الحديثة، التي تجمع بين المنهج العام والتربية الدينية الخاصة، وكذلك المؤسسات الثقافية الحديثة الدينية، كالمنتديات، والجمعيات، والدراسات التأهيلية.

### مصاديق الفرضية الثانية

قاد هذا المنهج علماء كبار، وسبب اختيارهم له دون الأول ربما يعود، للظروف السياسية التي عاشوها، أو لاعتقادهم بعدم القدرة على القيام

بعمل واسع وكبير، أو غير ذلك، فنحن نقدر ونحترم وجهات النظر، ونعتقد: أن هؤلاء القادة أناس متقون، وورعون، ومصلحون، وقد يكون تشخيصهم صحيحاً في بعض الأحيان.

ومهما يكن من أمر، فيمكن ذكر بعض الشواهد والمصاديق للفرضية، وهي:

**المصداق الأول:** الحركة الإصلاحية التي قادها المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد البروجردى<sup>(١)</sup>، ولعلها من أبرز شواهد ومصاديق الفرضية الثانية، فقد كان **فدائري** هو المرجع الديني الأول، وإن كان هناك مراجع مهمون، كالإمام الحكيم **فدائري**، ولكن من حيث الأهمية والتقدم كان السيد البروجردى هو المتقدم؛ وذلك لوجوده في إيران التي لها ثقلها في العالم الإسلامي والشيوعي.

كان السيد البروجردى **فدائري** يدي من خلال مجموع الحالة ونشاطاته العامة، الاهتمام الخاص بالأهداف والعناوين المتقدمة، مثل: الاهتمام بعلم الحديث، والرجال، والأخلاق، والتفسير، وإن كانت له تحفظات على علم (الفلسفة).

وكذلك الانفتاح على دراسة المذاهب الإسلامية الأخرى، بحيث

(١) السيد حسين ابن السيد علي الطباطبائي البروجردى. ولد في بروجرد بإيران أواخر سنة ١٢٩٢هـ. وفي عام ١٣١٠هـ أرسله والده إلى أصفهان؛ للتلمذ على يد نخبة من رجال الفضل والعلم فيها، وفي عام ١٣١٩هـ أوفده والده إلى النجف الأشرف؛ لاستكمال دراسته فيها، فالتحق بدرس الآخوند الخراساني صاحب كفاية الأصول، ودرس شيخ الشريعة الأصفهاني حتى أصبح من أبرز تلامذتها. وفي أواخر سنة ١٣٢٨هـ عاد إلى بروجرد، ثم في أواخر صفر سنة ١٣٦٤هـ استوطن وأسرته وبعض تلامذته وأخصائه مدينة قم المقدسة. وتوفي فيها سنة ١٣٦٠هـ، ودفن بها. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٦: ٩٢ - ٩٤.

كان يرى أن ذلك أمراً ضرورياً في الاجتهاد، ونشطت بتشجيعه حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية، فهو أول من بادر إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، وأسست دار التقريب في القاهرة التي كان يساندها شخصياً، وأوجد علاقات مع شيخ الأزهر، الذي زار إيران آنذاك.

كما اهتم بشكل خاص بتنظيم الدروس في الحوزة العلمية، وتأكيد فكرة الامتحانات العامة فيها، وكذلك تطوير الدعم المالي، والاهتمام ببناء المدارس المخصصة لسكن طلبة العلوم الدينية، وتأسيس المكتبات، وإحياء التراث، ومحاربة البدع والضلالات، وإرسال البعثات التبليغية إلى مختلف مناطق العالم، فهو أول مرجع ديني كبير يرسل بعثة تبليغية إلى أوروبا، ويؤسس مركزاً إسلامياً في هامبورغ، ويرسل شخصية علمية حوزوية لإدارته، وهو الشهيد السيد البهشتي<sup>(١)</sup>، كما أنه قلبي<sup>(٢)</sup> أول من عين وكيلاً عاماً له في الكويت، وهو آية الله السيد علي شبر<sup>(٢)</sup>، وهكذا الحال في أفريقيا، إلى غير

(١) السيد محمد بن فضل الله الحسيني البهشتي. أحد العلماء الفضلاء، وأحد القادة البارزين للثورة الإسلامية في إيران. ولد عام ١٣٤٩هـ - ١٩٢٨م في مدينة أصفهان. وفيها بدأت دراسته الحوزوية، فدرس الآداب العربية، والمنطق، والكلام، ومرحلة سطوح الفقه والأصول، وفي عام ١٩٤٦م انتقل إلى قم المقدسة؛ لإكمال دراساته العلمية، فحضر عند السيد الخميني، والسيد البروجوردي، وغيرهم. استطاع في أثناء ذلك إكمال الدراسة الجامعية وحصل على الدكتوراه. مؤلفاته عديدة، منها: (الله في القرآن)، و(معرفة الدين)، و(دور الدين في حياة الإنسان)، وغيرها. استشهد سنة ١٩٨١م مع ٧٢ شخص من كبار الشخصيات في الجمهورية الإسلامية في إيران على إثر تفجير إرهابي قامت به منظمة خلق. للتفاصيل انظر: مستدركات أعيان الشيعة ١: ١٨٣.

(٢) السيد علي ابن السيد محمد ابن السيد علي شبر. ولد في النجف الأشرف عام ١٣٠٤هـ، وفيها تربى ونشأ، ودرس على أعلام عصره، فتلمذ في الحكمة والكلام على الشيخ مرتضى الطالقاني، وفي الفقه والأصول على الشيخ باقر الجواهري، وأتم دراسته العالية على المرجعين الكبيرين: الشيخ محمد حسين

ذلك من النشاطات الإصلاحية العامة.

ولكنه - مع كل ذلك - بقي متمسكاً بموقفه السلبي من العمل السياسي، وعدم القيام بدور أساسي فيه، مع أن عهده كان من أشد الفترات حساسية في العالم الإسلامي، حيث كانت مرجعيته بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، مما جعلها تشهد تطورات وتغيرات مهمة في الحياة السياسية، مثل: قضية فلسطين، وسقوط البهلوي (رضا شاه)<sup>(١)</sup>، وظهور التيارات الماركسية والقومية، وأحداث تأميم النفط في حكومة (مصدق)<sup>(٢)</sup>، ونشوء الحركة الإسلامية في إيران ونشاطها الكبير، وهي حركة (نواب صفوي)<sup>(٣)</sup>، ومنظمة

النائبي، والسيد أبي الحسن الأصفهاني، وحاز منهما على درجة الاجتهاد. في عام ١٣٨٤هـ شيد مدرسة دينية ضخمة في النجف الاشرف المعروفة اليوم ب(المدرسة الشريفة). توفي عام ١٣٩٧هـ. ودفن في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: خطيب الأمة السيد جواد شبر: ١٤.

(١) رضا بهلوي، مؤسس الدولة البهلوية في إيران على أنقاض الدولة القاجارية، حكم ما بين أعوام ١٩٢٥م - ١٩٤١م، حيث قام بخلع آخر الشاهات القاجاريين سنة ١٩٢٥م، ثم أجبر البرلمان (المجلس الوطني) على أن ينتخبه شاهاً على البلاد.

(٢) محمد مصدق، ولد عام ١٨٨٢م، وشغل منصب رئيس الوزراء في إيران بين عامي ١٩٥١م - ١٩٥٣م، وقام بتأميم النفط أبان تسلمه الرئاسة، كما قام بخلع (محمد رضا شاه) من منصبه، إلا أنه سرعان ما أُعيد بعملية أمريكية بريطانية مشتركة، سميت بعملية (أجاكس)، وأعتقل بعدها مصدق وسجن لمدة ثلاث سنوات، وأطلق سراحه بعدها إلا أنه أستمر رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته عام ١٩٦٧م. للتفاصيل انظر: مستدركات أعيان الشيعة ٧: ٣٠٠.

(٣) السيد مجتبي نواب صفوي، ولد عام ١٣٤٣هـ في مدينة (خاني آباد) من ضواحي طهران. انتقل لمدينة النجف الأشرف؛ لمواصلة دراسته الحوزوية، فتتلمذ على يد الشيخ الأميني، والسيد هادي الميلاني. وفي عام ١٩٤٥م أسس منظمة (فدائيان إسلام) بعد محاولة اغتيال رئيس الوزراء الإيراني الأسبق (حسين علاء)، صدر حكم بإعدامه رحمته الله، ونفذ الحكم عام ١٣٧٥هـ. للتفاصيل انظر: المصدر السابق: ١: ٢٨٠.

(فدائيان إسلام)<sup>(١)</sup>، وسقوط الملكية في مصر<sup>(٢)</sup> والعراق<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من الأحداث المهمة، حيث لم يعرف له موقف أو عمل واضح تجاه هذه القضايا. فمواقفه قَلْبِيَّةٌ من قضية فلسطين كانت محدودةً، مع أنها قضية ساخنة، ولا نجد له موقفاً مسانداً للحركة الإسلامية، وما جرى عليها، كقتل نواب صفوي مع مجموعته، ولم نجد له موقفاً واضحاً تجاه قضية اعتراف إيران بإسرائيل<sup>(٤)</sup>، وكذلك إعدام أو مطاردة (الإخوان المسلمين) في مصر<sup>(٥)</sup>، وغيرها من القضايا.

بينما كانت المرجعية الدينية في النجف الأشرف، المتمثلة آنذاك بـ(الإمام الحكيم) لها موقف واضح ضد تأسيس العلاقات بين نظام الشاه والكيان الصهيوني في فلسطين، وكذلك نجد احتجاج المرجعية في النجف الأشرف - الإمام الحكيم - على قيام نظام عبد الناصر بإعدام (سيد قطب)<sup>(٦)</sup> ورفاقه،

(١) حركة ثورية إسلامية سياسية أسسها السيد (مجتبي نواب صفوي) في عام ١٩٤٥م؛ المناهضة ومناوئة حكم (رضا شاه)، وكانت تدعو لبند الطائفية بين المسلمين، والعمل على تطبيق الإسلام في الدول الإسلامية. للتفاصيل انظر: المصدر السابق: ٢٨١.

(٢) وذلك في سنة ١٩٥٢م.

(٣) وذلك في سنة ١٩٥٨م.

(٤) تم الاعتراف بإسرائيل عام ١٩٥٥م في عهد حكم الشاه محمد رضا بهلوي.

(٥) وذلك في عهد حكم الرئيس جمال عبد الناصر.

(٦) سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، أديب وكاتب إسلامي مصري، وعضو سابق في مكتب إرشاد جماعة الإخوان المسلمين، ورئيس سابق لقسم نشر الدعوة في الجماعة، ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين. حكم عليه بالإعدام لنشاطاته السياسية الإسلامية، وتم تنفيذ الحكم فجر الإثنين ١٣/٦/١٣٨٦هـ. ١٩٦٦/٨/٢٩م. للتفاصيل انظر: الأعلام ٣: ١٤٧.

ولم يسجّل مثل هذا الموقف - بحسب اطلاعي - لمرجعية السيد البروجردي على إعدام السيد نواب صفوي ورفاقه، مع وجود الفرق الواضح لصالح الشهيد السيد نواب صفوي.

**المصداق الثاني:** الحركة الإصلاحية للإمام الخوئي قده، التي كانت تتسم إلى حد كبير بنفس المواصفات التي كانت عليها مرجعية السيد البروجردي، فمثلاً باشر قده بتفسير القرآن، واهتم بموضوع علم الرجال، وتخلّى عن القضايا السياسية، وقد تكون هناك أسباب لذلك.

وهنا نلاحظ لصالح الإمام الخوئي، أنه قده ساند أو شارك في البداية مع بقية علماء النجف الأشرف في مواقفهم السياسية ضد الشيوعية، وفي الحركة الإصلاحية العامة في العراق، وكذلك مع الحركة الإصلاحية، التي قادها الإمام الخميني في إيران، ولكن توقف عن ذلك في مرحلة متأخرة.

ثم شارك بشكل فاعل في انتفاضة شعبان عام ١٤١١هـ، ودخل فيها بكل وجوده وقدراته وإمكاناته، واعتقلته السلطات الأمنية البعثية، وجميع أصحابه وتغيبهم بسببها، لكنه تراجع بعد ذلك لعله بسبب تكليفه الشرعي الذي حتمّ عليه ذلك.

إن ذلك كلّه قد يلقي ضوءاً على خلفية مواقف الفرضية الثانية من الحركة الإصلاحية، وبالنسبة إلى الإمام الخوئي على الأقل، بحيث يمكن أن يقال: إن الفرق في بعض الحالات بين الأشخاص ليس في الرؤية والتصور النظري للإصلاح، بل في تقدير الموقف، وتقدير المصالح والمفاسد المترتبة من ناحية، وفي تشخيص القدرة والإمكانات المتوفرة للحركة الإصلاحية من ناحية أخرى.



وهذا الموضوع يحتاج إلى تحقيق واسع ومتابعة جدية لها مجال آخر للبحث.

## الفرضية الثالثة: الإصلاح الكلي خارج الحوزة العلمية

انطلقت من الالتزام بالمنهج الشمولي الكلي في الإصلاح، ولكن من خارج الحوزة العلمية، وإن كان يقوده - الإصلاح - رجال من الحوزة العلمية، وهذه الحركة الإصلاحية كانت معنية بالدرجة الأولى، بإصلاح الأوضاع السياسية العامة، ويكون اهتمامها بالحوزة ومفرداتها فضلاً عن المفردات الأخرى في الأمة بدرجة أقل حسب ما تقتضيه الظروف أو تفرضه أساليب العمل وتوفير الإمكانيات.

ولذلك كانت تركز اهتمامها في النقاط الأربع الأولى المتقدمة في الفرضية الأولى بالقدر الذي يرتبط بالوضع السياسي العام، ولم تولي القضايا ذات الطابع الديني المحض اهتماماً خاصاً إلا بقدر ما يسمح لها في التحرك في الأمة وتعبئة طاقاتها.

كما أنها كانت تستخدم - أحياناً - المؤسسات الدينية، والنشاطات الشعائرية العامة، كالاحتفالات والمجالس الحسينية المرتبطة بالحوزة العلمية تقليدياً، واجهات لأعمالها ونشاطاتها أو مراكز تنطلق منها.

## مصاديق الفرضية الثالثة

ولعل من أبرز الشواهد لمصاديق هذه الفرضية، هي: الأحزاب الإسلامية التي أسسها علماء الإسلام أو التي ارتبطت بهم بشكل أو بآخر، والتي انطلق قسم منها من الحوزة العلمية، وقسم آخر من خارجها، ولكنها لم تكن ترى في نفسها أنها مؤسسة من مؤسسات الحوزة وتابعة لها، وقد تصب في نفس

الأهداف والمصالح التي تسعى لها الحوزة، ولكنها متجهة باتجاه ثانٍ. مثل: (جمعية النهضة الإسلامية)<sup>(١)</sup>، التي أسسها العلامة السيد محمد علي بحر العلوم<sup>(٢)</sup>، والعلامة الشيخ محمد جواد الجزائري<sup>(٣)</sup>، وآخرون أثناء حركة الجهاد ضد الاستعمار البريطاني، والتي ينسب إليها أو لبعض أفرادها عملية ثورة النجف الأولى التي بدأت بقتل الحاكم البريطاني في النجف سنة ١٣٣٨هـ، وانتهت الثورة بمحاصرة النجف وتسليم الثوار بعد مناوشات وقاتل شديد<sup>(٤)</sup>.

(١) جمعية دينية سياسية تشكلت في النجف عقب سقوط بغداد بيد البريطانيين، هدفها السعي لإعلاء كلمة الإسلام، ونبذ التقاليد الغربية، ودراسة الأحوال السياسية العامة للعراق وعموم المنطقة. وقد رأسها السيد محمد علي بحر العلوم، وسكرتيرها الميرزا عباس الخليلي، ومن أعضائها البارزين: الشيخ محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد علي الدمشقي. للتفاصيل انظر: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٥، القسم الثاني: ٢١٤.

(٢) السيد محمد علي ابن السيد علي نقى ابن السيد محمد تقي بحر العلوم. ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٨٧هـ، وفيها درس العلوم الدينية، وتوجه منذ نشأته إلى العمل الإجتماعي والسياسي. ساهم في ثورة العشرين بشكل فاعل ومؤثر حتى تمّ اعتقاله من قبل البريطانيين، ثم حكم عليه بالإعدام، وعُفي عنه أخيراً. وتأسس الدولة العراقية بعد ثورة العشرين انتدب لعضوية (مجلس الأعيان العراقي). توفي في بغداد سنة ١٣٥٥هـ. للتفاصيل انظر: الفوائد الرجالية ١: ١٥٩.

(٣) الشيخ محمد جواد ابن الشيخ علي الجزائري. ولد في النجف الأشرف عام ١٢٩٨هـ. وانكب على تحصيل العلوم النقلية والعقلية منذ صباه، حتى أصبح تلميذاً بارعاً من تلامذة الشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد كاظم الخراساني. تعرّض بسبب مواقفه الجهادية من الاحتلال البريطاني للعراق إلى الحكم عليه بالإعدام، ومن ثمّ النفي إلى خارج العراق. كان رحمته الله أول من رد على (إيليا أبي ماضي) في طلاسمة الحائرة، في كتاب أسماه: (حل الطلاسمة بين مشكك وعالم)، ولاقي رده اعجاب كبار الأدباء في العالم العربي. توفي عام ١٣٧٨هـ، ودفن في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: معارف الرجال ٢: ٢٥٩، هامش رقم: ١.

(٤) انظر: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث ٥، القسم الثاني: ٢١٨.

ومثل: (حركة فدائيان إسلام في إيران)، التي قادها العلامة السيد نواب صفوي، وبرعاية ودعم من آية الله السيد أبي القاسم الكاشاني<sup>(١)</sup>، وانتهت بعد ذلك بعمليات الإعدام التي نفذها حكم الشاه ضدّهم بعد حوادث حركة مصدّق، وفشلها ورجوع الشاه تحت حراب الجيش الإيراني والحكم العسكري للجنرال زاهدي<sup>(٢)</sup>.

ومثل: حركات إسلامية أخرى في العراق، كـ(منظمة الشباب المسلم)<sup>(٣)</sup>، و(العقائدين)<sup>(٤)</sup>، ثم (حركة الدعوة الإسلامية)، التي شارك في تأسيسها بعض العلماء، والتي تطورت بعد ذلك إلى (حزب الدعوة الإسلامية).  
ومثل: وحركة أفواج المقاومة اللبنانية (أمل)، التي أسسها العلامة السيد

(١) السيد أبو القاسم ابن السيد مصطفى الحسيني الكاشاني. ولد في مدينة طهران عام ١٢٩٥هـ. هاجر إلى النجف الأشرف أواخر العقد الثاني من عمره، لمواصلة دراسته الحوزوية، وتلمذ على يد الأستاذين الكبيرين: (الآخوند الخراساني)، و(الميرزا حسين الخليلي) حتى نال درجة الاجتهاد. كان عضواً في المجلس العلمي الذي شكّله الإمام الشيرازي لقيادة ثورة العشرين، وبعد انتكاسة الثورة طارده البريطانيون فسافر إلى إيران. اعتقله نظام محمد رضا بهلوي، فسجن في حرم آباد لفترة ثم أُبعد إلى لبنان، وبعد ضغوط كبيرة عاد إلى إيران. له فصل دور في قضية تأمين النفط أيام حكومة مصدّق. توفي عام ١٣٨١هـ، ودفن بمقعد السيد عبد العظيم الحسيني. للتفاصيل انظر: [http://www.alhadi.ws/wp/?page\\_id=9076](http://www.alhadi.ws/wp/?page_id=9076)

(٢) سياسي وعسكري إيراني، قاد انقلاباً عسكرياً ناجحاً بمساعدة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ضد حكومة (مصدّق) إثر قرار مصدّق بتأميم شركات النفط الأجنبية في إيران، فكافأه الشاه محمد رضا بهلوي بتعيينه رئيساً للوزراء (١٩٥٣ - ١٩٥٥م). توفي عام ١٩٦٣م.

(٣) منظمة إسلامية سياسية تأسست عام ١٩٤٠م على يد الشيخ عز الدين الجزائري. للتفاصيل انظر: حزب الدعوة الإسلامية، حقائق ووثائق: ٣٥.

(٤) منظمة إسلامية سياسية تأسست عام ١٩٥٤م على يد الشيخ عز الدين الجزائري. للتفاصيل انظر: المصدر السابق: ٣٨.

موسى الصدر في لبنان، وكذلك حركة (حزب الله)<sup>(١)</sup> الأخيرة في لبنان، أو (الحركة الإسلامية في أفغانستان)<sup>(٢)</sup>، التي أسسها الشيخ محمد آصف محسني<sup>(٣)</sup>، أو (حركة تنفيذ الفقه الجعفري)<sup>(٤)</sup> في باكستان التي طورها السيد عارف حسيني<sup>(٥)</sup>.

(١) تنظيم إسلامي سياسي عسكري خرج من رحم المقاومة العسكرية للاحتياح الإسرائيلي لبيروت عام ١٩٨٢م، ففي ١٦ شباط عام ١٩٨٥م أعلن عن تنظيم (حزب الله)، وكلل الحزب عمله السياسي والعسكري بإجبار الجيش الإسرائيلي على الانسحاب من الجنوب اللبناني في آيار عام ٢٠٠٠م.

(٢) تشكيل إسلامي سياسي تأسس إبان الغزو السوفيتي لأفغانستان، حيث تكوّن من مجموعة أحزاب وتيارات سياسية، كحزب الدفاع عن المحراب، وحزب الشعب، وحزب التشيع، وحزب القرآن والعترة، ورجال الدين المناضلين، ومنظمة التحرر، وحزب نداء العدالة، وغيرها من الأحزاب. وامتلك التشكيل أكثر من ١٠٠ قاعدة عسكرية في ١٩ ولاية ومقاطعة في أفغانستان، وعشرات الآلاف من القوات المجهزة والمدربة.

(٣) الشيخ محمد آصف المحسني، ولد في عام ١٣٥٤هـ في مدينة قندهار الأفغانية. سافر عام ١٣٧٢هـ إلى النجف الأشرف؛ لدراسة العلوم الدينية في حوزتها العلمية، وتدرج في دراسته حتى بلغ مرحلة دراسة البحث الخارج، فكان حضوره لدى السيد محسن الحكيم، والشيخ حسين الحلي، والسيد الخوئي. ثم عاد بعد اثني عشر عاما إلى أفغانستان، فأسس أكبر حسينية في مدينة قندهار، ومدرستها العلمية. وفي عام ١٤٠٠هـ قام مع جماعة من رجال الدين في قم المقدسة بتأسيس تشكيل (الحركة الإسلامية في أفغانستان)، والذي يضم مجاميع من التيارات والأحزاب السياسية المختلفة. مؤلفاته عديدة، منها: كتاب (صراط الحق)، و(مشرعة بحار الأنوار)، و(الفقه والمسائل الطبية).

(٤) حركة إسلامية سياسية تشكلت في عام ١٩٨٤م في باكستان، لمطالبة الدولة بتطبيق الفقه الجعفري في دوائر الدولة أسوة بالفقه السني.

(٥) السيد عارف حسين الحسيني. ولد في منطقة باراجنار في باكستان عام ١٩٤٧م. أنهى الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، ثم دخل عام ١٩٦٥م المدرسة الجعفرية، ثم توجه إلى مدينة النجف الأشرف؛ لإكمال دراسته الحوزوية العليا، وفي عام ١٩٧٣م تمّ إبعاده منه، فتوجه إلى مدينة قم المقدسة في إيران؛ لمواصلة دراسته الحوزوية، ثم أبعده السلطات الأمنية الإيرانية أبان الثورة الإسلامية إلى باكستان. وفي عام ١٩٨٤م انضم إلى (حركة تطبيق الفقه الجعفري)، وفي عام ١٩٨٧م أعلن ﷺ عن تحويلها إلى حزب

ومع قطع النظر عن الملابس، التي أحاطت ببعض هذه الحركات أو التطورات التي انتهت إليها أو الاختلاف بينها في الحجم والأهمية والآثار، إلا أن الطابع الإصلاحي العام لها كان يصنّفها في الفرضية الثالثة، حيث إنها حركات كانت تبدأ من العلماء والحوزة العلمية، ولكنها ليست مؤسسة من مؤسساتها، ولا تعمل ضمن إطارها وتشكيلاتها العامة، كما أن منهجها كان منهجاً شمولياً يهتم بالقضايا الأساسية ويحاول معالجة القضية السياسية الاجتماعية بشكل أساسي.

نعم، من الممكن أن يقال - وهو كلام فيه جانب كبير من الحق -: إن أكثر الحركات التي عاصرت مرجعية الإمام الحكيم، كانت نتاجاً لحركته الإصلاحية، وامتداداً لمسيرته العامة، وإن كانت قد تختلف عنها في بعض التفاصيل. ونفس الشيء يمكن أن يقال في الحركات الإصلاحية التي عاصرت انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

ومن هذا المنطلق يمكن القول: إن مرجعية الإمام الحكيم، كانت رائدة النهضة الإسلامية المعاصرة - بعد الحرب العالمية الثانية - حيث كانت المرجعية العامة الأولى التي تصدت للعمل الإصلاحي العام بكل أبعاده، وكان لها تأثيراتها الفعلية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي الشيعي، من خلال الرجال، الذين تربوا على هذه الحركة الإصلاحية أو ساهموا فيها في مدرسة النجف الأشرف وحركتها الإصلاحية، كما هو واضح من أسماء الرجال الذين تمّ ذكرهم.

---

سياسي باسم (الحركة الإسلامية الجعفرية الباكستانية). استشهاداً لله عام ١٩٨٨م بفعل عملية اغتيال. للتفاصيل انظر: مستدركات أعيان الشيعة ٨: ١٠٨.

فباستثناء إيران - التي لها خصوصياتها المذهبية والحركية والسياسية - نرى أن التأثير المباشر كان للحركة الإصلاحية للإمام الحكيم، بل يمكن القول: إن التطور الكبير الذي تحقق من مرجعية الإمام الخميني قده ونهضته الإصلاحية الكبرى، كان أحد أسبابه المهمة هو الأرضية التي هيأتها مرجعية الإمام الحكيم قده في النجف الأشرف، ومواقفها في إضفاء الشرعية على هذا التحرك والتفاعل معه بصورة جيدة، يمكن أن تتضح من خلال المقارنة مع موقف مرجعية الإمام البروجردي وسائر العلماء المعاصرين للإمام الخميني قده.

### الفرضية الرابعة: الإصلاح التجزيئي خارج الحوزة

تمّ التركيز في فرضية الإصلاح التجزيئي من خارج الحوزة العلمية على مفردات المشاكل ومصاديق الإصلاح، ومحاولة حل المشاكل ومعالجة الفساد، ولكن من خلال المؤسسات من خارج الحوزة العلمية وأجهزتها، كما كان يقودها في أكثر الأحيان رجال من الحوزة العلمية أو من المرتبطين بمؤسساتها وأجهزتها.

وقد اهتمت هذه الحركة بمجالات عديدة وبشكل تجزيئي، ولكن ثمة مجالات ثلاثة - تكاد تستوعب غالبية المساحة التي كانت تتحرك فيها هذه الحركة - وهي:

الأول: مجال التربية والتعليم، من خلال تأسيس المدارس النظامية، وتطوير المناهج الدراسية في الشكل والمضمون، والكتب التعليمية الدراسية، أو تيسيرها للدارسين.

الثاني: مجال النشر والتأليف والبلاغ وإحياء التراث الإسلامي، وتطوير عرضه، وتيسير تناول مفاهيم الإسلام، والأحكام الشرعية، وتحمل مسؤولية الدفاع عن أفكاره وعقائده ورؤاه.

الثالث: مجال الرعاية الاجتماعية للفقراء والضعفاء والأوساط المستضعفة. وبالرغم من أن الفرضية الأولى ببعض تفاصيلها وامتدادات الثانية، كانت تتداخل في حركتها مع الفرضية الرابعة، إلا أننا نلاحظ: أن مساحة كبيرة نسبياً في التفصيل كانت مجالاً لحركة هذه الفرضية وحدها.

### مصاديق الفرضية الرابعة

ونجد أمامنا شواهد عديدة في عالمنا الإسلامي لهذه الحركة الإصلاحية، وذلك في الجمعيات الإسلامية التي أسست للاهتمام بالمجالات المذكورة أعلاه أو غيرها.

مثل: جمعية المدارس الجعفرية في بغداد<sup>(١)</sup>، وقبلها جامعة أهل البيت عليه السلام أيضاً، وجمعية الصندوق الخيري في بغداد<sup>(٢)</sup>، التي بدأت من خارج الحوزة العلمية، ثم تحولت للالتحام مع الحركة الإصلاحية للإمام الحكيم، التي

(١) جمعية قامت بتأسيس المدرسة الجعفرية في بغداد بتاريخ ١٩٢١/٧/٨ م. وأول من تولى رئاسة الجمعية وإدارة مدرستها منذ تأسيسها سنة ١٩٠٨ م إلى ١٩١٨ م، هو الشيخ شكر الله بن أحمد، وهو من علماء بغداد والكاظمية.

(٢) جمعية إسلامية خيرية تأسست في بغداد عام ١٩٥٨ م، وقد أنشأت لها فروعاً في مدن أخرى من العراق كالكاظمية، والديوانية، والبصرة، وغيرها، وقد كان يرأسها السيد مرتضى العسكري. للتفاصيل انظر: محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق: ٩٦.

بدأت تستقطب حتى مفردات خارج الحوزة العلمية وتربطها بالحوزة، وأصبحت جزءاً منها، وجمعية المدارس الجعفرية في صور<sup>(١)</sup>، وجمعية المدارس المحسنية في دمشق<sup>(٢)</sup>، ومدرسة الغري في النجف الأشرف<sup>(٣)</sup>، والمدارس العلوية في طهران<sup>(٤)</sup>، وصناديق قرض الحسنة في إيران، ودور النشر في النجف الأشرف، وطهران، ولبنان، وغير ذلك من المصاديق والمفردات.

### أسماء بارزة في الحركة الإصلاحية المعاصرة

لقد كان لكل الفرضيات المتقدمة رجالها الأفاضل المخلصون - المعروفون أو المجهولون - الذين تحملوا أعباء المسؤولية الكبيرة، وواجهوا المصاعب والمحن والآلام، التي يواجهها المخلصون المصلحون، كسنة من سنن التاريخ الإنساني، وقدّموا خدمات عظيمة للإسلام والمسلمين، ومن ثم

(١) أسس الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين في صور مدرسة أكاديمية أسماها (المدرسة الجعفرية) في عام ١٩٣٨م، كما أسس مدرسة الزهراء عليها السلام، وهي خاصة بالإناث، وبناء الروضة الجعفرية للأطفال، وأنشأ مسجد الجعفرية.

(٢) جمعية أسسها العلامة السيد محسن الأمين في سورية عام ١٣٢١هـ، وكان رئيسها، وقد قام عليه السلام بتأسيس المدرسة المحسنية في دمشق.

(٣) «لم تكن هناك مدارس عندما فكر البعض في تأسيس مدرسة ليلية لمكافحة الأمية، ثم تأسس مدرسة نحارية للصغار، فقد تألف جمع من الفضلاء والتجار وأسسوا مدرسة باسم مدرسة (الغري)، ثم ما لبثوا أن اتخذوا من القلعة التركية الواقعة إلى اليمين من الداخل من باب النجف الكبيرة وعند بداية محلة المشراق محلاً لها، وقد تأسست هذه المدرسة في سنة ١٣٤٠هـ واحتلت مكانة مرموقة بين المدارس الابتدائية، واسدت إلى الأُميين من الكبار في تدريساتها الليلية أفضالاً كبيرة». مدارس النجف القديمة والحديثة: ٦٧.

(٤) مدرسة أكاديمية أسسها الشيخ علي أصغر الكرباسجي.



للإنسانية كلّها، ولهم مراتبهم وأجرهم عند الله تعالى. وقد كان بعض هؤلاء الرجال المخلصين يقوم بأدوار متعددة، ويبادر إلى كل فرصة سانحة، ويتحرك في هذا المجال وذاك؛ لأنّ هدفه التقرب إلى الله تعالى، وتحقيق الأهداف الصالحة. وهناك أسماء بارزة تردد صداها في الحوزات العلمية، وفي أنحاء العالم الإسلامي بشكل واسع أو محدود وبمستويات متفاوتة، منها:

المرحوم العلامة آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء<sup>(١)</sup>، الذي كانت له فعاليات متميزة على مستوى العالم الإسلامي والأوضاع السياسية، مضافاً إلى مبادراته الخاصة المتميزة في بعض كتاباته، مثل: تحرير المجلة، والدعوة الإسلامية، والمثل العليا في الإسلام، وغيرها.

وكذلك العلامة آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي<sup>(٢)</sup>، الذي كانت له

(١) الشيخ محمد حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء. ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٩٤هـ، وكان عالماً أصولياً فقيهاً، وكتاباً بارعاً لا يدانيه أحد. برز بين أقرانه في وقت قصير؛ لذكائه الخارق ونبوغه المبكر، ونال الدرجة العلمية العالية وهو في أوان عهد شبابه. انعقد لواء المرجعية الدينية له عليه السلام بعد وفاة السيد كاظم اليزدي. سافر في ٢٥ رجب عام ١٣٥٠هـ من النجف قاصداً القدس؛ لحضور مؤتمر إسلامي عام فيها لبحث الأوضاع في فلسطين، وتألّف عليه السلام هناك بخطابه وطرحة الجريء. كتبه عديدة، منها: (نبذة من السياسة الحسينية)، و(أصل الشيعة وأصولها)، و(نقض فتاوى الوهابية)، وغيرها الكثير. توفي عام ١٣٧٣هـ. للتفاصيل انظر: معارف الرجال ٢: ٢٧٢.

(٢) الشيخ محمد جواد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب البلاغي، ولد سنة ١٢٨٢هـ بمدينة النجف الأشرف، بدأ عليه السلام دراسته الحوزوية في مدينة الكاظمية المقدسة، وأكملها في مدينة النجف الأشرف عند جملة من الأعلام، منهم: الشيخ محمد طه نجف، والشيخ محمد كاظم الخراساني، والشيخ محمد تقى الشيرازي، وتتلّمذ تحت منبره جملة من الأعلام، منهم: السيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ محمد أمين زين الدين، والسيد محمد رضا الطباطبائي التبريزي، وغيرهم. امتاز عليه السلام باتقانه للغة الفارسية، والانكليزية،

فعاليات واسعة و متميزة أيضاً على مستوى العالم الإسلامي في مجال مواجهة الحملات التبشيرية، وتطوير الشعائر الحسينية، وتيسير تفسير القرآن المجيد.

وآية الله العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي<sup>(١)</sup>، الذي كان لكتبه في الفلسفة، والعقيدة، والتاريخ دور كبير في الثقافة الإسلامية، بحيث تكوّن من حركته، مدرسة فكرية مؤثرة وفاعلة، لها طلابها الكبار، أمثال: الشهيد العلامة المطهري<sup>(٢)</sup>.

والعلامة آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر، المفكر

والعبرية، واستفاد من ذلك في قراءة التوراة والإنجيل والرد على كل الشبهات. تُوفي سنة ١٣٥٢هـ. للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٤: ٢٥٥.

(١) السيد محمد حسين ابن السيد محمد ابن السيد محمد حسين الطباطبائي. ولد عام ١٣٢١هـ بمدينة تبريز في إيران، وفيها بدأ دراسته الحوزوية حتى أكمل مرحلة السطوح، ثم هاجر إلى النجف الأشرف؛ لإكمال دراسته الحوزوية، وبقي هناك إحدى عشرة سنة يحضر دروس الفقه، والأصول، والفلسفة، والأخلاق عند علمائها الكبار، حتى نال درجة الاجتهاد. وفي عام ١٣٥٣هـ عاد إلى تبريز، وبعدها انتقل إلى مدينة قم المقدسة وواصل مشواره العلمي في التدريس والتأليف، ومن مؤلفاته: (تفسير الميزان)، و(حاشية على كفاية الأصول)، و(بداية الحكمة)، و(نهاية الحكمة)، و(رسالة في الحكومة الإسلامية). وافاه الأجل عام ١٤٠٢هـ. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ٥٣٣.

(٢) الشيخ مرتضى ابن محمد حسين مطهري، ولد عام ١٣٣٨هـ في محافظة خراسان الإيرانية، بدأت دراسته العلمية في مدينة (مشهد)، ثم هاجر إلى مدينة قم المقدسة؛ لتحصيل العلوم الدينية، فدرس الفلسفة، والفقه، والأصول عند الإمام الخميني، كما حضر دروس الفلسفة والحكمة الإلهية عند العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، والشيخ مهدي المازندراني. كان أحد أعمدة الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م. له مؤلفات عديدة ومهمة، منها: (العدل الإلهي)، و(في رحاب نوح البلاغة)، و(الإنسان والقضاء والقدر)، و(المجتمع والتاريخ). تمّ اغتياله على يد جماعة (فرقان) عام ١٣٩٩هـ. للتفاصيل انظر: مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢٥٢.

الإسلامي، والمرجع الديني، الذي كان له دور التنظير في مختلف مجالات الفكر الإسلامي، كما كان له دور الممارسة الإصلاحية الشمولية العامة، والتي بدأها على أساس الفرضية الثالثة، ثم تطورت إلى الفرضية الأولى، والاستمرار على نهج الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام الحكيم قلبي، ثم تطورت حركته بعد انتصار الثورة الإسلامية، فجاءت منسجمة مع الحركة الإصلاحية للإمام الخميني قلبي وقد ضمها بمداده العلمي، ودمائه الزكية الشريفة.

مضافاً إلى أنه قلبي مارس شخصياً أدواراً عديدة في الإصلاح، على مستوى المفردات والمبادئ تحركت في مناهج التدريس، وتنظيم الحوزة، وفي المدارس الأكاديمية، وفي العمل السياسي المنظم، وفي المؤسسات الحوزوية المختلفة والمتعددة الأغراض.

والعلامة آية الله الشيخ محمد رضا المظفر<sup>(١)</sup>، الذي كانت له مساهمات وأدوار واسعة متعددة، سواء في تأسيس والتزام (جمعية متدى النشر)<sup>(٢)</sup>

(١) الشيخ محمد رضا ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الله المظفر، ولد في النجف الأشرف عام ١٣٢٢هـ، وفيها ترعرع في أحضان أسرة علمية، وبدأت حياته الدراسية ومشواره العلمي مع مناهج الحوزة العلمية التي استوعبها بامتياز حتى استقل بآرائه الأصولية والفقهية. يعتبر أحد رواد النهضة التحديدية في الحوزة العلمية. خلف آثاراً فكرية عديدة، منها: (السقيفة) وهو كتاب تاريخي تحليلي لوقائع ما بعد وفاة النبي صلوات الله عليه، و(أحلام اليقظة)، الذي استعرض فيه نظريات صدر المتأهين في الفلسفة، و(حاشية على البيع والخيارات لمكاسب الشيخ الأنصاري)، وهو فقه استدلائي، و(أصول الفقه)، و(عقائد الإمامية). توفي سنة ١٣٨٣هـ، للتفاصيل انظر: ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٧٤.

(٢) «وهي من الجمعيات العاملة، لها أثر بيّن في التربية والتهذيب، وفيها رجال قديرون لهم مكانتهم السامية، ومحل شريف في النفوس، عميدها الأستاذ الفاضل الشيخ محمد رضا المظفر، وهو من الرجال

ومؤسساتها، أم في تأسيس (كلية الفقه)<sup>(١)</sup>، أم في كتابة المناهج الحوزوية أم في طرح الإصلاح على مستوى المنبر الحسيني والتعليم الديني، أم في الحضور في منتديات العالم الإسلامي.

والعلامة الشيخ محمد تقي القمي<sup>(٢)</sup>، الذي كان له دور متميز على مستوى التقريب بين المذاهب الإسلامية، والتعريف بمذهب الإمامية في أوساط المذاهب الأخرى.

والعلامة السيد موسى الصدر، الذي قاد وأسس حركة الإصلاح في لبنان في العقود الأخيرة، بدعم وإسناد من المرجعية الدينية للإمام الحكيم عليه السلام.

والعلامة الشهيد آية الله السيد محمد سرور البهسودي في أفغانستان، الذي كان له دور تأسيس النهضة الإسلامية في كابل وأخوته العلماء، أمثال: آية الله الشيخ سلطان مؤسس المدرسة السلطانية في مزار شريف.

---

العاملين، ولقد أجهد نفسه واتعب حواسه في ترقية هذه الجمعية». المصدر السابق: ١: ٣٩٨.

(١) تأسست كلية الفقه عام ١٩٥٨م في النجف الأشرف، وكان العلامة الشيخ محمد رضا المظفر عليه السلام أول عميد لها، وتختص بدراسة الشريعة والعلوم الإسلامية.

(٢) الشيخ محمد تقي الدين بن أحمد القمي. ولد في طهران عام ١٩٠٨م من أسرة علمية دينية، حيث كان والده كبير القضاة الشرعيين بطهران. بدأ دراساته الحوزوية بعد إكمال المرحلة الثانوية من دراساته الأكاديمية. اهتم منذ بداية حياته العلمية بفكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، فتوجه على أثر ذلك إلى مصر عام ١٩٣٧م؛ لنشر فكرة التقريب، ثم عاد إلى إيران عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهائها عاد إلى مصر بتأييد من المرجع الديني السيد البروجوردي، وأسس في القاهرة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية عام ١٩٤٧م. توفي عام ١٩٩٠م في باريس، ودفن بطهران. للتفاصيل انظر: مجلة الكلمة، العدد (٦١)، السنة الخامسة عشرة، حريف ٢٠٠٨م. ١٤٢٩هـ.

والعلامة السيد النقوي، وخريجي مدرسة العلامة السيد صفدر حسين النقوي مؤسس جامعة المنتظر وغيرها، والشهيد العلامة السيد عارف الحسيني، وغيرهما في باكستان.

والعلامة آية الله السيد محمد تقي الحكيم، الذي كان له دور متميز في تحديث المباحث الأصولية، والانفتاح على الأوساط المثقفة في العراق ولبنان ومصر، والكتابة في أصول الفقه المقارن.

وهناك أسماء أخرى كبيرة يصعب استيعابها وذكرها.

## ملاحظات عامة حول الحركة الإصلاحية

ثمة ملاحظات عامة ومهمة لا بدّ من الإشارة لها؛ لارتباطها بالحركة الإصلاحية في الحوزة العلمية، وهي:

الأولى: إن تقويم الحركة الإصلاحية، وتفضيل فرضية منها على أخرى يحتاج إلى دراسة ميدانية مستوعبة، تستند إلى الوثائق والأرقام العلمية. ولكن مع تأكيد كل ذلك، يمكن أن أعبر عن تصوري الخاص بهذا الشأن، الذي يعتمد على المطالعة العامة للحركات الإصلاحية من ناحية، والمعاشة الشخصية للأحداث، والفترة المهمة التي شهدتها عن كثب من خلال موقعي في مرجعية الإمام الحكيم، والشهيد الصدر، والثورة الإسلامية في إيران من ناحية أخرى، والتحليل الدقيق لبعضها على الأقل من ناحية ثالثة.

وتصوري هو: أن الفرضية الأولى تمتاز إيجابياً على الفرضيات الأخرى ليس في شموليتها وأهمية أهدافها وحجم قضاياها فحسب، بل إن التجربة

دلت على أن النتائج والآثار كانت لصالحها، من حيث الحجم، والمضمون، والأهمية، والقدرة على البقاء والاستمرار.

كما أن حجم التضحيات والآلام والمحن والضغوط التي كانت تواجهها أكبر بكثير مما تواجهه عادة الفرضيات الأخرى، ولعلّ هذا أحد الأسباب المهمة، التي حملت بعض المصلحين على عدم التزام هذه الفرضية، والتحول إلى الفرضيات الأخرى.

على أنه لا يوجد شك لديّ بأن بعض هؤلاء المخلصين، الذين لم يلتزموا الفرضية الأولى، إنّما كان ذلك منهم؛ لعلّة عدم وجود الفرصة لديهم، أو لعدم توفر الإمكانيات المطلوبة، أو للاختلاف في تقدير الموقف السياسي. والله هو العالم بحقائق الأمور.

الثانية: إن بعض الحركات الإصلاحية ومؤسساتها كانت تبدأ أحياناً من الحوزة العلمية، ثم تتحول - بسبب عوامل مختلفة - إلى خارجها، كجمعية منتدى النشر، التي بدأت مؤسسة من مؤسسات الحوزة لتقوم بنشر وإحياء التراث الإسلامي، ثم تطورت للاهتمام بإصلاح المنبر الحسيني والدراسة الدينية، ولكنها واجهت صعوبات انتهت بها إلى الطريق المسدود تقريباً في هذه المجالات، حتى انفتحت على كسب الاعتراف الرسمي بكلية الفقه، فتحولت إلى مؤسسة خارج الحوزة يقودها علماء من الحوزة، وتلخصت في (كلية الفقه)، وكذلك حركة أمل في لبنان، فإنها بدأت كجناح مسلّح مكمل للحركة الإصلاحية التي قادها العلامة السيد موسى الصدر من خلال تأسيس (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى)، الذي أريد له أن يمثل الطائفة الشيعية في لبنان دينياً، ولكنها تحولت بعد ذلك إلى مؤسسة مستقلة

عن المجلس المذكور.

وبعض هذه المؤسسات كانت تبدأ من خارج الحوزة، ولكنها تحولت تدريجياً إلى مؤسسة ترتبط بالحوزة العلمية في حركتها وأهدافها العامة، كما هو الحال في جمعية الصندوق الخيري في بغداد، التي تم تأسيسها خارج إطار الحوزة، ولكنها ارتبطت تدريجياً بالحركة الإصلاحية العامة للإمام الحكيم وتوسعت في أعمالها وتنوع نشاطها، وأصبحت ضمن هذه الحركة العامة.

كما أن هناك جمعيات ومؤسسات قامت بنشاط مهم في الحوزة، ولكنها لم تكن قادرة على تحقيق أهدافها الكبيرة، فطلت تراوح مكانها، كجمعية الرابطة الأدبية، وجمعية التحرير الثقافي على اختلاف في مستوى الفاعلية بينهما لصالح جمعية الرابطة الأدبية.

الثالثة: هناك حاجة حقيقية لدراسة مستوعبة للشخصيات العلمية التي كان لها دور في حركة الإصلاح؛ للاستفادة من تجاربها الثرية المعطاءة، ولتقويم عملهم من حيث نتائجه وآثاره الإيجابية والسلبية بشكل موضوعي وعلمي بعيداً عن العواطف والأحقاد أو المواقف المسبقة، وبعيداً عن المجاملات أيضاً، وما يفرضه التكريم أحياناً من قيود، فالتكريم شيء مهم وضروري؛ لأنه مصداق لسنة إلهية، وهي شكر المنعم، ولكن التكريم لا يعني بالضرورة ألا تكون في النتائج والأعمال سلبيات أو مستويات من الأهمية؛ لأننا إذا كنا لا نشك بإخلاص هؤلاء الرجال المصلحين - وهو كذلك - فلا يعني ذلك أن كل أعمال المخلصين لا بد أن تكون مطابقة للصواب إذا لم يكونوا معصومين.

الرابعة: إن بعض رجال الإصلاح كان يركّز على إصلاح الحوزة العلمية؛

لاعتقاده: أن الحوزة العلمية مفتاح الإصلاح في المجتمع الإسلامي؛ لأنها تمثل القيادة الشرعية الصالحة للمجتمع؛ انطلاقاً من فكرة إذا صلح العالم صلح العالم، وقد ورد في الأحاديث الشريفة ما يؤكد هذه الفكرة<sup>(١)</sup>.

كما أنها في الوقت نفسه تمثل امتداداً مهماً في العمق التاريخي والروحي والنفسي، وفي الأفق الشعبي والثقافي والحياتي للناس، خصوصاً أتباع أهل البيت عليهم السلام، مما يجعل الإصلاح فيها له امتدادات واسعة.

مع أن المحصلة الكلية من الفكر الإسلامي، أن الإصلاح في المجتمع الإسلامي وإن كان يبدأ من إصلاح النفوس البشرية، ولكن الكامل منه لا يتم بدون تحقيق إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية للجماعة والأمة، وهو أمر يرتبط بإصلاح الحكم والإدارة العامة للأمة، وهذا ما ينسجم مع الفرضية الأولى.

الخامسة: إن بعض الحركات الإصلاحية من الفرضية الأولى، حاولت على مستوى التنفيذ والعمل أن توازن بين الاهتمام الشمولي الواسع الكلي وبين الاهتمامات التفصيلية التجزئية، وبذلك تمكنت أن تجمع إلى حد كبير بين إيجابيات الفرضية الأولى والفرضية الثانية، وتتصف بالمرونة في العمل في هذا المجال.

وهذا هو ما يميز مرجعية الإمام الحكيم عليه السلام، حيث إن مساحة الإصلاح في الأعمال التفصيلية واسعة، وتكاد تستوعب كل مجالاته، ولكنها في الوقت نفسه كانت تنظر إلى هذه التفاصيل نظرة كلية شمولية، ضمن مخطط واسع

(١) روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمرء». الجامع الصغير ٢: ١٠١، ح ٥٠٤٧.



مترايط الأطراف والأجزاء، ويصب في محصلته الكلية في الهدف الرئيس للإصلاح، وهو إصلاح الأوضاع العامة السياسية، والفكرية، والثقافية، والحياتية.

وهذه الموازنة وتوزيع الجهد، وإن كانت له سلبياته في عدم توظيف الجهد كلّه باتجاه الهدف الرئيس، ولكنه له إيجابياته وأحياناً ظروفه الملحة التي لا يمكن إهمالها، ولا سيما في مجتمع مثل العراق، الذي كان يتصف بالعزلة عن العمل السياسي، والحرمان في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والفكرية.

والمهم في هذه الموازنة أن يكون العمل في مجال التفاصيل منطلقاً من النظرة الكلية الشمولية للأهداف والمجالات الرئيسة.

السادسة: ضرورة أن يعرف طلاب الحوزة العلمية الخصائص المميزة لهذه المناهج أولاً، وخلفياتها ورؤيتها ودليلها الشرعي، وجانب الحكم فيها، والآثار الشرعية المترتبة عليها ثانياً.

## رؤيتنا في الإصلاح

الإصلاح حركة موجودة في الحوزة العلمية، ولا بدّ من إسنادها، والمساهمة فيها؛ لأنها تعبّر عن تجديد متواصل، وعن نضج وتطور في الحركة العامة لهذه المؤسسة، ولكن ليس المقصود منه التجديد في أصل حركة الحوزة العلمية، بمعنى: تهميشها والتحول إلى أساليب تنظيمية جديدة في مجتمعاتنا الإسلامية، فهذا أمر رفضه كل العلماء الأعلام، والتجربة دليل على فساد هذه النظرية، وإنما المراد من ذلك: التجديد في المناهج والأساليب، التي

تتلائم مع كل عصر وزمان.

ولذا نعتقد: أن التجديد والإصلاح لا بد أن يكون ضمن أسس وقواعد وضوابط محددة وواضحة، وألا يخرج عن الأسس والأطروحات، التي تشكلت وتكونت منها الحوزة العلمية؛ ليكون إصلاحاً وتجديداً مرتبطاً بالإسلام، وبأصل الحوزة وفكرها، وبالتالي فالتجديد لا بد أن يكون من داخلها، وفي إطارها، وعلى أسسها وقواعدها، ووفق الأصول والضوابط التي وُضعت لها، لا أن يكون تهميشاً وإلغاءً لها ولأصولها، أو زعزعة لقواعدها وأسسها.

وهذا مما دعا إليه الإمام الحكيم قدس سره، ولالإمام الخميني قدس سره رسالة خاصة في ذلك، حيث أوضح فيها الحاجة الماسة إلى الاجتهاد؛ من أجل الوصول للحكم الشرعي، ولكن في الوقت نفسه أكد على الحاجة إلى التجديد في الأساليب والمناهج وطريقة التعامل مع الأحداث، بحيث يمكن مواكبة الحاجات القائمة في هذا العصر.

وهذا الأمر شبيه بمنهج الاجتهاد المنضبط والمقنن بالقواعد والأصول الشرعية، الذي تبناه أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث ورد عنهم ذم الاجتهاد الذي يعتمد على الاستحسانات، والمصالح المرسلة، والظنون، وغير ذلك<sup>(١)</sup>، والذي أدى إلى وقوع مصائب وكوارث في أوساط المسلمين.

وفي الوقت نفسه رفض منهجهم حالة الانغلاق في حركة العلم، وما يسمى بـ(سد باب الاجتهاد)، ففي الوقت الذي نرفض فيه سد باب

(١) روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله، لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه». المحاسن ١: ٢٠٥، ح ٦٠.

الإصلاح والتجديد في الحوزة، نؤكد على ضرورة أن يتم ضمن قواعد وضوابط واضحة ومحددة.

### انعطافة شيخ الطائفة

فحالة الجمود والركود والانكفاء على الذات، والبقاء على الوسيلة الواحدة والأسلوب والمنهج الواحد، كمبدأ من المبادئ، تمسكاً بالتراث، فهذا ما رفضه القرآن الكريم وأدانه ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

نعم، لا يجوز أن ندير الظهر للمرحلة السابقة، ونلغي كل معالمها وآثارها؛ لأن العمل التطويري والتكاملي ضروري أن يعتمد على المرحلة السابقة، فشيخ الطائفة قدس سره يمثل مرحلة مهمة جداً من مراحل الحركة العلمية للحوزات، فعند المقارنة بينه وبين الشيخ الصدوق قدس سره - والفاصل الزمني بينهما محدود - نجد فرقاً كبيراً من الناحية النوعية بينهما.

فالشيخ الصدوق قدس سره كان يُعرف بكثرة مؤلفاته، التي تناولت مختلف الموضوعات الإسلامية، ومنهجه فيها يعتمد بشكل أساسي على تدوين الأخبار، وتصنيفها، وعرضها بشكل واسع.

وأما الشيخ الطوسي قدس سره، ففي الوقت الذي له مؤلفات عديدة ومختلفة، نراه يحتفظ بأصول ذلك المنهج، ويطوره، فينقله إلى مرحلة جديدة، وهي مرحلة الاستنباط، وبيان المحصلة والنتيجة المستنبطة من تلك الروايات، ثم

(١) الزخرف: ٢٣.

يصنفها إلى كتب وأبواب، ويقدمها للباحثين.

فهذا التطور والتحول في منهج الشيخ الطوسي عليه السلام يؤشر إلى منهج مهم لا بدّ من أخذه بعين الاعتبار، وهو الإستفادة من تجارب المتقدمين ودراساتها، ثم بعد ذلك تبدأ مرحلة جديدة من التطور بشرط الحفاظ على الهوية.

### الإصلاح في الحوزة العلمية

إن الظروف الجديدة التي تواجهها الحوزة العلمية، اختلفت تماماً عن ظروف ما قبل سقوط الدولة الإسلامية، فالمسلمون عاشوا آنذاك ضمن الكيان الإسلامي والحالة الإسلامية، وبالتالي كانت حاجاتهم الفكرية والعلمية والثقافية محدودة، أما بعد سقوط الدولة الإسلامية، واحتلال المستعمر الغربي الكافر لبلاد المسلمين، أصبح العالم الإسلامي مهدداً في كل أبعاده؛ بسبب وقوعه تحت تأثير الغزو العسكري والثقافي والسياسي والاقتصادي، وأصبحت مسؤوليات الحوزة العلمية كبيرة جداً؛ لما تواجهه من ظروف جديدة على كافة الأصعدة.

ثم بعد قيام الدولة الإسلامية في إيران، وطرح الإسلام كمحور سياسي يتحرك على الأرض، صار هو الأمل، وبدأت البشرية تتطلع له كمنقذ لها، بعد اتضاح فساد الرأسمالية الديمقراطية وانحلالها ووجود الإشكالات الكبيرة فيها، خصوصاً بعد ظهور المعسكر الاشتراكي، الذي قام على أساس الإشكالات الموجودة فيها، وبعد يأسها من النظام الاشتراكي وأطروحت<sup>(١)</sup>،

(١) خصوصاً بعد سقوط الاتحاد السوفيتي.

التي كانت تعتبر الأطروحة التقدمية القادرة على إنقاذ العالم، وبالتالي شعور العالم الآن بعدم وفاء النظام الرأسمالي الديمقراطي بتلبية حاجاته، بل هو عالم الهيمنة والاستثمار والاستغلال والتسلط؛ ولذا يجب أن يُقدّم للبشرية كمنقذ قادر على دفع كل الإشكالات والشبهات التي تُثار حوله، وحول الدين والنظريات الدينية.

### الحاجة إلى تطوير الحوزات

وتأسيساً على ذلك تبرز الحاجة الملحة لتطوير واسع للحوزات العلمية، والعمل الجماعي الذي يتسم بالمنهجية والتخطيط، ليكون قادراً على تحقيق الأهداف الكبيرة، فالحوزات العلمية كانت تهتم حتى الآن بمنهجها في الدرس والتدريس؛ لفهم مضامين الكتب والروايات واستنباط المضمون. وتعتمد في حركتها الإصلاحية على المبادرات الفردية لهذا العالم أو ذاك، فالمنهج العام كان ولا يزال، هو أن يبادر هذا العالم إلى اختيار موضوع من الموضوعات، أو يلتزم قضية من القضايا؛ من أجل إيجاد عمل لتطوير حركتنا العلمية دون أن يكون ثمة منهج عام يحكمها في تنظيم هذه المبادرات، والوصول فيها إلى أفضل النتائج.

وهذه المبادرات لها أهمية كبيرة، وهي تستحق الكثير من التقدير والتمجيد، فعلماءنا الأعلام - جزاهم الله خير الجزاء - قاموا بأعمال عظيمة على مستوى هذه المبادرات، ولكن الأعمال الفردية مهما كانت عظيمة لا يمكنها الوفاء بالحاجات الكبيرة التي تواجهها الحوزات العلمية في العصر الحاضر، مضافاً إلى أن المبادرات الفردية لا يمكنها تلبية كل الحاجات، وتبقى تعبر

عن إحساسات الحاجة الفردية، فالإنسان بحسب إدراكه للحاجة سوف يتخذ مبادرة لسد الفراغ، ويبقى الإحساس بالحاجة ذاتياً مهماً توسعت دائرة إحساسه.

أما عندما يتحول الإحساس بالحاجة إلى إحساس جماعي بضرورة التطوير والإصلاح، فلا شك أن حجمه سيكون أكبر، وأبعاده ستكون أكثر؛ ولذا نحتاج إلى مبادرات جماعية تلبي هذه الحاجات بعد فهمها ومعرفة خصائصها، لسد الفراغ الذي تعانيه مجتمعاتنا في هذا العصر.

### الجوانب الهامة في تطوير الحوزة العلمية

والجوانب التي تحتاج إلى تطوير وإصلاح جانبان:

أحدهما: يرتبط بإصلاح المشاكل التي تعاني منها الحوزة العلمية، فهي بالرغم من أنها تمثل المؤسسة الثانية في الإسلام من حيث الأهمية، وبالرغم من الإنجازات العظيمة التي حققتها، إلا أنها بحاجة إلى إصلاح داخلي؛ بسبب المشكلات الداخلية التي تعيشها.

فبعضهم حين يتحدث عن الحوزة العلمية لا يرى إلا العناصر الإيجابية - وهي كثيرة - ويغفل عن المشكلات، وبعضهم الآخر يغفل الإيجابيات، ويرى المشكلات وحدها دون أن يفهم الموقف تجاهها، فينقلب على عقبيه. والصحيح: أن تكون ثمة موازنة دقيقة، بين فهم الحوزة العلمية وموقعها وأهميتها، ورؤية المشكلات الداخلية بصورة صحيحة ودقيقة وموضوعية، والاهتمام بمعالجتها بنوع من الواقعية. ويمكن الإشارة إلى عناوين المشكلات بما يلي:

١- نظام القبول، فلا يوجد نظام قبول صحيح ومركزي وكامل في الحوزة

العلمية، وإنما أنظمة القبول بقيت تمثل الماضي، وهذا ليس طعناً بالنظام السابق، فإنه كان يمثل مرحلة ترتبط بالماضي، كالنظام العسكري الذي كان يعتمد على السيف والرمح والدرع، وهو لا يعني أن السيف آنذاك أمر متخلف، ولكن مع التطورات التي حدثت على كل المستويات في العالم، لا بد أن يخضع القبول لأنظمة جديدة ومتطورة تتناسب مع تطورات العالم.

٢- نظام الدرس، فهناك حاجة ملحة إلى تطوير أنظمة الدرس، ولكن مع الاحتفاظ بالنقاط الثابتة لها، كحرية التفكير، وإعطاء الفرصة الكاملة للطالب والأستاذ في النمو والتطور.

٣- المواد الدراسية، فالمناهج الدراسية أيضاً بحاجة ماسة إلى تطوير؛ لتواكب العالم في قفزاته العلمية النوعية، بشرط الحفاظ على المنهج العلمي، فلا معنى لحوزة بلا منهج علمي، والمنهج الحوزوي القائم الآن، هو أفضل وأقوى منهج علمي.

٤- تحصيل الحوزة العلمية من الانفعال بالأوضاع السياسية القائمة؛ ليكون دورها دور الفعل والتأثير في الوضع السياسي، ودور الريادة والقيومية والقيادة، لا دور الانفعال والتلقي والتأثر بالأوضاع السياسية المحيطة بها، فإحدى مشكلات الحوزة - الآن - أنها غير محصنة بصورة كاملة لمواجهة الأوضاع السياسية القائمة.

٥- الأوضاع المعيشية، ففي السابق لم يكن الفاصل بين حياة طالب العلم، وحياة عموم الناس كبيراً؛ لأن الناس بصورة عامة كانوا فقراء.

أما الآن ومع التطور المعيشي بصورة كبيرة لعموم الناس، أصبحت الفواصل المعيشية كبيرة جداً بين الإثنين، وهذه ليست دعوة في أن يعيش

طالب العلم كما يعيش أصحاب الثروات؛ لأننا لا نأمل ذلك ولا ندعوه له، وإنما هي دعوة للاهتمام بالحياة المعيشية لطالب العلم ليزداد عطاءً. والآخر: يرتبط بموقع الحوزة العلمية وجعلها قادرة على حمل رسالة الإسلام إلى العالم، ودفع الشبهات والإشكالات التي تُثار حوله في العالم، مضافاً إلى تلبية ما ينتظر منها إسلامياً وعالمياً، ومحلياً وإقليمياً ودولياً. وهذا الأمر إنما يتحقق إن تم إصلاح وتطوير عدّة جوانب في الحوزة العلمية، منها:

### الجانب الأول: التخصص

إن العلوم الإسلامية كباقي العلوم العقلية والتجريبية حصلت فيها قفزات نوعية أدت إلى توسعها الكبير وإلى حصول نوع من التعقيد فيها، فكما حصل تعقيد في الاجتهاد الفقهي حصل هذا التعقيد في كل المجالات الأخرى، وحينئذٍ لا يمكن افتراض أن الحوزة العلمية التي خرّجت ولا تزال تخرّج المجتهدين الكبار قادرة على جعل كل واحد من هؤلاء يكون على درجة عالية في ذات الوقت بالفقه، والأصول، والرجال، والفلسفة، والكلام، والتفسير، وغير ذلك من العلوم الإسلامية. نعم، قد يمكن لنا بعبارة ونموذج خاص أن يتفضل الله عليه ويجمع كل هذه الأمور، ولكن البحث ليس عن أفراد معينين، وإنما عن حالة عامة. ومن هنا تحتاج الحوزة العلمية الآن إلى إيجاد مجموعات متخصصة في مختلف العلوم الإسلامية، بحيث تتناسب مع طبيعة التطور الذي حصل في كل ميادين الحياة.



### الجانب الثاني: البحث العلمي

إن البحث العلمي بأعلى درجاته الذي امتازت به الحوزة العلمية على مدى العصور، ركن مهم من الأركان التي حفظت مدرسة أهل البيت عليهم السلام من الانحراف أو الزوال وهي تواجه أعنف الصراعات الفكرية والسياسية والاجتماعية، وجعلها قادرة على البقاء والاستمرار، ثم التنامي والتطور.

ولعل هذا ما يفسر اهتمام الإمام المهدي عليه السلام بالحوزات العلمية بصورة خاصة، واهتمام كل الأجيال والصالحين من أبناء هذه المدرسة بقضية البحث العلمي الرصين وإعطائهم الأولوية له؛ لشعورهم أنه الحافظ بعد الله سبحانه وتعالى لهذا الوجود من ناحية أخرى.

وهذا الأمر يفرض الاهتمام بالبحث العلمي بأعلى درجاته للقضايا التي لها الأولوية في هذه المرحلة، وهي:

١- إمامة أهل البيت عليهم السلام، وولايتهم، ودورهم في الدفاع عن الإسلام، وكل ما يرتبط بهذه القضية العقائدية.

٢- المشكلات المعاصرة التي يواجهها العالم الإسلامي، والتحديات التي يتعرض لها، لا سيما في الألفية الثالثة، فهناك اهتمام عالمي في تغيير معالم العالم.

٣- مشكلات الشباب والمرأة؛ لأنها من القضايا المهمة المعاصرة التي تحتاج إلى متابعة خاصة على مستوى البحث المعمق.

### الجانب الثالث: تحقيق التراث

هناك حاجة دائماً لتجديد النظر في التراث وإعادة ترتيبه والاستفادة منه؛ لأن الحوزة العلمية معنية بنقل وعرض ما جاء من الله سبحانه وتعالى

للناس، وما جاء منه تعالى إنما ورثناه من طريق ما تناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل، حتى يتصل بجيل الرسالة والأئمة عليهم السلام.

وهذا الأمر يحتاج إلى تحقيق كبير وتنقيب واسع في ما ورثناه، حتى يمكن الوصول إلى نتائج معينة، ويتطلب أمرين:

١- إيجاد مركز للتحقيق والمطالعة، بإشراف ذوي الاختصاص والمهتمين بمتابعة البحث والتحقيق.

٢- اعتبار مناهج التحقيق وتجارب المحققين مادة دراسية في الحوزة العلمية، حالها حال باقي العلوم المختلفة من الفقه، والأصول، والتفسير، وعلوم القرآن، واللغة العربية.

### الجانب الرابع: تطوير الجانب الفني

لا زالت الحوزة العلمية تعتمد إلى حد كبير الوسائل القديمة للهداية وإبلاغ الرسالة، في وقت أصبح الحصول على المعلومة، وعرضها، وإيصالها إلى أكبر قدر ممكن من الناس فن، وفن لا ينحصر بعلم البيان والبلاغة بعد تطور المعارف وفنونها تطوراً كبيراً، بل أصبح درس البلاغة غير كافٍ لذلك. ولذا هناك حاجة لهذا الفن الذي ليس له علاقة بالعلوم الحوزوية بالمعنى الأخص له، وإنما هو وسيلة لا بدَّ من إعطائها أهمية خاصة، وجعلها داخلة في المناهج الدراسية للحوزة العلمية؛ ليكون طالب العلم قادراً على الخطابة والكتابة والحوار، وإلا فبدون هذه الفنون قد يتحول الطالب إلى أميٍّ، لا بمعنى جهله بالحقائق، وإنما لعجزه عن إيصالها، فالعاجز عن استخدام الحاسوب - مثلاً - بصورة جيدة، قد يصبح في يوم ما عاجزاً عن القيام بدوره

الحقيقي، أو أن عالم الدين سابقاً لا يحتاج للاحتكاك بجماعة معينة، أو لارتقاء المنبر، فالناس يأتون ويسألوه، وهو على سجادة صلواته.

ولكن الآن اختلف الوضع وتغير جملةً وتفصيلاً، حيث يمكن لرجل الدين حضور المؤتمرات الفكرية والمشاركة في الندوات العلمية، بل يمكنه أن يخاطب العالم كله؛ ولذا هناك حاجة إلى فن البيان الجيد، والقدرة على العرض المناسب مع المضمون المتعدد والتركيب المناسب للمعلومات.

### الجانب الخامس: الانفتاح والمبادرة

ضرورة الانفتاح في الحركة العلمية والثقافية على العالم، وإلا فسوف نقع فريسة سهلة لغزوه، ونضطر أخيراً للانفتاح عليه مغلوبين لا غالبين، ومهزومين لا منتصرين، فالعزلة والانطواء والابتعاد والانزواء غير ممكنة في هذا العصر، وهي ضرب من الخيال، وبالتالي فيما أن نكون قادرين على الأخذ بزمام المبادرة، والقيام بتحقيق النصر والفتح في العالم، أو أن نتظر ليغزونا العالم، ويهاجمنا ونكون تحت تأثيره، ولا مناص من أحد هذين الأمرين. إن هذا الفهم للواقع الجديد يفرض على الحوزة العلمية عدة أمور:

١- الأخذ بنظر الاعتبار هذا النوع من الانفتاح الإيجابي والقهري المفروض علينا في منهجية الحوزة العلمية، وفي علومها، والبحوث والدراسات التي تصدر عنها.

٢- التنوع المعرفي وتلبية الحاجات، فالخطاب الفكري والثقافي الإسلامي يحتاج إلى ثروة معلوماتية ترتبط بالمضمون العقائدي، والفقهية، والأدبي، والتفسيري، إلى غير ذلك من المعارف الإسلامية؛ لأن إبلاغ الرسالة لا

يكفي فيه بأن يعرف رجل الدين الرسالة العملية للأحكام الفقهية، حتى لو كانت معرفته بها على مستوى استنباط أحكامها، وإنما يحتاج إلى حزمة من المعلومات العلمية والثقافية، بل قد تكون الحاجة ضرورية إلى تعلم لغة ما.

٣- الاستفادة القصوى من كل الإمكانيات التقنية التي يملكها الآخرون في حوارهم معنا، أو عدوانهم علينا، فنحن في هذا الحوار أو المعركة لا نملك سوى الإيمان بالله تعالى، والعلم والتحقيق، وهم يملكون تقنية متطورة جداً، فالفضاء - مثلاً - بيدهم يتحركون فيه بحرية مطلقة، حتى أصبحت بيوتنا مرتعاً لهم، يتحركون فيها بحرية من خلال الإذاعات، والفضائيات، والصحافة، وغير ذلك.

ولكن مع ذلك يبقى الترجيح لكفتنا؛ لأن توجه الإنسان في تكامله نحو المعرفة والوصول للحقيقة نخدمنا إلى حد كبير إذا أحسنّا استخدام وسائل الإعلام؛ لطرح الفكر الإسلامي، والمعرفة الإسلامية بكل أبعادهما، وأحسنّا استخدام الخطاب الفكري والثقافي بشكل جيد ومؤثر.

فالقرآن الكريم طرح الرسائل السماوية السابقة نفسها، ولكن بطريقة كان قادراً فيها على التأثير على الناس، وهذا يفرض علينا أخذ قضية الخطاب الثقافي والسياسي أخذاً قوياً، وأن نهتم بتطويره، خصوصاً وأننا نملك ثقافة أصيلة، ونملك علماً طاهراً نظيفاً لم يتأثر بأية حضارة أخرى، وهذا يعطينا دافعاً قوياً نحو إيجاد الخطاب المناسب الذي نواجه به الشعوب والأمم في هذا العصر، كما خاطب القرآن الكريم الشعوب والأمم في عصره.

إن هذه الإشكالات وأمثالها تحتاج إلى حركة إصلاح، وتظافر للجهود، وتلاحم لإمكانيات الطالب، والأستاذ، والمدرسة، والمرجع، والمتصدي؛

ليتم الوصول - بإذن الله - إلى تحقيق الهدف المنشود ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولكن لا بد من أخذ حركة الإصلاح من منابعها الأصيلة، ومن الخط الأصيل المتمثل بمراجع أهل البيت عليهم السلام، فليس كل من يرفع شعار الإصلاح يؤخذ بادعاءاته، فمنذ اليوم الذي خلق الله سبحانه وتعالى فيه الإنسان كان هناك إدعاء، فقد إدعى إبليس في مقابل آدم، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهناك من إدعى النبوة، والإمامة، والمرجعية على مر العصور والأدوار. فقضية الإدعاء قضية قائمة في الحياة الإنسانية، ولذلك أكد أئمة أهل البيت عليهم السلام على ضرورة أخذ العلم والمواقف من المصادر الأصيلة والصحيحة.

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) الأعراف: ١٢.



القسم الأول

رؤى عن الحوزة العلميّة

الفصل السّابع

الحوزة العلميّة  
بين الأصالة والمعاصرة





## موضوع البحث

يعتبر موضوع الأصالة والمعاصرة، وقدرة الشريعة على مواكبة تطور الحياة الإنسانية، وتقديم الحلول الدائمة والمستمرة لمشكلاتها، من أهم التحديات التي تواجهها الرسالات الإلهية، ولعلّ من أهم أسباب تعدد الرسالات الإلهية والتطور والنسخ<sup>(١)</sup> فيها، هو مواجهة هذا التحدي في الحياة الإنسانية؛ ولذا يكون التحدي في هذا المجال أمام الرسالة الإسلامية أكبر حجماً وأكثر وضوحاً؛ باعتبارها الرسالة الخاتمة.

وقد دلّت التجارب التي مرّت بها الرسالة الإسلامية، ولا سيما تجربة الحكم الإسلامي - التي تعتبر من امتيازات الشريعة الإسلامية - أنها قادرة على مواكبة تطور الحياة الإنسانية، ولعلّ أفضل شاهد لذلك، هو امتداد الحكم الإسلامي لمدة طويلة قاربت الثلاثة عشر قرناً، وقد مرّت البشرية طوال هذه المدة بتطورات هامة، وإن تدهور أوضاع الأمة الإسلامية، وسقوط الحكم الإسلامي في القرن الماضي، كان سببه ابتعاد أو انحراف أو تخلي المسلمين عن الرسالة الإسلامية.

كما أن عامة المسلمين لازالوا يؤمنون بهذه الحقيقة، ويعملون على عودة الشريعة الإسلامية إلى الحياة، بل عاد الحكم الإسلامي - والله الحمد - إلى الحياة

(١) النسخ: «رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمده وزمانه، سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية . كالوجوب والحرمة . أم من الأحكام الوضعية كالصحة والبطالان، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع». البيان للسيد الخوئي: ٢٧٧ .  
ولشهيد الخراب بحث حول فكرة النسخ في كتابه: علوم القرآن: ١٨٣ .

في بعض مناطق العالم الإسلامي بصورة بيّنة، ومنها: إيران وقيام الجمهورية الإسلامية فيها، ثم إنّ الحكم الإسلامي بالشريعة لم ينحسر بصورة مطلقة عن جميع أنحاء العالم الإسلامي، بل بقي صامداً في بعض البلاد بصورة أو أخرى.

ويواجه المسلمون في عودة الشريعة والرسالة إلى حياتهم عدة قضايا مهمة ومصيرية، لعل من أهمها كيفية التوفيق بين الثوابت والأصالة الرسالية، وبين التطورات الإنسانية الاجتماعية الحديثة بأبعادها المختلفة، والتي شهد القرن العشرين قفزة كبيرة فيها على مختلف المستويات.

وهذا الموضوع يفتح أمامنا آفاقاً عديدة من الحديث، وسأحاول بعجالة أن أتناوله في إطاره العام، من خلال فهمي للرؤية الرسالية والشريعة.

## تحديد مفهومي الأصالة والحداثة

لا بدّ - بدايةً - من تحديد مفهومي (الأصالة)، و(الحداثة)؛ لفهم كيفية مواكبة الأصالة للحداثة، والتوفيق بينهما؛ ولتلا نفع في متاهات الاختلاف في مداليل الألفاظ.

### مفهوم الأصالة

يعتبر مصطلح (الأصالة) من المصطلحات الكثيرة الاستعمال في لغة هذا العصر، فكثير ما تستعمل كلمة (الأصولية) التي ترتبط بقضية الأصالة في نشرات الأخبار.

فالغربيون الذين استخدموا هذه الكلمة، ورددوها الإعلام العربي

والإسلامي بالتبع، يريدون معنى آخر غير الرجوع إلى الأصول الذي هو معناها اللغوي<sup>(١)</sup>، والذي يعزّز الإنسان بالرجوع إليها، بل يشعر بالضياح والتهيه والانقطاع إذا لم يكن له أصل.

وإنما يقصدون من الأصولية، التي يتهمون المجموعات الإسلامية بها: حالة التطرف، أو حالة الوقوف والجمود على الصيغ، التي عرفها الإنسان في العصور السابقة، وكأن الأصولي، هو الإنسان الذي لا يتمكن أن يتحرك بفعله وعواطفه ومشاعره، أو بأي شيء من وجوده، وبالتالي لا يؤمن بأي شيء من التطور في حياة الإنسان.

ويحاول الغربيون تعميم هذا الفهم ليشمل كل المسلمين إنطلاقاً من بعض الأشخاص أو الاتجاهات الموجودة في العالم الإسلامي، التي تجمد على النصوص والأشكال والصيغ السابقة.

ومهما يكن من أمر، فالأصالة ربما يُراد منها أكثر من معنى:

١- قد يراد من الأصالة في مقابل الحداثة: التمسك بالمرورث الاجتماعي للمسلمين، من التقاليد والآداب والسنن. ولا شك أن الدين كان جزءاً من هذا المرورث أيضاً.

ولكن الحديث في مثل هذا الاتجاه ليس موضوع البحث كما أفهمه - وإن كان هناك مجال واسع للبحث فيه أيضاً - كما أن التمسك بالمرورث لمجرد أنه إرث لا يعبر عن قيمة عقائدية أو حضارية أو أخلاقية في نظر الإسلام، بل تعرّض الأقسام السابقون، الذين تمسكوا بالمرورث من هذا المنطلق إلى

(١) انظر: العين ٧: ١٥٦.

مؤاخذه شديدة في الرسائل الإلهية ومنها الرسالة الخاتمة، كما يؤكد ذلك القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

ولكن هذا الموروث إذا كان عقيدة إلهية تستند إلى الأدلة والبيانات والبراهين، فهي شيء مقدس؛ لخلفيته العقائدية والعلمية والقيمية، لا مجرد أنه موروث إجتماعي، ولا بد أن يتناوله النقد على أساس خلفيته العقائدية.

٢- وقد يراد من الأصالة: السلوك الاجتماعي والديني الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان أو غيرهم من الصالحين، ممن يطلق عليهم عنوان (السلف الصالح)؛ لافتراض أن هذا السلوك قد صاغته الرسالة الإسلامية أو الرسول ﷺ، أو للاعتقاد بالتزامهم في سلوكهم بالصياغات الرسالية.

وفي مقابل ذلك تأتي فكرة الحداثة والمعاصرة، وهي التخلي عن قيود هذا السلوك، الذي لم يثبت لزومه بصورة واضحة في الشريعة الإلهية؛ ولعدم ملائمته للظروف المعاصرة.

ولكن هذه الأصالة لا يوجد أي دليل على أصالتها بحد ذاتها؛ لأنه لا يوجد بين المسلمين من يوسع دائرة السنّة الشريفة، والشريعة الإسلامية لسلوك الصحابة أو غيرهم من التابعين والصالحين، باستثناء ما تذهب إليه الإمامية الاثني عشرية، من تعميم السنّة إلى هذه السيرة في حدود دائرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

(١) قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَخَدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ \* قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظْبٌ أَتَجَادِلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمِيئُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطٰنٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾. الأعراف: ٧١.

نعم، قد يكون هذا السلوك السلفي كاشفاً بطريقة ما عن الحكم الشرعي، كما يكشف الإجماع عنه، وقد يعبر عن ذلك بمصطلحات علم الأصول في الفقه الإمامي بـ(سيرة المتشركة)، التي يُستدل بها أحياناً على الحكم الشرعي، ولكن هذا الكشف ليس قضية مرتبطة بالأصالة، بل بطرق الإثبات التي تخضع للنقد في علم الأصول، بل الأصالة والثابت هو الشريعة والرسالة، وإنّ الصالحين - بصورة عامة - هم في معرض الخطأ، وإن كان سلوكهم قد يكشف بصورة احتمالية عن الشريعة، وقد يرتقي هذا الاحتمال ويتراكم حتى يصل إلى درجة الوثوق أو القطع واليقين، كما هو الحال - ولكن بدرجة أفضل - في خبر الواحد غير المعبر، الذي قد يتراكم الاحتمال فيه عند التعدد، فيصل إلى درجة القطع والوثوق في حالات التواتر والتظافر، كما أن الفعل لا يدل على أكثر من الجواز، حتى في سلوك المعصوم، فكيف بسلوك غيره، ومن الممكن بسهولة التكيف مع المعاصرة في منطقة الجواز ومساحته.

٣- وقد يراد من الأصالة: ما تفرضه الرسالة والشريعة الإسلامية، من ضرورة صياغة الحياة الإنسانية، ومسيرة السلوك الإنساني: الفردي والاجتماعي على ضوابطها وأحكامها؛ وذلك لوجود عدة بدييات ومسلمات إسلامية لا يمكن تجاوز خطوطها الحمراء، وهي:

الأولى: إنّ الرسالة الإسلامية، هي الرسالة الخاتمة، التي تمثل حالة التكامل في الدين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>، وعليه فلا يمكن أن تتعرض إلى النسخ أو

التغيير بعد وصولها إلى هذه الدرجة من التكامل، ومن هذا المنطلق كانت القاعدة المسلمة، التي دلت عليها النصوص الصحيحة: «حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، والتي أكدها القرآن الكريم بما جرى تأكيده من حدود الله والإنكار على تجاوزها<sup>(٢)</sup>.

الثانية: إنّ معرفة السلوك الإنساني، الذي يوصل الإنسان إلى التكامل المطلوب له في الدنيا والآخرة، لا يمكن أن يصل إليه الإنسان إلا من خلال الدين والهداية الإلهية، التي تصل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

والطريق إلى الوحي الإلهي، هو الكتاب الكريم، والسنة النبوية، والباقي، كالإجماع، والعقل، والتواتر، والخبر، والسيرة، وغيرها، إنّما هي أدوات كشف عن مضمون الكتاب والسنة، تختلف في مستويات الاحتمال فيها حسب طبيعتها.

وهذه المسلمة وتفرعاتها يتم بحثها - عادةً - في بحث ضرورة الدين والشريعة، وبحث الأدلة في أصول الفقه.

الثالثة: النصوص الواضحة لعموم الشريعة وشمولها لكل تفاصيل الحياة الإنسانية دون استثناء، والتي أكدها القرآن الكريم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

(١) جامع أحاديث الشيعة ٢٥: ٢٧٧، ح ٧١٥.

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. البقرة: ٢٢٩.

(٣) البقرة: ٣٨.

تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً ﴿١﴾، مضافاً إلى الروايات الشريفة التي تؤكد وجود تفاصيل حتى (أرش الخدش)، ومن ذلك كانت المسلمة المعروفة فقهيّاً: من إنَّ كلَّ حادثة لا تخلو من حكم الله تعالى فيها<sup>(٢)</sup>.

## مفهوم الحادثة

وفي مقابل الأصالة: الحادثة والتجديد<sup>(٣)</sup>، التي تعني أكثر من معنى:  
 ١- قد يراد من الحادثة: التجديد في الإسلام، بمعنى: أن الرسالة الإسلامية جاءت لعصر وزمان غير زماننا، وبالتالي فلا بدَّ من أخذ المفاهيم العقائدية، والأخلاقية، والاتجاهات الروحية والمعنوية العامة منها، وتبقى أساليب الحياة، وإدارة المجتمع مرهونة بالأوضاع التي يعيشها الإنسان، وبالتالي فالإنسان يجدد التشريع والتقنين بالنسبة إلى كل أوضاع الحياة.  
 وهذا المعنى هو الذي حمله المستغربون من أبناء الإسلام للعالم الإسلامي، أولئك الذين تأثروا بالحضارة الغربية، وحملوها إلى العالم الإسلامي، حيث حاولوا الفصل بين المجتمع والدين، فما يتعلق بالعقيدة والأخلاق العامة

(١) النحل: ٨٩.

(٢) عن عمر بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «سمعتَه يقول: إنَّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله صلى الله عليه وآله، وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً». الكافي ١: ٥٩، ح ٢.

وروى سليمان بن هارون، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحد الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق، وما كان من الدار فهو من الدار حتى أرش الخدش فما سواه، والجلدة ونصف الجلدة». المصدر السابق: ح ٣.

(٣) انظر: الصحاح ٢: ٤٥٤.

يُرجع به إلى الدين، وأما إدارة الحياة الإنسانية فهو أمر لا شأن للدين فيه في العصر الحاضر، وبالتالي لا بدّ من تجديد كل التشريعات والتقنيات.

فالحدّثة بهذا المعنى شيء مرفوض، ولا يمكن أن ينسجم مع وصف الرسالة الإسلامية من كونها شاملة وعامة وخالدة وحيوية.

٢- وقد يراد من الحدّثة: أن تصاغ الحياة الإنسانية حسب ما تفرضه الوسائل والأساليب، والإمكانات والقدرات، والمصالح والمفاسد، والميول والرغبات الإنسانية المتغيرة والمتطورة، فالشريعة الإسلامية جاءت لإدارة حياة الإنسان والوصول به إلى التكامل، وهذا لا يتحقق إلّا إذا أخذت بنظر الاعتبار واقع الإنسان وقدراته ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(١)</sup>، واهتمت بمصالحه المادية والمعنوية؛ لأنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية، وهي غير منفصلة عن فطرته وغرائزه وميوله؛ لأنّ ذلك ما أودعه الله تعالى في نفس الإنسان: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويخضع كل ذلك لوسائل وأساليب يتدعها الإنسان ويتكرها، من خلال سعيه في مناكب الأرض ومشيه فيها. فلا بدّ أن تؤخذ المعاصرة والحدّثة في صياغة هذا السلوك وقوانينه.

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) آل عمران: ١٤.

(٣) الأعراف: ٣٢.



وتنطلق فكرة الحداثة هذه من عدة مسلّمات لا بدّ من أخذها بنظر الاعتبار، وهي:

**الأولى:** إن الحياة الإنسانية ليست جامدة وراكدة، وإنما تتصف بالحركة والتغيير، وهذا أمر وجداني في التاريخ الإنساني، وهو واضح في الوسائل والأساليب، وفي الإمكانيات والقدرات والموارد التي يمتلكها الإنسان في حياته، وفي الرغبات والميول والإرادات، وفي المصالح والمفاسد، حيث يكون الشيء في وقت ما مصلحة أو رغبة أو مقدوراً للإنسان، ولكنه قد يكون مضراً ومفسداً لحياته، أو منفوراً، أو غير مقدور في وقت آخر.

فالإنسان سابقاً كان ينتقل من بلد لآخر باستخدام أسلوب المشي على الأقدام، أو الحيوانات، التي خلقها الله تعالى لحمله واثقاله: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾<sup>(١)</sup>، وبسبب تطور الحياة أصبحت السيارة والقطار والطائرة، هي الوسيلة لذلك<sup>(٢)</sup>.

وهكذا الأمر في المسكن والملبس والمأكل والمشرب، وغيرها من أمور كثيرة يارسها الإنسان في حياته وإدارة أموره وشؤونه.

**الثانية:** ظاهرة النسخ والتقييد والتخصيص، فالشريعة الإسلامية باعتبارها الرسالة الخاتمة، نرى فيها جوانب الحركة والتغيير والمرونة بصورة واسعة وفي عدة مجالات، حتى في حياة النبي ﷺ؛ بسبب تغير الظروف، مثل:

(١) النحل: ٧.

(٢) ولقد كان بعض من الناس . ونحن عاصرنا بعضهم . لا يقبل هذا النوع من التحديث؛ باعتباره تعطيل لخلق الله سبحانه وتعالى، وتعطيل للأهداف التي خلق الله سبحانه وتعالى الأنعام من أجلها؛ تمسكاً بالنص القرآني وجموداً عليه . منه قرآن .

تغيّر الموضوعات والظروف السياسية والاجتماعية، والقدرة على الفعل، والإمكانات والموارد والحالات الاستثنائية، كالضرر والعسر والخرج، أو مساحات الإباحة، التي تُرك الأمر والاختيار فيها للإنسان، أو إلى ولي الأمر، وغير ذلك من الموارد. الأمر الذي يعني: أن موضوع التطور الإنساني وتغيّر الظروف والأوضاع السياسية والاجتماعية قد أخذ بنظر الاعتبار في الشريعة.

### أبعاد التحدي للرسالة

ولكن في ذات الوقت أوجدت الحداثة مشكلات في حياة المسلمين، وأحدثت للعيان تحدياً كبيراً أمام الرسالة والشريعة الإسلامية، وهو كيفية التوفيق بين هذه البديهيّات والمسلّمات التي قد يبدو لأول وهلة أن نتائجها متضادة أو محيرة.

ويأخذ هذا التحدي عدة أبعاد:

أولها: التحدي على مستوى فهم الشريعة وتكوين النظرية في التوفيق بين الأصالة والحداثة ورسم الحدود والمساحة لما هو الأصل فيها والمتغير، الذي يكون متأثراً بالمعاصرة والحداثة، وهو تحدي تكون (الشريعة) نفسها مستهدفة فيه.

ثانيها: التحدي على مستوى الاستنباط واستنطاق الشريعة بما يواكب التطورات، وتقديم الصيغ الشرعية لها، بما يحتفظ بالأصالة من ناحية، وينسجم مع الحداثة والمعاصرة من ناحية أخرى، وهو تحدٍّ للفقهاء وللعلماء بالشريعة وقدرتهم على ممارسة دورهم الصحيح في الاجتهاد لإنجاز هذا العمل.

**ثالثها:** التحدي على مستوى العرض والإقناع، وهداية الناس إلى الإسلام وشريعته، وإرشادهم للتمسك به وبسلوكه، وذلك من خلال عرضه بطريقة وأسلوب ووسيلة بيّنة ومستوعبة في نفوس الناس وحركتهم وظروفهم، وهو تحدّي للدعاة، والكتّاب والخطباء، والمتحدثين، والمبلّغين لرسالات الله. وأحاول تناول البُعد الأول من هذا التحديّ الواسع.

### محاولات معالجة التحدي تاريخياً

توجد في التاريخ الإسلامي القديم والحديث عدة محاولات لمعالجة هذا التحدي في بُعد الرسالي الأول، وهي:

#### المحاولة الأولى: اعتماد الرأي الإنساني

تعتمد هذه المحاولة على الرأي الإنساني في اكتشاف الشريعة (الاجتهاد بالرأي). وهذه المحاولة وإن بدأت في التاريخ الإسلامي كمنهج في الاجتهاد؛ لمعالجة التحديّ على مستوى البُعد الثاني، وهو: استنباط الحكم الشرعي من النصوص المتوفرة، حيث واجه أصحاب هذا النهج مشكلة في تلبية حاجات المجتمع الإسلامي المتطور فقهيّاً على ضوء المتوفر من النصوص لديهم، فإنهم وجدوا: أن نصوص القرآن الكريم لا يوجد فيها - بحسب فهمهم - إلا عدد محدود من الأحكام الشرعية، وأن السنّة النبوية قد حُجبت عنهم؛ بسبب منع التدوين في فترة من الزمن<sup>(١)</sup>، ودخول الدسّ والوضع والتحريف فيها

(١) انظر: النص والاجتهاد: ١٤.

في فترة أخرى<sup>(١)</sup>، الأمر الذي جعلهم يعتمدون على قواعد ظنية، كالتقاسيم بمعناه الواسع، والاستحسان، والمصالح المرسلّة، وغيرها من الوسائل. ولكن تطورت هذه المحاولة بعد ذلك، كمحاولة لفهم الدين والشريعة على أن مساحة الثابت منها والمحدد مساحة محدودة وضيقة، وأنّ الدين مجرد اتجاهات عامة أو شرائع محدودة، والباقي متروك للمجتهدين أن يقولوا فيه بظنهم ورأيهم في حدود ما يدركونه منها، وأن هذه الآراء هي الشريعة نفسها، وهو ما يسمى بمبدأ (التصويب)<sup>(٢)</sup> في الاجتهاد. وقد واجهت هذه المحاولة مقاومة قوية في المجتمع الإسلامي من علماء الأمة ورجالها، وكان لأئمة أهل البيت عليهم السلام الدور الريادي في التوجيه والتحذير منها، وقيادة المقاومة ضدها، حتى انتهت إلى السقوط المطلق في الأوساط الإسلامية، وبقيت فكرة: أن المجتهد يخطئ ويصيب هي الفكرة السائدة.

### غلق باب الاجتهاد والتدوين

ويمكن أن نعتبر: أن قرار غلق باب الاجتهاد يمثل إجراءً حكومياً لمواجهة هذه المحاولة، وسد طريق استغلال الاجتهاد بالرأي في وجهها، وإن كان لهذا القرار آثار سلبية أخرى - لا مجال لبحثها في حدود هذا البحث - وذلك لأنّ الاجتهاد الصحيح من ضرورات معرفة الرسالة الإسلامية بصورة دائمة.

(١) انظر: وضوء النبي صلى الله عليه وآله ٢: ٥٢٣.

(٢) إصطلاح يُراد منه: عدم وجود حكم شرعي ثابت في الشريعة قبل وصول المكلف إليه، بمعنى: أن الله ينشئ الحكم ويجعله في حق المكلف بعد أن يصل إليه بطريق معتبر. وتختلف المدارس في سعة وضيق التصويب.

كما أن الحركة الواسعة للتدوين ونقد الحديث والرجال، التي نمت وتطورت في ذلك الوقت كانت إحدى الخطوات المهمة لإسقاطها، وحتى محاصرة مدرسة الاجتهاد بالرأي.

وبطلان هذه المحاولة لا يحتاج إلى مزيد من الحديث بعد الإجماع الإسلامي النظري والعملي على ذلك، وكذلك مخالفتها للمسلّمات الإسلامية الثلاث السابقة.

كما أن النصوص الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ تؤكد بطلان هذه المحاولة، حيث أخبر ﷺ وحذر من خطورة هذا الاتجاه في التفكير وفهم الإسلام حينما قال: «من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «من أفتى برأيه فقد كفر».

ولا بدّ - هنا - أن نميّز بصورة واضحة بين مدرسة الرأي في الفقه الإسلامي، التي بدأت بها هذه المحاولة، والتي لازالت قائمة وموجودة - مع قطع النظر عن ملاحظتنا ورأينا فيها - وبين ما تحولت إليه هذه المحاولة من فهم وتفسير للدين والشريعة، بإدخال الرأي الاجتهادي فيهما، والذي يمثل انحرافاً في فهم الدين وطريقة الاستنباط منه.

### المحاولة الثانية: تعدد القراءات

تستند هذه المحاولة إلى نظرية تعدد القراءات بمعناها الغربي، وهي محاولة متأخرة وحديثة. وتعدد القراءات تارة يُراد منها: تعدد فهم النصوص وطريقة الاستنباط منها، وهذا المعنى، هو الاجتهاد المعروف في الإسلام

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٧، ح ١.

والمجتمع الإسلامي على اختلاف مناهجه وطرقه الصحيحة والباطلة. وأخرى يُراد منها: افتراض النسبية في المضمون الديني وأنه ليس مطلقاً، وإنما يتم إدخال عنصر الذات والظروف في حقيقته وفهمه، وبهذا المعنى تكون الشريعة مجموعة من الأفكار العامة المعنوية، والحدود والصيغ الموضوعية للشريعة في النصوص القرآنية والنبوية، إنما هي حدود ذات طابع ذاتي، تم صياغتها من قبل الله تعالى والنبوي ﷺ أو أصحابه أو الرواة بصورة ملائمة للعصر الذي كانوا يعيشون فيه، فالحقيقة فيها نسبية وليست ثابتة، ويمكن تغييرها حسب طبيعة الظروف ومقتضيات المصالح والتطورات الاجتماعية الإنسانية المتغيرة، التي أشرنا إليها في المسلمة الأولى، التي تنطلق منها فكرة الحداثة.

وقد يحاول أصحاب هذه النظرية - أحياناً - في التوفيق بين الأصالة والمعاصرة بادعاء: أن هناك ثوابت في الشريعة تمثل الأصل، وهي تلك الضروريات الإسلامية، ولكنها أمور محدودة الحجم، والباقي يخضع لهذه النسبية.

وهذه النظرية بهذا المعنى واضحة البطلان إسلامياً، ولا يمكن أن تمثل حلاً للتوفيق بين الأصالة والحداثة، بل هي في الحقيقة إلغاء للأصالة وحصنها في دائرة ضيقة جداً، مع أن القرآن الكريم، الذي يعتبر أصدق حديث لدى المسلمين يؤكد: أن الحقيقة أمر ثابت موضوعياً، وفي مساحة واسعة، وذلك عندما يؤكد في مواضع عديدة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا

تَعْتُدُوهَا<sup>(١)</sup>، وأن الإنسان يهتدي إليها أو يضل عنها، وأن الاختلاف في تفسير الدين وفهمه بهذه الطريقة أدت إلى الضلال والخسران والاختلاف في أوساط أهل الكتاب ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾<sup>(٢)</sup>، وأن ظاهرة الاختلاف في الدين سوف تتكرر بصورة أخرى في المجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية.

### المحاولة الثالثة: الثابت والمتغير

إن مقتضى خاتمة الرسالة الإسلامية هو الجمع بين الأصالة والحدائث؛ لأنَّ الرسالة عندما تكون خاتمة، فلا بدَّ أن توجد فيها مقتضيات الاستمرار والبقاء والقدرة على ملائمة الظروف والمستجدات، واستيعاب المسلمات الإسلامية السابقة بجميع خصائصها، وهذا يفرض: أن تكون معالجة المشكلات الإنسانية في السلوك الإنساني والوصول به إلى الكمالات الإلهية من خلال الرسالة الإسلامية، وأن هذه المعالجة لا بدَّ أن تكون مستمرة ودائمة مهما اختلفت الظروف والامكانيات والقدرات والميول والرغبات أو تطورت الأوضاع الإنسانية.

وهذا الثبات في الرسالة يفرض الأصالة والثبات في مفاهيمها وأحكامها، وهو عبارة عن التشريعات الثابتة التي تعالج الحاجات الأساسية الثابتة في

(١) البقرة: ٢٢٩.

وثمة آيات لها ذات المضمون، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ البقرة: ١٨٧.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ الطلاق: ١.

(٢) البينة: ٤.

حياة الإنسان، وأما الاستمرار والبقاء مع فرض تطور الحياة فيفرض أيضاً المرونة فيها، وهو الجانب الذي يرتبط بالوسائل والأساليب، والتطورات الزمانية والمكانية ذات العلاقة بحياة الإنسان.

### الثابت والمتغير في التشريع

والجانب (الثابت) في الرسالة هو الجانب الذي يعبر عن بُعدين رئيسيين: أحدهما: بُعد الحاجات الفطرية الثابتة في الإنسان مهما اختلفت ظروفه وأوضاعه، كالحاجة إلى العبادة، والجنس، والاختصاص، والأمن، وغير ذلك، وثمة تشريعات تعبر عن ذلك، كالتشريعات التي ترتبط بقضايا ثابتة في حياة الإنسان، من قبيل قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾<sup>(١)</sup>، فالطيب والخبيث كل منهما أمر ثابت في حياة الإنسان؛ لأن الحالة الوجدانية والمشاعر الإنسانية تجاهها ثابتة، فيمكن من خلالها تمييز الطيب والخبيث.

ومن هنا نجد أن التشريعات التي جاءت في باب الأطعمة والأشربة - بشكل عام - ثابتة، فما يكون حرام الأكل، هو حرام في عهد رسول الله ﷺ وفي العصر الحاضر، وما يكون حرام الشرب، هو حرام في ذلك العصر وفي هذا العصر، وكذلك ما يكون حلال الأكل والشرب؛ باعتبار أن حالة الطيب والخبيث هي حالة ثابتة.

ثانيهما: بُعد المسيرة التكاملية، التي تعبر عن الصراط المستقيم في حركة الإنسان نحو الله تعالى والدار الآخرة، مثل: المعرفة بالله تعالى، والتوبة إليه،

(١) الأعراف: ١٥٧.



والحرية، والعلاقات الاجتماعية المتوازنة، وحل الاختلاف بالعدل والقسط والحق، والردع عن ارتكاب الآثام والجرائم والطغيان، وغير ذلك. وأما الجانب (المرن) والمتغير، فهو الذي يمكن أن نراه في مساحة الحرية الممنوحة للإنسان في المباحات، التي تخضع - عادة - للرغبات والميول الشخصية أو الاجتماعية، وكذلك نراه في القضايا الاستثنائية الطارئة، كالضرر، والخرج، والعسر، والاضطرار، والإكراه، وفي عنصر المصالح والمفاسد المحدودة في الأشخاص والفئات التي تتحرك أحياناً، وفي عنصر القدرة، والواجبات الكفائية، وغيرها.

ولذلك نجد الثبات في صيغ العبادة بصورة عامة مع بعض الاستثناءات، كالدعاء، والانفاق، وفي بعض صيغ العقوبات، التي تهدد الأمن العام الشخصي أو الاقتصادي أو العائلي أو الاجتماعي، كما في القصاص، والحدود. وفي تشخيص الحبائث، والولاء والبراءة السياسيين، وفي التوبة، وفي طريقة فصل الخصومات، وتشخيص الحق، والملك، وفي العلاقات الزوجية والعائلية.

ونجد المرونة في مجالات واسعة أخرى، مثل: الدعوة إلى الله تعالى، واللباس، وأساليب العيش، والحركة، والكسب، والمعاملة... إلخ. والمهمة الرئيسة التي يتحملها الفقيه والمجتهد، هو تحديد مساحة الثابت من المتغير من ناحية، وفي تشخيص مصاديقهما، وفي التمييز بين الأحكام الشرعية الإلهية والأحكام السلطانية والولائية، التي تصدر من الولي، باعتبار سلطته الشرعية من ناحية أخرى.

وهذه النظرية تبناها علماء الاسلام عموماً، وأهل البيت عليهم السلام خصوصاً.

## أبحاث ذات علاقة بالموضوع

وفي هذا المجال، تفتتح أمامنا عدة أبواب من البحث الذي له علاقة وطيدة بهذا الموضوع، ويمكن أن تساهم فيه، نشير إلى بعضها:

**الأول:** بحث تأثير الزمان والمكان في الحكم الشرعي، أو تأثير الظروف الاجتماعية وتحولاتها فيه، حيث إنّ بعض الموضوعات قد تتغير بصورة ما، بحيث يكون لها تأثير في تغيير الحكم؛ وذلك بسبب الظروف الاجتماعية، فالنفقة الواجبة على الزوج قد يتغير شكلها وموضوعها؛ بسبب تغيير المستويات المعيشية أو أساليب الحياة والسكن...

**الثاني:** بحث دور العرف في تشخيص موضوع الحكم الشرعي، ولا سيما في الموضوعات العرفية أو في فهم النص الشرعي، وهو من الأبحاث ذات العلاقة بالحدثة والمرونة؛ لأنّ العرف قد تتغير نظرتة وفهمه للأشياء.

**الثالث:** بحث فقه النظرية في مقابل فقه التجزئة، وكذلك التفسير الموضوعي في مقابل التفسير الترتيبي أو التجزيئي، وأهميتهما في الوفاء بمتطلبات العصر وحاجاته أو فهم الرسالة والشريعة، وهو ما يرتبط بالبعد الثاني من التحدي.

وبكلمة أخرى: إن للاستنباط طريقتين:

إحدهما: طريقة استنباط الأحكام الشرعية بشكل تجزيئي وتفصيلي يرتبط بالمفردات، كما هو موجود الآن في كثير من الرسائل العملية للفقهاء ومراجع الدين.

والأخرى: طريقة استنباط النظريات والرؤى الإسلامية العامة الشاملة

لمختلف الموضوعات، وهي طريقة فرضتها حالة التجديد والتطور في الحياة الإنسانية.

وهذا الاستنباط يعتمد على نفس الأسلوب الفقهي والأصولي الذي يستخدم في الطريقة الأولى، وتطبيق نفس الضوابط التي يستخدمها المجتهد في مقام الاستنباط، ولكن الاختلاف في مضمون الشيء المستنبط، فتارة يستنبط الفقيه حكماً جزئياً لمصادق ومفردة جزئية، وأخرى يقوم باستنباط رؤية ونظرية كاملة للإسلام تجاه قضية كبيرة.

فمثلاً: نظرة القرآن الكريم والإسلام للمرأة ودورها في الحياة، فإن استنباط النظرية الكلية له دور مهم جداً في موضوع التجديد أو الحداثة، حيث إن النظرية عندما تستنبط لا ترتبط بالصيغ والمفردات الجزئية، وإنما يُستنبط المضمون والرؤية القرآنية بما هي رؤية مجردة عن صيغها الوقفية المرتبطة بهذا الزمان أو ذاك، وبالتالي فهذا يعطي فرصة للمجتهد لتطبيق هذه النظرية على مختلف المصاديق، ومختلف الأزمنة والأمكنة من خلال الرؤية النظرية الكاملة.

الرابع: بحث تفسير الأحكام الشرعية، التي هي تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية، والتعرف على عللها وأسبابها؛ لعرضها على المجتمع الإنساني لتلقى القبول والاستيعاب؛ لأن أسلوب العرض والطرح له دور كبير في موضوع الأصالة والحداثة، ويتحمل مسؤوليته بشكل أساسي، الكتّاب والخطباء والمبلغون، المفاهيم الإسلامية قد تعرض بطريقة حديثة ومقنعة، فتدخل قلوب الناس ونفوسهم، ويتفاعلوا معها، ويتأثروا بها.

وأحياناً تعرض نفس هذه المفاهيم بطريقة أخرى غير تلك، فيراها الناس

بعيدة عنهم، ولا يمكن أن تنسجم مع حياتهم ومشاعرهم وعواطفهم. هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، أن بحث تفسير الأحكام الشرعية، والتعرف على عللها وأسبابها، له دور في فهم الجانب المعاصر منها، الذي قد يرتبط بتغير المصالح والمفاسد منها؛ لأنّ بعض المصالح والمفاسد ذات طبيعة متحركة، وقد اهتم أئمة أهل البيت عليهم السلام في عرضهم للشريعة بهذا الجانب في تفسيرها وتعليلها. وهو موضوع يرتبط بالبعد الثالث من التحدي.

**الخامس:** بحث العقل ودوره في استنباط الحكم الشرعي، فالعقل لا يكون قادراً على إدراك أصل الشريعة، وإنما تكون لديه القدرة على معرفة تفاصيلها وموارد انطباقها، من خلال ضوابط وقواعد الفكر المنطقي التجريدي أو التجريبي، وانطلاقاً من نتائج الرسالة الإلهية والشريعة الإسلامية أو عللها المنصوصة أو المستنبطة، وهو بحث يرتبط ببعده المرونة، وبعده الاستنباط.

**السادس:** بحث التأويل بمعنييه، وهما:

١- حرف الكلام عن ظاهره؛ لوجود قرائن حالية، وتكون المعاصرة وظروفها أحد هذه القرائن، وهذا يرتبط ببعده الاستنباط.

٢- تطبيق المفاهيم والكلمات الشرعية على مصاديقها الخارجية، وتكون المصاديق المعاصرة أحد الموارد التي تحتاج إلى هذا التطبيق للأحكام الكلية، وهو يرتبط ببعده المرونة.

**السابع:** بحث تشخيص اتجاهات الشريعة الإسلامية، أو تشخيص اتجاه النص - كما يُعبّر عنه في المصطلح الفقهي - الذي يكون له دور كبير في تحديد الموقف من الظواهر الحديثة والمعاصرة، حيث إن النصوص التي يلاحظها

المجتهد في دراسة شاملة وعامة فيها اتجاه معين، ومن خلال فهم هذا الاتجاه يمكن أن يميز المجتهد المصاديق التي لها علاقة بهذا النص، وهو بحث يرتبط ببعد المرونة أيضاً.

وفي جميع هذه الأبحاث لا بدّ أن نعرف: أن الظاهرة المعاصرة إذا كان العامل المؤثر في تكوينها هو عامل ثقافي غير إسلامي، فلا يمكن أن تكون الشريعة مرنة تجاهها، بل إن التكيّف والمرونة في الشريعة إنّما هو تجاه الظواهر التي لا يكون وراء وجودها عوامل ذات طبيعة مضادة للشريعة نفسها، بل عوامل ذات علاقة بالأوضاع الكونية أو الحالات الطارئة أو مساحات الإباحة أو المصالح المتحركة أو الإمكانيات والفرص المتاحة.

### تحديد مساحة المتغير في الشريعة

كما أن مساحة الثابت في الشريعة هي الأصل ما لم يتبين أن المورد هو من مصاديق المتغير الذي تشمله - عادةً - ظاهرة الحداثة والمعاصرة والمرونة، ولذا فإنّ تحديد مساحة هذا المتغير من الأمور المهمة في عملية التوفيق بين الأصالة والحداثة، واستجابة الشريعة لمتطلبات المعاصرة.

وقد أشرنا إلى بعض هذه الموارد سابقاً، ومن أهمها الموارد التي يكون لولي الأمر الشرعي ولأجهزته التشريعية، والتنفيذية، والقضائية الحق في التدخل فيها وملء الفراغ التشريعي تجاهها، وقد دلّت النصوص الشرعية على أن الرسالة فوضت ذلك إلى ولي الأمر وأمرت بطاعته.

ونشير هنا إلى بعض العناوين العامة ذات الطبيعة المرنة المتغيرة:

١- الموضوعات ذات العلاقة بالأمور العرفية التي تتغير بتغيّر الأعراف

والأوضاع الاجتماعية.

٢- مساحة الإباحة التي تُترك للإنسان فيها الاختيار بما يناسب مصالحه ورغباته وميوله، وهي مساحة واسعة في التشريع الإسلامي، ويمكن للأمة أن تتدخل في تنظيمها بما يلائم كل عصر وزمان ويحقق المعاصرة.

٣- موارد التزاحم والتضاد بين الواجبات التي لا يمكن الجمع بينها أو التضاد بين الواجبات والمحرمات، فإن الأحكام الشرعية تابعة لمصالح أو مفسد موجودة في الواقع الموضوعي، وقد تتزاحم هذه المصالح والواجبات، فتكون من مسؤوليات ولي الأمر أو المكلف نفسه - حسب طبيعة الواجب، والحرام، والمصلحة - أن يشخص الأهم ويقدمه على المهم.

ولما كانت المصالح والمفاسد من الأمور المتحركة، فإن هذا المورد له علاقة ببحث المعاصرة.

٤- العناوين ذات الطبيعة الاستثنائية، فالواجبات الشرعية مشروطة ومحددة بعدم الضرر والخرج والاضطرار والإكراه، فإذا كانت الظروف والتطورات سبباً لوجود شيء من هذه العناوين، فإن الشريعة بمرونتها تستجيب لهذه الحادثة والمعاصرة.

٥- القضايا ذات العلاقة بالشؤون الخاصة للناس والأمة، والتي تركز مباحة ومفتوحة أمام إرادة الإنسان وخياراته وحريته والتي قد تتضاد فيها الإرادات الفردية، فإن القرار الشرعي الولائي سوف يتأثر بطبيعة الحال بالمعاصرة والحادثة عندما ينسق بين إرادتهم بما يحقق للناس ميولهم ورغباتهم المشروعة.

٦- تنظيم الواجبات الكفائية والعينية وتطبيقها بما يحقق أهدافها المطلوبة،

فإن عملية التطبيق تتأثر بطبيعة الحال بالظروف والأوضاع الاجتماعية للأمة وإمكاناتها وقدراتها ورغباتها وميولها مما يفتح المجال إلى المعاصرة والحداثة، وهذا الأمر هو من شؤون ولي الأمر بصورة عامة.

وبهذا التصور النظري، يمكن أن نخرج بنتيجة واضحة، وهي: أن الشريعة الإسلامية فيها جانب ثابت يستجيب للثبات في حاجات الإنسان الدنيوية والأخروية، وفي أسباب الكمالات الإلهية الموصلة إلى الله تعالى. وفيها جانب مرن يستجيب لتطورات الظروف الاجتماعية والمادية في حياة الإنسان ما لم يكن هذا التطور بسبب عوامل مضادة للشريعة وأهدافها. وبذلك يمكنها أن تواجه التحدي على المستوى الأول في الشريعة نفسها، وذلك من خلال الخطوات الثلاثة التالية:

**الأولى:** تشخيص مساحات الثبات والمرونة، وهذا مما يتحمل مسؤوليته الفقيه الإسلامي (المجتهد)، وهنا يأتي دور الاجتهاد المقبول الصحيح وأهمية استمراره وبقاء بابه مفتوحاً بصورة منضبطة في مواجهة هذا التحدي؛ وذلك للتفريع وللتطبيق على المصاديق الجديدة والظروف المعاصرة.

**الثانية:** الصلاحيات الواسعة لولي الأمر في التطبيق والترجيح للأهم على المهم، والتحديد للمباحات ومساحة الجواز، والتشخيص للمصالح والمفاسد وللموضوعات، وهنا يأتي دور المواصفات الخاصة التي لا بد أن يتصف بها ولي الأمر، حيث إن صلاحياته محددة بثوابت الشريعة، فلا بد أن يكون عارفاً بها ومتصفاً بالعلم والاجتهاد فيها، وبالمصالح الإسلامية العليا، ولا بد أن يكون خبيراً بمعرفتها، وأن يكون عادلاً متقيداً بالشريعة والمصالح الإسلامية العليا.

الثالثة: رأي الأمة ودورها، سواء في المشورة للوصول إلى معرفة المصلحة، أم في الاختيار؛ ليتطابق مع مصالحها الخاصة ورغباتها وميولها المشروعة فيما أوكل لها من شؤون الحياة، وبذلك تتحقق المعاصرة حيث تختار الأمة ما يلائم ظروفها، ويأتي كذلك الدور المهم للحوزة العلمية، فعندما يكون باب الاجتهاد مفتوحاً، فالمجتهد دائماً يتمكن أن ينظر إلى شيء جديد.

بخلاف المذاهب الأخرى التي أغلقت باب الاجتهاد، وبالتالي بقت جامدة على الفتاوى والصيغ التي استنبطت في العصور السابقة، وهي - الفتاوى - غير قادرة على مواكبة الحالات الجديدة.

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن الحوزة العلمية تحتاج إلى تطور كبير في مجال فهم اتجاهات النص، وتشخيص الموضوعات التي يعيشها الإنسان، وفي مجال استنباط النظريات، وفي تشخيص الأهم من المهم، من خلال المعاشة الحقيقية للحياة الاجتماعية.



## القسم الثاني

# علماء في الذاكرة

\* حجة الإسلام والمسلمين السيد غلام علي شاه النقوي

\* آية الله السيد محمد تقي الحكيم

\* آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر

\* آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين

\* العلامة السيد محمد مهدي الحكيم

\* الإمام السيد موسى الصدر



القسم الثاني

علماء في الذاكرة

حجة الإسلام والمسلمين

السيد غلام علي شاه النقوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إليه العالمين، أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين. السلام على عباد الله الصالحين، والسلام على سادتي العلماء الأعلام، وإخواني المؤمنين الكرام، ورحمة الله وبركاته.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

نلتقي في هذا الاجتماع المبارك<sup>(٢)</sup>؛ لنؤبّن علماً من أعلام الإسلام، ذلك هو الفقيه حجة الإسلام والمسلمين السيد غلام علي شاه النقوي.

والحديث عنه (رضوان الله عليه) يكون في محورين:

الأول: محور الأبعاد في شخصيته.

الثاني: محور إطار بناء هذه الشخصية.

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) كلمة سماحة شهيد المحراب قُلَيْبِ في الذكرى السنوية لرحيل الفقيه العلامة (السيد غلام علي شاه النقوي) في مدينة قم المقدسة في ٢٤/٤/١٤١٣ هـ. ٢٢/٩/١٩٩٢ م.

## المحور الأول: أبعاد شخصية السيد النقوي

إن من حقّ هذا الإنسان العظيم علينا، وعلى الحوزات العلمية، وأتباع أهل البيت عليهم السلام أن نتحدث قليلاً عن شخصيته، دون الدخول في تفاصيل الأبعاد المختلفة في شخصيته؛ لذكر الشيء الكثير منها قبل حديثي؛ ولذا سأتناول شخصيته (رضوان الله عليه) بالمقدار الذي عرفته عنه، من خلال تجربتي المحدودة معه، ويمكن التركيز على ثلاث نقاط مهمة جداً، تمثل أبعاداً مختلفة في شخصيته، وهي:

### الأولى: البعد العلمي

إنّ للسيد النقوي (رضوان الله عليه) حقاً كبيراً على الجيل العلمي الذي شهدته شبه القارة الهندية؛ لدوره التأسيسي للحالة العلمية فيها، ولأنّ مجمل علماء باكستان درسوا وتلمذوا في مدرسته بشكل مباشر أو غير مباشر. والجميع يعرف أن دور التأسيس من أصعب الأدوار وأهمها في حياة كل أمة، وهذا الرجل العظيم استطاع أن يؤسس للحركة العلمية هناك في ظل ظروف معقدة وصعبة، ففي ظروف كانت تتعرض فيها - شبه القارة الهندية - إلى سيطرة الاستكبار البريطاني العتيق، الذي يعادي الإسلام والعلم وكل معاني الحياة، وفي ظلّ انهيار وتداعي الدولة الإسلامية العالمية المتمثلة بـ (الدولة العثمانية)، وما نتج عنه من انحسار الإسلام عن المجتمعات الإسلامية، وفي ظروف الفقر المدقع التي كانت تعيشه البلاد الإسلامية، جاء الدور الكبير للسيد النقوي في ملء الفراغ الكبير الذي عاشته شبه القارة الهندية من الناحية العلمية، ومن هنا

تأتي عظمة هذا الإنسان.

أجل، قد يجد الإنسان ظروفًا حيوية للإسلام، وجوًّا مهينًا ليؤسس ويبنى ويُقيم القاعدة الواسعة هنا وهناك، كما في ظروفنا التي يشهد الإسلام فيها نهضة واضحة، ويتطلع المسلمون إليها في كل مكان، وبزوغ شمس الحرية، وانحسار الاستكبار، وسقوط المعسكر الشرقي، وانتظار سقوط المعسكر الغربي - إن شاء الله - في المستقبل القريب.

ولكن عندما يعيش الإنسان الظروف التي عاشها السيد النقوي، من تراجع للمدِّ الإسلامي، وانهيار الدولة الإسلامية، والسيطرة والهيمنة الاستكبارية على شبه القارة الهندية بشكلٍ مطلق، إذ ولدَ ﷺ سنة ١٩١٤م، أي: في السنة الأولى للحرب العالمية الأولى، والتي تمثل بداية المدِّ الاستكباري الغربي، الذي استولى بعد ذلك على جميع أنحاء العالم الإسلامي، فمن الصعوبة بمكان القيام بعمل شيءٍ مهم، ولكن مع ذلك تمكن السيد النقوي (رضوان الله عليه) أن يشق الطريق، بل ويعبده للسائرين، ويوجد بدايات النهضة الإسلامية العلمية، التي تشهدها الجمهورية الباكستانية الإسلامية، والتي هي أول جمهورية سُميت باسم الإسلام بعد الحرب العالمية الثانية؛ ومن هنا يمكن إدراك الدور العلمي الذي مارسه السيد النقوي، والتأكيد على حقه الكبير على الجيل العلمي في شبه القارة الهندية، فهو لم يكن مجرد إنسان تتلمذ على يده جماعة كبيرة من العلماء فحسب، وإنما كان له هذا الدور العظيم.

## الثانية: بُعد التقوى

إن التقوى هي الأساس لحياتنا ووجودنا، ولا معنى للعلم، والبلاغة،

والخطابة، والاجتهاد، والتضحية إن لم تقترن بالتقوى؛ ولذلك نجد العدالة تكون أول شيء يطرح عند الحديث عن التقليد، فإذا كان الإنسان عادلاً يدور الحديث عن اجتهاده، وإذا كان مجتهداً يأتي الحديث عن علميته، وأما إذا لم يكن متقياً وعادلاً فلا حديث عن علمه، وفضله، واجتهاده، وأعلميته. فالأصل لوجود الإنسان وحركته وتكامله مهما أوتي من مواهب، هو التقوى، وبدونها لا يكون العلم موجباً لتكامله، وإن كان من أسبابه، بل قد يكون عاملاً لانتكاسه وتراجعه وسقوطه، وهكذا الجهاد إذا لم يكن مقروناً بالتقوى فلا يؤدي إلى التكامل، وإنما يؤدي إلى الانتكاس والتسافل في الحياة. ولأهمية التقوى وكونها الأساس قرنها الله سبحانه وتعالى بالعلماء، وجعلها مؤشراً على شخصيتهم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا يعني: أن معرفة حقيقة العالم ومستوى إدراكه للعلم تتم من خلال خشيته لله سبحانه وتعالى؛ لخصر القرآن الكريم الخشية - المتوقفة على معرفة الله - بالعلماء.

وهناك معالم كثيرة تؤكد جانب التقوى في شخصية السيد النقوي (رضوان الله عليه) في كثير من تفاصيل حياته، كما هو الحال في أكله، وشربه، وسلوكه، وتعامله مع الأموال والأعراض والنواميس، ومختلف الابتلاءات التي يُبتلى بها الإنسان، ولكن يمكن القول: إن هذه الابتلاءات عادية لعالم جليل كالفقيه، أما عندما يكون الامتحان بقضايا حساسة فعندئذٍ تتبلور هذه التقوى بشكل واضح، فالسيد النقوي بالرغم من دوره التأسيسي المهم

(١) فاطر: ٢٨.



للحالة العلمية امتاز بدرجة عالية من التقوى، بحيث كان مستعداً للانضواء تحت لواء الآخرين من العلماء، بل تحت لواء تلميذه في مسيرة النهوض الإسلامي.

وهذا الموقف يحتاج إلى درجة عالية من التقوى؛ لأن العالم عندما تكون ظروفه عادية، فالتزامه بالتقوى أمر طبيعي؛ ولذا لا يمكن معرفة تقوى الإنسان العالم، الذي يعيش في حوزة قم المقدسة - مثلاً - من خلال اجتنابه للمحرمات المعروفة، كالزنا - والعياذ بالله - أو السرقة، أو قتل النفس المحترمة، وغير ذلك من المحرمات؛ لأن هذا الاجتناب أمر عادي وطبيعي؛ إذ إن طبيعة حياة هذا الإنسان وتركيبها تجعل منه مجتنباً لهذه الكبائر.

وإنما تعرف تقواه من خلال ملاحظته واختباره في الأمور ذات الحساسية العالية، وملاحظة مدى اهتمامه بالمصلحة الإسلامية وحرصه عليها، أي: عندما يرى الإنسان نفسه كبيراً، وتتطلب منه المصلحة الإسلامية مثلاً السير تحت راية إنسان أصغر منه حجماً في المجتمع، ومع ذلك يلزم نفسه بذلك، فهذه هي التقوى بعينها.

وقد امتحن النبي ﷺ المسلمين في هذا الأمر، عندما أمر أسامة بن زيد عليهم، وأمرهم بالسير تحت لوائه، فهنا كان الاختبار، وعُرف من خلاله أولئك المؤمنون المتقون الذين هم على استعداد لإطاعة هذا الأمر، وعُرف أولئك الذين تمردوا على جيش أسامة، ورفضوا الالتزام بأوامر نبي الإسلام<sup>(١)</sup>، فإن هذه الميادين تمثل اختباراً حقيقياً لحركة الأتقياء.

(١) انظر: إعلام الوري بأعلام الهدى ١: ٢٦٥.

لذلك كانت كل الأوساط الاجتماعية والعلمية تسلّم وتعترف للسيد النقوي رحمته الله بالتقوى، فقد أجمع العلماء على احترامه وحبه والإيمان بشخصيته، وكذلك السياسيون، والتجار، والكسبة، والعمال، وكل الأوساط التي يحتضنها ذلك البلد الكريم، وما كان هذا الاحترام والثقة والإيمان به إلا بسبب السلوك الذي سلكه في مسيرته، وامتازت به شخصيته، بالرغم من صعوبة الامتحان وطول مدته.

وكان الإمام الحكيم قدس سره يميّز السيد النقويّ من بين كل العلماء الذين عرفناهم - مع احترامه وتقديره وإجلاله وتعظيمه لهم - ويثق به ثقة عالية جداً، بحيث عندما كنّا أطفالاً ونشأنا في أحضان هذه المرجعية نسمع باسم السيد النقويّ يتردد في وسط المرجعية الدينية كاسم يذكر بلهجة التقديس من بين أسماء العلماء، وما توحى به اللهجة من مضمون ومعنى.

وعندما تشرفت بخدمته كنت أشعر أيّ أتشرف بخدمة إنسان مقدّس بدرجة عالية، وهممت بتقبيل يده الشريفة؛ لأنني أرى فيه الإنسان الصالح الذي يمثل قدوة وأسوة للعلماء؛ لما يتحلّى به من هيبة، ونتيجة لذلك الانطباع الذي كان موجوداً لديّ من خلال تعريف الإمام الحكيم له، والذي كان دقيقاً في تشخيص العلماء، ورؤيته قدس سره وتشخيصه بهذا الشكل، هي في الواقع شهادة عظيمة من قبل مرجع عظيم لهذا الإنسان.

### الثالثة: بعد التنظيم

كان هذا البعد من الأبعاد اللامعة، التي تميّز شخصية السيد النقويّ، فقد كان منظماً في حياته، ومتابعاً للجزئيات والتفاصيل، وقد عرفت ذلك من

خلال العلاقة القوية المنظمة، التي كانت بينه وبين آية الله العظمى الإمام الحكيم عليه السلام، فكان دائم السؤال والاستفسار من المرجعية الدينية، حيث كان يرسل الحقوق الشرعية<sup>(١)</sup> بشكلٍ منظمٍ، وكان يحاول تنظيم الأوضاع في الباكستان بشكلٍ مستمر.

وعندما كنّا نبحثُ عن آثار الإمام الحكيم عليه السلام وجدنا هذه الحقيقة واضحة في شخصيته (رضوان الله عليه)، وحصلنا على قدر مهم من هذه الآثار<sup>(٢)</sup> عنده؛ لأنه كان منظمًا في حياته وسلوكه وعمله، بالرغم من عدم وجود الأجهزة لديه - آنذاك - وعدم استعانته بالكتّاب، فقد كان ينجز أعماله بنفسه.

وهذا البُعد - في اعتقادنا - من الأبعاد المهمة جداً في الشخصية الإنسانية، ونعتقد أنه يمثل قضية أساسية في حياة العلماء والطلبة والعاملين في سبيل الله، وفي إمكانية الحصول على الثمار الطيبة؛ ولذلك أوصي نفسي قبلكم: بتنظيم الأوقات والجهود؛ لأنه يجعل منها جهوداً مثمرةً ومنتجةً وموصلةً إلى الأهداف والغايات.

(١) وهي الحقوق الشرعية من الزكاة، والخمس، والكفارات، وغيرها.

(٢) حرص شهيد المحراب عليه السلام منذ تصديه للعمل ضد نظام الطاغية صدام على بناء مفاصل العمل على أساس مؤسساتي، ومن هذه المؤسسات (مركز دراسات تاريخ العراق الحديث)، الذي أسسه بعد الإنتفاضة الشعبانية المباركة مباشرة، ليهتم . المركز . بتوثيق وأرشفة تاريخ العراق الحديث ورجاله، ومنهم الإمام الحكيم عليه السلام.

## المحور الثاني: إطار بناء هذه الشخصية

إن الإطار العام والأساس الذي بُنيت عليه شخصية السيد النقوي (رضوان الله عليه) يتوقف على تحديد معالم المدرسة التي ينتمي لها، وهي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ويمكن ذكر ستة معالم لها مع الإشارة السريعة لها؛ لأن الحديث عن مذهب أهل البيت عليهم السلام واسع لا يستوعبه الوقت في هذا المجلس. والمعالم هي:

### المعلم الأول: الجهاد

إنَّ الجهاد بالمعنى الواسع يمثل التضحية والفداء، وهو معلم واضح جداً في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فقد كان علماءها مصداقاً بارزاً لهذه التضحية في مختلف المجالات، حيث تحمّلوا أنواع المعاناة، فعاشوا الفقر والفاقة، والغربة والمطاردة، وتعرضوا - أحياناً - للقتل في سبيل الله؛ من أجل التعلم والاحتفاظ بالعلم، فكانت على طول التاريخ مدرسة مقاومة، وتضحية، ووقوف في وجه الظالمين، وعلى استعداد دائم للتضحية؛ كي لا يعينوا الظالم بإبرة أو بخيط.

وقد يشترك في هذا المعلم بعض المدارس، كالمدرسة الزيدية، التي ضحّى وقاتل أصحابها كثيراً، لكن الكثير من المدارس في العالم الإسلامي، مدارس استسلام وخضوع للظلم تحت شعارات كثيرة يطرحها أصحابها؛ ليجعلوا المجتمع خاضعاً بشكل كامل للظالمين ومنسجماً مع رغباتهم.

### المعلم الثاني: الوجدان

لقد أكدَّ أهل البيت عليهم السلام كثيراً في مسيرة مدرستهم على جانب الضمير

والوجدان، وما يُسميه الحكماء بـ(العقل العملي)<sup>(١)</sup>، وهو جانب السلوك والأخلاق، الجانب الذي يكون فيه الإنسان متحسناً للظلم والعدل، وللكرامة والعزة ورفض الذل والاستسلام، حيث كانوا عليه السلام يربون شيعتهم والسلف الصالح من علمائنا الأبرار الذين يربون بدورهم الأجيال على هذا المعلم؛ ولذلك نجد هذه المدرسة تدرك الظلم قبل أن يدركه الآخرون، وتعرف الحقيقة وتتفاعل معها قبل أن يعرفها غيرهم وتتفاعل، وكان لتضحية الإمام الحسين عليه السلام الدور العظيم في هذه التربية وإيجاد هذا الخط. وقضية الوجدان والمشاعر والأحاسيس والبكاء مهمة جداً في تنقية وجدان الإنسان وضميره، ومن القضايا الأساسية التي يتفاعل معها أهل البيت عليهم السلام، ومن المسائل المهمة التي تُتميزهم وتُتميز أتباعهم الذين لم يصابوا بقسوة القلب، تلك القسوة التي يتمكن بها إنسان واحد حاكم من قتل آلاف الناس دون أن يرفَّ له جفن، كما نشاهده لدى صدام حسين وأمثاله من الطغاة.

وحتى عندما نقارن بين بعض أتباع هذه المدرسة الذين انحرفوا عن الطريق وحكموا ظلماً وغيرهم، نجد الفرق واضحاً في أتباع أهل البيت عليهم السلام، أي: لا بدَّ من وجود شيءٍ من المشاعر والأحاسيس والوجدان لديه، بخلاف الآخرين، الذين قُدت قلوبهم من صخر، فهي أشدُّ قسوةً من الحجارة ﴿ثمَّ

(١) «إذا كان الهدف من إدراك الشيء هو معرفته لا العمل به، يُسمّى مبدأ الإدراك حينئذٍ بـ(العقل النظري) من قبيل: إدراك حقائق الوجود. أمّا إذا كان الهدف من الإدراك هو العمل، فيسمّى مبدأ الإدراك عند ذاك بـ(العقل العملي) من قبيل: معرفة حُسن العدل وقبح الجور، وحسن الصبر وقبح الجزع، وما إلى ذلك».

قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ  
لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ  
خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿١﴾.

وعند مقارنة هذه المدرسة بالمدارس الأخرى، نجدتها تتميز بالاهتمام  
بالدعاء والزيارة والبكاء وغيرها مما حثَّ أهل البيت عليهم السلام شيعتهم عليه.

### المعلم الثالث: المنهجية

اهتم أهل البيت عليهم السلام بأن يكون المنهج الذي تسير عليه مدرستهم منهجاً  
علمياً يتبع أفضل الوسائل العلمية في الاستنباط والاستنتاج والوصول إلى  
الحقائق، ولم يعرف التاريخ حتى الآن منهجاً أفضل منه، بحيث بدأت الآن  
المدارس الأخرى تعود لتعتمده في تحقيق كل الروايات غير المسلم بها؛ لأنه  
منهج يقوم على البحث العلمي، وتوفير الشروط الموضوعية في الوصول إلى  
الحقيقة.

وهذا ما لا نجد نظيراً له في كل المدارس الإسلامية؛ ولذلك يجب الاهتمام  
بالحوزات العلمية، وبمنهجها العلمي؛ لأنه المنهج الذي يوصلنا إلى الحقيقة.

### المعلم الرابع: التقوى

إن التقوى معلّم من معالم مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقضية أساسية لا  
يمكن التنازل أو غض النظر عنها، ولا بدّ للعالم من علماء هذه المدرسة من

الاتصاف بهذا المعلم؛ ليكون مقبولاً عند الناس، ومؤثراً فيهم. أما المدارس الأخرى فإنها تفتقر إلى ذلك، حيث نجد الكثير من علمائها يرتكبون الذنوب وفي ذات الوقت يقيمون صلاة الجماعة ويأتّم بهم الناس، بل ويقبلونه على رأس المؤسسات المهمة في هذه المدارس.

### المعلم الخامس: الاعتماد على الله والنفس

لقد بُنيت مؤسساتنا بالاعتماد على الله تعالى، والاتكال على الإمكانيات الذاتية التي يبذلها المؤمنون، ولم تبني بالاتكال على الدول وإمكاناتها أو على الثروات الكبيرة المتوفرة هنا وهناك، حتى أن الدولة الإسلامية المباركة في إيران مع وجود العباد الصالحين على رأسها، مثل: الإمام الخميني قدس سرّه، والسيد الخامنئي (حفظه الله تعالى)<sup>(١)</sup>، والخبراء والمجتهدين، نلاحظ أنهم يصرون على بقاء مؤسسة الحوزة العلمية مستقلة، واحتفاظها بنهج الاعتماد على الله، والنفس، والإمكانيات المحدودة المتوفرة لديها، بالرغم من وجود الإمكانيات العظيمة لدى الدولة، ومن رعايتها للحوزة العلمية وجوداً

(١) السيد علي ابن السيد جواد الخامنئي. ولد عام ١٩٣٩م في مدينة مشهد المقدسة في كنف أسرة علمية. بدأ مشواره العلمي الديني بعد إتمامه الدراسة الابتدائية، فدرس المقدمات في مدرسة (سليمان خان)، ومدرسة (نواب)، وفي عام ١٩٥٨م قديم إلى مدينة قم المقدسة ودخل حوزتها العلمية؛ لإكمال دراسته الدينية العالية في الفقه والأصول، وحضر البحث الخارج للسيد البروجردي، والإمام الخميني، والعلامة الطباطبائي. بدأ كفاحه السياسي المعادي لنظام الشاه من خلال حركة نواب صفوي، فتم اعتقاله لمرات عديدة، وبعد انتصار الثورة الإسلامية تقلد مناصب عديدة مهمة في الدولة، وبعد وفاة الإمام الخميني تمّ انتخابه قائداً للثورة الإسلامية من قبل مجلس الخبراء. للتفاصيل انظر:

وكياناً؛ ولذلك عندما طلب بعض الأشخاص من الإمام الخميني قدس سره أن يخصص ميزانية للحوزة العلمية في قم المقدسة من الدولة لم يقبل ذلك؛ لأنه يرى ضرورة استمرار الحوزات العلمية بنفس المنهج الذي أسسه أهل البيت عليهم السلام وأرادوه لها في تغطية نفقاتها من خلال الاعتماد على أموال الخُمس، والزكاة، والتبرعات، والخيرات التي ينفقها المؤمنون؛ لتحفظ ارتباطها بالجانب المعنوي الأصيل، وتعتمد على القاعدة الجماهيرية، وتبقى مرتبطة بها.

ومن هنا لا ينبغي القول بعدئذٍ: لماذا لا توفر الدولة الإسلامية الأموال إلى الحوزات العلمية مع وجود الثروات الكبيرة لديها؟ وذلك لأن هذا هو منهجنا، ويجب أن نهتم وملتزم به، وعلى الأمة أن تتحمل معاناته حتى تصل إلى الهدف العظيم الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام.

### المعلم السادس: الالتصاق بالأمة والتفاعل معها

اتصفت مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالالتصاقها بالأمة والمستضعفين من الناس، ولم تنفصل أو تنعزل عنهم، ولم تتعال عليهم، وبقي ذلك صفة واضحة في الحوزات العلمية على مرّ العصور، وهي من المعالم المهمة التي شهدتها أنا شخصياً في مرجعية الإمام الحكيم قدس سره، حيث كان يولي اهتماماً بالغاً بالشرائع المستضعفة من أبناء الحوزات العلمية، من باكستانيين، وهنود، وأفغانيين، وعراقيين، ولبنانيين، وأبناء الخليج<sup>(١)</sup>، وغيرهم من عموم الناس،

(١) فقد كان جنوب لبنان . آنذاك . يعيش فقراً شديداً، فيهاجر سكانه من أجل لقمة العيش، وكذلك الأمر كان لأبناء الخليج والعراقيين، فضلاً عن المناطق الأخرى. منه قدس سره.



حيث كان قد استقبل شخصياً وفي كل يوم المؤمنين من الناس الذين يأتون من قرى وأرياف العراق، والذين يأتون من مختلف مناطق الدول الإسلامية، وكأنه أحدهم بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، مما حدى ببعض الناس الذين لم يرق لهم هذا الاهتمام أن قالوا: إن أتباع الحكيم هم (البربرية) و(التبتية) و(النكرية) و(الشروقيين)... فحاولوا بهذه الطريقة وغيرها الاستهانة بمرجعته الدينية التي ارتبطت بالشرائح الفقيرة مع أنها أصبحت أعظم مرجعية بسبب هذا الارتباط.

وحين أقف الآن في هذا التجمع المبارك، الذي ضمّ الإخوة الباكستانيين، والهنود، والأفغانين، واللبنانيين، والعراقيين، وغيرهم، فإني أشعر بالفخر والاعتزاز، وسأبقى محتفظاً بذكرياتي عن هذا الوسط الطيب.

أيها الأعداء، وأيها العلماء والخطباء، يا مَنْ سيكون لكم في يوم ما شأن عظيم في المجتمع - إن شاء الله - عليكم أن تتبها لهذا الأمر، وتظلوا ملتصقين بالأمة، ولا تتخلوا عن أبناء الشعب المستضعفين، فهم القوة الحقيقية بعد الله سبحانه وتعالى، والقدرة المؤثرة التي يمكنها أن تفوق كل القدرات، فهم دائماً على استعداد للتضحية والفداء والعطاء دون حدود، فيجب علينا الانتباه لهم، وأن لا يصيبنا الغرور عندما يكون لنا شأن في المجتمع أو يكون لنا مستوى من العلم والمعرفة.

وأقول هذا، وأنا أحذر نفسي وجميع إخواني العلماء، والمبلغين، والطلبة من الابتلاء في يوم ما بالشعور بالتفاضل بينهم وبين جمهور الأمة والمستضعفين منها، فقد خط لنا أهل البيت عليهم السلام هذا النهج، ولنا قدوة وأسوة بالإمام

الحسين عليه السلام إذ يذكر له التاريخ موقفين:

أحدهما: عندما وقف على جسد ولده علي الأكبر ووضع خده على خده<sup>(١)</sup>.  
والآخر: عندما وقف على جسد الغلام التركي، ووضع خده على خده،  
وحين انتبه الغلام التركي استبشر وتبسم وافتخر<sup>(٢)</sup>؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام  
تعامل معه كما تعامل مع ابنه علي الأكبر، فقد احتفظ عليه السلام بالقيم والمثل  
والأخلاق حتى وهو في تلك الشدة والأزمة، فعلينا أن ندرس هذا الشعور  
ونعنيه ونعمل به.

اسأل الله أن يتغمد فقيدنا، وأن يجعله مع أجداده الطاهرين، وأن يوفقنا  
للسير على طريق هؤلاء المجاهدين.

اسأل الله أن يحفظكم ويرعاكم ويحفظ الدولة الإسلامية وقائدها، وأن  
يتغمد الإمام الخميني بالرحمة والرضوان، وكل سلفنا الصالح.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) انظر: اللهوف في قتلى الطفوف: ٦٨.

(٢) انظر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٥٠.

القسم الثاني

علماء في الذاكرة

آية الله

السيد محمد تقي الحكيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

السلام عليكم أيها الأخوة الأعزاء المحترفون ورحمة الله وبركاته.

في البداية أتقدم بالتعازي الحارة لكم وللأسرة الكريمة، بمناسبة فقداننا لهذه الشخصية العلمية الإسلامية العراقية النادرة<sup>(١)</sup>، وأسأل الله تعالى أن يعوّض المسلمين عامة، والعراقيين خاصة بالأجر، وبمن يسد هذه الثلمة الكبيرة في كيانهم العلمي والثقافي.

كما أشكر في الوقت نفسه الأخوة الأعزاء، والسادة الأفاضل؛ على مشاركتهم في هذا المصاب وإقامتهم لهذا الاحتفال، وأخص بالذكر ساحة الأخ العلامة المجاهد الدكتور السيد محمد بحر العلوم<sup>(٢)</sup> لهذه المبادرة،

(١) كتب شهيد المحراب رحمته الله دراستين عن آية الله السيد محمد تقي الحكيم رحمته الله:

الأولى: صدرت بعنوان: (العلامة السيد محمد تقي الحكيم وحركة الإصلاح في النجف الأشرف)، بتاريخ ١٤١٧/١١/٢٥هـ. ونشرت في كتاب أصدره معهد الدراسات العربية والإسلامية في لندن تحت عنوان: (السيد محمد تقي الحكيم وحركته الإصلاحية في النجف).

الثانية: صدرت بعنوان: (العلامة السيد محمد تقي الحكيم نموذجاً)، بتاريخ ربيع الثاني ١٤٢٣هـ، وقدمت في الاحتفال التأسيسي الذي أقامه مركز أهل البيت عليهم السلام في لندن على روح المرحوم العلامة الحكيم رحمته الله. ولكون الدراسة الثانية أوسع وأكثر شمولية وتفصيلاً أثرتنا إثباتها وأضفنا لها بعضاً من أفكار الدراسة الأولى غير المكررة مع أفكار الدراسة الثانية أو مع أفكار الكتاب. وتحتفظ مؤسسة تراث الشهيد الحكيم رحمته الله بكلتا الدراستين وبخط شهيد المحراب رحمته الله.

(٢) السيد محمد ابن السيد علي ابن السيد هادي بحر العلوم. ولد سنة ١٣٤٧هـ في النجف الأشرف، وفيها درس العلوم الدينية، فأكمل سطوح الأصول، والفقه، ثم دخل كلية الفقه وتخرج منها، ثم حصل على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة. اضطر إلى مغادرة العراق عام ١٩٦٩م؛ بسبب معارضته للنظام البعثي. مؤلفاته عديدة، منها: (رجال العقيدة)، و(مواقف حاسمة)، و(فلسفة الكندي)، و(الدولة

التي تعبر عن قيم التقدير للعلم والعلماء، والوفاء للأساتذة والمعلمين، وللأصدقاء وأهل الود والوفاء.

وأعذر للأعزاء المحترمين عن هذه المشاركة المتواضعة التي لا تسمو إلى مستوى المناسبة والحاضرین.

## خصائص العلامة الحكيم

إنّ الحديث عن شخصية الفقيه العلامة آية الله السيد محمد تقي الحكيم رحمته الله<sup>(١)</sup> في هذه المناسبة وآفاقها وأجوائها وظروفها، حديث واسع الأطراف. وحديثي عنه فيه الكثير من الصعوبة بلا شك؛ لصلة القربى، وللظروف القائمة، ولحساسية الموقف، ولكنني مع ذلك وجدت أن شيئاً من الوفاء - ولو قل - يفرض عليّ أن أتحدث عنه، وأرجو منه العذر مسبقاً في

---

الفاطمية)، وغيرها الكثير. أول رئيس لمجلس الحكم العراقي المؤقت. أسس في النجف الأشرف معهد العلمين للدراسات العليا، وهو أول معهد متخصص في العلوم السياسية في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: الفوائد الرجالية ١: ١٨٤.

(١) السيد محمد تقي ابن السيد سعيد ابن السيد حسين الحكيم. ولد عام ١٣٤١ هـ بمدينة النجف الأشرف، وفيها بدأت دراساته العلمية، فتدرّج في مراتبها حتى وصل إلى مرحلة البحث الخارج، فدرس عند أعلام عصره، كالسيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي، والشيخ حسين الحلبي، وغيرهم، فأتم حضوره هذا، ومثابرتة عن نيله درجة الاجتهاد في وقت مبكر من عمره. أسس مع عدد من الأعلام (جمعية منتدى النشر) في النجف الأشرف، وأسس مع عدد من المفكرين (المجمع الثقافي لمنتدى النشر)، وأسس مع عدد من الأعلام (كلية الفقه). انتخب عميداً لكلية الفقه عام ١٩٦٥م، ومنحته جامعة بغداد درجة الأستاذية عام ١٩٦٤م. وكان عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي، وعضواً في مجمع اللغة العربية المصري، والسوري، والأردني، وعضواً في مجمع الحضارة الإسلامية الأردني. توفي عام ٢٠٠٢م، ودفن في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: المفكر الإسلامي السيد محمد تقي الحكيم، سيرته، ومسيرته الفكرية.

الاشتباه والخطأ، فضلاً عن الحيف والتجاوز.  
إنّ الفقيه يتّصف بمواصفات يستحق كل منها حديثاً مستقلاً ومستفيضاً،  
فقد كان:

أولاً: يجمع في علمه وثقافته بين العمق العلمي لحوزاتنا العلمية، والنهج  
الجامعي في الدراسة والعرض، والثقافة العامة للأمة.  
ثانياً: كان موفقاً في عمله من خلال الإنتاج العلمي في ميادين مختلفة:  
(فقهية)، و(أصولية)، و(تاريخية)، و(لغوية)، و(أدبية)، و(اجتماعية)، وألف  
في كل واحد منها ما ينفع الناس<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: كان ذا شخصية إنسانية هادفة تتصف بالأخلاق العالية، والالتزام  
السلوكي بالمبادئ والأصول، والاعتزاز بانتمائه الحوزوي.  
رابعاً: كان يعبر عن كل ذلك بالأسلوب الأدبي اللغوي الراقي، والحضور

(١) للعلامة السيد محمد تقي الحكيم مؤلفات عديدة، منها ما هو مطبوع، وهي: (مالك الأشر)، و(شاعر  
العقيدة السيد الحميري)، و(كلية الفقه في النجف الأشرف)، و(نظام كلية الفقه في النجف الأشرف)،  
و(الأصول العامة للفقه المقارن)، و(الزواج المؤقت ودوره في حل مشكلات الجنس)، و(قصة التقريب  
بين المذاهب)، و(مناهج البحث في التاريخ)، و(سنّة أهل البيت)، و(قصة التقريب بين المذاهب وبحوث  
أخرى)، و(السنّة النبوية وسنّة أهل البيت)، و(مشكلات الأدب النحفي)، و(تاريخ التشريع الإسلامي)،  
و(التشريع في ندوات القاهرة)، و(من تجارب الأصوليين في المجالات اللغوية)، و(عبد الله بن عباس، حياته  
وسيرته)، و(القواعد العامة في الفقه المقارن)، و(مع الإمام علي عليه السلام في منهجيته ونهجه)، و(الإسلام وحرية  
التملك والمفارقات الناشئة عن هذه الحرية)، و(مشكلة الأدب النحفي).

وأما المؤلفات غير المطبوعة، فهي: (زرارة بن أعين)، و(زين الشباب أبو فراس الحمداني)، و(على هامش  
الكفاية)، و(ديوان شعري)، و(تقارير السيد الخوئي في الأصول)، و(انطباعاتي عن محاضرات الشيخ  
حسين الحلبي في الأصول)، و(تعليقة على كتاب مستمسك العروة الوثقى). كما له رحمته بحوث ومقالات  
عديدة. للتفاصيل انظر: المصدر السابق: ٨٠.

الاجتماعي الذي يثير الإعجاب والفخر في أوساط عارفيه ومحبيه. وهذه الصفات الحميدة، والخصائص الفاضلة ذات الأبعاد المتعددة قد يشاركه فيها جماعة من العلماء والفضلاء في الحوزات العلمية المعطاءة والثرية، ولكن الراحل رحمه الله اختصّ إلى جانب ذلك كله بخصوصية يكاد لا يشاركه فيها أحد من علماء وفضلاء الحوزة العلمية، وهي: دوره الهام والفريد في إنشاء وتأسيس حلقة الوصل بين الحوزة العلمية والمؤسسات العلمية المدنية النظامية، بحيث كان يمثل النموذج الأمثل في هذا المجال، سواء في عراقنا الجريح أم في الأوساط العربية بصورة عامة. وتكتسب هذه الصفة أهمية خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار الظروف التي أحاطت بهذه العلاقة والصلة بين هاتين المؤسستين الهامتين في مجتمعنا الإسلامي والعربي.

## العلامة الحكيمة حلقة وصل

وبودي في هذه الإطلالة القصيرة على شخصيته رحمه الله أن أقف عند هذه النقطة في الحديث عنه.

لقد شهد عالمنا العربي والإسلامي بعد الحرب العالمية الأولى تحولات كبيرة؛ بسبب سقوط الدولة الإسلامية العالمية، والغزو العسكري الغربي، والهيمنة السياسية المطلقة للقوى الغازية، وقيام الحكومات الوطنية تحت الهيمنة الأجنبية، وهي تحولات طالت مختلف أبعاد وجوانب الحياة الاجتماعية للأمم والشعوب الإسلامية والعربية. وقد كان أحد هذه الأبعاد الجانب الثقافي والمؤسسات العلمية والتعليمية منها بصورة خاصة.



## العدوان على الحوزة العلمية

وإذا أخذنا العراق كمثال، فنلاحظ بالرغم من كونه أولى البلاد التي قاومت الغزو العسكري، وسعت بعد ذلك إلى الاستقلال والخلاص من الهيمنة العسكرية والسياسية من خلال ثورة العشرين، إلا أن الهيمنة الأجنبية، والدولة الوطنية - التي كانت تأتمر بأمرها وتلتزم بسياساتها بصورة عامة - قامت بعمل مزدوج له أبعاد متعددة ضد الثقافة الإسلامية والمؤسسات العلمية في العراق، وهي:

**البُعد الأول:** العمل الحثيث لمحاصرة المؤسسات العلمية الإسلامية، وفي مقدمتها الحوزة العلمية، والتخطيط لتدميرها أو عزلها؛ للدور الريادي والقيادي لمؤسسة الحوزة العلمية، سواء في مضمونها الفكري والعقائدي، أم في نفوذها الروحي والمعنوي، أم في علاقاتها الاجتماعية والتنظيمية، ولا سيما مع القوى الفاعلة في ذلك الوقت، كالعشائر العربية والكردية في توجيه وترشيد المقاومة لهذه الهيمنة بكل أبعادها.

ويبدو هذا الأمر واضحاً عندما ننظر إلى مجموعة الإجراءات ذات الصفة القمعية أو القهرية التي اتخذتها الحكومة الوطنية ضد هذه المؤسسة، مثل:

- ١- القيام بنفي وإبعاد كبار العلماء والمجتهدين في الحوزة العلمية.
- ٢- سحب الاعتراف العلمي عن خريجي وطلبة الحوزة العلمية، وسد جميع منافذ الحياة أمامهم.

- ٣- فرض التجنيد الإجباري على طلاب الحوزة العلمية، وسحب إجراء التأجيل والإعفاء عنهم أسوة ببقية المؤسسات العلمية والدينية.

**البُعد الثاني:** محاصرة الحوزات العلمية وطلابها، سواء أكان باتخاذ

الإجراءات القاسية لتحويلها من مؤسسة ذات بُعد عالمي وإسلامي - لأن العلم لا يلتزم بالجغرافيا، ولا يعرف الحدود الإقليمية - إلى مؤسسة محدودة بالأطر الإقليمية والمحلية، أم كان بالمحاصرة الاقتصادية والمالية وحرمانها من الخدمات العامة، التي تقدمها دوائر الأوقاف - عادة - لمثل هذه المؤسسات.

**البُعد الثالث:** ممارسة الحرب النفسية والثقافية للتشكيك في المنهج الحوزوي وقيمه وجدواه في التربية والتعليم، والتشكيك في المحتوى الثقافي لهذه المؤسسات الثقافية الإسلامية بصورة عامة.

### النتائج والآثار الوخيمة

وقد أدى هذا العمل والهجوم المزدوج إلى نتائج وخيمة وقاسية في مجتمعنا العراقي والعربي والإسلامي بصورة عامة، منها:

- ١- عزل الحوزة العلمية عن الأوساط الاجتماعية المثقفة.
- ٢- خروج عناصر وكوادر مهمة من الحوزة العلمية؛ لتصبح جزءاً من الحركة الاجتماعية العامة، التي كانت تقع تحت تأثير الهيمنة الخارجية.
- ٣- غرس روح العداة والحقد تجاه الحوزة العلمية، وتحميلها مسؤولية سوء الأوضاع السياسية والاجتماعية في الوسط الشعبي؛ بسبب تخلفها وعدم قدرتها على تشخيص الموقف السياسي والاجتماعي المطلوب.

وقد يعتمد بعض المحللين إلى افتراض: أن هذه النتائج كانت أموراً طبيعية؛ لأنها نتائج تلازم التحولات الاجتماعية وتطورها، وأن أوروبا الغربية شهدت نتائج مماثلة عند وجود الثورة الصناعية.

ولكن هذا الفرض غير صحيح عند التحقيق والتأمل الدقيق؛ لوجود

الفرق بين ما شهدته أوروبا وما شهدته عالمنا الإسلامي والعربي. فإن ما شهدته أوروبا جاء لعوامل داخلية كانت تتفاعل وتؤثر في النتائج، أما ما شهدته عالمنا العربي والإسلامي، فقد كان لأسباب وعوامل خارجية، كالهيمنة السياسية والغزو العسكري.

كما أن رجال الدين في أوروبا كانوا يمثلون طبقة حاكمة، لها نفوذها الخاص في المجتمع الغربي، وأما علماء الدين في المجتمع الإسلامي والعربي فلم يكونوا إلا دعاة إصلاح ومقاومة للطغيان والاستبداد، ويتعرضون باستمرار للمطاردة والقمع، ولعل أئمة أهل البيت عليهم السلام خير شاهد على هذه الحقيقة، كما أن جميع المذاهب تعرضوا لألوان من الاضطهاد والأذى.

مضافاً إلى أن التدهور الذي شهدته العالم الإسلامي والعربي، ووقوعه تحت السيطرة الخارجية المطلقة كان بسبب تخليه عن الدين والشريعة، وأخذه بالأطروحات الغربية التي كانت أسلوباً من أساليب فرض الهيمنة والتسلط. بخلاف الحال في أوروبا الغربية، فإنها عندما تحلّت عن حكم وسيطرة رجال الدين الفكرية، والقيود والأغلال الثقافية التي كانوا يفرضونها على الناس، تمكنت من تحقيق نهضتها الاجتماعية والعلمية والاقتصادية.

نعم، قد تكون الدعوة والاتجاه إلى التغيير والتحديث أمراً طبيعياً في المجتمعات الإنسانية، ولكن ما حدث في عالمنا الإسلامي تجاه الدين ومؤسساته لم يكن مجرد دعوة للتغيير والتجديد والتحديث، بل كان عملية تخريب وتدمير واستعداد وتنكر واتهام بصورة شمولية ومطلقة، وإلا فإن الدعوة للتجديد والتغيير والمواكبة كانت من أولى المبادرات التي دعى إليها علماء الإسلام في هذا العصر، كالدعوة إلى المشروطة التي قادها آية الله

الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني في العراق، والشيخ فضل الله النوري في إيران<sup>(١)</sup>، والسيد جمال الدين الأفغاني الأسدآبادي<sup>(٢)</sup>، والشيخ محمد عبده<sup>(٣)</sup>، وغيرهم من علماء الإسلام، ولا أريد هنا أن أستغرق في الحديث، فإن له مجال آخر.

(١) الشيخ فضل الله ابن ملاً عباس النوري. ولد عام ١٢٥٩هـ بقرية (لاشك) من توابع مدينة (مازندران) الإيرانية. تلقى دراساته الأولية في مدينة (نور) في مازندران، ثم سافر إلى طهران، وبعدها إلى النجف الأشرف؛ لإكمال دراسته العليا على يد أستاذه السيد محمد حسن الشيرازي، والشيخ حبيب الله الرشتي، والشيخ راضي النحفي. له عدة مؤلفات، منها: (تذكرة الغافل وإرشاد الجاهل)، (الصحيفة المهذوية أو القائمة)، و(رسالة في قاعدة ضمان اليد). استشهد<sup>قده</sup> عام ١٣٢٧هـ بالعاصمة طهران، ودفن بمدينة قم المقدّسة. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ٣١٥.

(٢) السيد جمال الدين ابن السيد صفدر الحسيني الأسدآبادي، الشهير بالسيد جمال الدين الأفغاني. ولد سنة ١٢٥٤هـ في (أسدآباد) من توابع مدينة (همدان) الإيرانية. أحد الأعلام البارزين في النهضة المصرية، ومن أعلام دعاة التجديد. اتصف بالذكاء والمنطق فاستطاع بذكائه وفطنته وفضاحة لسانه وقوة بيانه أن ينخرط في سلك العلماء الكبار. وكان سائحاً جوالاً، طاف العالم الإسلامي، وحال غرب أوروبا. وصل مصر حوالي سنة ١٨٨٠م، وكانت له يد في الثورة العربية، فلما احتل البريطانيون مصر عام ١٨٨٢م نفوه للحال. توفي سنة ١٣١٤هـ في استانبول، ودفن فيها بمقبرة (المشايخ). للتفاصيل انظر: أعيان الشيعة ٤: ٢٠٦.

(٣) الشيخ محمد بن عبده بن حسن خير الله. ولد سنة ١٢٦٦هـ. ١٨٤٩م في قرية (محلة نصر) التابعة لمحافظة البحيرة. التحق بالجامع الأزهر سنة ١٨٦٦م، وفي سنة ١٨٧٧م حصل على الشهادة العالمية، وفي سنة ١٨٧٩م عمل مدرساً للتاريخ في مدرسة دار العلوم، وبعد فشل الثورة العربية التي حكم عليه بالسجن، ثم بالنفي إلى بيروت لثلاث سنوات، سافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس، وأسس صحيفة العروة الوثقى، وفي سنة ١٨٨٥م أسس جمعية سرية باسم (العروة الوثقى). توفي عام ١٩٠٥م، ودفن بالقاهرة. للتفاصيل انظر: الأعلام ٦: ٢٥٦.

## مقاومة الحوزة العلمية

وقد أبدت الحوزة العلمية في مواجهة ذلك صموداً، ومقاومة، وقدرة على المبادرة والمرونة لا نظير لها في عالمنا الإسلامي، مستمدة ذلك من جذورها الفكرية والروحية وتجاربها الطويلة في المواجهة والتطوير، استلهمت من فكر أهل البيت عليهم السلام والرسالة الإسلامية الخاتمة.

ويمكن أن أشير هنا - بصورة إجمالية - إلى عدة خطوط لهذه المقاومة شهدتها الفترة الزمنية التي عاشها فقيدنا العلامة آية الله السيد محمد تقي الحكيم، وساهم فيها مساهمة فعّالة.

وقد كانت مرجعية الإمام المرجع الأعلى الكبير السيد محسن الحكيم، وسائر مراجع وعلماء الدين المعاصرين له المحور لهذه المقاومة العظيمة:

**الخط الأول:** التصدي لقضايا الأمة الكبرى، وتحمل مسؤوليتها بصورة شاملة، مثل: قضايا التحرر والاستقلال، ومقاومة الهيمنة الخارجية، وقضية فلسطين، ومقاومة الطغيان والاستبداد الداخلي، وقضية وحدة الأمة الإسلامية... إلى غير ذلك.

**الخط الثاني:** التجديد في الاجتهاد ومواكبته لقضايا العصر أو الحوادث الواقعة - كما ورد التعبير عن ذلك في توقيع الإمام المهدي عليه السلام - وتقديم الرؤية الإسلامية للنظام الاجتماعي والمجتمع الإسلامي، والمحافظة على حيوية الإسلام ومرونته في معالجة الحياة واستكشاف وتأسيس الآليات المناسبة للحياة الاجتماعية والسياسية.

وكان من جملة ذلك: طرح النظرية السياسية والاقتصادية والحركية الإسلامية، وتصدي المرجعية وتحويلها إلى مؤسسة سياسية وثقافية، وتأسيس

(جماعات العلماء) في أنحاء من العراق<sup>(١)</sup>، وتأسيس الحركة الإسلامية المعاصرة<sup>(٢)</sup>، والجمعيات، مثل: جمعية منتدى النشر، وجمعية الرابطة الأدبية<sup>(٣)</sup>، وجمعية الصندوق الخيري الإسلامي، وغيرها من المنظمات.

**الخط الثالث:** تطوير مناهج الدراسة في الحوزة العلمية، والاستفادة من التجارب الحديثة مع الاحتفاظ بالعمق والمستوى العلمي المطلوب في هذه الدراسات، مقروناً بالاستقلال في الإدارة والمصادر التي تعتمد عليها، الأمر الذي منحها الأصالة، والنقاء، والقدرة الفائقة في المقاومة والصمود والتكيف.

وكانت مبادرة جمعية المنتدى بتأسيس مدرسة نظامية، لكن لم يكتب لها الاستمرار والبقاء؛ بسبب انفصالها عن الحوزة العلمية، وكذلك مبادرة (مدرسة العلوم الإسلامية)<sup>(٤)</sup> للإمام الحكيم، التي أصبحت بعد ذلك نموذجاً يقتدى به، وتمّ تعميمه على الحوزات العلمية بصورة واسعة هذه الأيام، نماذج لهذا الخط.

**الخط الرابع:** حضور الحوزة العلمية في الأوساط الثقافية الجامعية من

(١) انظر: الإمام الشهيد الصدر، دراسة لجوانب من الفكر والشخصية والمنهج: ١٧٣.

(٢) الظاهر أن مراده منها، هو حزب الدعوة الإسلامية.

(٣) أول مؤسسة تأسست بصفة رسمية لاحتضان الأدب والأدباء في النجف الأشرف، حيث نالت الاعتراف الرسمي من الحكومة العراقية، وفتحت أبوابها ١٩٣٢/٩/٣٠ م. للتفاصيل انظر: الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، حياته وأدبه: ٧٩.

(٤) مدرسة دينية حوزوية أسسها الإمام السيد محسن الحكيم قدس سره عام ١٩٦٥ م يتم فيها التدريس على أيدي نخبة من أساتذة الحوزة العلمية من المقدمات وحتى السطوح. للتفاصيل انظر: السيد محسن الحكيم، دراسة في دوره السياسي والفكري في العراق: ٣٧٩.

خلال مبادراتها في تأسيس المؤسسات الجامعية، وحضور بعض رجالها في هذه المجالات حسب الفرص المواتية.

فقد شهدت هذه الفترة الزمنية تأسيس جمعية منتدى النشر لكلية الفقه في النجف الأشرف، لتكون مؤسسة جامعية يلتقى فيها رجال الحوزة برجال الجامعة ميدانياً وعملياً، كما يلتقى المضمون الثقافي للحوزة العلمية مع المضمون الثقافي العام للجامعات في إطار نظام ومنهج الجامعات المدنية. ثم شهدنا قيام جمعية الصندوق الخيري الإسلامي بتأسيس (كلية أصول الدين)<sup>(١)</sup>، وهي كلية أخذت طريق أختها الكبرى كلية الفقه، ولكنها امتازت عليها من حيث إنها أصبحت في مركز الجامعات العراقية (العاصمة)، فكانت خطوة متقدمة في هذا المجال، وإن كان لكلية الفقه امتياز قدم سبق والعمق الحوزوي العلمي.

ثم كانت المبادرة الأعظم - في خطوة متقدمة في هذا الخط - وهي تأسيس (جامعة الكوفة) التي التقى في تأسيسها الكيان الحوزوي والجامعي معاً، لكن لم يكتب لها الكمال؛ بسبب الطغيان والاستبداد الاستثنائي الذي شهده العراق بمجيء حزب العفالة إلى الحكم.

وقد كان لهذه المبادرات تداعيات في الساحة الثقافية الإسلامية التي شهدت نمواً في هذا المجال، كتأسيس (كلية الدراسات الإسلامية)، و(كلية

(١) تأسست كلية أصول الدين في بغداد بعد الاعتراف الرسمي بها عام ١٣٨٤هـ. ١٩٦٤م بجهود (جمعية الصندوق الخيري الإسلامي) في بغداد. للتفاصيل أنظر: محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق ٢: ١٩.

الإمام الأعظم<sup>(١)</sup>، وغيرها من التداعيات. وقد شمل الطغيان والاستبداد العقلي جميع هذه المؤسسات فصادر بعضها، وحاصر بعضها الآخر.

### العلامة الحكيم نموذجاً

وإلى جانب هذا الحضور من الحوزة العلمية في الأوساط الجامعية والثقافية العامة شهدنا حضوراً آخر لها من خلال بعض شخصياتها ورجالها، كالحضور الذي عرفه العراق من خلال الشخصية الفريدة لفقيدنا العلامة آية الله السيد محمد تقي الحكيم، فقد كان لحضوره ومساهمته إلى جانب نخبة من علماء وفضلاء الحوزة العلمية في الخطين الثالث والرابع دور كبير في نجاحهما، ولكن كان لحضوره في هذا المجال الأخير امتياز يكاد لا يشاركه فيه أحد من فضلاء الحوزة العلمية وعلمائها، ويشكل النموذج الأمثل، والقُدوة في السبق والتأثير والتعبير عن هذا الحضور الواقعي لرجال الحوزة العلمية في هذه الأوساط. فقد امتاز هذا الحضور بعدة خصائص منحته هذه الأهمية والصفة الريادية، وهي:

**الخصوصية الأولى:** إنَّ هذا الحضور كان في أعلى وأوسع المستويات العلمية والثقافية في الأوساط الجامعية، فهو على مستوى الدراسات العليا<sup>(٢)</sup>، والمجامع العلمية العراقية والعربية<sup>(٣)</sup>، حيث كان العلامة السيد

(١) في سنة ١٩٦٧م صدر القانون رقم ٣٨ الذي بموجبه أُسست (كلية الإمام الأعظم).

(٢) انظر: الفكر الإسلامي السيد محمد تقي الحكيم، سيرته ومسيرته العلمية: ٧١.

(٣) انظر: المصدر السابق: ٥٩.



محمد تقي الحكيم يؤمن بأهمية انفتاح الحوزة العلمية على الأوساط المثقفة في الأمة والعالم الإسلامي، والدور الذي يمكن أن يحققه هذا الانفتاح في حركة الإصلاح العامة.

وقد تمثل إيمانه هذا في النشاطات التالية:

١- الحضور في المؤتمرات العامة، وخصوصاً مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة، والأحاديث العلمية التي كان يلقيها أو التي كان يجريها خلال اللقاءات الجانبية في هذه الأوساط، وما نشرته مجلة (الإيمان)<sup>(١)</sup> عنها شواهد لها<sup>(٢)</sup>.

٢- زيارته الميدانية المتكررة للبنان، والتي كانت تتحول إلى مفردات ثقافية، وكذلك زيارته للمغرب العربي وانفتاحه على الآفاق الثقافية هناك، ولا زالت ذكريات بعض الشخصيات المغربية تحوطه بكثير من الإعجاب والتقدير.

٣- المشاركة في الندوات واللقاءات العامة مع الوفود التي كانت ترد النجف الأشرف، والاهتمام باستقبالها والتحدث إليها شخصياً، مع أننا نعرف أن العلامة الحكيم كان يبتعد إلى حد الهروب أحياناً عن مظاهر الوجاهة والتصدي.

وهنا لا بدّ أن أشير إلى أن من يقرأ أحاديثه بدقة يجد فيه ذلك الإنسان الذي يحاول إيصال أفكاره وتحقيق أهدافه من خلال هذه الأحاديث ولا

(١) مجلة إسلامية صدرت في مدينة النجف الأشرف عام ١٩٦٤م لصاحبها موسى محمد علي اليعقوبي.

(٢) انظر: مجلة الإيمان، العدد السابع والثامن، والتاسع والعاشر من سنتها الأولى، والعددان: الثالث والرابع من سنتها الثانية ١٩٦٤، ١٩٦٥م.

يكتفي بالمجاملات العامة.

٤- إن قيام الحوزة العلمية بهذا الدور المهم يحتاج إلى وسائل جديدة، وتطوير في وضع الحوزة العلمية وأساليبها، وإصلاح في بنيتها الأساسية وفي المناهج العامة، ومن هذا المنطلق كانت مساهمته في الأعمال الثقافية المختلفة لجمعية منتدى النشر في مراحلها الأولى، سواء في مجلة (البذرة)<sup>(١)</sup>، أم في المجمع الثقافي، أم في الأبحاث الأهم التي كتبها في تلك المدة.

وتمكن فقيدنا العلامة الحكيم أن يحقق نتائج مهمة في هذا المجال، حيث تخرّج على يده نخبة صالحة من كوادر الحوزة العلمية، الذين يمثلون هذا الخط والاتجاه، أمثال: الدكتور المرحوم العلامة السيد مصطفى جمال الدين<sup>(٢)</sup>، وأخينا الدكتور المجاهد العلامة السيد محمد بحر العلوم، والأستاذ العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي<sup>(٣)</sup>، والدكتور العلامة شيخ الخطباء

(١) مجلة علمية أدبية شهرية، صدر أول عدد منها عام ١٣٦٧هـ، تصدر باسم طلاب منتدى النشر.

(٢) السيد مصطفى بن جعفر بن عناية من عشيرة آل حسن. ولد عام ١٣٤٦هـ بقرية (المؤمنين) جنوب العراق. هاجر إلى النجف الأشرف لدراسة العلوم الدينية، فأكمل مرحلتي المقدمات والسطوح ثم انتقل إلى مرحلة البحث الخارج، وحضر حلقات السيد الخوئي. عُيِّن سنة ١٩٦٢م معيداً في كلية الفقه في النجف الأشرف، ثم حاز على الماجستير، ثم الدكتوراه من جامعة بغداد قسم اللغة العربية عام ١٩٧٩م. مؤلفاته عديدة ومتنوعة، منها: (البحث النحوي عند الأصوليين)، و(الإنشاع بالعين المرهونة)، و(محنة الأهوار والصمت العربي). توفي رحمته الله في سورية عام ١٤١٦هـ، ودفن في مقبرة السيدة زينب عليها السلام. للتفاصيل انظر: مقدمة كتاب الديوان.

(٣) الشيخ محمد مهدي الآصفي. ولد عام ١٣٥٨هـ بمدينة النجف الأشرف. وفيها اتجه نحو الدراسة الحوزوية، متدرجاً في مراحلها حتى بلغ مرحلتها الأخيرة بحضوره عند السيد محسن الحكيم، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد أبي القاسم الخوئي، والشيخ حسين الحلّي، والسيد الخميني. هاجر إلى مدينة قم المقدسة

الشيخ أحمد الوائلي<sup>(١)</sup>، والدكتور العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي<sup>(٢)</sup>،  
والعلامة الدكتور الشيخ محمد علي التسخيري<sup>(٣)</sup>، وغيرهم من عشرات

بسبب الضغوط الأمنية الشديدة للنظام البعثي على حوزة النجف الأشرف. مؤلفاته عديدة، منها: (أثر العلوم التجريبية في الإيمان بالله)، و(الدعاء عند أهل البيت)، و(آية التطهير)، و(نظرية الإمام الخميني في دور الزمان والمكان في الاجتهاد)، وغيرها. أسس عام ١٤٠٠هـ في مدينة قم المقدسة مؤسسة إغاثة خيرية باسم الإمام الباقر<sup>عليه السلام</sup>؛ لإغاثة المحتاجين والمعزولين والاهتمام برعاية الأيتام.

(١) الشيخ أحمد ابن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي الوائلي. أحد أشهر أعمدة المنبر الحسيني، ولد<sup>رحمته الله</sup> سنة ١٣٤٧هـ في النجف الأشرف. كانت خطوته الأولى نحو الدراسات العلمية الدينية في الكتاتيب، وهو ابن سبع سنوات، ثم دخل مدرسة الملك غازي الابتدائية، ثم دخل مدارس منتدى النشر حتى تخرج منها في عام ١٩٦٢م، وحصل على البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، بعدها أكمل الماجستير في جامعة بغداد. مؤلفاته عديدة، منها: (أحكام السجون)، و(استغلال الأجير وموقف الإسلام منه)، و(هوية التشيع)، و(نحو تفسير علمي للقران)، و(من فقه الجنس). توفي عام ١٤٢٤هـ، ودفن في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: <http://www.al-waeli.com/Seerah/Serah.html>

(٢) الشيخ عبد الهادي ابن الشيخ محسن ابن الشيخ سلطان بن محمد البصري الأحسائي الفضلي. ولد سنة ١٣٥٤هـ بقرية (صبخة العرب)، التابعة لمدينة (البصرة) بالعراق. ومنها بدأت رحلته العلمية، ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٦٨هـ؛ لإكمال دراسته الدينية، وتدرج في مراتبها حتى بدأ حضور أبحاث الخارج لدى كبار العلماء، كالسيد أبي القاسم الخوئي، والشيخ محمد طاهر آل راضي، والسيد محمد تقي الحكيم، والسيد محمد باقر الصدر، وغيرهم، وفي سنة ١٣٨٢هـ التحق بكلية الفقه في النجف الأشرف، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة بغداد وتخرج منها بدرجة ماجستير آداب في اللغة العربية، ثم التحق بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، وتخرج منها بدرجة دكتوراه. مؤلفاته عديدة، منها: (أصول البحث)، و(أصول الحديث)، و(خلاصة علم الكلام). للتفاصيل انظر: <http://www.facebook.com/Dr.alfadhli/info>

(٣) الشيخ محمد علي ابن الشيخ علي أكبر التسخيري. ولد عام ١٣٦٤هـ. ١٩٤٤م بمدينة النجف الأشرف في أسرة دينية. وفيها أنهى دراسته الأكاديمية، حيث تخرج من كلية الفقه، وكان يدرس. إلى جانب ذلك. الدروس الحوزوية، وحضر تحت منبر أكابر علمائها، كالشهيد السيد محمد باقر الصدر، والسيد الخوئي، والسيد محمد تقي الحكيم، والشيخ صدر البادكوبي، وغيرهم. وعند هجرته إلى إيران عام ١٩٧٠م شارك في تأسيس الكثير من المؤسسات الثقافية، وتبوء الكثير من المناصب السياسية والثقافية، وهو الآن

الأساتذة والعلماء الأفاضل - الذين أعترف إليهم من عدم استقصاء أسمائهم مع احترامي وتقديري لهم - الذين لا زالوا يواصلون مهمتهم في بناء وتقوية وترسيخ الصلة بين الحوزة العلمية والأوساط الجامعية والثقافية العامة، بل قام بعضهم ببناء المؤسسات الثقافية الجامعية الكبرى، كالعلامة الكبير الفقيه الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

بل أصبح بناء مثل هذه المؤسسات من الأهداف الكبيرة للحوزة العلمية في هذا العصر، فقد ساهمنا مع بعض هذه النخبة، كالعلامة التسخيري في بناء (جامعة المذاهب الإسلامية)<sup>(١)</sup> في طهران، و(جامعة أهل البيت عليه السلام) العالمية<sup>(٢)</sup>، كما قام العلامة السيد العسكري بالتعاون مع هذه النخبة بتأسيس (كلية أصول الدين)<sup>(٣)</sup> أخيراً، وقامت جماعة العلماء المجاهدين في طهران بتأسيس (جامعة الإمام الصادق عليه السلام)<sup>(٤)</sup>، وغير ذلك من المؤسسات

---

عضو لجنة الشورى العليا لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، ورئيس المجلس الأعلى فيه. للتفاصيل انظر: <http://taghrib.org/pages/tex2.php?tid=16>

(١) جامعة إسلامية تابعة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. أعلن عن تأسيسها في طهران عام ١٩٩٢م، وكان حينها شهيد المحراب قدس سره رئيساً للمجمع المذكور.

(٢) أول جامعة إسلامية تتعاطى أمور التدريس على الإنترنت، وهي إحدى مؤسسات مركز التنقيف الإسلامي في لندن، وتأسست عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) تم افتتاح الكلية المذكورة في قم المقدسة في سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م بعد حصول الموافقة من وزارة التعليم العالي في إيران على ذلك.

(٤) جامعة إسلامية تأسست عام ١٩٨٣م في طهران، وتشكلت الهيئة التأسيسية لها من آية الله السيد الخامني، وآية الله الشيخ المشكيني، وآية الله الشيخ المهدي الكني، وآية الله الشيخ الأميني، وآية الله الشيخ الإمامي الكاشاني، وغيرهم، ويديرها آية الله الشيخ المهدي الكني. وقد درّس فيها شهيد

العديدة.

الخصوصية الثانية: كان العلامة الحكيم يحظى بالتقدير والاحترام العلمي، إن لم أقل بالتسليم والقبول المطلق في هذه الأوساط؛ لما يتمتع به من عمق علمي، والتزام منهجي، وسهولة في البيان والعرض، وجدية في المتابعة العلمية، حيث كان يؤمن إيماناً عميقاً بالدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به مؤسسات التربية والتعليم في إصلاح أوضاع الأمة، وانطلاقاً من هذا الإيمان يمكن أن نفهم:

١- إصراره الكبير في التزامه بمدارس جمعية منتدى النشر، والتنظير للدور الإصلاحي الذي قامت به الجمعية في الحوزة العلمية بمقالة كتبها حول الموضوع، ثم بكلية الفقه، بحيث إن وجوده إلى جانب آية الله العلامة المظفر كان السلوة الحقيقية والروح المعنوية التي جعلت الشيخ المظفر يواصل دوره في جمعية منتدى النشر، حيث كانت تشتد الأزمة في كثير من الأحيان، فتجعل العلامة المظفر يفكر جدياً بحل الجمعية.

٢- النداءات التي كان يطلقها بقوة في الدعوة إلى فتح وتأسيس المدارس ومعاهد التعليم؛ لحل الأزمات والمشكلات الثقافية والعقائدية والأخلاقية، بل والسياسية التي كان يعاني منها المجتمع العراقي والمجتمع العربي بشكل عام.

ويبدو ذلك واضحاً في حديثه في احتفال مولد الإمام علي عليه السلام بعد هزيمة الشيوعيين في العراق سياسياً؛ بسبب الدور العظيم الذي قامت به المرجعية

الدينية - كما يؤكد العلامة الحكيم - ولكنه يعنى على الأمة عدم اهتمامها بالعلاج الحقيقي الذي كان يراه في فتح المعاهد والمدارس .  
وكذلك يبدو هذا واضحاً في حديثه مع المؤتمرين الوافدين إلى النجف الأشرف من مؤتمر وزارة التربية والتعليم العرب والدعوة إلى إصلاح مناهج التعليم.

وفي رسالته بشأن جمعية الجامعات الإسلامية يؤكد على أهمية مادة الفقه المقارن في تحقيق الإصلاح والوحدة بين المسلمين .  
وكذلك في استمراره وإصراره على التدريس في كلية الفقه بالرغم من أن مستواه العلمي كان يفوق ذلك بكثير، كما أنه مارس التدريس في الجامعات العراقية لمستوى فوق البكالوريوس، وكان يتحمل من أجل ذلك الكثير من المصاعب.

**الخصوصية الثالثة: الالتزام والاعتزاز بانتمائه العلمي الحوزوي في معاشته للأوساط الجامعية، مقروناً بالاستمرار والالتزام بسلوكه العلمي والحوزوي في الأوساط الحوزوية، حيث كان يؤمن إيماناً عميقاً بالحوزة العملية، ومقوماتها الأساسية، المتمثلة بالمضمون العلمي لها، والمحتوى الأخلاقي والأصالة المعنوية؛ ولذلك نراه بقيّ على إصراره في الانتفاء لها ليس على مستوى المضمون والعمق العلمي، بل على مستوى الالتزام الشكلي والممارسة العملية.**

فقد بقيّ العلامة الحكيم يعيش في الحوزة العلمية ويمارس دوره اليومي الاعتيادي فيها بالرغم من كثرة الأعمال الأخرى وضغوطها، وبالرغم من انفتاح الآفاق والأبواب أمامه في المجالات الأخرى.

وبمقارنة بسيطة بينه وبين بعض الأشخاص المهمين - ولا أستحسن الآن ذكر الأسماء - في الأوساط الثقافية، الذين كانت لهم جذور حوزوية، ولكنهم تخلوا عن عملهم الحوزوي، بمجرد وجود النشاطات الأخرى التي وجدوا فيها فائدة أكبر، أو انفتحت أمامهم آفاق وأبواب أحر، فتخلوا عن هذا الانتماء والارتباط لصالح تلك الأعمال أو الآفاق.

أما العلامة الحكيم، فقد أكدّ انتماءه هذا من خلال الأمور التالية:

١- مواصلة حضور دروس الأساتذة الكبار في الحوزة العلمية، مستزيداً من علمهم وفضلهم حتى في مرحلة كان يبدو فيها لبعض الناظرين أنه أصبح مستغنياً عن هذا الحضور، فقد بقيّ مستمراً لمدة طويلة نسبياً على حضور دروس الإمام الحكيم، والإمام الخوئي، وآية الله الشيخ حسين الحلي<sup>(١)</sup>.

٢- تدريسه للبحث الخارج في الحوزة العملية، وتخصيصه جزءاً مهماً من وقته لهذا العمل العلمي الحوزوي المحض، فهو يستفيد ويأخذ حوزوياً ويفيد ويعطي كذلك.

٣- الممارسة المستمرة نسبياً للمناقشات الحوزوية المعروفة بين الفضلاء

---

(١) الشيخ حسين ابن الشيخ علي بن حسين الحلي النحفي. ولد عام ١٣٠٩ هـ بمدينة النجف الأشرف، وفيها درس الدراسات الأدبية والفقهية والأصولية عند أساتذة الحوزة العلمية، كالشيخ محمد حسين الغروي النائيني، والسيد أبي الحسن الإصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، حتى نبغ نبوغاً باهراً، واستقل برأيه ودرسه، الذي كان يحضره خيرة العلماء، كالسيد علي الحسيني السيستاني، والسيد يوسف الحكيم، والسيد محمد سعيد الحكيم، والسيد محمد تقي الحكيم، والسيد محمد الروحاني، والشيخ جعفر السبحاني، وغيرهم الكثير. توفي رحمته الله عام ١٣٩٤ هـ، ودفن بالصحن الحيدري. للتفاصيل انظر: علماء في رضوان الله: ٤٩٩.

والعلماء من خلال ديوان والده آية الله السيد سعيد الحكيم<sup>(١)</sup> - الذي كان يتميز بهذا الجانب العلمي - وكان من الأعضاء المهمين المداومين في هذه المناقشة، هم العلامة التقي<sup>(٢)</sup>، وأخوه آية الله أبو الشهداء المرحوم السيد محمد حسين الحكيم<sup>(٣)</sup>، وآية الله المرجع السيد محمد سعيد الحكيم<sup>(٣)</sup>، وآية الله

(١) السيد سعيد ابن السيد حسين ابن السيد حسين الحكيم. جمع بين الفقاهة والمنزلة الاجتماعية، فقد كان عميد أسرة آل الحكيم، وكان معتمداً لدى بعض مراجع الدين في عصره، كالسيد محمد كاظم اليزدي، والسيد أبي الحسن الأصفهاني، والسيد محسن الحكيم. اصطفاه السيد محمد مهدي الحيدري؛ ليكون أميناً على أموال المجاهدين عندما خرج إلى الجهاد من الكاظمية المقدسة عام ١٣٣٣هـ. ١٩١٥م. كان أحد أعمدة المرجعية الدينية للإمام الحكيم<sup>عليه السلام</sup>. للتفاصيل انظر: المفكر الإسلامي السيد محمد تقي الحكيم، سيرته ومسيرته العلمية: ١٥.

(٢) السيد محمد حسين ابن السيد سعيد ابن السيد حسين الحكيم. ولد عام ١٣٣٣هـ في النجف الأشرف، ونشأ فيها نشأة علمية دينية، فقد كان عالماً فاضلاً فقيهاً، حيث بدأ مشواره العلمي منذ صغره وتدرج فيه حتى حضر الدروس العالية في الفقه وأصوله على الشيخ حسين الحلبي، والسيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي. اعتقله نظام صدام عام ١٩٨٣م مع أبنائه وعدد كبير من أقاربه في الواقعة المعروفة، وفي المعتقل كان الشاهد على مجزرة إعدام ستة من أبناء عمومته، حيث أحضره الضابط الأمني المسؤول إلى غرفة خاصة وأطلق النار فيها على الشهداء الستة، وبعدها كلفه بالسفر إلى إيران ونقل هذه الواقعة إلى شهيد الخراب السيد محمد باقر الحكيم؛ للضغط عليه من أجل إيقاف عمله السياسي والجهادي. توفي في مدينة قم المقدسة عام ١٩٨٩م ودفن فيها. للتفاصيل انظر: مستدركات أعيان الشيعة ٦: ٢٦٦.

(٣) السيد محمد سعيد ابن السيد محمد علي ابن السيد أحمد الحكيم. ولد بمدينة النجف الأشرف عام ١٣٥٤هـ. حظي منذ نعومة أظفاره برعاية والده، فباشر بتدريسه من أول المقدمات حتى أنهى على يديه جلّ دراسات السطوح العالية، ثم حضر البحث الخارج عند الإمام الحكيم، والشيخ حسين الحلبي، والسيد الخوئي. اعتقلته قوى الأمن البعثية عام ١٤٠٣هـ مع عدد كبير من آل الحكيم، وتعرض لتعذيب نفسي وجسدي شديدين غير أنه تميز بصموده العجيب أمام كل ذلك التعذيب، حيث إنه لم يسمع منه أحد قط كلمة تدمر طوال ثمان سنوات وهي فترة اعتقاله. ويعد اليوم أحد أهم مراجع الدين في العالم الإسلامي. للتفاصيل انظر: لحة موجزة من حياة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم.



المرحوم السيد حسن الحكيم<sup>(١)</sup>، وغيرهم من الأفاضل والعلماء.

٤- القيام بأعمال حوزوية، مثل: الإشراف على التدوين والرسائل العملية الحوزية، كما هو الحال في الإشراف على تدوين تقارير أستاذه الشيخ الحلي<sup>(٢)</sup>، التي كتبها العلامة الشيخ حسن سعيد، وإشرافه على بعض كتابات العلامة المحقق السيد عزّ الدين بحر العلوم<sup>(٣)</sup> (فرج الله عنه وعن بقية المظلومين والمفقودين)، وغير ذلك من الموارد.

٥- تقييمه الإيجابي للدور الكبير الذي تقوم به المرجعية الدينية، كما أكدّ على ذلك في بعض أحاديثه العامة المنشورة، ومن هذا المنطلق كان يقوم بالمساهمة في أعمالها ونشاطاتها، ومنها: تمثيله للإمام الحكيم في الاحتفال العالمي الكبير، الذي أقامته حكومة باكستان في ذكرى مرور أربعة عشر قرن على ولادة الإمام علي<sup>عليه السلام</sup>.

وكذلك مساهمته في الاحتفالات الكبرى التي كانت تقييمها المرجعية الدينية في النجف الأشرف.

(١) السيد حسن ابن السيد ماجد الحكيم. عالم جليل، وفقهه فاضل. أعدم نظام صدام اثنين من أولاده. توفي عام ١٩٧٥ م.

(٢) انظر: المفكر الإسلامي السيد محمد تقي الحكيم، سيرته ومسيرته الفكرية: ٥٧.

(٣) السيد عزّ الدين ابن السيد علي ابن السيد هادي بحر العلوم. ولد سنة ١٣٥٢ هـ في النجف الأشرف. وبها بدأ دراسته العلمية، فدرس مقدّماته الأدبية والعلمية على يد أساتذة الحوزة العلمية، ثم حضر دروس الأبحاث العالية عند أكابر علماء الحوزة ومراجع الأمة. كتب فُتُوْحًا في مختلف المجالات العلمية والثقافية وترك آثاراً مهمة، منها: كتاب (بحوث فقهية)، و(الحجر وأحكامه)، و(اليتيم في القرآن والسنة)، و(أضواء على شرح دعاء كميل). شارك في الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١ م، حيث كان أحد أعضاء اللجنة المركزية لها، اعتقل بعد الانتفاضة ولم يعرف له أثر إلى الآن. للتفاصيل انظر: الفوائد الرجالية ١: ١٨٥.

الخصوصية الرابعة: الإيثار بوجود القوة والقدرة الحقيقية للثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي على مواجهة كل المشاكل الاجتماعية وحلها، والجواب عن مختلف الأسئلة المطروحة، خصوصاً مع ما تمتلكه مدرسة أهل البيت عليهم السلام من محتوى عميق وأصيل.

وبهذا يمكن أن نفسر محاولاته لتحديث بعض الأفكار الأصولية والفقهية، كما في كتابه (الأصول العامة للفقه المقارن)، وكتابته حول (الوضع)، وحول (الزواج المؤقت)، وإثارته حول مناهج البحث في التاريخ، وغيرها. وبالرغم من أن الأعمال التي قام بها العلامة الحكيم في مجال الخصوصية الرابعة لها أهميتها، وخصوصاً كتابه البديع (الأصول العامة للفقه المقارن) الذي عُرفَ به في الأوساط العلمية، ولكن يبدو لي أن العلامة الحكيم لو أعطى هذه الخصوصية وقتاً أكبر وقدراً أعظم من الأهمية على مستوى الممارسة والنشاط، لكان من الممكن أن يثري ساحتنا الإسلامية بعطاء أكبر. وقد يكون له العذر في ذلك؛ بسبب الأعمال الأخرى التي قام بها، أو أن هذا العمل قد أنجزه العلامة الحكيم ولم نطلع عليه، أو أن الظروف السياسية والاجتماعية كان لها دور المعوق عن أداء هذا الدور، والله سبحانه هو الموفق.

### العوامل المساعدة وشخصية العلامة الحكيم

ولا شك أن هناك مجموعة من العوامل المهمة التي كان لها دور في تهيئة الظروف والأرضية المساعدة لمثل هذه الخطوات، منها: النهضة العلمية والسياسية والاجتماعية للحوزة العلمية والمرجعية الدينية، ولا سيما مرجعية الإمام الحكيم، والثورة الإسلامية في إيران، وكذلك توفر الظروف السياسية

المواتية، التي كانت تسمح بهامش من الحرية. مضافاً إلى تطور الإمكانيات المادية للجماعة الصالحة من أتباع أهل البيت عليهم السلام، والشعور بالمسؤولية الشرعية والأخلاقية تجاه حركة الإصلاح في الحوزة العلمية، والأوساط الثقافية والتعليمية العامة، التي نجد الكثير من معالمها في أعمال الإمام الحكيم، والشهيد الصدر، والإمام الخميني، وغير ذلك من الأسباب.

إلا أن للمواصفات الشخصية لفقيدنا العلامة الحكيم دوراً كبيراً - أيضاً - في تحقيق هذا الجانب من التحرك، وقد أشرت إلى بعض هذه المواصفات في بداية الحديث ووسطه، وكان لأسرته العلمية من ناحية، ومثابرتة الشخصية واهتماماته في هذا الجانب من ناحية أخرى أثر كبير في ذلك.

فنحن نلاحظ: أن الفقيه قد تعرّض وأسرته إلى أذى وحصار ومطاردة انتهت به إلى ما يشبه الشلل في الحركة الجسمية له<sup>(١)</sup>، بحيث لم يكن قادراً على النطق، والكتابة، والحركة بصورة مناسبة؛ بسبب الصدمة والحصار النفسي الذي مارسه النظام ضده، وعمليات القتل والشهادة لأهل بيته، ولكن بالرغم من كل ذلك بقي مثابراً إلى الأيام الأخيرة على عمله العلمي والثقافي وبمستوى عالٍ يثير الإعجاب، ويستحق التقدير والثناء، حتى قضى (رضوان الله عليه) صابراً محتسباً شهيداً وشاهداً على عصره وقومه.

إن مما يثير الأسى ويجزّ في النفس ويجزن القلب، أن يشهد عراقنا الجريح هذه المآسي والآلام والمحن، وهذا الدمار والحصار على كل شيء ولا سيما

(١) انظر: المفكر الإسلامي السيد محمد تقي الحكيم، سيرته ومسيرته الفكرية: ١٣٤.

الفكر والمعرفة، حيث يتصور الإنسان حقاً: أن فقيدنا العلامة الحكيم لو كان قد عاش في بلد آخر من البلاد العربية والإسلامية المعروفة، التي هي ليست بأكثر أهمية من العراق، ولكنها أكثر حرية وأوسع فرصة، لو كان قد عاش في مصر أو لبنان أو إيران أو سوريا لصار لوجوده آثار أعظم، وكان لأصدقاء حركته وفقده مدى أوسع بكثير مما نشاهده الآن، ولا يشعر الإنسان بالسكينة والطمأنينة والرضا والتسليم إلا عندما يلتفت ويدرك السُّنة التاريخية الإلهية التي فرضت على حركة الإنسان والمجتمعات الإنسانية أن يكون تكاملها وبقاؤها وتجذرها من خلال الابتلاء والامتحان والبأساء والضراء ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فصبراً على قضاء الله وقدره، ورضاً بما قسم الله لنا.

والسلام على الفقيد العلامة الحكيم يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.  
والسلام على جميع الشهداء والصابرين الممتحنين والصدّيقين، وشكراً  
لكم على هذه الفرصة وهذا التكريم.  
وإنّا لله وإنا إليه راجعون.

القسم الثاني

علماء في الذاكرة

آية الله العظمى

السيد محمد باقر الصدر



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. والصلاة والسلام على مولانا بقية الله في أرضه، الحجة بن الحسن عليه السلام. والسلام على شهداء الإسلام في كل مكان، منذ الصدر الأوّل للإسلام وحتى شهداء هذا العصر. والسلام على سيدنا ومولانا آية الله العظمى المقتدى الشهيد الصدر عليه السلام. والسلام على سادتي العلماء وإخواني وأعزائي المؤمنين الكرام ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup>.

أتقدم بدايةً لكل السادة الأفاضل، والأخوة الأعزاء، ولعموم المسلمين، لا سيما الشعب العراقي بالتعزية بالذكرى السنوية لاستشهاد سيدنا ومولانا الإمام التاسع أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام، التي اقترنت هذا العام بشهادة سيدنا ومولانا آية الله العظمى الشهيد الصدر عليه السلام حسب التاريخ الهجري الشمسي<sup>(٢)</sup>.

ونعيش هذه الأيام ذكريات عديدة لأهل البيت عليهم السلام، ففي مثل هذا اليوم - على ما يُذكر - كانت ولادة شيخ الأنبياء، وجدّ أهل بيت النبوة عليه السلام إبراهيم عليه السلام، الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى اصطفاً خاصاً<sup>(٣)</sup>، وزواج

(١) حديث سماحة شهيد الخراب عليه السلام في مكتبته بقم المقدسة، يوم الأربعاء ١٢/١٢/١٤١٧ هـ - ١٩٩٧/٤/٩ م.

(٢) التي تصادف في ١/١٩ من كل سنة هجرية شمسية. والمحاضرة كانت بتاريخ ١٣٧٦/١/٢٠ هـ.

(٣) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. البقرة: ١٣٠.

سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام<sup>(١)</sup>، وفي الأيام الآتية ستقبل الذكرى السنوية لشهادة سيدنا ومولانا أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام.

والحديث عن هذه المناسبات المختلفة يكون - عادةً - عن جانب المظلومية والمأساة؛ فكما عُرف في تاريخهم: أن أعيادهم مآتمهم عليهم السلام، ولأنها الطابع والصفة العامة التي جرت عليهم عليهم السلام، بدءاً بجدهم إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام، فكان عقابه من الطغاة أن ألقوه في النار، ولكن الله جعلها برداً وسلاماً<sup>(٢)</sup>، ومن ثم شرد وأخرج من داره وهاجر إلى ربه وانتقل إلى بلاد أخرى، ومنها انتشر الهدى في العالم، ومروراً بسادتنا وموالينا أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين تعرضوا واحداً بعد الآخر إلى المحن والآلام، حتى أصبحت المظلومية من القضايا الواضحة البارزة في هذه السلسلة الذهبية المباركة.

## مضمون المظلومية وأبعادها

تحدثنا فيما مضى عن المضمون المعنوي للمظلومية، وأبعادها، وأهميتها، وطرح القرآن الكريم لها، وهو من الموضوعات المهمة جداً، التي لا بدَّ

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. آل عمران: ٣٣.  
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾. النساء: ١٢٥.

(١) انظر: الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام ٣: ١٤.

(٢) قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. الأنبياء: ٦٩.



من فهمها بكل أبعادها؛ لنذكر أن التفاعل مع مظلومية أهل البيت عليهم السلام وأولادهم، حتى ما شهدناه هذه الأيام من شهادات عظيمة، كشهادة السيد الشهيد الصدر قدس سره ومَن كان معه من العلماء الأفاضل، ليس مجرد أحاسيس وانفعالات تجري في النفس، وإن كانت نبيلة، وصحيحة، ومشروعة، ومحبوبة عند الله سبحانه وتعالى، بل هي أكبر من هذا بكثير؛ ولذلك اهتم بها القرآن الكريم، والأئمة عليهم السلام، وهذا ما يفسر مضمون ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام ما تجدد عيد إلاً وتجدد الحزن لآل محمد<sup>(١)</sup>؛ وذلك لأنهم يرون دائماً أن حقهم في العيد مغتصب، وهذا يبدو واضحاً، فقد كانت صلوات الأعياد سابقاً يؤمها الغاصبون لخلافتهم عليهم السلام.

والحديث في هذه المناسبات واسع يحتاج إلى وقت طويل، ولكن أخص الحديث عن الشهيد الصدر قدس سره؛ باعتباره حديث اليوم، وهو في الوقت نفسه حديث عن الإمام الجواد عليه السلام، والباقر عليه السلام، وعن فاطمة الزهراء عليها السلام، وعن آل رسول الله صلى الله عليه وآله، وحتى عن إبراهيم عليه السلام؛ لأن الشهيد الصدر قدس سره يمثل في حركته الامتداد الطبيعي لهذه الحركات والوجودات الشريفة، التي اكتسبت شرفها من شرف انتائها لله سبحانه وتعالى وللرسالات الإسلامية، فهي سلسلة مباركة يرتبط بعضها ببعضها الآخر. ومن امتيازات الرسالة الإسلامية أنها صدقت كل الرسائل السابقة وأكدها، وكانت مهيمنة

(١) لعله يشير قدس سره إلى هذه الآيات المنسوبة للإمام زين العابدين عليه السلام:

نحن بنو المصطفى ذو غصص \*\*\* يجرعها في الأنام كاظمنا  
عظيمة في الأنام محتنا \*\*\* أولنا مبتلى وآخرنا  
يفرح هذا الورى بعيدهم \*\*\* ونحن أعيادنا مآتمنا

عليها، فانتهدت بها إلى مرحلة الختم<sup>(١)</sup>.  
ولذلك فالشهيد الصدر قده يمثل امتداداً حقيقياً لكل هذه الذكريات،  
والحديث عنه حديث واسع، ولكن سأحدث عن حركة الإصلاح له قده  
في الحوزة العلمية.

## حركة الإصلاح في الحوزات العلمية

تنقسم حركة الإصلاح في الحوزة العلمية إلى أربعة أقسام<sup>(٢)</sup>، فتارة تكون  
حركة عامة وشمولية، وأخرى تكون حركة تجزيئية، تتناول جانباً وجزءاً من  
الأوضاع الفاسدة في المجتمع أو في الحوزة العلمية، وتحاول إصلاحه، ولا  
أقصد بالجزء، هو المصداق الواحد والمفردة الواحدة، فربما يكون هذا الجزء  
مشملاً على عدة مصاديق ومفردات، وإنما قصدي بلحاظ: أن النظرة تجزيئية  
لقضايا معينة يُراد تحقيق الإصلاح فيها.

وحركة الإصلاح تبدأ أحياناً من الحوزة العلمية، وتكون جزءاً من كيانها  
وجهازها وتشكيلاتها، بحيث تكون منتمية للحوزة انتفاءً عضويًا تشكيليًا.  
وأخرى تنطلق من الحوزة العلمية ويقودها علماء من أبنائها، لكنها تكون  
خارجها، أي في أوساط الأمة دون أن تكون جزءاً من وجود الحوزة العلمية

(١) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. الأحزاب: ٤٠.

(٢) لقد تحدثت في محاضرة سابقة في مجمع الكوادر الإسلامية - الأسبوع الماضي - عن حركة الإصلاح في  
الحوزات العلمية، وهو من الموضوعات المهمة والجديدة التي نحتاج في الحوزات العلمية أن نستوعبها بشكل  
كامل. منه قده.

وتشكيلاتها وجهازها<sup>(١)</sup>.

## الشهيد الصدر والنظرة الشمولية للإصلاح

وإذا نظرنا إلى الشهيد الصدر قده نظرة شاملة وصحيحة نجد أنه ينطلق قده في تحركه الإصلاحي من القضايا الكبيرة الواسعة في الأمة، ومن همومها العامة، ويحاول إيجاد التغيير العام الصالح في المجتمع؛ ليمكّنه من تناول كل المصاديق والمفردات الموجودة في العالم الإسلامي والإنساني.

وفي ذات الوقت انطلق قده في حركته الإصلاحية من الحوزة العلمية وإلى الحوزة العلمية، حيث يرى: أن النجاح والفلاح في الحركة الإصلاحية إنما يمكن تحقيقه إذا كان نابعاً من الحوزة العلمية، وأصلتها، وطهارتها، ومن روح التقوى والإخلاص فيها، ومن روح ارتباطها بالإسلام الأصيل الذي لم يتأثر بالمؤثرات الخارجية.

وأن الإصلاح يمكن تحقيقه من خلال جهاز الحوزة العلمية، وتشكيلاتها، وارتباطاتها بالأمة، والإمكانات والقدرات التي تملكها في أوساطها، والتي لا تشبهها أيّ طاقات وإمكانات أخرى، ومن العمق والجذر الموجود في نفوس الناس.

## صدّام والحوزة العلمية

ولذلك حاول النظام قطع الناس وعزلهم عن كل شيء، لكنهم بقوا متمسكين بجذورهم، وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ

(١) للتفاصيل انظر: الفصل السادس من هذا الكتاب.

مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾. فعندما هتف الناس في العراق: «لو قطعوا أرجلنا واليدين، نأتيك زحفاً سيدي يا حسين»<sup>(٢)</sup>، وفعلاً قُطعت أرجلهم وأيديهم، وُصِّلبوا على أعواد المشانق في كل مكان، وطوردوا وُسِّردوا، وأُخذوا من فوقهم، ومن تحتهم، ومن بين أيديهم، لكنهم بقوا صامدين حتى تمكنا من فرض وجودهم على الطغاة، والآن أصبحت قضية الإمام الحسين عليه السلام وزيارته والتوجه إليه هي القضية الأولى البارزة في العراق.

ونحن أبناء الحوزة العلمية - الذين نعيش في قم المقدسة، ونتطلع إلى اليوم الذي تتحرر فيه حوزة النجف الأشرف من الطغيان والظلم - لا بد أن نستوعب هذا الموضوع المهم قبل غيرنا، ونفهمه فهماً كاملاً واضحاً قبل أن يستوعبه الأعداء الذين يدركون أن للحوزة العلمية هذا الدور، وحاولوا في الأيام الأخيرة إحتواء الحوزة العلمية في العراق بأساليب مختلفة، من تشتيت جهودها، وإثارة الخلافات والصراعات في المرجعية، وما أشبه ذلك.

ووجدنا - والحمد لله - كيف تمكنت الحوزة العلمية من الوقوف أمام كل هذه المحاولات والمؤامرات؛ لتعبّر عن الوحدة والارتباط بمراجع الدين وبالولاية، وبكل الخصوصيات الموجودة في الحالة الإسلامية، وكل هذا يدل على وعي وإدراك للحقائق، وقدرة على العمل المناسب في الوقت المناسب؛ لاحتواء المخططات والمؤامرات.

(١) إبراهيم: ٢٤، ٢٥.

(٢) انظر: الإمام الشهيد الصدر، دراسة لجوانب الفكر والشخصية والمنهج: ٥٦.

## مميزات الحركة الإصلاحية للشهيد الصدر

لقد تميّز الشهيد الصدر عليه السلام بميزات إضافية في حركته الإصلاحية، بحيث جعلته من المصلحين المتميزين، ولا نقصد من الميزات الإضافية عدم وجود نظير له عليه السلام - فهذا بحث آخر - وإنما نريد: بيان أن هناك خصائص في هذا المصلح الذي يتبنى هذا الخط، تجعله متميزاً في هذا العصر، وفي الكثير من العصور الماضية إذا قارناه مع المصلحين الذين ينتمون إلى هذا الصنف. والمميزات التي تميز به عليه السلام، هي:

### الأولى: الدخول في المفردات الجزئية

إن الشهيد الصدر عليه السلام عندما كان يتحرك على المستوى العام والشامل من العمل الإصلاحي، نجده في ذات الوقت يتحرك على الكثير من المفردات التفصيلية الجزئية للعمل.

وهذه من الميزات الفريدة؛ لأن الكثير من المصلحين، الذين شاهدناهم يتحركون على الخط العام، وهو الخط الأساسي، ويكون مهمهم الكبير الإصلاح الكلي، قد لا يجدون الوقت أو الفرصة المناسبة للدخول في التفاصيل الإصلاحية، أما الشهيد الصدر عليه السلام - لما وهبه الله تعالى من قابليات، وإمكانات، ومواهب عظيمة - فكان يتحرك على الخط الإصلاحي العام، ويتحرك في الوقت نفسه على الكثير من المفردات ذات العلاقة بالأوضاع المختلفة للمجتمع - الثقافية، والسياسية، والاجتماعية - لإيجاد مفردات إصلاحية تدعم التحرك الإصلاحي العام.

## طرح الفكر الإسلامي

فمثلاً على مستوى الفكر أحدث قُدِّسَ سَمِيحُهُ تحولاً كبيراً في عرض فكر الرسالة الإسلامية، التي استنبط مفاهيمها من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وقام بالتركيب والجمع بينها - المفاهيم - وطرحها على المجتمع، حيث كان قمة في هذا العصر بالنسبة لهذه المفردة، من خلال النتائج الواسع الذي تركه في ما نسميه بـ (التنظير للفكر الإسلامي) على مستوى الفلسفة، والاقتصاد، والفقه، والدراسات التاريخية، وتفسير القرآن الكريم، وحتى على مستوى تصوّر النظرية الإسلامية في الحكم.

فالرسائل التي أعطى فيها قُدِّسَ سَمِيحُهُ التصور عن الحكم الإسلامي كانت على صغرها، ومحدودية الوقت الذي كُتبت فيه - وهو وقت قياسي - عملاً عظيماً، فالنتائج التي توصل إليها قُدِّسَ سَمِيحُهُ كانت ذات النتائج التي توصل إليها العلماء الكبار في (مجلس الخبراء)<sup>(١)</sup> في إيران، عندما أرادوا وضع الأسس

(١) يعتبر مجلس الخبراء السلطة العليا التي عهد إليها الدستور مهمة تعيين وعزل قائد الثورة الإسلامية في إيران، فقد نصت المادة السابعة بعد المئة على ما يلي: «بعد المرجع المعظم والقائد الكبير للثورة الإسلامية العالمية، ومؤسس جمهورية إيران الإسلامية سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني قُدِّسَ سَمِيحُهُ الذي اعترفت الأكثرية الساحقة للناس بمرجعيته وقيادته، توكل مهمة تعيين القائد إلى الخبراء المنتخبين من الجامعين للشرائط المذكورة في المادتين الخامسة، والتاسعة بعد المئة، ومتى ما شخصوا فرداً منه باعتباره الأعلم بالأحكام والموضوعات الفقهية، أو المسائل السياسية والاجتماعية، أو حيازته تأييد الرأي العام، أو تمتعه بشكل بارز بإحدى الصفات المذكورة في المادة التاسعة بعد المئة انتخبوه للقيادة، وإلا فإنهم ينتخبون أحدهم ويعلنونه قائداً، ويتمتع القائد المنتخب بولاية الأمر، ويتحمل كل المسؤوليات الناشئة عن ذلك. ويتساوى القائد مع كل أفراد البلاد أمام القانون».

ويتألف المجلس حالياً من (٨٦) عضواً يتم انتخابهم عن طريق اقتراع شعبي مباشر لدورة واحدة مدتها ثمانية

للدستور الإسلامي، ومنها تلك المفردة المهمة جداً، التي وضع أسسها الإمام الخميني قدس سره، وهي مفردة (مجلس تشخيص المصلحة)<sup>(١)</sup>، التي كانت من الأفكار والاقتراحات التي دونها الشهيد الصدر قدس سره في رسائله العملية الصغيرة<sup>(٢)</sup>، في الوقت الذي لم تكن فيه أي مؤسسة من مؤسسات الجمهورية الإسلامية قد قامت، وإنما صوت الشعب الإيراني على النظام الإسلامي فقط.

وهكذا نجده في الوقت نفسه ينظر للمرجعية الدينية في ظل الدولة الإسلامية، وبيان خصائصها، والظروف التي تعبر عنها المرجعية الموضوعية. فعملية التنظير كانت عملية واسعة ومستوعبة وشاملة في حركته قدس سره، ويمكن القول: لا توجد مفردة من المفردات لم يتناولها الشهيد الصدر قدس سره بالتنظير، إما بشكل كامل وواسع، وإما بتوضيح أصولها وعناوينها الأولية،

سنوات.

(١) هو أحد المؤسسات الرقابية التي يعتمدها نظام الحكم في إيران، حيث تنص المادة الثانية عشر بعد المئة على ما يلي: «يتم تشكيل مجمع تشخيص مصلحة النظام . بأمر من القائد . لتشخيص المصلحة في الحالات التي يرى مجلس صيانة الدستور: أن قرار مجلس الشورى الإسلامي يخالف موازين الشريعة أو الدستور . في حين لم يقبل مجلس الشورى الإسلامي رأي مجلس صيانة الدستور . بملاحظة مصلحة النظام . وكذلك للتشاور في الأمور التي يكلفها القائد إليه، وسائر الوظائف المذكورة في هذا الدستور . ويقوم القائد بتعيين الأعضاء الدائمين والموقتين لهذا المجمع.

أما المقررات التي تتعلق بهذا المجمع، فتتم تهيئتها والمصادقة عليها من قبل أعضاء المجمع أنفسهم وترفع إلى القائد لتتم الموافقة عليها».

ويتكون المجمع من (٣١) عضواً يمثلون مختلف التيارات السياسية الإيرانية. ومدة الدورة الواحدة خمس سنوات.

(٢) انظر: الإسلام يقود الحياة، لحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية.

كما في كتاب (مجتمعنا)، الذي لم يتمكن من طرحه ككتاب كامل، إلا أن أصوله موجودة في بعض كتاباته.

### الثانية: ممارسة العمل الإصلاحي

إنّ كل الأفذاذ والمخلصين الذين دعوا إلى الإصلاح كانوا على استعداد دائم للقيام بممارسة ذلك وتقديم القدوة، ولكن ربما لم تتهيأ لهم الظروف أو لم تسمح أوقاتهم بذلك، أو لم يجدوا القدرة على أداء هذا الواجب. أما الشهيد الصدر قدس سره، فبلطف وفضل من الله كان يقدم الأفكار الإصلاحية وي طرحها وينادي بها ويدعو الناس إليها، وفي الوقت ذاته يمارس شخصياً العمل الإصلاحي في هذه الجزئية وتلك، فهو يريد دائماً أن يكون القدوة في الدعوة والنداء الذي يطرحه على الناس، وهناك الكثير من المفردات الإصلاحية مارسها قدس سره بنفسه.

فمثلاً قام بكتابة مناهج علوم القرآن الكريم للصف الأول في كلية أصول الدين في بغداد، وهذا المستوى يتمكن من تأديته أي طالب من طلابه قدس سره آنذاك، ولكنه كان دائماً يقوم شخصياً بتنفيذ هذه العملية وممارستها. وهكذا تيسير الرسالة العملية، فعموم الرسائل العملية لعلمائنا ومراجعنا لغتها غير ميسرة، ولا يفهمها بشكل كامل إلا الدارسون لهذه النصوص، بل ربما لا يفهمها حتى الدارسون أيضاً بشكل كامل. نعم، قد تكون بعض الرسائل العملية ميسرة الى حد ما، كما في رسالة (توضيح المسائل)، التي أصبحت الرسالة العملية الفارسية المتداولة بين الناس، بعد أن اجتمعت في وقتها لجنة من أصحاب القلم والبيان وكتبوها، ثم راجعها بعد ذلك المرجع العام وقتذاك آية الله العظمى السيد البروجردي قدس سره، وأقرّها على فتاواه،



فأصبحت الرسالة المتداولة بين الناس .

أما الشهيد الصدر رحمته، فقد كلف في بداية الأمر بعض الأشخاص المهمين؛ لكتابة رسالته العملية؛ لكون وقته مزدحم، فكتبوا شيئاً من ذلك، لكنه وجد أن ما كتبه لا يفي بالغرض، فقام شخصياً بكتابة (الفتاوى الواضحة) وعرضها للناس، وهذا مما لا أجد له نظيراً في تاريخنا.

وفي نص (الفتاوى الواضحة) جانب تجديدي ليس في اللغة والعرض فحسب، وإنما في منهجة الجانب الفقهي، كما أن فيه خصوصية أخرى مهمة جداً، وهي الجانب التقريبي مع المذاهب الإسلامية الأخرى، فيتجنب أن يذكر فيه أي شيء يثير حساسية المذاهب الأخرى، ويؤذي مشاعر أتباعها، في الوقت الذي يحتفظ فيه تماماً بكل خصوصيات مذهب أهل البيت عليهم السلام. وهذه الخصوصية مهمة جداً في العمل التقريبي، وهي من الأعمال المهمة على مستوى التجديد والإصلاح الذي كان يُمارس في الحوزات العلمية.

### الثالثة: شهادته

إن كل العلماء الذين نعرفهم في الحركات الإصلاحية كانوا مستعدين لتقديم أنفسهم في سبيل الإسلام والمبادئ والقيم الإسلامية، وكانوا يعرضون أنفسهم إلى الأخطار الفادحة.

فالإمام الخميني رحمته تعرّض إلى أخطار عديدة، وكان قريباً من الاستشهاد في سبيل الله والرسالة والدعوة. وهكذا الإمام الحكيم، فعندما سافر رحمته سفره الأخير، من النجف الأشرف إلى بغداد<sup>(١)</sup>، والذي حاصره فيه العفالق المجرمين، قال: «أشعر الآن أن خروجي في هذا الموضوع كخروج الإمام

(١) كان سفره رحمته في يوم الجمعة المصادف ١٤/٣/١٣٨٩ هـ الموافق ٣٠/٥/١٩٦٩ م.

الحسين عليه السلام إلى كربلاء»، حيث كان يتوقع أن يجري عليه كل شيء، وفعلاً داهموا منزله وحاصروه، وكان من المحتمل أن يتعرض للقتل والاستشهاد، كما تعرض لذلك الشهيد الأول، والشهيد الثاني، وغيرهم من العلماء، فميزة علمائنا على طول التاريخ أنهم كانوا دائماً على استعداد للتضحية والفداء، والتعرض لمختلف الأخطار.

لكن الشهيد الصدر قدس سره امتاز في حركته الإصلاحية بختمها بالشهادة والدم ليعطي القيمة الحقيقية للإصلاح، وهي ميزة أخرى تضاف إلى ميزة التنظير والطرح والنداء ودعوة الناس وتذكيرهم وتعبئتهم باتجاه الإصلاح، وميزة قيامه شخصياً بممارسة ميدانية للعمل الإصلاحي حتى بالنسبة إلى بعض الجزئيات والتفاصيل في سبيل تقديم القدوة في هذا المجال.

فميزة شهادته قدس سره أنها كانت عن تصميم وإرادة واختيار، وكان ضمن التخطيط العام الذي يسير عليه؛ ولذلك تختلف عن الشهادات الأخرى، التي هي أيضاً مظلوميات، ولها درجات عند الله سبحانه وتعالى، لكنها لا تكون عن تصميم واختيار، فالإنسان قد يدعو إلى الحق، ثم يتعرض دفعة واحدة إلى ظلامة فيقتل مظلوماً، ويستشهد بسبب دعوته إلى الحق، لكن بدون تصميم مسبق منه على ذلك.

أما الشهيد الذي يستشهد وقد وضع ذلك أمام عينيه من أول الأمر، ولديه إرادة وتصميم قوي على المضي في هذا الطريق، فهذه ميزة إضافية لهؤلاء الناس، وهي من النقاط المهمة جداً في شخصية الشهيد الصدر قدس سره، وهي ميزة الإمام الحسين عليه السلام، فعندما نظر إليه عليه السلام - باعتباره المثل الأعلى للشهادة - نجد أن لديه تصميم واختيار للشهادة منذ خطوته الأولى،

فقوله عليه السلام: «خط الموت على ابن آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»<sup>(١)</sup> يكشف عن تصميمه على مواصلة الطريق مهما اختلفت الظروف وتغيرت، وأن الشهادة كانت موضوعة أمام عينيه منذ الخطوة الأولى، ومنذ أن كان هناك أمل كبير بالنصر.

لكن بعض الذين تحدثوا عن الشهادة العظيمة للشهيد الصدر عليه السلام لم يحسنوا الحديث عنها، بالرغم من إخلاصهم وحبهم له، فأظهروا أنها عملية يائسة، لإنقطاع الأمل بكل شيء، كأن يئس الإنسان من الحياة ومن كل المسالك، عندئذ يفصل القرب من الله تعالى، فيحبه ويفضله على لقاء الناس والبقاء بينهم، وبالتالي فلا يرى أمامه إلا أن يقتل في سبيل الله.

إن هذا النوع من الشهادة لا ينبغي أن نتحدث به عن الأفاضل الرساليين، الذين يتحملون المسؤوليات الكبيرة، فالعمل في سبيل الله مسؤولية كل الأنبياء والمرسلين والوصيين والصالحين الذين كانوا يحبون الشهادة ويتمنونها.

فالإمام الحسن عليه السلام هادن معاوية، وكان يمكن أن يصاب باليأس عندما يرى خيانات وتحاذل الناس عنه، فهو رأى عبيد الله بن العباس تحاذل عنه<sup>(٢)</sup>، وهو أقرب الناس إليه، وتحاذل عنه الذين يجرسونه في الطريق، فهجموا عليه وحاولوا قتله في الأنبار<sup>(٣)</sup>، وبالتالي يقوم بعملية استشهادية بالدخول في مواجهة مع معاوية ويُقتل وينتهي الأمر، لكنه لم يصنع ذلك؛ لكونه يرى

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٦.

(٢) انظر: الغارات ٢: ٦٤٤.

(٣) انظر: مقاتل الطالبين: ٤١.

أمامه مسؤولية كبيرة في العمل .

والشهيد الصدر قدس سره أيضاً كان يرى هذه المسؤولية، وفي ذات الوقت كان يرى في شهادته آثاراً عظيمة ونتائج كبيرة، وأنها دواء للناس، وتوعية وإيقاظ لضمائرهم، فاستشهد في سبيل الله .

فشهادته قدس سره لم تكن نتيجة يأسه، وانغلاق كل الأبواب بوجهه، وإنما كان يرى قدس سره - بحسب ما أعرفه؛ لأنني عشت أيامه الأخيرة عن كثب - أن لها مضموناً ومعنى في تحقيق الآثار والنتائج، التي كان يسعى لها في حركته الإصلاحية؛ ولذلك خطط لها تخطيطاً محكماً.

نسأل الله سبحانه وتعالى: أن يصون الحوزة العلمية من الأخطار، وأن يتغمد شهداءنا الأبرار برحمته الواسعة، لا سيما شهيدنا الصدر قدس سره، وأن يوفقنا للإقتداء بهم والالتزام بمسيرتهم.

ونسأله تعالى: أن يحقق النصر العاجل للمسلمين في كل مواقعهم، وأن يفرج عن المسجونين والمعتقلين في العراق، وأن يرجعنا جميعاً إلى بلادنا، ويجمع شملنا مع أهلنا، وأن ينتقم من الطاغية صدام انتقاماً عاجلاً، ويرينا ذله وهلاكه في الدنيا قبل الآخرة.

اللهم ارزقنا الإخلاص في نياتنا، والصدق في عملنا، اللهم صلّ على محمد وآل محمد وأجرنا وإخواننا المؤمنين على ما لا قوا في سبيلك، ووفقنا للمزيد من العمل الصالح وثبت أقدامنا.

وإلى أرواح شهدائنا ومراجعنا العظام جميعاً، والسلف الصالح لإخواننا المؤمنين، خصوصاً الحاضرين، وإلى روح الإمام الخميني والشهيد الصدر، رحم الله من قرأ الفاتحة قبلها الصلاة على محمد وآل محمد.

القسم الثاني

علماء في الذاكرة

آية الله

الشيخ محمد مهدي شمس الدين



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا، سيد الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا بقية الله في أرضه، الحجة بن الحسن عليه السلام، والسلام على شهداء الإسلام في كل مكان، منذ الصدر الأول للإسلام وحتى شهداء هذا العصر، والسلام على سادتي العلماء، وإخواني وأعزائي المؤمنين الكرام ورحمة الله وبركاته.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَأَن لِّلَّهِ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

في مثل هذه الليلة من الأسبوع الماضي، فقد علم من أعلام الإسلام، وصديق من أصدقائنا وأحببتنا ورفيق دربنا<sup>(٢)</sup>، ذلك هو آية الله الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين<sup>(٣)</sup>، رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) تحدث شهيد المحراب عليه السلام عن آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين (رضوان الله عليه) مرتين: إحداهما: كلمته في الحفل التأبيني الذي أقامه سماحته على روح صديقه ورفيق دربه في مسجد الإمام الرضا عليه السلام في قم المقدسة، بتاريخ ١٠/٢٢/١٤٢٢ هـ - ١٧/١/٢٠٠١ م مرور سبعة أيام على وفاة الشيخ شمس الدين.

والأخرى: حديثه في اللقاء التلفزيوني الذي أجراه مع سماحته مراسل تلفزيون (الإنفاضة). وقد أثبتنا كلمته عليه السلام في الحفل التأبيني؛ لأنها أوسع وأكثر شمولية، وأضفنا لها من اللقاء التلفزيوني بعض الأفكار التي لم يتطرق لها في الحفل التأبيني.

(٣) الشيخ محمد مهدي ابن الشيخ عبد الكريم بن عباس آل شمس الدين، وينتهي نسبه (رضوان الله عليه) إلى الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي، الملقب ب(شمس الدين). ولد الشيخ شمس الدين سنة ١٣٥٤ هـ . ١٩٣٦ م في النجف الأشرف، وفيها بدأت رحلته العلمية، وتدرج في طلب العلم على يد أساتذة كبار،

لبنان<sup>(١)</sup>.

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن أقف بين أيديكم أيها الأخوة بين حين وآخر؛ لأتحدث عن فقد الأحبة والأعزة، فقد قُدِّر لي: أن أفقد عزيزاً بعد عزيز، ففي مثل هذا اليوم بالذات، كان فقد أحد أعزّة الطريق، وهو أخونا العلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم، حيث كانت شهادته في مثل هذا اليوم حسب التاريخ الشمسي<sup>(٢)</sup>، وغداً سنعقد مؤتمراً لتكريم وتمجيد آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه)، وهو أخ وأب وصديق وأستاذ، وهكذا لو أردت أن أعدد الذين فقدتهم في هذا الطريق، وكنت أشاركهم ويشاركوني الهموم لكانت القائمة طويلة.

فالحديث مؤلم، ويشعر الإنسان فيه بالأسى والحزن، ولكنه - في الوقت نفسه - حديث الشرف والكرامة والعزّة، وحديث الجهاد في سبيل الله، وطريق الهداية إليه، والدرجات العالية، وهو طريق الأنبياء، والأوصياء،

كالشيخ محمد تقي الأيرواني، والشيخ محمد تقي الجواهري، والشيخ محمد تقي الفقيه، وغيرهم، حتى توجّ سعيه العلمي بالحضور تحت منبر السيد محسن الحكيم، والسيد أبي القاسم الخوئي. تصدى للعمل التبليغي والثقافي منذ بدايات حياته، فكان وكياً شرعياً للإمام الحكيم في مدينة الديوانية (١٩٦١م - ١٩٦٩م)، واشترك مع الشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محمد تقي الحكيم في إنشاء جمعية (منتدى النشر)، ومجلة (الأضواء). وفي سنة ١٩٦٩م سافر رحمته الله إلى لبنان واستقر فيها، فترأس (الجمعية الخيرية الثقافية)، وقام بتطوير وتأسيس المؤسسات الثقافية والتربوية، منها: تأسيس (المعهد الفني الإسلامي)، و(معهد الشهيد الأول للدراسات الإسلامية)، و(الجامعة الإسلامية) في بيروت، وغيرها. كما أشرف على إصدار مجلة (الغدير) الفكرية الإسلامية، ومجلة (القرار) السياسية الثقافية. توفي رحمته الله مساء الأربعاء ١٠/١/٢٠٠١م.

للتفاصيل انظر: [http://shamseddine.com/ar/?page\\_id=259](http://shamseddine.com/ar/?page_id=259)

(١) انظر: وثيقة رقم (١٢).

(٢) أي: في ١٠/٣٠، حيث إن كلمته قَدَّرَ كانت بتاريخ ١٠/٣٠/١٣٧٩.



والأولياء، والأجداد، والأسلاف المعبأ بالمحن والابتلاءات والآلام...  
إنه طريقنا، وهو شرفنا وعزتنا وكرامتنا، وفتخر ونعتز بالانتماء إليه،  
ونرجو من الله سبحانه وتعالى: أن يثبتنا عليه بالقدم الثابت، وأن يكتب لنا  
فيه رضاه في كل خطوة نخطوها، وفي مستقبل حركتنا ومسيرتنا، وأن يغفر  
لنا ذنوبنا وخطايانا وغفلتنا ونسياننا، وأن لا يعرض بوجهه الكريم عنا.

## صديق الطفولة ورفيق الدرب

إنّ الحديث عن الفقيد العزيز واسع وصعب، حيث كان رحمته الله أخصاً عزيزاً،  
وصديقاً حميماً، ورفيق درب قبل حوالي خمسين عاماً، أي: منذ زمن الطفولة  
والفتوة، فمنذ ذلك الحين عملنا سوياً في المجال الحوزوي والتبليغ الرسالي،  
وفي مواجهة التيارات الثقافية الضالة والمنحرفة، التي غزت العراق منذ  
الخمسينات، وكان لدينا عمل مشترك في إطار (جماعة العلماء)، وهي أول  
مؤسسة إسلامية منظمة أسستها مرجعية الإمام الحكيم، حيث كان رحمته الله أحد  
أعضاء لجنتها التوجيهية، وكنت عضواً فيها أيضاً.

واستمرت هذه العلاقة والصدقة والمودة في إطار الإسلام، والهموم  
المشتركة، والتعاون على البرّ والتقوى لخدمة الإسلام والمسلمين حتى الأيام  
الأخيرة من حياته (رضوان الله عليه)؛ ولذلك كان فقده عزيزاً عليّ، وعلى  
جميع المعنيين بالشؤون العامة للإسلام والمسلمين، حيث كان علماً من أعلام  
المسلمين، يتمتع بنشاط واسع وكبير قلّ نظيره، ومن الأشخاص القليلين،  
الذين أتاحت لهم الفرصة في أن يتحركوا بصورة واسعة، سواء في البلاد العربية  
أم الإسلامية أم بلاد المهجر، وكنا نتعاون ونتشاور دائماً في هذه المجالات.

## شمس الدين والنهضة الإسلامية

إن الحديث عن شخصية العلامة شمس الدين يرتبط ارتباطاً عضوياً بالنهضة الدينية المباركة، التي قادها الإمام الحكيم، والتي بدأت في العراق بصورة واضحة منذ بداية الخمسينات الهجرية من القرن الماضي، وتجلت في حركتها في السبعينات والثمانينات الهجرية، والتي امتازت بعدة خصائص مهمة تشكل مجموعها المعالم الرئيسة لها، وهي:

- ١- خصوصية التجديد والإصلاح.
  - ٢- خصوصية ترسيخ دعائم الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي.
  - ٣- خصوصية بناء المؤسسات الإسلامية الدينية.
  - ٤- خصوصية التصدي للقضايا العامة الاجتماعية والسياسية.
- وعمّت هذه النهضة المباركة أقطاراً واسعة من العالم الإسلامي، لا سيما العالم الذي ينتمي إلى الخط الأصيل للإسلام، وهو خط أهل البيت عليهم السلام، حيث يمكن الإشارة إلى بعض رموزها - وهم كثيرون - الذين كانوا يمثلون بداية لها في أقطارهم، فمثلاً في لبنان كان الإمام السيد موسى الصدر، والشيخ شمس الدين من الرموز الواضحة فيها، وفي باكستان كان العلامة السيد سبزر حسين، والعلامة النقوي، والعلامة السيد عارف حسيني، وفي أفغانستان كان آية الله السيد محمد سرور واعظ من كابل، وآية الله الشيخ محمد آصف المحسني من قندهار، وآية الله الشيخ سلطان من مزار شريف، وفي أفريقيا كان السيد سعيد اختر عباس، العالم المجاهد المهاجر الفاضل، الذي لازال يعيش هموم هذه النهضة على كبر سنه، وفي أوروبا وباكستان كان

العلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم، الذي كان له دور كبير وعظيم في أوروبا، لا سيما في لندن، فهو لاء وأمثالهم<sup>(١)</sup>، إذا أردنا تتبعهم نلاحظ: أن جذور حركتهم كانت تستقي من مركز النور في النجف الأشرف. وكان الفقيه في كل خصائص هذه النهضة المباركة يمثل عالماً من أعلامها، ومحوراً من محاورها في كل حياته، ومن الذين شاركوا فيها منذ بدايتها.

## أبعاد شخصية الشيخ شمس الدين

إن لشخصية الفقيه الغالي آية الله الشيخ شمس الدين (رضوان الله عليه) أبعاداً عديدة ومهمة يستحق كل منها حديثاً مستقلاً، وبحثاً منفرداً، ولكن لضيق الوقت سأضطر للإيجاز في ذكرها، وهي:

### الأول: بُعد الانتماء للعراق

ولد العلامة شمس الدين في النجف الأشرف في أحضان أسرة علمية تمتد جذورها إلى الشهيد الأول عليه السلام، وفي أحضان الاستضعاف الذي كان يعيشه أتباع أهل البيت عليهم السلام في بلاد جبل عامل، والعراق، حيث هاجر والده إلى حوزة النجف الأشرف من جبل عامل. وفي حوزة النجف الأشرف العلمية نشأ وترى على طلب العلم والمعرفة، فكان من الطلبة المتقدمين، والمتميزين في نشاطه وتفكيره، الذي كان يتسم بالتجديد، والتطلع لمواجهة التطورات والأحداث التي يعيشها العالم

(١) ولا أريد أن أطيل في ذكر الأسماء وقد أتخفظ أحياناً عن ذكر بعضهم لظروفهم الخاصة، كما في بعض مناطق الخليج مثلاً. منه عليه السلام.

الإسلامي عموماً، والعالم العربي بصورة خاصة.

ومن النجف الأشرف انطلق نشاطه العلمي والثقافي العام، حيث كان من المؤلفين القليلين، الذين ألفوا في مجال الثقافة الإسلامية وهم بدور الشباب<sup>(١)</sup>، كما كان يشارك في الاحتفالات والمهرجانات الإسلامية العامة، التي يقيمها أبناء الشعب العراقي برعاية وتوجيه المرجعية الدينية آنذاك، كالاحتفال الجماهيري الواسع بمولد الإمام الحسين عليه السلام في مسجد الهندي<sup>(٢)</sup> في النجف الأشرف.

ومن النجف الأشرف كان له أول تصدٍ على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي والتبليغي والتأسيسي في العراق، حيث كان عضو اللجنة التوجيهية لـ(جماعة العلماء)، التي تشرف على مجلة (الأضواء)، كما كان له دور كبير في تأسيس كلية الفقه، والتدريس فيها، وإنجاح هذا المشروع المهم.

مضافاً الى دوره الكبير في تأسيس مكتبة الإمام الحكيم في الديوانية، حين كان وكيلاً شرعياً له فيها، وهي أعظم فرع - من حيث الأهمية - لهذه المؤسسة الواسعة الانتشار وقتذاك بعد المركز الرئيس لها في النجف الأشرف؛ لأن مدينة الديوانية من أهم المناطق المتميزة في خصائصها العشائرية في الفرات الأوسط، مضافاً إلى أنها كانت تمثل آنذاك محوراً رئيساً من محاور الحركة الفكرية والسياسية المضادة من قبل التيارات الفكرية والسياسية، التي

(١) لعل كتاب (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) الذي صدر له عام ١٩٥٥م من أوائل المؤلفات التي صدرت له رحمته الله.

(٢) أسس هذا المسجد في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، يقع بالقرب من الصحن الحيدري الشريف من الجهة الجنوبية. للتفاصيل انظر: ماضي النجف وحاضرها: ١١٧.

تعرض العراق بصورة حقيقية لخطر سيطرتها الثقافية والسياسية، فكان للشيخ شمس الدين دور عظيم في الوقوف مقابل كل هذه التيارات في هذه المنطقة الحساسة، بل وأعطاهما دوراً في العراق.

لذلك كان (رضوان الله عليه) يشعر بانتمائه للعراق في همومه ومواقفه في الوقت الذي هو لبناني الجنسية، ويعتز بهذا الانتماء، ويصرح به في كل مراحل حياته؛ لأن انتماءه للعراق لم يكن مجرد انتماء إلى محل ولادة أو انتماء إلى مدرسة - وإن كان ذلك انتماءً عظيماً - وإنما انتماء للعراق في العمل، وفي الهموم المشتركة؛ ولذا لم نعرفه في النجف الأشرف بالاسم والعشيرة والعائلة، وإنما عرفناه بالعمل والهموم المشتركة والجهاد والتصدي، وحتى الأيام الأخيرة من حياته.

ولذا كان يحمل همّ العراق بصدره، ويتابع أحداثه المأساوية باستمرار، وموقفه من الاستبداد والظلم والطغيان، الذي يتمثل في نظام صدام مبدئي وثابت؛ ولذلك كان له دور كبير جداً في الضغط على مؤسساته، لا سيما المؤسسات السرية التي كانت تقوم بالأعمال التخريبية في لبنان، حيث كان لنظام صدام تنظيمات سرية واسعة في لبنان، وكان للشيخ شمس الدين دور كبير في تحجيمها، بل القضاء عليها، كما كان له (رضوان الله عليه) دور واسع في إسناد القضية العراقية، والتعريف بها، وتوضيح الصورة الحقيقية لما يجري داخل العراق على يد صدام في المحافل الدولية والإسلامية، وله دور كبير في تكريم شهداء القضية، من قبيل: سيد شهداء العراق في العصر الحديث، آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وكذلك الشهيد السعيد المجاهد الغريب العلامة السيد محمد مهدي الحكيم، وغيرهم من الشهداء

الكبار، الذين استشهدوا داخل العراق، وهذا ما جعلنا نعتبره من خلال شخصيته ومؤسسته سنداً حقيقياً لنا في حركتنا.

## الثاني: بُعد العمل المؤسساتي

آمن الشيخ شمس الدين رحمته الله منذ بداية حياته العلمية والعملية بالعمل المؤسساتي، وبأهمية المؤسسة في حياة الأمة، وبضرورة أن تأخذ طريقها بين الناس؛ وهذا ما جعله يهتم بالبناء والتأسيس، سواء على مستوى المؤسسات الدينية أم الثقافية أم على مستوى الجماعة والأمة، كبناء المساجد، والحسينيات، والمكتبات العامة، وقاعات المحاضرات والندوات، بل وتعدى الأمر إلى قيامه (رضوان الله عليه) بتأسيس (الجامعة الإسلامية اللبنانية)<sup>(١)</sup>، التي قدم من أجلها تضحيات كبيرة، وبذل جهداً عظيماً جداً، وهي أهم المؤسسات بعد مؤسسة (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى)، ف لأول مرة تتمكن طائفة من طوائف المسلمين أن تقيم جامعة لبنانية على أرض لبنان. نعم، هناك جامعات على أرض لبنان، لكنها لا تنتمي إليه، بل إلى مناطق أخرى، كجامعة الأوزاعي، التي تنتمي إلى جامعة الإسكندرية في مصر.

وعند تروؤسه رحمته الله للجمعية الخيرية الثقافية في لبنان عمل على إنشاء العديد من المعاهد والمؤسسات الثقافية والتربوية، ودور الرعاية للأيتام والمعوزين. وعند عودته (رضوان الله عليه) إلى لبنان عام ١٩٦٩م واستقراره فيه، كان

(١) جامعة إسلامية لبنانية خاصة للتعليم العالي. تأسست بجهود آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمته الله، ونالت الاعتراف بها من الحكومة اللبنانية في ١٢/٦/١٩٩٦م. ويتعهد برعايتها اليوم سماحة الشيخ عبد الأمير قبلان، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان.

لبنان يعيش ظروف تأسيس (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى)، وقد واجه مشكلات كثيرة وفي غاية التعقيد في طور التأسيس وما بعده، فكان لآية الله الشيخ شمس الدين دور كبير جداً، في الدعم والمساندة على مستوى القول والفعل للإمام موسى الصدر الذي كان له دور الريادة في تأسيسه.

وفي عام ١٩٧٥م حين سافرت إلى لبنان، كان المعينون في حيرة بسبب من يتولى نيابة المجلس، فتدخلت أنا والعلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه) بعد التشاور مع الإمام السيد موسى الصدر لإقناع آية الله الشيخ شمس الدين بقبول هذا الموقع، الذي لم يكن يرغب بالتصدي له؛ لانشغاله بأعمال أخرى، ولشعوره بأنه سيتضرر شخصياً إن تصدى لذلك، ولكن بعد مباحثات عديدة معه، وافق رحمته الله وقبله من منطلق التضحية، والإيمان بهذا العمل الجهادي في سبيل الطائفة، وكان تصديه وقتذاك يمثل إسناداً كبيراً في ترسيخ دعائم المجلس.

وبعد تغييب الإمام السيد موسى الصدر يمكن القول: من المحتمل جداً أن يكون المجلس قد انتهى لولا وجود آية الله الشيخ شمس الدين في موقع النيابة؛ لأن المجلس كان في بداية التأسيس، وكانت الحرب الأهلية في لبنان قائمة على قدم وساق، ثم بعد ذلك ظروف الاحتلال الإسرائيلي للبنان، وظروف المقاومة، والصراع العنيف الذي وجد في الساحة اللبنانية، مضافاً إلى تداعيات الثورة الإسلامية في إيران، وظروف التآمر الدولي عليها، ولكن وجود الشيخ شمس الدين على قمة هرم المجلس وما يمثله من وزن علمي واجتماعي وسياسي، وما يتمتع به من علاقات وارتباطات واسعة بين مختلف الجهات المؤثرة حفظ هذا الكيان من الانهيار.

### الثالث: بُعد العالمية

لقد تجاوز الشيخ شمس الدين رحمته الله الإطار العراقي والحدود اللبنانية إلى الإطار الإقليمي، بل الدولي؛ بفضل الفرص التي تهيأت له؛ لأن الظروف اللبنانية كانت تسمح له، بل تعطيه فرصة كبيرة للحركة، ولا نجد في أوضاعنا السياسية والاجتماعية والحوزوية إلا القليل النادر ممن أوتيت له مثل هذه الفرص، فلدينا شخصيات تتبنى ما يؤمن به الفقيد، ولكن قد لا تنهيها لها الفرص المناسبة لتتحرك وتنجز ما تصبو إليه.

كما أن شخصيته من حيث العلم، والثقافة، والاجتهاد، والدراية، والخبرة الاجتماعية والسياسية جعلته مؤهلاً وقادراً على أن يحقق الإنجازات الكبيرة في حركته.

وقد انعكس هذا البُعد من خلال زيارته الميدانية إلى عدة مناطق، كالكويت، والبحرين، والإمارات، والسعودية، والجزائر، وأفريقيا، وأوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، حيث كانت زيارته تتصف بفعالية ونشاط واسع، وبالإرهاق الشديد، غير أنه (رضوان الله عليه) اتسم بالمتابعة والاستعداد للعمل الدؤب.

وقد اهتم (رضوان الله عليه) عند تصديه العام بأمرين رئيسين:

الأمر الأول: التقريب بين المسلمين بصورة عامة، على مستوى الفكر والفتوى، حيث كان يؤمن بصورة راسخة بضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية، بل بالوحدة بين المسلمين في مواقفهم المشتركة، وما أكثر مواقف الاشتراك بينهم! فعمل بصورة جادة في تجسيدها وترجمتها إلى واقع عملي،



من خلال حركته التقريبية الواسعة بين المذاهب في لبنان، بحيث كان يحرص دائماً على أن يكون الموقف الثقافي والديني والمذهبي له وملفتي الجمهورية اللبنانية الذي يرأس مؤسسة الإفتاء في لبنان واحداً.

كما أوجد علاقات ثقافية متطورة مع المؤسسات الإسلامية المهمة في العالم الإسلامي، كمؤسسة الجامع الأزهر الشريف، الذي يعتبر أهم مركز في العالم الإسلامي لإخواننا أهل السنة، حيث قام بزيارتين إلى مصر، ودخل في مباحثات واسعة مع المعنيين، وأجرى اتفاقات فيها.

مضافاً إلى حضوره المؤتمرات الإسلامية المهمة، كالتي كانت تعقد في الجزائر بصورة دورية أو المؤتمرات التي تعقد في لبنان، أو في الجمهورية الإسلامية الإيرانية ونشاطه الواسع فيها على مستوى البحوث واللقاء بالشخصيات.

الأمر الثاني: وهو ما أعبر عنه بـ(التقريب السياسي) بين الشعوب الإسلامية والأنظمة الحاكمة، حيث كان يعتقد(رضوان الله عليه) - مع قطع النظر عن صحة اعتقاده وعدم صحته - بأن تكون العلاقة في الوقت الحاضر بين الحكام وشعوبهم تتصف - على أقل تقدير - بالهدنة؛ وذلك لأن الأمة الإسلامية - بصورة عامة - تعيش الآن منازلتين مهمتين وكبيرتين:

إحدهما: منازلة مع قوى الاستكبار العالمي، والصهيونية العالمية على مستوى المواقف السياسية.

والأخرى: منازلة مع الحضارة الغربية، بكل قدرات العالم الغربي وإمكاناته التكنولوجية والاقتصادية والسياسية الكبيرة على المستوى الفكري، والثقافي، والأخلاقي، والسلوك الاجتماعي. فالغرب يريد فرض مواقف محددة تنسجم

مع سياساته على الأمة الإسلامية، من خلال تسريب ثقافته وأفكاره إلى الشعوب الإسلامية.

وبناءً على ذلك تكون الأولوية في هذه المرحلة لهاتين المنازلتين الكبيرتين، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن تكون الهدنة قائمة مع كل الأنظمة والحكام، فبعض الأنظمة والحكام لا يمكن الهدنة معهم؛ لأنهم لا يقبلون بها، ولا هم مستعدون للتكيف معها، كنظام صدام، ونظام إسرائيل، الذي يُراد له أن يكون نظاماً سرطانياً داخل جسم الأمة الإسلامية، وامتسلطاً على شعب مسلم؛ ولذا كان يصرح (رضوان الله عليه): إن هذا النظام لا يمكن مهادنته أو التطبيع معه، حتى لو قدّر لمباحثات (الاستسلام) أو التي يعبر عنها بـ(السلام) أن تنتهي إلى نتائج، كما أريد لها في (اتفاقية أوسلو)<sup>(١)</sup>.

أما الأنظمة التي يمكن التطبيع معها، فكان يرى إمكانية الهدنة معها على أقل تقدير إن لم يكن انسجام في العمل بينها وبين الأمة لمواجهة الخطر الذي تواجهه الأمة الإسلامية.

وقد اهتم (رضوان الله عليه) بهذه النظرية، وعمل عليها وقام بدور في بعض البلاد، كما في مصر، فعندما ذهب إليها عمل في هذا المجال، فتمكن من أن يحقق إنجازاً كبيراً لشيعة أهل البيت عليهم السلام فيها، دون أن يطرح ذلك بصورة مباشرة، بحيث أنه بمجرد أن انتهت زيارته أطلق كل المعتقلين الشيعة في مصر، وهكذا قام بدور في الكويت، والبحرين، والإمارات، وفي أماكن أخرى.

(١) اتفاقية أوسلو: معاهدة سلام تم توقيعها بين (إسرائيل) و(منظمة التحرير الفلسطينية) في واشنطن في ١٣/٩/١٩٩٣م، بعد مفاوضات سرية بين الطرفين في مدينة (أوسلو)، وهي أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.

## الرابع: بُعد المقاومة

إن أحد الأبعاد المهمة في شخصية الشيخ شمس الدين (رضوان الله عليه) هو بُعد المقاومة، حيث أعطى (رضوان الله عليه) لها في أطروحته بُعداً عميقاً الجذور في الساحة اللبنانية، وفي قدرتها على مواجهة الموقف الإسرائيلي، ومن ورائه الموقف الدولي، اللذان كانا يضغطان عليها؛ لحصارها، وقمعها داخل بيتها، بل قبل أن تتحول إلى جنين، وذلك من خلال موقفه رحمه الله الداعم للمقاومة اللبنانية، وتوسعة دائرتها، ونقلها إلى المقاومة المدنية، بحيث يشارك فيها كل أبناء الشعب اللبناني؛ ليكون الموقف واحداً بين المسلحين والمدنيين في مواجهة العدو الصهيوني، وهذا ما يفسر مقولة أخونا العزيز العلامة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن نصر الله<sup>(١)</sup> عندما وصف الشيخ شمس الدين بـ(مهندس المقاومة).

لأن المقاومة إذا لم يكن لها جذر في الأمة، وإذا لم تقف الأمة إلى جانبها تصبح سلاحاً محاصراً ومشلولاً غير قادر على تحقيق أهدافه، وهذا الأمر كان أحد نقاط الضعف الأساسية التي واجهتها المقاومة الفلسطينية في

(١) السيد حسن السيد عبد الكريم نصر الله. ولد عام ١٩٦٠م، في حي (الكرنتينا)، أحد أكثر الأحياء فقراً وحرماناً في الضاحية الشرقية لبيروت. بعد إكمال دراسته الأكاديمية التحق بمجزة النجف الأشرف العلمية، وفي عام ١٩٧٨م عاد إلى لبنان، وتم تعيينه سنة ١٩٧٩م مسؤولاً سياسياً لمنطقة البقاع وعضواً في المكتب السياسي لحركة أمل، وفي عام ١٩٨٢م انسحب منها، وفي عام ١٩٨٩م غادر إلى مدينة قم المقدسة؛ لإكمال دراسته الحوزوية، لكنه عاد بعد سنة. في عام ١٩٩٢، تم انتخابه بالإجماع من قبل أعضاء الشورى أميناً عاماً لـ(حزب الله) خلفاً للشهيد السيد عباس الموسوي. للتفاصيل انظر:

بداية حركتها ووسطها، إذ إنها انفصلت عن أمتها وشعبها، وبقيت تعيش في مجموعة المنظمات الفلسطينية المسلحة التي أُعدت إعداداً جيداً، وحضت بدعم تسليحي وإعلامي وسياسي واسع في العالم العربي والإسلامي، ولكن لما لم تكن لديها جذور حقيقية في ساحة أمتها وشعبها، بقت تراوح في مكانها. وعندما تحولت في المرحلة الأخيرة إلى حركة جماهيرية، من خلال امتدادها في أوساط الشعب الفلسطيني، بشبابه وفتيانه ونسائه، الذين يعيشون في كل مكان من فلسطين، سواء داخل ما يسمى بـ(الخط الأخضر) أو ما يسمى بمناطق الحكم الذاتي، أم في مناطق أخرى، وجدنا أنها أصبحت قوة قادرة على فرض المواقف، وأصبحت غير قابلة للاحتواء والهيمنة والتسلط. والمقاومة في لبنان إنما حققت نصرها الأخير على إسرائيل<sup>(١)</sup>؛ لأنها تجذرت في الأمة وارتبطت بها<sup>(٢)</sup>.

ونحن في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وفيلق بدر الظافر عندما نتحدث عن المقاومة، فأحد الأمور الأساسية، التي كنا ولازلنا وسوف نبقى نصرّ عليها، هو أن تبقى هاتان المؤسستان على علاقة وطيدة بالأمة. لكن إذا حُصرت المؤسسة في النخبة، وانقطعت عن جذورها، فمن السهل جداً أن يُقضى على النخبة، وينتهي كل شيء، وهذا ليس ضعفاً في النخبة، ولا تقليلاً من أهميتها، وإنما هو طبيعة السنن التي تتحكم في مجرى التاريخ؛ ولذا كانت إحدى القضايا الأساسية التي وضعها الإمام الحسين عليه السلام أمامه

(١) يقصد انتصارات عام ٢٠٠٠م بانسحاب القوات الإسرائيلية من الجنوب اللبناني من دون قيد أو شرط.

(٢) انظر: وثيقة (١٣)، (١٤).

في حركته، هو أن يكون لحركته قاعدة في الأمة؛ ولذلك توجه إلى الكوفة؛ لإدراكه بإمكانية تحولها إلى قاعدة شعبية حقيقية تحمل الراية وتستمر بها، مع أن أصحابه هم أفضل نخبة عرفها التاريخ الإسلامي<sup>(١)</sup>.

وكان هذا الدور أيضاً للشيخ شمس الدين، عندما أصرّ على ما كان يعبر عنه بـ(المقاومة المدنية)، وعدم الاكتفاء بـ(المقاومة المسلحة) كأداة رئيسة واحدة، بحيث يقف الناس صفاً واحداً مع المقاومة، ويتحملون مسؤوليتهم، ويصبرون على التشريد والتهجير والتدمير والقتل والمحصرة.

### الخامس: بُعد المحتوى الثقافي والتجديدي

كان الشيخ شمس الدين قدس سره أحد المؤلفين الكبار الذين امتازوا بعطائهم العلمي، وبكثرة النتاج الفكري والثقافي منذ شبابه؛ لمواجهة التيارات الانحرافية والإلحادية، حيث بدأ التأليف في النجف الأشرف واستمر إلى أواخر عمره الشريف، فقد ألف مجموعة من الكتب الهامة في مختلف المجالات العلمية<sup>(٢)</sup>، ككتابه القيم (نظام الحكم والإدارة في الإسلام)،

(١) لقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «اللهم إنك تعلم أنني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت خيراً من أهل بيتي». مقاتل الطالبين: ٧٤.

(٢) للشيخ شمس الدين رحمته الله مؤلفات كثيرة في مختلف جوانب المعرفة الإسلامية والإنسانية، منها: كتاب (نظام الحكم والإدارة في الإسلام)، (الاحتكار في الشريعة الإسلامية)، (المسائل الحرجة في فقه المرأة)، (الحوار سبيل التعايش (ندوات الفكر المعاصر))، (مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني)، (ثورة الحسين في الوجدان الشعبي)، (ثورة الحسين، ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية)، (أنصار الحسين الرجال والدلالات)، (الحسين قصة حياته وثورته)، (العلمانية)، (دراسات في نصح البلاغة)، (محاضرات في

وكتاب (دراسات في نهج البلاغة)، وكتابه القيم الآخر (ثورة الإمام الحسين)، وكتاب (العلمانية)، فهذه الكتب الرائدة كانت من الكتب التي تمثل بدايات الخط الثقافي الإسلامي في نهضتنا.

وهي كتب في مستواها العلمي، ومضمونها السياسي والاجتماعي تعتبر ذات صبغة تجديدية، وأهمية خاصة تستحق المطالعة والمراجعة، وتبني نظريات - مع قطع النظر عن صحتها وعدم صحتها - جديرة بالوقوف عندها؛ لكونها صدرت من عالم فقيه، درس العلم في الحوزات العلمية، وحاول أن يستفيد من المنهج العلمي في استنباط النظريات التي ترتبط بمختلف المسائل الحساسة المهمة التي نعيشها في عصرنا الحاضر.

## السادس: بُعد الإيمان بالمرجعية الدينية

إن أحد المعالم الأساسية في شخصية الشيخ شمس الدين (رضوان الله عليه)، هو إيمانه العميق بالمرجعية الدينية، والحوزة العلمية، وبدور العلماء في قيادة الأمة وتوجيهها؛ ولذلك كان يرى: أن الأصل في الحركة الإسلامية الأصيلة الصحيحة، هي حركة المرجعية الدينية، وهذا الاعتقاد لم يكن أمراً تكتيكياً، بل نابعاً من إدراكه وفهمه السياسي من ناحية، ومن فهمه الفكري

---

التاريخ الإسلامي)، (دراسة عن موسوعة الفقه الإسلامي)، (بين الجاهلية والإسلام)، (شرح عهد الأشر)، (الغدیر)، دراسة تحليلية اجتماعية سياسية لمسألة الحكم الإسلامي بعد وفاة الرسول)، (عقائد الشيعة الإمامية)، (الوصايا)، (التطبيع بين ضرورات الأنظمة وخيارات الأمة)، (الجهاد)، (حركة التاريخ عند الإمام علي)، (التجريد في الفكر الإسلامي)، (رسالة الحقوق للإمام زين العابدين)، (تفسير آيات الصوم)، (مع الإمام الرضا)، (لبنان الكيان والدور)، (الأمة والدولة والحركة الإسلامية)، (المقاومة في الخطاب الفقهي السياسي)، (الاجتهاد والتقليد)، (فقه العنف المسلح في الإسلام).

والنظري للنظرية الإسلامية، وللدور الذي يجب أن يقوم به العالم، والعلاقة مع الحوزات العلمية، وأهمية هذه العلاقة، ودورها من ناحية أخرى. وهذه الرؤية هي ذاتها التي انتهى إليها شهيدنا آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر رحمته الله، وتكتسب رؤيتهما هذه أهمية كبيرة؛ لكون كل منهما مرّ بتجارب طويلة ومختلفة ومهمة جداً في الحركة الإسلامية، وعاشا في عمقها، وعرفا كل خصوصياتها وشؤونها، ويمثلان القدوة في الثقافة الإسلامية في هذا العصر.

وهي رؤية الإمام الحكيم (رضوان الله عليه)، والإمام الخوئي (رضوان الله عليه)، والإمام الخميني (رضوان الله عليه)، وغيرهم من مراجع الدين العظام.

وانطلاقاً من رؤيته المتقدمة اتصف (رضوان الله عليه) بالخضوع للمرجعية الدينية، وحاز ثقته في كل أدوارها، وحتى دورها الأخير، حيث كان موضع ثقة آية الله العظمى السيد السيستاني، ومن يعتمده بصورة أساسية في لبنان. ولذلك نعتقد أن فقده كان عزيزاً على سيدنا ومولانا صاحب الأمر عليه السلام، حيث فقد فيه جندياً من جنوده الأعداء، الذين يعملون تحت رايته، وعلى منهجه، وفقدوا عزيزاً على الحوزات العلمية، وعلى جماعة أهل البيت عليهم السلام، وعلى المسلمين بصورة عامة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده برحمته الواسعة، وأن يلحقه بال صالحين من أسلافه من علمائنا ومراجعنا وقادتنا، الذين سبقونا في هذا الطريق، وأن يحشره مع الشهداء والصدّيقين وال صالحين، ومع العلماء الذين آمن بهم.





القسم الثاني

علماء في الذاكرة

العلامة

السيد محمد مهدي الحكيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين،  
حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه  
المنتجبين.

والسلام على شهداء الإسلام في كل مكان منذ الصدر الأول للإسلام  
وحتى شهداء هذا العصر. والسلام على سادتي العلماء الأعلام وإخواني  
المؤمنين الكرام ورحمة الله وبركاته.

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ  
آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>(١)</sup>.

عزيزي عليّ أن أقف لتأبين<sup>(٢)</sup> سيدي ومولاي وأخي أبي صالح (رضوان  
الله عليه)، فالشهيد لم يكن مجرد أخ أو عالم من علماء الإسلام، وإنما كان  
لي أختاً صديقاً عشت معه في ميدان العمل سنين طويلة، فتضمخت علاقتنا  
بروح العمل والجهاد والتضحية، ولكن هذا ما كتبه الله سبحانه وتعالى علينا،  
حيث يسقط شهيد ليقف آخر يتحدث عنه، فقد تحدث الشهيد أبو صالح  
عن إخوته الذين استشهدوا قبله، وها أنا أقف اليوم لأتحدث عنه رحمته الله، حيث  
التحق (رضوان الله عليه) بركب الشهداء، وصار الرقم الثاني والعشرين<sup>(٣)</sup>

(١) غافر: ٥١.

(٢) تحدث شهيد المحراب عن المجاهد الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم مرات عديدة، وفي مناسبات  
مختلفة، وقد سلط الضوء في كلماته على جوانب مختلفة من حياة الشهيد، وتناول مجموعة من أبعاد  
شخصيته، وقد تم جمع الكلمات ودمجها لتكون بالشكل الذي أثبتناه.

(٣) كانت كلمته رحمته الله قبل سقوط النظام البعثي، وقبل اكتشاف المقابر الجماعية التي خلفها النظام، والتي

من شهداء آل بيت آية الله العظمى المغفور له الإمام الحكيم عليه السلام، هذا البيت المبارك الذي كان من فخره واعتزازه أن يقدم هذا العدد من الشهداء، وفيهم المجتهدون، والعلماء، والمجاهدون، والمثقفون.

إن الحديث عن حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم مهم، فهناك أبعاد كثيرة تستحق البحث والتحليل؛ لأنها تنفعنا في حركتنا ومسيرتنا الحالية؛ لأن حياته عليه السلام ارتبطت بهذه المسيرة، ولكن لسعة أطراف الحديث، وتعدد المحاور سأحاول اختصاره بالتركيز على بعضها، وهي:

المحور الأول: أبعاد الشخصية.

المحور الثاني: التحرك السياسي.

المحور الثالث: رحلة الشهادة.

---

كشفت عن الأعداد الكبيرة جداً التي قتلها النظام طيلة فترة حكمه، ومن ضمن هؤلاء مجموعة من رجال ونساء أسرة آل الحكيم.

## المحور الأول: أبعاد الشخصية

إن حجة الإسلام الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم هو ابن المرجع الديني العام للشيعة الإمامية، والذي كان يحظى باحترام جميع المسلمين في الفترة الواقعة بين عام (١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ) - (١٩٦٠ - ١٩٧٠ م)، وكان الشهيد أحد أبرز علماء المسلمين في هذا العقد من الزمن، وكان (رضوان الله عليه) يمثل في شخصيته العالم الرسالي الذي يحمل رسالة الإسلام للأمة، ويستفيد من تربيته الأخلاقية في سبيل هداية الناس وإرشادهم، كما كان من أبرز رجال المعارضة الإسلامية العراقية، ويتصف بسعة العلاقات الودية مع جميع أطرافها، الإسلامية وغيرها، مضافاً إلى علاقاته الواسعة مع شخصيات إسلامية سياسية عالمية، كما كانت له رحمته قاعدة شعبية واسعة في العراق، والهند، والباكستان، ولبنان، والخليج، وفي أوساط المهاجرين المسلمين في أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية؛ ولذا تعتبر شخصيته رحمته ذات أبعاد عديدة، سأتناول بعضها.

## البعد الأول: الجانب الشخصي

إن الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم هو الولد الثالث لمرجع المسلمين آية الله العظمى الإمام الحكيم قدس سره، وقد تميز (رضوان الله عليه) بعدة ميزات، منها: ذكاؤه العالي الذي كان معروفاً به منذ الصغر.  
ومنها: الموقع الاجتماعي الخاص في الوسط العلمي؛ لانتسابه للإمام الحكيم قدس سره.

ومنها: أخلاقه الرفيعة، حيث كان على درجة عالية من التقوى والورع والاستعداد للتضحية والفداء، وهي واضحة لكل من عاشره، كما كان على درجة عالية جداً من العطف على الفقراء والمساكين والمحتاجين، والاستعداد لخدمتهم والقيام بأمورهم وشؤونهم، فقد كنت أراه يذوب كالشمعة في سبيل أن يخدم مؤمن أو رجل دين غريب أو فقير أو غير ذلك؛ ولذا كان يقصده الناس من مختلف أنحاء العراق، ويشهد له بذلك الكثير من العلماء وطلاب الحوزة العلمية، الذين كانوا يرونه ملجأً لهم عندما يتعرضون لمشكلات معقدة في حياتهم.

ومنها: ترابيته وبساطته، حيث كان (رضوان الله عليه) يعيش حالة الاستضعاف بكل ما تعنيه الكلمة، فقد استشهد وهو مدين على بيته بمبلغ من المال، ولم يعرف أحد عنه هذا الأمر حتى أقرب الناس إليه، حتى أنا شخصياً لم أكن مطلعاً على هذه الحقيقة إلا بعد وفاته رحمته الله.

ومنها: شجاعته في حركته السياسية على جميع المستويات، سواء في الموقف السياسي، أم في المبادرة والابتكار أم في الطرح والحوار. فقد نجد أشخاصاً لهم مواقف سياسية شجاعة وثابتة وصامدة، ولكن لا تكون لديهم شجاعة في الابتكار والمبادرة أو في الطرح والحوار أو في التحرك في كل مكان، كما هو شأن الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم، فبالرغم من أنه كان مطارداً من قبل النظام، الذي حاول اغتياله عدة مرات في عمليات واضحة ومشخصة - على أقل تقدير بالنسبة له - إلا إنه كان يحمل من الشجاعة القدر الكبير، وأحد معالمها نزوله إلى باحة الفندق الذي قتل فيه، حيث كان يضم عدداً كبيراً من الوفود من مختلف البلاد العربية والإسلامية لوجود مؤتمرين، أحدهما:

مؤتمر إسلامي عام، والآخر: مؤتمر عربي على مستوى وزراء الزراعة للدول العربية، فرأى ضرورة التواجد في الصالة بين المؤتمرين بكامل زيبه المعهود والتحرك في الدعوة لقضيته وإسلامه وأهدافه، فكان الله سبحانه وتعالى أن كتب له الشهادة في هذه اللحظات في أرض السودان.

لبى نداء الواجب والوظيفة الشرعية ونداء المرجعية الدينية، عندما اقتضت الظروف السياسية والاجتماعية - التي كان يعيشها في عصره - أن ينتقل (رضوان الله عليه) من النجف الأشرف إلى بغداد<sup>(١)</sup>، ويتولى مسؤولية إدارة الشؤون الدينية ذات العلاقة العامة بالمرجعية الدينية، ويتولى بشكل خاص رعاية تلك القطاعات الشعبية الواسعة التي كانت تهاجر آنذاك من المناطق الجنوبية باتجاه بغداد لتستقر فيها، سواء في مدينة الثورة<sup>(٢)</sup>، أم في مدينة الحرية المعروفة سابقاً بـ(مدينة الهادي)، أم في منطقة بغداد الجديدة، أم غير ذلك من الأحياء التي كانت تسكنها الطبقة الواسعة المستضعفة من أبناء الشعب العراقي، تلك الطبقة التي كانت ولا زالت تمثل طاقة كبيرة وتحتاج إلى رعاية خاصة؛ لكونها جديدة عهد بهذه المنطقة وتواجه صعوبات، خصوصاً على المستوى الفكري والأخلاقي والديني، فكان العلامة السيد محمد مهدي الحكيم قد أولى عناية خاصة لهؤلاء الناس.

وقد أثمرت عنايته الخاصة وجهده المتواصل عن وجود نوع من الاستقرار والوجود القوي لهذه الطبقة، وأخذت من خلال حركتها وتفاعلها تفرص

(١) وذلك في عام ١٩٦٣ م.

(٢) مدينة الصدر حالياً.

نفسها كحقيقة في منطقة بغداد<sup>(١)</sup>.

## البعد الثاني: الهجرة في سبيل الله

إن الهجرة في سبيل الله من المؤشرات المهمة في تقييم الأشخاص، والحركات، والمواقف، ويذكر التاريخ الإسلامي أن المهاجرين الأولين الذين هاجروا إلى المدينة المنورة مع رسول الله ﷺ أو بعده كان لهم أمتياز خاص في التقييم، وفي الفهم، وفي الحركة، وفي تحمل كل المسؤوليات. والشهيد السيد محمد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه) تميزت حياته بالتنقل المستمر والهجرة في سبيل الله، فقد هاجر من النجف الأشرف إلى بغداد؛ لتمثيل والده آية الله العظمى السيد الحكيم في مواجهة الأنظمة العميلة والرجعية ومقاومة الظلم والطغيان، ثم بعد ست سنوات من العمل الدؤوب في بغداد هجر العراق سرّاً؛ لكونه مطاردًا ومحكوماً عليه بالإعدام، وخصصت الدولة عشرة آلاف دينار جائزة - في وقت كان النظام يشكو الإفلاس - لمن يلقي القبض عليه.

لقد كان الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه) أول المهاجرين في المعركة التي دارت بين الإسلام وحزب البعث الكافر الحاكم في العراق، وسنّ لنا جميعاً - نحن كمهاجرين الآن نعيش في بلاد الهجرة - هذه السنّة وفتح لنا هذا الطريق، ولكن كم هو الفرق بين ظروف هجرته

(١) ونحن في هذه الأيام نشهد ما يحس به النظام المجرم الحاكم في بغداد تجاه هذا الوسط الواسع المهم، حيث يحاول أن يقوم بعملية قمع واسعة تجاه هؤلاء الناس الذين استقروا في منطقة بغداد، وتفيد الأخبار أن النظام بدأ يقوم بعمليات تهجير عكسي بحق هذه الطبقة من الناس. منه فأرسل.



وظروف هجرتنا، فقد كانت ظروف هجرته (رضوان الله عليه) تمثل بدايات المواجهة مع النظام العفلقى المجرم الذي حكم العراق.

أما ظروف هجرتنا، فهي ظروف تصاعد هذه المواجهة حتى بلغت القمة، ومنتظر نحن بين لحظة وأخرى اليوم الذي يسقط فيه هذا النظام وينتصر فيه الإسلام - إن شاء الله - في هذه المعركة.

فكانت هجرته إلى باكستان، وقد استقبله فيها علماء السنة والشيعة بجماهيرهما العريضة والكبيرة، حيث ذكر لي بعض علماء الباكستان، فقال: لم تعرف الباكستان استقبالات حافلة وضخمة كالاستقبالات التي حصلت للسيد محمد مهدي الحكيم إلا في أيام محمد علي جناح<sup>(١)</sup>. وعمل هناك (رضوان الله عليه) على إيجاد الوحدة بين السنة والشيعة، فأول من طرح الوحدة في الباكستان بين الخط الإسلامي السنّي والخط الإسلامي الشيعي هو حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد مهدي الحكيم.

ثم كانت هجرته الثالثة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة بعد الإلحاح الشديد من أهلها، والتي لم تستمر سوى سنوات محدودة حتى بدأت الهجرة الرابعة بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، حيث شن العفالقة البعثيون هجوماً ملاحقته في كل مكان، فأذرتة دولة الإمارات - في ذلك الوقت - بأنها غير قادرة على حمايته والمحافظة عليه، الأمر الذي اضطره إلى الهجرة في سبيل الله ومن أجل الله إلى بريطانيا.

(١) محمد علي جناح، قائد سياسي، وأحد أبرز شخصيات شبه القارة الهندية في القرن العشرين، ومؤسس جمهورية باكستان الإسلامية.

## البُعد الثالث: الثبات والصمود وعدم اليأس

إن أحد الأبعاد المهمة والواضحة في شخصية الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم المهاجرة<sup>(١)</sup>، هو جانب الثبات والصمود على الموقف دون التأثر بالعوامل الخارجية التي تحيط بالمهاجر، ودون الإنحناء للضغوط الحياتية والنفسية والسياسية التي يتعرض لها، فالإنسان المهاجر - عادةً - تجذبه قضية الاستقرار والدعة وترتيب الأمور الحياتية والمعاشية له؛ لكونه إنساناً أُقتلعت كل جذوره فيما يتعلق بالحالة المعيشية والحياتية، وأصبح في مكان بلا أيّ جذر وقاعدة؛ ولذا يجذبه عامل الاستقرار والدعة وترتيب القاعدة الآمنة للحياة المعيشية له.

ويتعرض من ناحية أخرى إلى الضغوط النفسية الكبيرة؛ بسبب ابتعاده عن وطنه، وعشيرته، وزملائه ورفقائه، بل يبتعد عن كل المحيط الذي نشأ وتربى فيه، فيخلق له هذا النوع من الابتعاد مشاكل كثيرة من الناحية النفسية، لم يشعر بها إلا المهاجر.

ويتعرض كذلك إلى ضغوط سياسية في حركته السياسية؛ لأنه يريد شق طريقه في محيط جديد، وبناء حركته ورؤيته السياسية وموقفه السياسي في هذا المحيط، الذي توجد فيه - عادةً - قنوات جديدة تحيط بحركته السياسية، مما يجعله يواجه ضغوطاً كثيرة وكبيرة في هذا المجال عندما يتحرك.

وهذا معنى أن يتحول المهاجر إلى مجاهد في سبيل الله، ويُقرن في القرآن

(١) حديث السيد شهيد الخراب قَلْبِيَّ يَدُورُ حَوْلَ الْحِجْرَةِ الْقَسْرِيَّةِ، أَي: التهجير من الوطن.

الكريم بالمجاهدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فالمجاهد أمام عاملين متصارعين، أحدهما: يجذبه للدعة، والآخر: يدفعه باتجاه المقاومة والصمود والثبات، فعندما يصمد هذا الإنسان ويثبت في الميدان ويواصل طريقه دون توقف أو تلكأ يصبح إنساناً مهاجراً في سبيل الله.

وتعرض الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم لمختلف الظروف الحياتية، والضغوط السياسية والنفسية الصعبة والمعقدة، بل زاد عليها بأن تعرض لألوان من الأمراض في مناطق مختلفة من بدنه التي قد يكون بعضها بسبب الهجرة، ومع ذلك بقي صامداً في طريقه لم يتغير في موقفه.

بل مزج صموده وثباته هذا بالأمل في النصر، وتوجهها بطرد اليأس -وهي خصوصية إضافية في شخصيته- فكان بعد المثابرة والصبر والاستقامة، ومواصلة الطريق، وعدم الشعور بأي شكل من الأشكال بالإحباط أو اليأس أو التراجع أو الهزيمة متجلباً في شخصيته، حتى في الأيام التي كان يشعر فيها أنه وحده، وكأنه لا ناصر له ولا معين، فهو على مدى أربعين عاماً لم يعرف روح اليأس والهزيمة، ولم ينطفئ في قلبه نور الأمل؛ ولذا لم يكتفِ بأن يعمل ويكون في الساحة والميدان، بل كان في كل وقت يبتكر الأسلوب،

(١) البقرة: ٢١٨.

(٢) الأنفال: ٧٤.

والمشروع، والأطروحة ويناضل من أجلها بالرغم من كل الظروف الصعبة  
المأساوية، التي يبدو فيها للإنسان أن الطريق أصبح مغلقاً ومظلماً لا نور  
فيه ولا منفذ، فالإنسان عندما يواجه فقدان الأمل أو عدم الرؤية يصاب  
بالإحباط واليأس والشعور بالارتخاء والبرود، وكأنه انتهى كل شيء، كما  
شاهدنا ذلك على الكثير من مجاهدينا عندما توقفت الحرب الظالمية التي شنها  
النظام العراقي على الجمهورية الإسلامية في إيران.

أما السيد محمد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه) فقد شاهد فقد والده،  
وحالة الركود التي عاشها العراق بعد الإمام الحكيم (رضوان الله عليه)،  
ولكن مع ذلك كان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي  
الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرَجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ  
يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، حيث بقي مجاهداً في الباكستان،  
ومجاهداً في الخليج، وفي مناطق كثيرة من عالمنا الإسلامي<sup>(٢)</sup>، ولم يتوقف في  
جهاده بالرغم من كل الآلام الشخصية الخاصة به نفسياً وبدنياً، وبالرغم  
من كل الأوضاع السياسية والاجتماعية المتغيرة والضاغطة، وبقي مستمراً  
وصامداً يضع أمامه الله سبحانه وتعالى والمسؤولية.

## البعد الرابع: الأفق الواسع في الحركة

امتاز الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم بالأفاق الواسعة له رحمه الله، حيث  
كان يفكر في الثقافة، وفي التربية، ويفكر في الدفاع عن الإسلام وقضاياها،

(١) النساء: ١٠٠.

(٢) أنا اذكر هذه العناوين وهناك شواهد ودلائل على هذه الحقيقة لا يسع المجال لذكرها. منه

وعن مذهب أهل البيت عليهم السلام وخصوصياته، ويفكر في المستضعفين، وفي إغاثة المهروفين، وباختصار: كان يتحرك على كل الأصعدة والمجالات، وهذه الخصوصية هي خصوصية الحوزة العلمية، التي ورثتها من أئمة أهل البيت والأنبياء عليهم السلام، حيث كانت آفاقهم تشمل كل هذه الميادين، فعند ملاحظة تاريخ الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ أهل البيت عليهم السلام، وتاريخ مراجع الدين نرى أنهم لم يجسوا أنفسهم ويحصروها في مجال واحد مهما كان مهماً وعظيماً، فهم لم يجسوا أنفسهم في مجال العلم، أو في مجال مساعدة الفقراء والمستضعفين، أو في مجال العمل السياسي، أو في مجال التبليغ، أو مجال نشر الثقافة الإسلامية، وإنما كانوا يتحركون على كافة الأصعدة، وهذا الواقع مهم لا بد أن نفهمه نحن كمسلمين وإسلاميين، فمن يريد أن يتحرك للإسلام ويخدمه ويثبت دعائمه، بحيث يبقى مستمراً لا يقف عند جيل أو زمن معين لا بد له أن يعمل بهذا الشكل الواسع، ويتحرك أفقياً وعلى كل الأصعدة.

وهذه هي حقيقة الحوزة العلمية وأبنائها، والشهيد السيد محمد مهدي الحكيم هو ابن الحوزة العلمية، وابن المرجعية الدينية، وقد تمثلت فيه هذه الخصوصية وسعة الأفق، فكان (رضوان الله عليه) من أروع من عرفت في حياتي في الابتكارات والرؤية الاجتماعية والسياسية، حيث كان يفكر في آفاق وكأنها ليست آفاق عصره، وإنما هي آفاق عصور مقبلة؛ ولذا كان يترك أثراً في أي مكان يجل فيه، ففي بغداد ترك آثاراً كثيرة، حيث بنيت في فترة مكوثه فيها عشرات الحسينيات والمساجد، وأسست مؤسسات مهمة من

قبيل: (جماعة علماء بغداد)<sup>(١)</sup>، ومن قبيل: (كلية أصول الدين).  
وعندما هاجر إلى باكستان واستوطنها أوجد تياراً إسلامياً في الوسط  
الشيوعي، بحيث يمكن القول: إن قسماً مما نراه اليوم من حركة وعي وإدراك  
للأوضاع السياسية التي تعيشها باكستان كان تأسيسه من خلال العمل  
الذي قام به السيد محمد مهدي الحكيم رحمته الله، فقد كانت الأوساط الشيعية  
هناك - مع الأسف - بسبب محروميتها ومظلوميتها واقعة تحت تأثير التيارات  
الفكرية والسياسية المستوردة من خارج حدود العالم الإسلامي، كالشيوعية،  
واليسارية، والاشتراكية، والقومية، وما أشبه ذلك، وعند وصوله رحمته الله إلى  
الباكستان تحرك على علمائها - السنة والشيعية - بقوة لتحقيق أمرين: أحدهما:  
الوحدة بين أتباع المذاهب الإسلامية من خلال العمل على المشتركات الكثيرة  
والعديدة بينهم. والآخر: طرح الإسلام كبديل ومنقذ لما تمر به باكستان.  
وعندما انتقل إلى الإمارات العربية قام بتأسيس - مضافاً إلى المساجد  
والجوامع - مؤسسة لازالت ثمارها وآثارها، ولا زالت تؤدي دورها حتى  
يومنا الحاضر في بناء الأوضاع الثقافية والروحية والمعنوية لأتباع أهل  
البيت عليهم السلام في هذه المنطقة، وهي (مؤسسة الأوقاف الجعفرية في دبي)، التي  
هي أول مؤسسة جعفرية في منطقة الخليج تقام بصورة رسمية ومعترف بها  
في كل منطقة الخليج. كما كان لوجوده رحمته الله انعكاسات مهمة جداً على المناطق  
المجاورة، سواء كانت في سلطنة عمان، أم في الكويت، أم في المنطقة الشرقية

(١) تشكيل علمائي ديني، تشكّل في بغداد على يد مجموعة من علمائها عام ١٩٦٣م على غرار جماعة العلماء في النجف الأشرف. للتفاصيل انظر: الإمام الشهيد الصدر، دراسة لجوانب من الفكر والشخصية والمنهج: ١٩٢.

للمملكة العربية السعودية.

وفي لندن كانت له (رضوان الله عليه) حركة دوّوية وآفاق واسعة أثمرت عن إيجاد وعي إسلامي فيها، بحيث يمكن القول: إنَّ الوعي الموجود الآن في لندن كان تأسيسه وبداية وضع مشاريعه ونشاطها من خلال شخصية العلامة السيد محمد مهدي الحكيم وتجاوب الكثير من الأخوة المؤمنين معه، سواء كانوا علماء أم أوساطاً دينية، فقد أسس (رابطة أهل البيت عليهم السلام الإسلامية العالمية)<sup>(١)</sup>، التي حاول فيها بشكل خاص أن يهتم بجماعات أتباع أهل البيت عليهم السلام المتواجدين في مناطق المهجر، سواء في أمريكا اللاتينية أم أمريكا الشمالية أم أفريقيا الشرقية أم الغربية أم مناطق أوربا المختلفة، وإيجاد الصلة بين عدد كبير جداً منهم وبين مؤسساتهم وجمعياتهم، ويعقد المؤتمرات لهم، وينظم السياسات العامة لهم، ويعطيهم التوجيهات.

كما قام بتأسيس (مركز أهل البيت عليهم السلام)<sup>(٢)</sup>، الذي يهتم بنشر الوعي الثقافي الديني عند أتباع أهل البيت عليهم السلام في لندن. ولا زالت كلتا المؤسساتين تقوم بواجباتها.

وبسبب سعة الأفق التي كان يتمتع بها، كان يفكر بإنشاء (نقابة عالمية للسادة) يكون لها دوراً في نشر وتثبيت دعائم مذهب أهل البيت عليهم السلام، حيث

(١) رابطة إسلامية مقرها لندن، وعدد أعضاؤها (١٨٠) عضواً يمثلون (٤٢) دولة، وعقد المؤتمر الأول لها عام ١٩٨٣م، وتم انتخاب الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم أميناً عاماً لها. للتفاصيل انظر: لماذا قتلوه: ١٣٣.

(٢) مركز إسلامي في لندن، تأسس عام ١٩٨٣م، وأشرف عليه السيد محمد مهدي الحكيم، والسيد محمد بحر العلوم، والسيد خليل الطبطبائي. للتفاصيل انظر: المصدر السابق: ١٣٣.

إن هناك عدد كبير جداً من أولاد رسول الله ﷺ منتشرين في مختلف أنحاء العالم يمكن جمعهم تحت مظلة النقابة، وبذلك نتمكن من إيجاد تنظيم اجتماعي حقيقي يمتد في كل أنحاء العالم يقوم على أساس الارتباط النسبي برسول الله ﷺ، فكان يقول: أنا أعتقد بوجود شيء في النظرية الإسلامية اسمه (أولاد رسول الله)، جعل أساساً يعتمد عليه في حركة الإسلام، ويستدل لذلك بأدلة، منها: قضية وجود الأئمة عليهم السلام في أهل البيت، ومنها: تخصيص جزء من الخمس بسادات أهل البيت، ومنها: أن هؤلاء السادات كان لهم دور عظيم في تاريخ الإسلام، وفي نشره في مختلف المناطق، فمثلاً أحد السادات تمكن أن ينشر الإسلام في كل جزر أندونيسيا، وأحد السادات المهمين تمكن أن يثبت دعائم الإسلام في شبه الجزيرة الهندية، وهو السيد علي الهمداني، ويستعرض مجموعة من أدوار هؤلاء السادات. وقد تحرك فترة من الزمن على السادات في مختلف أنحاء العالم من أجل تنفيذ هذا المشروع، لكن الموت أدركه قبل أن يرى المشروع النور.

وهكذا تفكيره الجاد والذي يعبر عن سعة أفقه في المطالبة بحقوق المسلمين في بريطانيا، فكان يقول: المسلمون في بريطانيا يعتبرون الجماعة الثانية من حيث العدد بعد البروتستانت، حيث يقطن حوالي مليوني مسلم فيها، ومع هذا لا يوجد لهم أي نائب في مجلس العموم، مع أنه يوجد لليهود أربعين نائباً في المجلس المذكور، بل لا يوجد هناك قرار في تدريس الدين الإسلامي في المدارس البريطانية؛ لعدم وجود من يطالب أو يفكر بذلك، فكان يقول: لماذا لا نتحرك من أجل إيجاد تيار وقوة للمسلمين في بريطانيا يمكن أن تؤثر في مختلف أنحاء العالم؛ لكون بريطانيا دولة لها تأثير عظيم في مختلف السياسات



العالمية. وتحرك بالفعل حتى تمكن بعد جهود حثيثة من الحصول على إذن رسمي بتدريس الدين الإسلامي بشكل رسمي في المدارس البريطانية التي يوجد فيها نسبة كبيرة من المسلمين.

وذهابه للسودان كان ينطلق من سعة الأفق له، حيث كان يفكر بإنقاذ الخط الإسلامي في السودان من الأخطار المحيطة به، وكيف يقف في وجه المد الشيوعي أو المد البعثي، الذي يستفيد من إمكانيات والقدرات المادية التي وهبها الله سبحانه وتعالى للعراق، ويشبه الأوضاع التي تعيشها السودان بالأوضاع التي كان يعيشها العراق أيام عبد الكريم قاسم<sup>(١)</sup>، ومن أجل إنقاذ الخط الإسلامي كان يفترض ضرورة الاتحاد بين جماعة الصادق المهدي<sup>(٢)</sup>، والدكتور حسن الترابي<sup>(٣)</sup>، وسافر إلى السودان من أجل تحقيق هذا الاتحاد، الذي تحقق بعد استشهاده وعلى أثر دمه الشريف.

## البُعد الخامس: التسليم للحكم الشرعي

استطاع العلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه)

(١) عبد الكريم قاسم بن محمد بن بكر بن عثمان الفضلي الزبيدي. سياسي عراقي، ولد عام ١٩١٤م. عضو في تنظيم الضباط الأحرار الذي قام بحركة عسكرية في الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨م لإنهاء الحكم الملكي وإعلان قيام الجمهورية العراقية، وصار قاسم أول رئيس وزراء في العهد الجمهوري. قتله البعثيون عام ١٩٦٣م بانقلاب عسكري عليه. للتفاصيل انظر: موسوعة الأحزاب العراقية: ٤٨٧.

(٢) الصادق الصديق عبد الرحمن المهدي. سياسي سوداني وإمام الأنصار ورئيس حزب الأمة، ترأس حكومة السودان من (١٩٦٧ - ١٩٦٩م) و(١٩٨٦ - ١٩٨٩م).

(٣) حسن عبد الله الترابي، سياسي سوداني، أحد أعضاء جبهة الميثاق الإسلامية، وهي تمثل أول حزب أسسته الحركة الإسلامية السودانية، ثم تقلد الأمانة العامة لها عام ١٩٦٤م. وفي عام ١٩٩١م أسس المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي الذي يضم ممثلين من ٤٥ دولة عربية وإسلامية، وانتخب الأمين العام له.

أن يحتفظ بخطه السياسي، وبرؤيته السياسية، وبموقفه السياسي بالرغم من الآفاق الواسعة لحركته السياسية، حيث إنه لم يعيش في مجتمع ضيق أو في مجتمع يعيش خطأ سياسياً واحداً متميزاً، بل كان يعيش في مجتمعات مفتوحة لمختلف الآراء والنظريات والحركات السياسية، وبالرغم من علاقاته السياسية المفتوحة الواسعة، حيث لم يقتصر في حركته السياسية على مجموعة معينة من الناس، كالنخبة الصالحة من الناس، أو على مجموعات أخرى من نوع آخر، بل كانت حركته السياسية في علاقاته واسعة يعيش فيها مع المؤمن بكل تفاصيل إيمانه، وفي ذات الوقت يعيش مع ذوي الأفكار السياسية الأخرى، بل كانت له علاقات حتى مع غير المسلمين.

فأحياناً قد يحتفظ الإنسان بالخط كمبادئ ومفاهيم ونظريات، أو يحتفظ به كتحليل سياسي للحركة السياسية، ولكن عندما يصل إلى الموقف وإلى تفاصيله يتردد؛ باعتبار اختلاف الظروف وسعة العلاقات، ولكن الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم كان في الخط السياسي المفاهيمي، وفي الرؤية السياسية التحليلية للأحداث، وحركتها، وفي مواقفه السياسية التفصيلية، ملتزماً بخطه، وهو خط ولاية الفقيه، الذي كان يتعبّد به بدرجة عالية، ويسلّم له تسليماً كاملاً حتى لو كان الأمر على خلاف رأيه، وأنا أعرف أن ثمة قضايا كان رأيه فيها مخالفاً للقرار الولائي والشرعي، بمعنى: أن تحليله ورؤيته للأمر كانت تختلف عن رؤية القيادة الشرعية، فهو يرى نفسه شخصاً ذا معرفة بالأوضاع السياسية والاجتماعية، وله تجربة كبيرة - وهو كذلك طبعاً - ويمكن أن نعبر عنه أنه بـ(المجتهد في العمل السياسي والاجتماعي) من حيث الدراية والخبرة والتجربة التي مرّ بها، مضافاً إلى قربه

من مواقع العلم والمجتهدين، ولكنه مع ذلك كان يُسَلِّم لقرار الولاية بالرغم من الاختلافات في الرؤية.

فمثلاً في سنة ١٩٨٠م - أي في بداية الحرب - كانت ثمة فكرة مطروحة حول إيجاد جبهة للمعارضة العراقية بين القوى الإسلامية والقوى العلمانية، وكان رأي السيد محمد مهدي الحكيم بحسب فهمه السياسي وحركته السياسية ضرورة إيجاد هذه الجبهة، ولكن عندما فهم أن موقف الجمهورية الإسلامية في إيران آنذاك سلبي تجاه الجبهة، انسحب (رضوان الله عليه) من أصل المشروع وعطل كل حركته؛ لأنه كان يتعبّد بهذا الموقف.

وذات مرة أبلغته قراراً ولائياً على خلاف رأيه، فوافق وتنازل عن رأيه رغم اعتقاده بشكل كامل بصحة رأيه، وفعلاً بعد مدة تبين أن الرأي السليم كان إلى جانبه، وأن الموقف الذي كان يتخذه هو الصحيح.

وعندما نشبت الحرب العدوانية بين النظام العفلقى الظالم والجمهورية الإسلامية في إيران اتصل (رضوان الله عليه) بي شخصياً، وقال: أنا شخصياً على استعداد، وأنقل لك استعداد أولادي أيضاً بأن نأتي ونشارك في هذا القتال إن كان تكليفنا الشرعي ذلك، وأنت مسؤول أمام الله في تحديد تكليفي الشرعي بلحاظ وضعي الشخصي، فإذا رأيت أن هذا شيء واجب، فبلغني ذلك وأنا على استعداد للقيام بهذا العمل.

وبقي على هذا اللون من الالتزام والتعبّد حتى في سفره إلى السودان، حيث أتصل بي قبل سفره لإعطاء الموقف الشرعي والرؤية السياسية في هذا السفر حتى يقوم بهذا العمل.

وكان يقول ولمرات عديدة في مجالسه الخاصة، وعلى رؤوس الأشهاد:

إننا قبل قيام الجمهورية الإسلامية في إيران كنا نعيش حالة من الضياع فيما يتعلق بتشخيص الوظيفة الشرعية، حيث كان الأمر متروك لنا لنجتهد ونتأمل، وقد نقع في الخطأ أو نتردد في اتخاذ المواقف، أما بعد قيام الجمهورية الإسلامية في إيران فكان ذلك نعمة من الله سبحانه وتعالى تفضل بها علينا، بأن أصبحت قضية الوظيفة الشرعية والتكليف الشرعي في حركتنا السياسية قضية واضحة؛ لوجود الإمام الخميني قلوبنا، وهو يتمكن أن يشخص التكليف الشرعي، وبذلك يشعر الإنسان بالاطمئنان والراحة النفسية عندما يأتي التشخيص من إنسان موظف من قبل الله سبحانه وتعالى لتعيين هذا التكليف.

### البُعد السادس: القدوة في شخصية الحكيم

عندما تذكر الحوزة العلمية وعلماء الدين ودورهم الذي يجب أن يقوموا به، يمكن ذكر نماذج حية يُقتدى بها لناس يعيشون كما نعيش، ويأكلون كما نأكل، ويتربون كما نرتبى، ولم يتمتعوا بمواصفات بدنية أو إمكانات اجتماعية خاصة، لكنهم استطاعوا أن يقوموا بقدر واسع وكبير من النشاط الثقافي والاجتماعي والسياسي، والعلامة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه) يمكن أن يكون في شخصيته قدوة وأسوة، ونموذجاً للعالم الرسالي، فقد مارس عليه السلام العمل الإسلامي في كل أدوار حياته، وأنفق جلّ عمره على الاهتمام به، فمنذ فتوته - إن لم أقل منذ طفولته - تصدى للعمل الإسلامي واهتم به اهتماماً بالغاً رغم كل الظروف الصعبة، التي عاشها أيام طفولته، كالفقر والحاجة والرقابة الأسرية لحركته.

كما مارس العمل التبليغي وهو فتى وشاب، فقد كان يذهب إلى بعض القرى والأرياف في مدينة الناصرية؛ من أجل القيام بالعمل التبليغي، ولعله أول ابن مرجع ديني - بحسب ما أعرفه في حياتنا - يذهب كمبلّغ إلى مناطق نائية جداً عن المركز الذي يعيش فيه، ويتصدى للعمل التبليغي بصورة مباشرة بهذا السن، ولعله من أوائل رجال الدين العراقيين الذين ارتقوا المنبر في العراق، كما كان من أوائل الذين أوجدوا الحلقات التدريسية، ودرسوا فيها المعارف والثقافة الإسلامية العامة.

ولم يفتر اهتمامه حتى شهادته، فهو لم يترك أي فرصة تفتح أمامه إلا واستثمرها لصالح خدمة الإسلام، بالرغم من كل الظروف الصحية والسياسية والاجتماعية، فقد كان ﷺ يقوم بنشاطه الواسع وهو مبتلى بمرض القلب، وفقدان البصر بين الحين والآخر، حيث كان عنده إصابة في عينيه، فكانتا تنزفان، كما كان مصاباً - إلى حد كبير - بفقدان السمع حتى اضطر إلى استعمال الأجهزة ليتمكن منه، مضافاً إلى أمراض أخرى، ومع ذلك لم ينغزل أو ينطوي على نفسه ويترك النشاط والعمل، بل كان يقوم بنشاطات وأعمال كبيرة على مساحة واسعة تكاد تستوعب كل دنيانا المعاصرة، فهو في سفراته وجولاته ومتابعاته تنقل بين أمريكا الشمالية والجنوبية ومناطق مختلفة من أوروبا، مضافاً إلى أفريقيا وآسيا.

ولم يكن وضعه الأمني أفضل حالاً من وضعه الصحي، فقد كان (رضوان الله عليه) مطارداً ومهدداً من قبل نظام طاغوتي يتربص به الدوائر، وخرج من الإمارات نتيجة هذا التهديد، وفي لندن كان ينتقل من مكان إلى آخر؛

بسبب التهديد بالقتل، حيث كانت تعجّ بأزلام ومخابرات وأمن وعملاء النظام الصدامي، وقد قتلوا عدة أشخاص فيها<sup>(١)</sup> ولم تلاحقهم الحكومة البريطانية؛ لأنها كانت تقف إلى جانب النظام البعثي طيلة السنوات السابقة على حوادث غزو الكويت. ففي مثل هذه الظروف الخطرة والصعبة، كان الشهيد رحمه الله يعمل ويتحرك حركة واسعة، ولم توقفه كل محاولات الاغتيال التي تعرض لها والتي تجاوزت الستة.

---

(١) كان من بين هؤلاء عبد الرزاق النايف، أحد أعضاء المجموعة التي نفذت انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨، حيث اغتالته المخابرات العراقية في لندن عام ١٩٨١ م.

## المحور الثاني: التحرك السياسي

إن الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه) يمثل في تاريخ حياته تاريخ حياة الحركة الإسلامية المعاصرة؛ وذلك لكونه أحد مؤسسيها في عقد الخمسينات الميلادية من القرن العشرين، المقارن للسبعينات الهجرية؛ ولمعرفة ظروف عمله ﷺ في إطار الحركة الإسلامية يقع الكلام في ثلاث مراحل، وهي:

### الأولى: مرحلة التأسيس

كان العراق والعالم العربي والإسلامي، بل عموم العالم يعيش تيارات سياسية واسعة وقوية ومتحركة، أبرزها تياران رئيسان كانا يتفاعلان بشكل قوي على عموم الساحات العربية، وهما: تيار اليسار الذي تقوده الماركسية في الاتحاد السوفيتي السابق، وتيار الحركة القومية، الذي تنامى وتفاعل بشكل أساسي عند تسلم عبد الناصر<sup>(١)</sup> قيادة مصر أوائل الخمسينات الميلادية، وتعرض العراق إلى ضغطٍ واسع من قبل هذين التيارين الواسعين والقويين، حتى يمكن القول: إن مجمل التحرك السياسي الذي ساد العراق في عقد الخمسينات من القرن الماضي يتمثل في هذين التيارين، مضافاً إلى التيار الحاكم الذي كان يمثل بقايا الديمقراطية الغربية بوجهها الأسود،

(١) جمال عبد الناصر. سياسي مصري، ولد عام ١٩١٨م بمدينة الإسكندرية، وتدرج في تعليمه حتى دخل الكلية الحربية عام ١٩٣٧م، وفي تموز عام ١٩٥٢م قاد حركة عسكرية للإطاحة بالنظام الملكي في مصر. وفي الرابع والعشرين من حزيران عام ١٩٥٦م صار رئيساً لمصر، وفي عام ١٩٧٠م توفي في القاهرة ودفن فيها.

للتفاصيل انظر: <http://nasser.bibalex.org>

التمثّل بالاستعمار وأزلامه وعملائه الذين كانوا يحكمون البلاد الإسلامية، والعراق بضمنها.

أما الإسلام فلم يكن في عزلةٍ فحسب، بل كان يتعرض إلى هجوم واسع من قبل هذه التيارات في مختلف الميادين، وحتى في أخصها، كالمسجد، والحوزة، والحسينية، والزوايا والتكايا التي يمارس فيها الإنسان المتدين عباداته وعمله الثقافي، وكان هناك تشكيك في كل أسسنا وعقائدنا ومفاهيمنا ومنطلقاتنا من قبل مجمل الحركة السياسية القائمة آنذاك.

في مثل هذه الظروف وهذا الواقع السياسي بدأ السيد محمد مهدي الحكيم حركته السياسية الإسلامية مع مجموعة من أعلام الحوزة العلمية، ومجموعة أخرى من الذين تربوا في أوساطها أن يؤسسوا تياراً إسلامياً برعاية من المرجعية الدينية المتمثلة بالإمام الحكيم قلبي، ومن علماء الحوزة العلمية. وهذا فرق كبير بين أن يبدأ الإنسان حركة إسلامية والعالم يعيش صحوة إسلامية - كما في أيامنا هذه - ويشعر الإنسان بالفخر والاعتزاز بانتائه للإسلام، خصوصاً بعد انتصاره في إيران، وقيام الدولة الإسلامية التي هزّت مشاعر العالم، وزلزلت كل الأطروحات السياسية التي يعيشها العالم، فعند مقارنة هذا اليوم بذلك اليوم يمكن إدراك حجم الجهد الذي بذله الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم وجماعته في تأسيس تيار إسلامي ليس على مستوى المفاهيم، فإن مفاهيم الإسلام موجودة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وفي الرسائل العملية للعلماء الأعلام، وفي مختلف الكتب والموسوعات الإسلامية، وإنما كان دوره (رضوان الله عليه) على المستوى العملي، وذلك في التأسيس لتيار سياسي يبدأ بالحركة والنشاط في عراقنا الجريح مستفيداً



من موقعه من مرجعية والده، وعلاقاته الواسعة مع مختلف أعلام الحوزة العلمية التي كانت تتسم بالود والمحبة، فهو ذلك الإنسان الدمث الأخلاق المحبوب في كل الأوساط العلمية.

وما أن تمر عشر سنواتٍ من الحركة الدؤوبة لهؤلاء الأعلام في مرحلة التأسيس حتى أصبحت الحركة الإسلامية تأخذ طريقها في الأوساط الحوزوية والشبابية والجامعية، وفي مختلف أوساط الأمة، وباتت تنافس - على أقل تقدير - التيارات الأخرى منافسةً حقيقية.

## الثانية: مرحلة تعبئة الأمة

وجاءت المرحلة الثانية، مرحلة تعبئة الأمة، التي كانت من حيث الأهمية، ومن حيث المشكلات والشعارات، ومن حيث المستلزمات والإمكانات، ومن حيث المقومات لا تقل أهميةً عن المرحلة السابقة، إن لم تكن أكثر منها؛ لأن العمل كلما توسع وأصبح له وجود حقيقي في الأمة كلما ازدادت الأعباء، وكثرت المشاكل، وتفرعت المستلزمات والمتطلبات، وعظم العناء على أولئك الرجال الذين يتحملون المسؤولية.

## أهداف المرحلة

وكانت أمام هذه المرحلة مجموعة من الأهداف<sup>(١)</sup>، أهمها هدفان:

(١) عندما أتحدث عن الأهداف لا أتحدث عن التاريخ، وإنما أتحدث عن واقع مجرى حياتنا السياسية وتطلعاتنا القائمة حتى هذا اليوم، وبالتالي لا بد لنا دائماً أن نضع مثل هذه الأهداف أمام أعيننا في حركتنا السياسية. منه قارئ.

### الأول: التعبئة السياسية

استطاعت الحركة الإسلامية في تلك المرحلة، أي: في عقد الستينات الميلادية أو عقد الثمانينات الهجرية أن تكسب الشعب إلى جانبها، وتدخلة الحياة السياسية بعد عزلة طويلة امتدت عدة قرون، فالأمة في العراق بأكثريتها الساحقة كانت معزولةً بشكل كامل عن الحركة السياسية والعمل السياسي؛ بسبب التمييز الطائفي والقومي الذي مورس ضدها من قبل الأنظمة المتعاقبة، فالشيعة الذين يمثلون الأكثرية العربية في العراق، والأكراد الذين يمثلون الأكثرية السنية فيه، كلاهما كان معزولاً عن الحياة السياسية أو فرضت عليه العزلة قروناً من الزمن، فهذه المدة الطويلة لم تشهد الأمة نهوضاً وخروجاً من العزلة إلا سنوات قليلة لا تزيد على خمس سنوات أو ستة، أي: منذ دخول البريطانيين إلى العراق وحتى قيام ما يسمى بـ(الحكم الوطني)، ثم بعد ثورة العشرين بدأ الشعب يعود لعزلته وانكفائه مرة أخرى، وهذه من معاناة أبناء العراق، التي يختلفون فيها عن كثير من الشعوب الأخرى في عالمنا العربي والإسلامي.

وكانت لهذه العزلة تأثيرات سلبية مروعة لم ندرك واقعها وحقائقها وآثارها في تلك العقود، ولكن الآن وجدناها واضحة بينة<sup>(١)</sup>، فما تعرض له الشعب العراقي من ذبح بشكل واسع على أيدي جلاوزة لا نعرف لهم حساباً ولا نسباً في العراق، كان من نتائج تلك العزلة وآثارها ومستلزماتها ومخلفاتها،

(١) وهذا الكلام ليس المراد منه القضية الإعلامية، وإنما هو قضية تحليلية للواقع السياسي في العراق.

فمثل هذه المأساة لا تقع في حكومات وإن عرفت بالبطش والدكتاتورية؛ لحضور الأمة في الساحة وعدم انعزالها، فالعسكريون في الاتحاد السوفيتي عندما أرادوا الهيمنة عليه في الانقلاب المعروف على (غورباتشوف)<sup>(١)</sup>، ولما صاروا أمام قضية، أن يجمعوا ويقتلو الشعب بشكل جماعي، وجدنا أن هذا الجيش يقف أمام هذه القضية، وينتصر الشعب في معركته. وهكذا عندما واجه الشعب في رومانيا طاغية من أخس الطواغيت الذين عرفهم عصرنا، وهو (شاوشيسكو)<sup>(٢)</sup>، وحاول أن يذبح الشعب بنفس الطريقة التي ذبح بها صدام شعبه بالعراق، وجدنا الجيش يتردد في ممارسة هذه المذبحة، بالرغم من أن الحرس الخاص لشاوشيسكو واصل القتال ضد الشعب لأكثر من أسبوع، ولكن الجيش عندما وقف هذا الموقف لم يتمكن الحرس الخاص، الذي بناه شاوشيسكو بناءً محكماً ودقيقاً ولمثل هذا اليوم أن يحقق هذا الغرض، وهكذا شاه إيران عندما حاول أن يقوم بعملية قمع واسعة ضد الشعب الإيراني لم يتمكن من ذلك؛ لأن الجيش الإيراني عندما صار أمام خيار ذبح الشعب<sup>(٣)</sup> تردد في ذلك، مع أنه جيش كان يتعامل مع أمريكا ويمثل لأوامرها وقتذاك.

(١) ميخائيل غورباتشوف، سياسي روسي، شغل منصب رئيس الدولة في الإتحاد السوفيتي السابق بين عامي ١٩٨٨ - ١٩٩١م، ورئيس الحزب الشيوعي السوفيتي بين عامي ١٩٨٥ - ١٩٩١م.

(٢) نيكولاي تشاوتشيسكو. سياسي روماني، ترأس الحكم في رومانيا من عام ١٩٧٤م حتى ١٩٨٩م، وحكم البلاد بقبضة من حديد، فاتسم حكمه بالشدة والدموية. قامت ثورة شعبية عليه أيدها الجيش، فقبض عليه ثم تمّ إعدامه.

(٣) عندما أقول يذبح الشعب، أقصد: أن يذبح الشعب كشعب، لا أن يقتل اشخاص يمكن عدّهم بطريقة ما، يعني: يذبح الرجال والأطفال والنساء والشيوخ، ويذبح القيم والمثل والمقدسات والحرمان وكل شيء بدون استثناء، هذا هو معنى أن يذبح الشعب. منه وَأَرْسَلْنَا.

وهذا الاستعراض يضعنا أمام الحالة الغريبة والشاذة التي واجهها الشعب العراقي عندما تعرض للذبح بدون استثناء، حيث إن صداماً استعد أن يقتل كل من يرفع صوته، بل استعد لعمل كل شيء بدون حدود في مقابل حركة الشعب، وهذا سببه أن الشعب كان في عزلة عن الحركة السياسية؛ ولذا لا بدّ للشعب من دخول المعتزك السياسي إذا أراد تجنب نفسه مثل هذه المجازر الوحشية، ويتحمل العلماء، والأدباء، والمثقفون، والكتاب، والخطباء، مسؤولية توجيه هذا الشعب بالاتجاه الصحيح.

وعندما نقول يجب أن يدخل الشعب العراقي في الحركة السياسية، وأن يدخل المعركة السياسية لا بدّ أن يكون له محوراً ومرتكزاً قادراً على استيعابه بكل أطرافه وإمكاناته وتوجهاته ومستوياته الفكرية والثقافية، وهذا المحور هو التيار الإسلامي الذي يمثل الشجرة الطيبة، التي ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾<sup>(١)</sup>، فهو المحور الذي يجب أن نرعاها، ونبنيه ونسند به بكل إمكاناتنا وقوانا، والشجرة التي يجب أن نرويناها بدمائنا وتضحياتنا وجهودنا؛ لأنه إذا لم يكن لحركة الأمة محور قوي وثابت لا يمكن لها أن تحقق أهدافها البعيدة، ولا يمكن لها الانتصار على أعداء الله، وأعداء الشعب، وأعداء الحق، والخير، والصالح.

وهناك بُعد آخر في هذه الحركة السياسية، وهو قدرة المحور القوي والرائد على التعامل مع كل الوجود الشعبي الذي يمكن أن يضم اتجاهات مختلفة، وتيارات متعددة، ومستويات متباينة، وفهم مختلف للإسلام

(١) إبراهيم: ٢٥، ٢٦.

ولمفاهيمه ولحقائمه، وأن يرفعى الشعب في هذه الحركة، ويستوعب كل طاقاته وإمكاناته ويوظفها توظيفاً صحيحاً في مواجهة أعدائه، وهذا ما صنعه الإمام الحكيم قدس سره وقام بتنفيذه بشكل مباشر الحجة الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم (رضوان الله عليه)، فبعد الإنتهاء من دور التأسيس قام بمرحلة استيعاب الشعب، فكانت اتصالاته وحركته السياسية لا تقتصر على النخبة الصالحة الطيبة المؤمنة المجاهدة المخلصة لله سبحانه وتعالى من أبناء الإسلام ومن أبناء الحركة الإسلامية، بل كان يقيم في نفس الوقت الاتصالات مع أطراف واسعة ومتعددة من أبناء الشعب العراقي، بالرغم من الشبهات والكلمات التي ثارت حوله.

### الثاني: التعبئة الثقافية

إن الهدف الآخر المهم في هذه المرحلة هو التعبئة الثقافية؛ لأنه لا يمكن لحركة أن تتحمل كل المسؤولية، وتتحمل كل الضغوط والمشاكل والعقبات، وكل عمليات القمع والعدوان التي مورست ضد الشعب وضد الحركة الإسلامية أن تبقى وتستمر، ومن ثم تنجح وتنتصر ما لم يكن لها قاعدة ثقافية واسعة وعميقة وقوية<sup>(١)</sup>، وهذا الأمر من الأمور التي اهتم بها الحجة السيد

(١) وهذا الشيء أنا أؤكد عليه أيضاً في مفاهيمنا في هذه المرحلة الآن، فأبناء العراق مع الإسلام الآن، ومع الحركة الإسلامية، ومع الجهاد والنهوض الإسلامي، بحيث ضحوا في سبيل الإسلام، ولكن هل أنهم الآن يعرفون الثقافة الإسلامية، والمفاهيم الإسلامية، والتحليل السياسي الإسلامي، وواقع الموقف الإسلامي، والطريقة التي يجب أن يتعامل بها الإنسان المسلم مع كل الأحداث القائمة في علمنا اليوم؟ فأبناء العراق في هذه المرحلة بعواظهم ومشاعرهم وأحاسيسهم مع الإسلام، وهم على استعداد للتضحية من أجله، وقد ضحوا من أجله، ولكنهم بحاجة لأن تكون لهم ثقافة إسلامية واسعة وقوية وراسخة،

محمد مهدي الحكيم في حركته السياسية، وهو أحد اهتمامات المرجعية الدينية المتمثلة بالإمام الحكيم قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ آنذاك، والذي كان السيد محمد مهدي الحكيم يمثل مفصلاً مهماً من مفاصلها؛ ولذلك كانت هناك حركة واسعة في بناء الحسينيات، والمكتبات، ونشر الكتب، والحثُّ على التأليف، وإرسال المبلغين والعلماء، إلى غير ذلك مما شهدته عراقنا الجريح في عقد الثمانينات الهجرية.

### الثالثة: مرحلة المواجهة

إن كل أمة توجد ثلاث مراحل في حركتها: مرحلة التأسيس، ومرحلة تعبئة الأمة، ثم مرحلة المواجهة بعد تنظيمها وجعلها قادرة على المواجهة في الفرصة المناسبة، أو مرحلة الزلزال وذلك عندما يواجه المؤمنون أعدائهم، حيث يبدو الطريق مسدوداً أمام المؤمنين، فيعبر عنه القرآن الكريم بالزلزال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(١)</sup>، وفي آية أخرى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واجه مرحلة الزلزال، حين كان يدور على القبائل - وهو ابن مجدها - ويعرض نفسه عليها ولا يجد مجيباً، بل يجد الصد والرفض والرمي بالحجارة وغير ذلك مما كان يواجهه في هذه المرحلة، حتى جاءت مرحلة

بحيث تجعلهم قادرين على المواجهة مع كل الظروف والتطورات التي يمكن أن يواجهها شعبنا في المستقبل.  
منه قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

النصر التي بدأت بمعركة بدر، ثم معركة أحد، فمعركة الأحزاب، ومعارك ومعارك حتى كان فتح مكة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا \*﴾.

فعندما بدأ الإمام الحكيم عليه السلام والحجة السيد محمد مهدي الحكيم بهذه المرحلة تنبه الاستعمار إلى حقيقة ما يجري في العراق، والظروف التي يعيشها الإسلام فيه، فكان الانقلاب العسكري للبعثيين في تموز عام ١٩٦٨م ووصولهم للسلطة وفق مخطط أمريكي - بريطاني لضرب الإسلام في العراق. وقد تنبه السيد محمد مهدي الحكيم في تحليله السياسي الدقيق إلى هذه الحقيقة، واستشعر الخطر المحدق بالعراق، فأخذ ينبه كل الوجود الإسلامي فيه إلى هذا الواقع، وهذا التشخيص من مفاخر المرجعية الدينية، ومن مفاخر الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم، وكل إخوانه الذين رافقوه في رحلة الجهاد، حيث تمكنوا أن يروا معالم وملامح المأساة التي يشهدها الشعب العراقي هذا اليوم بآلامها ومصائبها مع بدايات انقلاب تموز، فهذه القراءة التحليلية الدقيقة للواقع مما تميزت به المرجعية الدينية، فهي بالرغم من كل الإثارات التي أثرت حولها، وبالرغم من كل الحملات الدعائية الظالمة التي وجهها الأعداء لها، نجد لديها هذا الوعي المتميز، والفهم الواضح للأحداث، والتحليل الصحيح لها في تشخيص طبيعة نظام حزب البعث.

والكلام ليس عن الموقف الذي أصبح الآن موقف كل المخلصين، والعلماء، والصالحين، والمجاهدين من أبناء الشعب العراقي، وإنما الكلام عن ذلك اليوم الذي كانت فيه الشكوك والتساؤلات والإثارات تحوم صحة موقف المرجعية الدينية تجاه النظام البعثي، فهذه التساؤلات وما يتفرع عليه

من تساؤلات أخرى كانت مطروحة في أوساط عموم الناس، وفي أوساط المؤمنين والصالحين، بل حتى في الأوساط القريبة من المرجعية الدينية؛ ولذلك كان هناك قطاع واسع كبير يشعر بالخوف من نتائج هذه المواجهة. وعلى كل حال بدأ الأعداء بتوجيه الضربات الاستباقية للحالة الإسلامية، وبالتالي وقعت المواجهة - قبل استكمال عدتنا لها - بين المرجعية الدينية والنظام البعثي، وبدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الإسلامية في العراق، وخسرنا الجولة؛ لفقدنا أشياء كثيرة في هذه المرحلة جعلتنا غير قادرين على المواجهة بشكل كفوء، منها: وفاة الإمام الحكيم عليه السلام وهو في قمة المواجهة.



## المحور الثالث: رحلة الشهادة

السودان هي المحطة الأخيرة للشهيد السيد محمد مهدي الحكيم في دار الدنيا، وبوابته على الحياة الأخرى، ففي يوم ١٤ / ١ / ١٩٨٨ م وصل (رضوان الله عليه) مطار الخرطوم، ومنه توجه إلى فندق (الهلتون) تلبية لدعوة تلقاها من (الجهة القومية الإسلامية)<sup>(١)</sup> لحضور مؤتمرها، وفي صالته وقع مضرراً بدمه الزكي في ١٧ / ١ / ١٩٨٨ م إثر عملية اغتيال قام بها أزام النظام الصدامي بتنسيق مع قوى أجنبية قدمت مساعدات ومعلومات له؛ من أجل القيام بهذه الجريمة.

### أهداف السفر الى السودان

حرص حجة الإسلام والمسلمين الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم على تلبية دعوة الجهة القومية الإسلامية والحضور الى السودان تحقيقاً لأهداف عديدة، منها:

- ١- طرح مظلومية الشعب العراقي المسلم في المؤتمر الإسلامي الذي ستعقده الجهة الإسلامية في السودان.
- ٢- بيان الطبيعة العدوانية والإجرامية لنظام صدام التي لم يستثن منها حتى جيرانه، حيث شنّ حرباً عدوانية مدمرة على إيران، وأفضل من يعرف بهذه الحقيقة، هو عالم كبير من علماء العراق يكشف للمسلمين حقيقة النظام الصدامي وعدوانه على شعبه وجيرانه.

(١) التي يتأسسها حسن الترابي.

٣- توحيد الصف الإسلامي داخل السودان في مواجهة الخطوط اليسارية أو اليمينية التي تعمل فيه ضد الإسلام، وضد الحالة الإسلامية.

## العفالة القتلة

نعتقد أن نظام العفالة في بغداد هو الذي قتل السيد محمد مهدي الحكيم، والأدلة على ذلك يمكن تلخيصها بالتالي:

أولاً: إن الدكتور السيد عبد الوهاب الحكيم<sup>(١)</sup> - مرافق السيد محمد مهدي الحكيم - شاهد القاتل وتعرّف عليه، حيث كان يحمل القاتل ملامح العراقيين، وبما أن الدكتور السيد عبد الوهاب عراقي يمكنه بسهولة تشخيص العراقي من غيره.

ثانياً: إن السيارة التي استخدمها القتلة كانت تحمل رقماً دبلوماسياً.  
ثالثاً: إن الشهيد كان محكوماً عليه بالإعدام من قبل نظام العفالة في بغداد منذ عام ١٩٦٩ م.

رابعاً: كان الشهيد مطارداً منذ عام ١٩٦٩ م، حيث سبقت جريمة الخرطوم عدة محاولات لاغتياله (رضوان الله عليه)، وقد أخبره البوليس البريطاني ببعضها في الفترة السابقة.

خامساً: إن السيد محمد مهدي الحكيم هو الرقم الثاني والعشرين من سلسلة التصنيفات الجسدية التي قام بها نظام صدام حسين ضد آل الحكيم، حيث تم إعدام أربعة من إخوته، وثمانية من أولاد إخوته، وتسعة من أولاد

(١) السيد عبد الوهاب ابن السيد هادي الحكيم، مثقف إسلامي استوطن لندن منذ بداية سبعينات القرن الفائت خوفاً من بطش النظام البعثي.

عمومته، كما كان - وقت وقوع الجريمة في السودان - أكثر من أربعين شخصاً من عائلته رهن الاعتقال منذ أربع سنوات.

سادساً: إن النظام الحاكم في بغداد هو صاحب المصلحة الأولى في قتل السيد محمد مهدي الحكيم؛ لأنه ﷺ كان يمثل البديل الإسلامي الذي يمكن أن تقبل به قوى المعارضة العراقية بكل فصائلها واتجاهاتها السياسية، كما يمكن أن تقبل به الجمهوريه الإسلامية في إيران، وتشيعه الذي لا يعرف له مثيل إلا لكبار مراجع الدين كان تصويتاً رائعاً لكل العراقيين عبروا به عن إيمانهم بهذه الشخصية، رغم أنه (رضوان الله عليه) كان إنساناً عالماً يعيش في المهجر، بل يعيش في أوروبا وبعيداً عن الكثير من العراقيين الذين يعيشون في بلاد أخرى، كإيران وسوريا ومناطق الخليج وغيرها.

سابعاً: استخدم النظام العراقي أسلوب الاغتيالات في تصفية المعارضة العراقية، حيث قام بتصفية شخصيات من المعارضة في الكويت، ودبي، ولندن، وإيطاليا، وباكستان، والسويد، وأمريكا، وأماكن أخرى<sup>(١)</sup>.

(١) كاغتيال (حردان التكريتي)، و(علي ياسين) عضو منظمة فتح الفلسطينية عام ١٩٧٨م، والدكتور (جاسم المشهداني) عام ١٩٨١م في الكويت. واغتيال الحاج (سهيل محمد سلمان) عام ١٩٨١م في دبي. واغتيال (سعيد محامي) عضو منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٨م، و(عبد الرزاق النايف) عام ١٩٨٠م، و(عبد الله رحيم شريف) عام ١٩٨٨م في لندن. واغتيال الدكتور (أبو محمد حيش) عام ١٩٨٦م في إيطاليا. واغتيال الطالبين (نعمة مهدي)، و(سامي محمد) عام ١٩٨٧م في باكستان. واغتيال (إبراهيم فاتح رستم) وزوجته (بافرين) عام ١٩٨٦م، و(ماجد عبد الكريم) عام ١٩٨٦م في السويد. واغتيال (سالم يوريس) عام ١٩٧٧م، و(سالم حميد عقراوي) عام ١٩٨٠م، و(كوركييس سلمان) عام ١٩٨٠م في أمريكا. وهناك اغتيالات تمت أو فشلت في بعض الأحيان في كل من: لبنان، واليمن، ويوغوسلافيا، وتايلند. للتفاصيل انظر: كراس انتهاكات النظام العراقي لحقوق الإنسان، العدد ٣٥.

## ظاهرة قتل العلماء

إن ما حدث للسيد محمد مهدي الحكيم يؤشر إلى ظاهرة شهدتها العقود الأخيرة، وهي ظاهرة (قتل العلماء)، التي تمثل حالة من الخلفية الفكرية الثقافية والروحية والنفسية للتيارات المادية والعلمانية البعيدة عن الله سبحانه وتعالى، وقد انعكست هذه الظاهرة بشكل من الأشكال في سلوك (منافقي خلق)<sup>(١)</sup> التي يرأسها المجرم (مسعود رجوي)<sup>(٢)</sup> الذي يشبه في مجمل سلوكه سلوك صدام، فقد قامت المنظمة المذكورة بقتل العديد من علماء وفقهاء الإسلام في إيران.

كما أن المجرم صدام حسين مثال شنيع وواسع لتجسيد هذه الظاهرة التي شهدتها العراق، وهي تعبر عن عمق الإجرام في هيكل النظام وشخصية صدام بشكل خاص، وتجعلنا نعتقد بعدم إمكانية تخليه عن إجرامه بأي شكل من الأشكال؛ ولذا لا بدّ شرعاً من مواصلة القتال ضده؛ لأن البديل عن ذلك إنما هو المزيد من القتل والقمع والتهجير والمعانات والآلام، وربما يتصور بعض الناس ويذهب به الخيال إلى أننا لو سكتنا عن النظام وتركناه فسوف يتركنا هو أيضاً، ولكن هذا التصور غير صحيح ولا واقع له.

ويجب الالتفات هنا إلى أن هذه الظاهرة عندما تتم بمثل هذه العمليات

(١) منظمة مجاهدي الشعب أو منظمة مجاهدي خلق الإيرانية. تأسست عام ١٩٦٥م؛ لإسقاط نظام محمد رضا بهلوي. شاركت في الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني قده، لكنها سرعان ما انقلبت عليها بعد انتصارها، فقامت بأعمال إرهابية كثيرة من خلال حملة الاغتيالات والتفجيرات التي نفذتها بحق رموز الثورة آنذاك من علماء الدين وغيرهم، مما حدى بالنظام الثوري في إيران إلى حظرها واعتبارها منظمة إرهابية.

(٢) مسعود رجوي، سياسي إيراني معارض يعيش في المنفى، وترأس منظمة مجاهدي خلق الإيرانية.

الإجرامية البشعة في أمة من الأمم - سواء كانت حاضرة أم غائبة في التاريخ أو في المستقبل - عليها ألا تقف منها موقف المتفرج، وتكتفي في أحسن حالاتها بالإنكار القلبي، لأن بعض الأحيان الكثير من أفراد الأمة لم يحصل منه حتى هذا الأمر ما دامت النار لم تصل إليه، ويتصور أنه في مأمن من هذا الأذى فيكون غارقاً في دنياه وأوضاعه الخاصة، وقد مرّ هذا الحال على بعض الأمم فعمّها البلاء الشامل؛ لأن قتل العلماء عدوان على الله سبحانه وتعالى؛ لأن العالم لم يزاحم الطغاة في مصلحة من مصالحهم، ولم يرد مالاً، ولا جاهاً، ولا منصباً، ولا شهوة من شهواتهم، وإنما قال كلمة الله والحق، فقتلهم يكون من قبيل قتل الأنبياء، وعندئذ ينزل الله عذابه العام الشامل على الأمة إن صار موقفها السكوت والتفرج أو الغفلة أو الإنكار القلبي على أحسن التقدير، وهذه نتيجة وسنة كونية تاريخية وضعها الله سبحانه وتعالى في حركة الأمم. ولذا إن قضية الأمر بالمعروف وإنكار المنكر والجهاد في سبيل الله ليست دعوة شخصية أو رغبة إنسانية ناشئة من هنا أو هناك، وإنما هي قضية تنبع من واجب ووظيفة شرعية يجب أن يقوم بها المسلم، وإلا فالعذاب الإلهي النازل بسبب الظلم عذاب عام ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾<sup>(١)</sup>، قد يشمل حتى الذين لم يشتركوا في الظلم ولم تكن لهم يد فيه، والأمة عندما تعاقب يكون عقابها عاماً وشاملاً.

## آثار دم الشهداء

عندما نريد أن نقيّم الأشياء ونزنها لا بدّ أن نأخذ بنظر الاعتبار الموازين

(١) الأنفال: ٢٥.

والقيم الالهية التي نؤمن بها، والتي أثبتت التجربة التاريخية وسننها الحاكمة صدقها وحقانيتها.

إننا نعتقد بأن الأهداف المقدسة التي نسعى إليها، هي أهداف لتكامل الإنسان والمجتمع، وأهداف للوصول إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال التضحيات والمعاناة والآلام والمحن والدماء؛ ولذلك نجد المؤمنين عندما تتكالب الأحزاب وقوى الكفر عليهم، وتصل بهم المحنة إلى أقصى درجات الضغط والأذى يقفون أمام الله سبحانه وتعالى مسلمين ومصدقين؛ لأنه سبحانه أخبرهم ووعدهم أنهم لا يصلون إلى أهدافهم إلا من خلال هذا الطريق: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

لقد وصل السيد محمد مهدي الحكيم إلى هدفه، وهو لقاء الله مضرراً بدمه، وحقق له الله تعالى أمنيته التي طالما تحدث عنها مع إخوانه ورفاقه وطلابه ومريديه ومخلصيه، وفي المحافل العامة، كما كان يتحدث عنها في بيته وبين أولاده<sup>(٢)</sup>.

وأما البعثيون الأرجاس الأذناس فإنهم وإن استطاعوا قتل السيد محمد مهدي الحكيم، لكنهم عجزوا عن قتل أهدافه، وروحه، ومسيرته، بل كان الشهيد هو القاتل لأهدافهم، ولوجودهم.

لقد قلت لبعض إخواني عند شهادته: إن شعب السودان شعب يوالى

(١) الأحزاب: ٢٢.

(٢) كان يقول لابنته عندما حدثت الجريمة الشنعاء التي ارتكبتها آل سعود في مكة المكرمة: يا ليتني كنت بين هؤلاء الشهداء وأستشهد في البلد الحرام. منه قاتل.

أهل البيت عليهم السلام، وإن الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم من سلالتهم، ومن أعلامهم، فعندما يقتل هذا الإنسان على أرض السودان فلا بد أن يكون لهذا الدم المبارك أثر في تلك الأرض؛ لأننا وجدنا ذلك الأمر في دماء آل محمد عليهم السلام عندما تناثرت في مختلف أنحاء العالم، وصارت سبباً في انتشار الهدى والإسلام، فهذه هي الحقيقة القرآنية، والحقيقة الإسلامية المحمدية التي عرفناها في تاريخنا، والتي نشاهد آثارها في ذكريات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وكيف كانت لتلك الدماء والصرخات والآلام والمعاناة التي مر بها هؤلاء عليهم السلام في حياتهم تأثير عظيم في حركة التاريخ.

وقد شهدنا هذا الأثر في السودان بعد وقوع الجريمة بفترة قصيرة عندما انتصرت الحركة الإسلامية فيه، بعد أن كان معرضاً - السودان - لحكم حزب البعث، الذي كان ناشطاً فيه بدرجة أن تتم عملية قتل العلامة السيد محمد مهدي الحكيم في قاعة الفندق، وأمام مشهد عام من الناس، ومثل هذا الفندق لا بد أن يكون محروساً بدرجة كبيرة من قوات الأمن السودانية؛ لكونه يضم وفود وزراء العرب، ومع ذلك لا يمسك القاتل، ولا يشخص، بل ويتمكن أن يخرج من السودان بقامته الطويلة دون أن يقف أمامه أحد، فكان البعثيون لهم هذا القدر من النفوذ والتسلط على أوضاع السودان في ذلك الوقت.

وقد سمعت نفس هذا الكلام من أحد الوزراء الذين يشاركون الآن في حكم السودان، حيث قال: كان لدم الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم تأثير كبير في الحركة السياسية؛ لأنه هز مشاعر الناس، وجعلهم يدركون الخطر الحقيقي الذي تواجهه السودان من هؤلاء المجرمين العفالقة، الأمر الذي جعل الأحداث تتحرك حتى انتهى الأمر إلى انتصار الحالة الإسلامية فيه.

وقال نائب رئيس الوزراء السوداني عند لقائه وفداً من المجلس الأعلى: إن حادثة الاغتيال غيرت مجرى الأحداث السياسية داخل السودان، وكان لها أثر عظيم في هزيمة حزب البعث في السودان، وفي تغيير مسيرة التوجهات السياسية باتجاه الحالة الإسلامية.

فدم هذا الشهيد لم يذهب هدراً حتى على أرض السودان، وسوف يبقى مؤثراً في الحركة الإسلامية السياسية في العراق التي واجهت حوادث أليمة، وتضحيات عزيزة تتوجت بشهادات كتبها شهداؤنا بدمائهم الزكية، فشهادة (الحاج أبي عصام)<sup>(١)</sup> في أوائل حكم البعثيين المجرمين كانت لها أثر في دفع الحركة الإسلامية نحو الرشد.

وبدأ العراقيون يفكرون جدياً بتصعيد العمل السياسي في مواجهة البعثيين نتيجة وأثراً لشهادة (الشهداء الخمسة)<sup>(٢)</sup>، ثم جاءت شهادة مفجر الثورة الإسلامية في العراق آية الله العظمى الشهيد الصدر عليه السلام بأثر عظيم،

(١) الحاج محمد علي دخيل. ولد الشهيد عام ١٩٣٠م في النجف الأشرف. انتمى لحزب الدعوة الإسلامية بعد عام على انطلاقه، ولم تمض سوى فترة وجيزة حتى أصبح عضواً في لجنة قيادة بغداد والكاظمية، ثم كلف بالإشراف على النشرة السرية للحزب (صوت الدعوة). اعتقل يوم ١٩/٩/١٩٧١م، وبعد مروره بموجات متتالية من التعذيب ألقاه ناظم كزار. مدير الأمن العام آنذاك. في حوض حامض النتريك.

(٢) وهم: الشهيد الشيخ عارف البصري.

الشهيد العلامة السيد عز الدين القباجي.

الشهيد العلامة السيد عماد الدين الطباطبائي.

الشهيد السيد حسين جلوخان.

الشهيد السيد نوري طعمه.

فقد حكم عليهم من قبل النظام البعثي بالإعدام لنشاطهم الإسلامي وقربهم من الشهيد الصدر عليه السلام، وفي ١١/٢١/١٣٩٤هـ. ١٩٧٤/١٢/٥ نفذ الحكم بهم في سجن أبي غريب المركزي.



هو بعث روح الجهاد، حيث تمكنت الثورة الإسلامية من أن تتحول من حالة المقاومة والمعارضة السلبية إلى حالة المقاومة والمعارضة الإيجابية، يعني: إلى حالة الهجوم العنيف الذي يمارسه المجاهدون ضد النظام وأزلامه، وبعث روح التضحية والفداء لدى أبناء الشعب العراقي، حتى أنهم قدموا في فترة قصيرة أكثر من ثلاثين ألف شهيد يسرون على درب الشهيد الصدر عليه السلام. وهكذا شهادة الحجة السيد حسن الشيرازي<sup>(١)</sup>، الذي اغتاله البعثيون في بيروت، وكان لاغتياله أثر عظيم في تصعيد روح الجهاد لدى المهاجرين العراقيين، حيث أخذوا يقومون بالعمليات الجهادية في داخل العراق منطلقين من مواقعهم، ويفجرون أجهزة النظام، ويقومون بمختلف العمليات ضده.

## مسؤولية الحكومة السودانية

إن الحكومة السودانية تتحمل مسؤولية ما حدث للشهيد السيد محمد مهدي الحكيم؛ وذلك لأنه:  
 أولاً: إن الاغتيال وقع على أراضيها وبشكل علني، حيث وقع في الصالة العامة للفندق الذي يقيم فيه المغدور، وأمام أعين وفود مؤتمرين كان يجري عقدهما في السودان، وهما: مؤتمر وزراء الزراعة العرب، ومؤتمر الجبهة

(١) السيد حسن ابن السيد مهدي الشيرازي. ولد عام ١٣٥٤هـ في النجف، وهاجر بحجرة والده إلى كربلاء، وبها درس على أعلامها، وكانت له مواقف جريئة ضد الحكم البعثي في العراق، وعلى أثرها سجن في العراق ثمانية أشهر. هاجر بعد إطلاق سراحه إلى بيروت، وواصل نشاطه الثقافي والحركي منها. في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية عام ١٤٠٠هـ تم اغتياله في بيروت من قبل مسلحين تابعين للنظام البعثي في العراق انتقاماً منه ومن مواقفه السياسية ضد النظام. ودفن في مدينة قم المقدسة. للتفاصيل انظر: فهرس التراث ٢: ٥٨٠.

الإسلامية القومية.

ثانياً: إن الحكومة السودانية لم تؤمّن للسيد محمد مهدي الحكيم الحماية المناسبة مع علمها بوضعه الأمني والسياسي وبوجوده، حيث مضى على وجوده ثلاثة أيام بكاملها، وتم فيها الالتقاء ببعض الشخصيات السودانية، وأخذ له موعد لقاء مع رئيس الوزراء السوداني (الصادق المهدي)، حيث كان من المفروض أن يتم هذا اللقاء يوم الثلاثاء، وكانت شهادته يوم الأحد، كما أن السيد محمد مهدي الحكيم حصل على سمة دخول رسمية من الحكومة السودانية كتب فيها: إن قدومه يكون من أجل حضور المؤتمر.

ثالثاً: إن أفراد الشرطة السودانية الذين كانوا موجودين في الفندق لم يردوا بشيء، بل ولم يعقبوا سيارة القتلة، ولم يتم القاء القبض عليهم. رابعاً: ومما يجعل الحكومة السودانية أكثر تحملاً للمسؤولية، هو أنها لم تسمح لوفد المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بدخول السودان للتحقيق في الحادث والوقوف على آخر المستجدات.

كما أن الجبهة القومية الإسلامية تعاملت مع هذا الموضوع بدون أخلاق عندما ادعت أنها ألغت الدعوة الموجهة للمغفور به عن طريق إرسال تلكس، فهذا الادعاء كاذب؛ وذلك لأنه:

- ١- إن التلكس لو كان موجوداً لوصل للسيد محمد مهدي الحكيم قبل سفره وقبل ركوبه للطائرة، الذي كان في اليوم الثاني من عقد المؤتمر.
- ٢- إن ممثل الجبهة كان مع السيد محمد مهدي الحكيم حتى ركوبه للطائرة من مطار هيثرو.
- ٣- إن الجبهة لم تستقبل السيد محمد مهدي الحكيم عندما وصل للسودان،

ولم تسمح له بدخول المؤتمر بالرغم من احتجاجه على هذا الموقف، وعدم وجود جواب مناسب. والدعوة لو كانت قد ألغيت لكان من المفروض على الجبهة أن تبلغ السيد محمد مهدي الحكيم بعد احتجاجه على هذا الموضوع بإلغاء هذه الدعوة.

٤- تقول الجبهة ومنهم (الدكتور حسن الترابي): إن السيد محمد مهدي الحكيم كان ضيفنا ونحن مقصرون في ضيافته. وفي اعتقادنا: أن الجبهة وقعت تحت ضغوط خارجية أجنبية أدت إلى أن يكون مجرى الأمور بهذا الشكل، وتحقيقات الحكومة السودانية أيضاً كما صرح المحقق بذلك أثبتت أن السيد محمد مهدي الحكيم كان موجوداً في قائمة المدعوين من قبل الجبهة السودانية.



القسم الثاني

علماء في الذاكرة

الإمام

السيد موسى الصدر



إن البحث حول الشخصيات التي لها دور التأسيس للوعي الإسلامي، والحركة الإسلامية، خصوصاً إذا كانوا من العلماء، من الأبحاث المهمة والمفيدة والنافعة.

والإمام السيد موسى الصدر<sup>(١)</sup> - كما يطلق عليه في لبنان - كان له دور تأسيس في وجود الوعي الإسلامي في لبنان، وما نشهده الآن في لبنان من وعي كبير، وإن أعطى انتصار الثورة الإسلامية في إيران زخماً كبيراً جداً له، لكن الإمام موسى الصدر له اليد الطولى فيه، ومن جاء بعده كان له دور في استمراره وتطويره.

ولا بدّ في مثل هذه البحوث من التحري عن المعلومة بصورة دقيقة من خلال أخذها من الأشخاص الموثوقين أولاً، ومن القريبين من ذات الشخصية ثانياً؛ ليكون البحث موضوعياً واقعياً وجاداً ونافعاً<sup>(٢)</sup>.

(١) السيد موسى ابن السيد صدر الدين ابن السيد اسماعيل الصدر. ولد في الخامس عشر من نيسان عام ١٩٢٨م بمدينة قم المقدسة في إيران، حيث تلقى في مدارسها الحديثة علومه الابتدائية والثانوية، كما تلقى دراساته الدينية في حوزتها العلمية. وتابع دراسته الجامعية في كلية الحقوق بجامعة طهران، وكانت عمته أول عمامة تدخل حرم هذه الجامعة، وحاز الإجازة في الاقتصاد. أتقن اللغتين العربية والفارسية، وأمّ باللغتين الفرنسية والانكليزية. انتقل إلى النجف الأشرف سنة ١٩٥٤؛ لإكمال دراسته الحوزوية، فحضر عند السيد محسن الحكيم، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والسيد أبي القاسم الخوئي. قدم إلى لبنان أواخر سنة ١٩٥٩م وأقام في مدينة صور، وكانت له في الجنوب اللبناني نشاطات اجتماعية وثقافية وسياسية واسعة، ففي ١٩٦٩/٥/٢٣م انتخب أول رئيس للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى. وبتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٥م وصل ليبيا يرافقه فضيلة الشيخ محمد يعقوب، والصحفي عباس بدر الدين في زيارة رسمية، وحلوا ضيوفاً على السلطة الليبية في فندق الشاطئ بطرابلس الغرب. وهناك اختطفته المخابرات الليبية وغيبته إلى الآن.

للتفاصيل انظر: <http://www.imam-moussa.com/sirah.htm>

(٢) تحدث شهيد المحراب عليه السلام عن الإمام السيد موسى الصدر عدة مرات منذ اختطافه وحتى سنة ٢٠٠٢م، سواء كان في احتفالات تقيمها حركة أمل في طهران بمناسبة اختطافه، أم في لقاءات صحفية.

## العلاقة الشخصية بالإمام الصدر

إن الإمام الصدر، هو أحد العلماء الصالحين، وقد عرفته عن كثب بعد أن عاصرته مدة من الزمن تمتد لحوالي العشرين عاماً، فعندما كان في النجف الأشرف كنت قريباً منه ومن حركته، وعندما استقر في لبنان<sup>(١)</sup> كنت أيضاً قريباً إلى حد كبير من حركته، وعلاقتي به وثيقة؛ لانتسابنا معاً إلى الحوزة العلمية، ولارتباطه بالمرجعية الدينية للإمام الحكيم عليه السلام، حيث كان وكيلاً شرعياً له في لبنان، ولارتباطي الوثيق جداً بالشهيد الصدر عليه السلام<sup>(٢)</sup>، مضافاً للعلاقة الرحمية بين زوجته (أم صدر الدين) وزوجتي، وللصداقة الخاصة التي كانت بينه وبين عمي أبي زوجتي<sup>(٣)</sup>؛ وهذا ما جعلنا نلتقي كثيراً في المناسبات، ونعرف عنه الكثير من الحركة، ومضافاً إلى كل هذا، اشتراكنا في الهموم العامة والآمال العريضة، الذي انعكس على واقعنا العملي، حيث كنا نتشاور كثيراً في مختلف القضايا والهموم العامة، ضمن دائرة ضمتني وإياه، مضافاً إلى الشهيد السيد الصدر (رضوان الله عليه)، والشهيد السيد محمد مهدي الحكيم، وكانت هناك مراسلات عديدة بيني وبينه حول ما يدور في

وقد قمنا بجمع ما تحدث به عليه السلام ودمجناه بعد حذف التكرار منه لتخرج هذه الدراسة بصيغتها المثبتة. وتحفظ مؤسسة تراث الشهيد الحكيم عليه السلام بنص الأحاديث كاملة بالصوت والصورة.

(١) وذلك في عام ١٩٥٩م.

(٢) حيث إنه ابن عم الإمام موسى الصدر، وارتباطي بالشهيد الصدر عليه السلام كان قبل زواجه من ابنة عمه. منه عليه السلام.

(٣) المرحوم آية الله الشيخ محيي الدين المامقاني.



لبنان والعراق، ومتابعتها ميدانياً.

واستمرت هذه العلاقة إلى الأيام الأخيرة، وآخر لقاء سمحت لي الظروف به معه كان عام ١٩٧٥م، حيث منعت السلطات الأمنية البعثية سفري خارج العراق بعد هذا التاريخ، وهو أيضاً لم تنهياً له فرصة المجيء إلى العراق، ولعل آخر جلسة معه كانت على ضفاف نهر الليطاني في بلدة (عرب صالحين) عام ١٩٧٥م، واشترك فيها بعض العلماء والوجهاء، فكان لقاءً اجتمعت فيه الكثير من الأبعاد الاجتماعية والإخوانية والعاطفية والوجدانية؛ ولذلك اعتبره أخاً عزيزاً وصديقاً، وأشعر أن فقدَه يشبه فقدي لإخوتي، الذين استشهدوا في سجون العراق ومعتقلاته.

## الإمام الصدر في لبنان

كان الإمام موسى الصدر علماً كبيراً من أعلام الإسلام، ومن أعلام التشيع بصورة خاصة، واجتازت شخصيته الحدود اللبنانية والإقليمية، وقد وجدت هذا الأمر في الكثير من المناطق التي زرتها من العالم الإسلامي، فمثلاً لاحظت: أن هناك اهتماماً خاصاً بشخصيته في المملكة العربية السعودية، ومن شخص الأمير عبد الله<sup>(١)</sup>، ولمست هذا الاهتمام أيضاً في الأوساط العلمية والسياسية في مصر، فضلاً عن الاهتمام بها في مناطقنا القريبة، كإيران، والعراق، وغيرها من المناطق ذات العلاقة بحركته المباركة. وقد عرف الشعب اللبناني شخصيته عن قرب، وأدركوا أهميتها، فالتفوا

(١) الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود. الملك السادس للمملكة العربية السعودية. اعتلى العرش الملكي

حولها، وتفاعلوا معها، وبالتالي أصبحت لها دور كبير في التاريخ اللبناني الحديث.

وقد ركّز الإمام الصدر عمله في لبنان على بناء الجماعة الصالحة، المتمثلة بشيعة أهل البيت عليهم السلام؛ لتتولى مسؤوليتها في العالم الإسلامي اقتداءً بما صنع أئمة أهل البيت عليهم السلام عندما اهتموا ببناء الجماعة الصالحة؛ لتتحمل مسؤولياتها الكبيرة تجاه الإسلام، وتجاه العالم الإسلامي.

فاهتم بأن يكون بناؤه قائماً على أسس رئيسة خمسة، وهي:

**الأساس الأول:** التعبئة الروحية والثقافية والسياسية لأتباع أهل البيت عليهم السلام، والتي تقوم على عدة خطوط رئيسة مهمة، وهي:

**الأول:** الانفتاح على الأوساط الشعبية العامة، والأوساط المثقفة، والرسمية في الساحة اللبنانية، والانفتاح على الأوساط الدينية للجماعة نفسها، كالعلماء والمراكز الدينية، وفي ذات الوقت الانفتاح على الطوائف الدينية الموجودة في لبنان، سواء المذاهب التي يعبر عنها هناك بـ(الطوائف)، أم الأديان الموجودة فيه.

**الثاني:** الاهتمام بالحركة الثقافية ذات البعد السياسي، فالإمام الصدر لم يكتفِ في حركته الثقافية المركزة بطرح الثقافة الإسلامية كثقافة، وإنما أعطاها البعد الاجتماعي السياسي، الذي هو البعد الصحيح في ثقافة أهل البيت عليهم السلام.

**الثالث:** تجاوز الأساليب التقليدية في الحركة بين الجماعة الصالحة، سواء في إنشاء الحوزات العلمية، أم في إنشاء المراكز الثقافية، أم المشاريع الاقتصادية، أم المشاريع الخدمية، التي يمكن أن تقدم خدمة للجماعة الصالحة، حيث حاول أن يراعي تطورات الأوضاع الاجتماعية وانعكاسها على الوسائل

والآليات.

الرابع: الاهتمام بوحدة الجماعة الصالحة، التي كانت تعاني آنذاك انقسامات كبيرة وكثيرة، فهناك انقسام الجنوب مع منطقة بعلبك، وهناك انقسام في العوائل الدينية والعلمية الموجودة في لبنان، مضافاً إلى وجود انقسام سياسي حقيقي بين أتباع أهل البيت عليهم السلام؛ لآزدحام منطقتهم بالأحزاب العلمانية، كالحزب الشيوعي، والبعث العراقي، والبعث السوري، والحزب القومي السوري، وجماعة الناصريين، وجماعة ليبيا، وغيرهم.

الخامس: الاهتمام باندماج جماعة أهل البيت عليهم السلام بالمجتمع اللبناني، وألا تكون منعزلة أو منفصلة عنه، بل تكون جزءاً منه، وتعيش ظروفه، حيث كان يهتم أيضاً بوحدة المجتمع اللبناني.

كما أراد لها في الوقت نفسه، أن تكون قادرة على التعايش مع محيطها الإقليمي، حيث كان يهتم في طرحه بوحدة الأمة الإسلامية، وبالمحيط الجغرافي السياسي للبنان.

وبهذا تمكن الإمام موسى الصدر من تعبئة الجماعة الصالحة روحياً وثقافياً وسياسياً.

الأساس الثاني: اتخاذ الإسلام إطاراً لحركته التعبوية دون باقي الأطر الأخرى، التي قد يتبعها الآخرون بصورة أو بأخرى. وأحد هذا الإطار في أمرين رئيسين:

الأول: الفكر الإسلامي الأصيل الذي كان يتحرك فيه الإمام موسى الصدر، فقد كانت له معاشة لتطورات الفكر الإسلامي في قم المقدسة أولاً، ثم تطورت المعاشة في النجف الأشرف، من خلال العلاقة الحميمة التي

تربطه بابن عمه الشهيد الصدر، وعلاقته الوطيدة مع آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين<sup>(١)</sup>، وغيرهم من علماء النجف الأشرف، الذين كانت لهم اهتمامات بالجوانب الفكرية والسياسية.

الثاني: الاهتمام بربط حركته التعبوية بالمرجعية الإسلامية الدينية العامة في النجف الأشرف، فقد كان ينسّق في كل خطواته بصورة مباشرة مع المرجعية الدينية العامة للإمام الحكيم عليه السلام، حيث لم يكد يخطو خطوة إلا بعد استشارتها والتنسيق معها، ومن ثم حافظ على الإطار الإسلامي والديني الأصيل لحركته السياسية والثقافية والاجتماعية، وهذا ما ميّز حركته عن بعض الحركات الإصلاحية وبعض المصلحين.

الأساس الثالث: المطالبة بالحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية المشروعة لجماعة أهل البيت عليهم السلام في لبنان، التي كانت تشكو من الحرمان الشديد منها. الأساس الرابع: وضع جماعة أهل البيت عليهم السلام أمام مسؤولياتها في تحملها للهموم العامة في العالم الإسلامي، والاهتمام بها، ويمكن الإشارة إلى ثلاثة عناوين في هذا المجال:

الأول: القضية الفلسطينية؛ باعتبار موقع لبنان المتاخم لفلسطين، وما يشكله أصل وجود الكيان الصهيوني من أخطار للعالم الإسلامي، وللأمة

(١) الشيخ مرتضى ابن الشيخ عبد الحسين آل ياسين الكاظمي. ولد عام ١٣١١هـ بمدينة الكاظمية المقدّسة، وفيها بدأ دراسته الأولية، ثم سافر إلى النجف الأشرف؛ لإكمالها على يد أكابر العلماء والفقهاء حتى نال درجة الاجتهاد وهو في عقده الثالث. له مؤلفات عديدة، منها: (تعليقة على العروة الوثقى)، و(تعليقة على بُلغة الراغبين)، و(البكاء على سيّد الشهداء). توفي عليه السلام في ذي القعدة عام ١٣٩٨هـ. للتفاصيل انظر: ماضي النجف وحاضرها ٣: ٥٣٤ - ٥٣٥.

العربية، ولبنان.

الثاني: الغزو الفكري الثقافي، حيث كان لبنان أحد المراكز، التي تؤشر بصورة واضحة إلى الغزو الفكري والثقافي، الذي يواجهه العالم الإسلامي، ولا سيما وجود التيارات الماركسية والقومية والليبرالية المتطرفة، التي كانت قائمة في لبنان، وتمثل تهديداً حقيقياً للعالم الإسلامي وقتذاك.

الثالث: قضايا التحرر في العالم الإسلامي، كحركة الإمام الخميني قدس سره في إيران، والقضايا التي كان يشهدها العراق - آنذاك - الذي كان يقف في موقع متقدم من قضايا التحرر في زمن مرجعية الإمام الحكيم قدس سره.

الاساس الخامس: بناء المؤسسات العامة الكبيرة، وأشير إلى مؤسستين رئيسيتين:

### المؤسسة الأولى: المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

يختص لبنان من بين كل بلاد العالم بخصوصية، وهي أن للطوائف الدينية والمذهبية الموجودة فيه أدواراً سياسية وثقافية ودينية بعنوانها الطائفي، ولها مؤسساتها الخاصة المعترف بها رسمياً لدى الحكومة اللبنانية، ويُعامل معها على أساس أنها تمثل طوائفها في الشؤون الدينية، وتقوم بالرعاية الدينية لها، باستثناء الطائفة الشيعية التي لم يكن لها مؤسسة آنذاك، بالرغم من أنها أكبر طائفة من الناحية العددية، والطائفة الثانية من الناحية الرسمية في التسلسل الرسمي اللبناني.

فمنطقة (جبل عامل) - مركز أتباع أهل البيت عليه السلام في لبنان - كانت تمثل الاستضعاف بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فهي مستضعفة اقتصادياً،

حيث كان أضعف أبناء لبنان هم أبناء هذه المنطقة؛ ولذلك هاجر أبناؤها إلى مختلف أرجاء العالم لكسب لقمة العيش.

ومستضعفة سياسياً، فأبناؤها يمثلون من حيث المواطن اللبناني الدرجة الرابعة أو الخامسة، ولا أبالغ في ذلك، كما أنها تزدحم بالأحزاب العلمانية بكل تطرفها، اليمينية واليسارية، وأحزاب الوسط، وكان يتعامل أنصارها بعنف مع أبناء هذه المنطقة، ومما زاد من استضعافها وقوعها على حدود الكيان الصهيوني. ومع كل هذا لم تكن لهذه الطائفة أي مؤسسة تدافع عن هذا الاستضعاف.

وعند تصدي الإمام موسى الصدر للعمل في لبنان اهتم بأن تكون الطائفة الشيعية كبقية الطوائف، لديها المؤسسة الدينية التي تقوم برعاية شؤونها، وتكون إلى جانب المؤسسات الدينية الأخرى الموجودة في لبنان، وتتعاون معها من أجل خدمة الشعب اللبناني بصورة عامة، والطائفة الإسلامية الشيعية بصورة خاصة.

ووقعت هذه الفكرة محل خلاف شديد؛ لخوف الأوساط العلمية الدينية هناك من أن يكون المجلس - المراد تأسيسه - على حساب مؤسسة المرجعية الدينية وبديلاً عنها؛ ولذلك قالوا بأن علماء الدين اللبنانيين، هم الذين يمكن أن يقوموا بهذا الدور، دون حاجة إلى وجود مثل هذه المؤسسة.

ولكن الإمام موسى الصدر، وجمهور أبناء الشعب اللبناني، وطبقة واسعة من العلماء الشباب كانوا يرون: أن هذه المؤسسة تمثل ضرورة مهمة في سدّ الفراغ والوفاء بالحاجات والمتطلبات للطائفة الشيعية في لبنان. وكنت حينها أقف إلى جانب الإمام الصدر في حلّ هذه المشكلات،

والوصول إلى نتائج معينة، وتمّ التنسيق مع مرجعية الإمام الحكيم قدس سرّه في هذا الموضوع، وعرض الأمر عليه، حيث كتب الرئيس (صبري حمادة) <sup>(١)</sup> رئيس مجلس النواب اللبناني - آنذاك - رسالة إلى الإمام الحكيم يستأذنه في الإقدام على تأسيس المجلس، فكان جوابه قدس سرّه إيجابياً، بل يؤكد فيه على ضرورة وجود هذه المؤسسة، وأن هذا العمل يعتبر من الأعمال المهمة والضرورية، والتي لا بدّ من القيام بها؛ لأنه قدس سرّه بما يحمل من فكر إصلاحية وتجديدي كان يرى: ضرورة وجود المؤسسات الإسلامية الرسمية، التي تقوم بمختلف المهام في الأوساط الاجتماعية العامة، بل سعى قدس سرّه إلى إيجاد مثل هذه المؤسسات في العراق، وباكستان، وإيران، وأفريقيا، وحتى في بعض مناطق الخليج؛ من أجل ملء الفراغات.

وبالتالي حُسم الأمر لصالح فكرة التأسيس بفضل موقف الإمام الحكيم، الذي انتهى إليه الأمر في حل المشكلة، كمرجع أعلى للشريعة يُرجع إليه في حلّ النزاع والاختلاف، ولولا موقفه لما تمكّن الإمام الصدر من أن يحقق النجاح في تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

ثم واجه المجلس بعد ذلك مشكلة حقيقية بعد استقالة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ سليمان اليحفوفي، الذي كان نائباً لرئيس المجلس، واشتركت أيضاً مع الإمام الصدر في إقناع آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، حيث اجتمعت به شخصياً في (كييفون)؛ لإقناعه بقبول النيابة.

ولذا أعتبر نفسي - وإن كنت لا أحمل الجنسية اللبنانية - أحد المساهمين الأساسيين في تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى؛ لعلاقتي بمرجعية

(١) صبري حمادة (١٩٠٢م - ١٩٧٦م)، سياسي لبناني، وهو أول رئيس مجلس نواب لبناني بعد الاستقلال.

المرحوم الإمام الحكيم قدس سره، الذي استشير على مستوى شعبي ورسمي في أصل تأسيسه، ولعلاقتي الشخصية بالإمام الصدر، حيث كان لهاتين العلاقتين دور في تأسيس المجلس وترتيب وجوده؛ ومن هنا أعتبر نفسي واحداً من أفرادها، واعتبر تلك المساهمة إحدى الأمور التي أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يؤجرني عليها.

و حين ضممني اجتماع مع الشيخ الهاشمي الرفسنجاني<sup>(١)</sup> في طهران بصحبة الأخ الشيخ محمد جعفر شمس الدين مبعوث الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وكان محوره أوضاع الشيعة في لبنان، ووضع المجلس، وحركة أمل بشكل عام.

قلت للشيخ الرفسنجاني: كان الهدف من تأسيس المجلس والحركة<sup>(٢)</sup> المتفرعة عنه، هو إنقاذ الطائفة الشيعية من الحالة الطائفية التي كانت تعيشها، ومن المتاجرات السياسية، التي كان يقوم بها بعض زعمائها آنذاك على أساس طائفي، فكانت فكرة المجلس محاولة لتخليص الطائفة من هذه الحالة الغريبة والانحرافية، وإرجاعها إلى أصالتها الإسلامية، وحملها لهموم الإسلام.

(١) الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني. ولد عام ١٩٣٤هـ في مدينة رفسنجان جنوب شرق إيران. درس العلوم الدينية منذ صباه وتدرج فيها بانتظام واستقامة ومواظبة ومثابرة حتى أكمل مرحلة السطوح العالية، ليحضر بعدها الدروس العالية، فحضر عند الإمام الخميني في قم المقدسة لصبح أحد أنصاره المقرين. حكم عليه بالسجن عدة مرات في فترة حكم شاه إيران. ثم بعد انتصار الثورة الإسلامية تولى مناصب حساسة ومهمة في نظام الجمهورية الإسلامية، منها: رئاسة مجلس الشورى لدورتين متتاليتين، ورئاسة إيران، ورئاسة مجلس تشخيص المصلحة، وغيرها. للتفاصيل انظر: <http://ns1.hashemirafsanjani.ir/ar>

(٢) أي: حركة أمل.



وبناءً على ذلك فأصل تأسيس المجلس ليس عملية سياسية فحسب، وإنما هي عملية إنقاذ للطائفة، التي أصبحت تدريجياً سلعة تباع وتشتري ويزايد عليها في سوق السياسة من قبل بعض الزعماء في لبنان.

وقلت له أيضاً: إني عشت ظروف التأسيس، ولكن لا أفسر لك الوضع من خلال معاشتي الشخصية للأحداث فحسب، بل إن مجيء الشيخ شمس الدين إلى نيابة المجلس كان على أساس: أن همّ الطائفة الشيعية الأصيل، هو حفظ الخط الإسلامي الأصيل، الذي ورثته عن رسول الله ﷺ، وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وأن همومنا الأساسية لتأسيس المجلس - مضافاً الى حفظ كيان الطائفة ووجودها ومصالحها - هو الدفاع عن المحرومين كقضية عامة، والدفاع عن الإسلام كقضية إسلامية، والدفاع عن كيان هذه الطائفة المستضعفة المحرومة كقضية طائفية ومحدودة في جهة معينة، وكل الأطروحات السياسية كانت إبرازاً للوجه الحقيقي لعملائنا.

## المؤسسة الثانية: مؤسسة أفواج المقاومة اللبنانية

إن أي جماعة لا يمكن أن تحقق أهدافها وأغراضها ما لم تكن قادرة على استخدام القوة في الوقت المناسب لتحقيق ذلك، وهذا ما دفع الإمام السيد موسى الصدر باتجاه تأسيس أفواج المقاومة اللبنانية، المسماة بـ(أمل)<sup>(١)</sup> لحفظ

(١) القى الإمام السيد موسى الصدر خطاباً بمناسبة ذكرى عاشوراء بتاريخ ١٩٧٥/١/٢٢م دعا فيه اللبنانيين الى تشكيل مقاومة لبنانية تتصدى للاعتداءات الإسرائيلية على أراضيهم، وفي مؤتمر صحفي عقده بتاريخ ١٩٧٥/٧/٦م أعلن سماحته ولادة أفواج المقاومة اللبنانية (أمل). للتفاصيل انظر:

أتباع أهل البيت عليهم السلام وأراضيهم من العدوان المتواصل عليهم. فالعدو الصهيوني كان يرى: أن أضعف منطقة على الإطلاق تجاوره هي الحدود اللبنانية، فمصر لكونها من أكبر الدول العربية، وتمتلك أيضاً أكبر قوة عسكرية كان يخاف منها، ويخاف كذلك من سوريا؛ لقوة جيشها وطبيعة أراضيها وتضاريسها، ويخشى من الحدود الأردنية أيضاً؛ لكونها متداخلة مع الحدود الفلسطينية بشكل كبير.

أما المنطقة الحدودية من لبنان، فهي منطقة ضعيفة، يسكنها شعب مستضعف مقهور، ومن ناحية أخرى كان لبنان دولة ضعيفة ممزقة لا قدرة لها على المقاومة، وجيشها طائفي لا يعنيه ما يدور على جبهته مع إسرائيل، بل كان - بصورة عامة - جيشاً حليفاً للصهيونية أكثر منه حليفاً إلى المسلمين والدفاع عنهم. ومن ناحية ثالثة أن الحدود اللبنانية المتاخمة لفلسطين فيها عدد كبير من القرى المسيحية، التي تأسس جيش لبنان الجنوبي من أهلها، وهذا ما جعل الشريط الحدودي يخترقه الكيان الصهيوني باستمرار للعدوان على المنطقة وعلى الفلسطينيين، الذين استضافهم أبناء الشيعة في جبل عامل إلى حدٍ أصبحوا هم أصحاب المنزل والمكان، ويشكلون الأكثرية، وامتلكوا القدرة والسلطة فيه، حتى صار مركزاً لكثير من المنظمات الفلسطينية، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية، التي كان مركزها أولاً في القدس الشرقية، ثم صار في الأردن، ثم انتقل إلى لبنان بعد أحداث أيلول<sup>(١)</sup> الدامية؛ لما وجد

(١) أحداث أيلول، هو الاسم الذي يشار به إلى المعارك الطاحنة التي وقعت بين الجيش الأردني والمنظمات الفلسطينية القاطنة في الأردن، وذلك في أيلول عام ١٩٧٠م، والتي انتهت بإخراج المنظمات من الأردن.

الفلسطينيون من ترحيب بهم من أبناء الشيعة فيه، في الوقت الذي أخرجهم الأردنيون بالقوة، ولم يقبلهم السوريون، ولا المصريون، ولا أي جهة أخرى. ومع ذلك واجهت أيضاً فكرة التنظيم المسلح في الأوساط الشيعية مشكلات عديدة، منها: الأفكار العامة في الثقافة الشيعية، التي كانت تدعو إلى الانعزال والإبء عن الدخول في النزاعات والمعارك المسلحة، ولكن مع ذلك تغلب الإمام الصدر على المشكلات، واستطاع أن ينجز ما خطط له.

## علاقة الإمام الصدر بالمرجعية الدينية

امتاز الإمام السيد موسى الصدر ببناء علاقة وثيقة بالحوزة العلمية والمرجعية الدينية، حيث كان يحاول أن يحفظ علاقته بمختلف مراجع الدين الموجودين في زمانه، وحتى أولئك الذين يختلف معهم في أساليب العمل، أو في تشخيص وتحديد المواقف، أو في فهم الحوادث، انطلاقاً من فهمه لموقع المرجعية الدينية التي تمثل النيابة العامة، وما يترتب عليه من اهتمام كبير وتبجيل واحترام لموقعها.

وقد ارتبط بالإمام الحكيم قدس سره بعلاقة وثيقة انعكست على المواقف العملية لهما معاً، فالإمام الحكيم قدس سره كان له دور مهم بإسناده في تأسيس المجلس الشيعي الأعلى، بعد المعارضة القوية من قبل بعض العلماء في لبنان، فضلاً عن المعارضة القوية من القوى السياسية المتنفذة فيه، وفي الوسط الشيعي أيضاً، فلم يكن أمام الإمام موسى الصدر في مواجهة هذه المعارضة إلا اللجوء للإمام الحكيم قدس سره، الذي أيد الفكرة بقوة، وبالتالي أخذت طريقها إلى مجلس النواب لتقنينها وتشريعها.

وعندما قامت حكومة البعث بمحاصرة الإمام الحكيم عليه السلام في أيامه الأخيرة، كان للإمام موسى الصدر دور كبير جداً في الدفاع عن مرجعية النجف الأشرف وعن الإمام الحكيم عليه السلام.

كما كان للشهيد الصدر (رضوان الله عليه) دور أيضاً، حيث سافر حينها إلى لبنان للقيام بدور إعلامي كبير وسياسي واسع في الضغط على الحكومة العراقية لفك الحصار، وأثمر الضغط عن تصرف منفعل للحكومة، حيث أصدرت أمراً بخروج العراقيين المتواجدين في لبنان بأعداد كبيرة - كسائحين ومصطافين - من لبنان في فترة اثنين وسبعين ساعة<sup>(١)</sup>، وكان يقود هذه الحملة الإعلامية السيد موسى الصدر علناً، والشهيد الصدر عليه السلام يساعده في الخفاء، حيث يذكر لي الشهيد الصدر في رسالة مفصلة بعثها لي من لبنان هذه الفعاليات والمباحثات التي جرت هناك، ومواقف الأشخاص الذين كان بعضهم متردداً، وبعضهم معارضاً، وبعضهم مؤيداً، ويذكر أيضاً دور السيد موسى الصدر في ذلك، الذي كان يقف المواقف ذات الطابع الإسلامي العام؛ امتثالاً للواجب الشرعي المفروض على كل القادة المسلمين، فهو - الإمام الصدر - عندما يقف موقف يقفه من موقع الإنسان القادر على التخطيط، وعلى اتخاذ المواقف الحازمة، وتنفيذ ما يتخذه من قرارات، وثمة رسائل متبادلة بيني وبينه بالنسبة إلى هذه الأزمة أحتفظ ببعضها إلى الآن.

وهكذا عندما قرر الإمام الحكيم السفر إلى الحج<sup>(٢)</sup> كان للإمام موسى

(١) انظر: الإمام الحكيم، عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي ٢: ١٨٤.

(٢) كانت السفرة الأولى والأخيرة للإمام الحكيم عليه السلام إلى بيت الله الحرام في موسم حج عام ١٣٨٧ هـ. ١٩٦٨ م في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف.

الصدر دور كبير جداً في إبراز هذه القضية كحدث مهم، وألقى محاضرة في ندوة كبيرة جداً في بيروت؛ لإبراز هذا الموضوع؛ لأنه لأول مرة يسافر إلى الحج مرجع دين عام بهذا العنوان، أي: بعنوان (مرجع الشيعة). وهكذا التنسيق كان مستمراً بينهما، ففي كل سنة كان يأتي الإمام موسى الصدر إلى النجف الأشرف وينسق حول المشاريع والأعمال التي يقوم بها؛ ولذلك كانت علاقته علاقة جيدة بالمرجعية بصورة عامة، وبالإمام الحكيم بصورة خاصة.

### التشويش المقصود

ولكن مع كل ذلك تعرض السيد موسى الصدر - وهو أحد العلماء الصالحين - إلى حملة تشويه واسعة من قبل المنافقين أو الذين وقعوا تحت تأثيرهم، فأخذوا يُشيعون حوله كلمات كثيرة، كمصافحته للنساء أو تناوله لبعض اللحوم المحرمة أو بعض الأشربة المحظورة، وغير ذلك من الأحاديث.

وقد تحدّث بعض المؤمنين الصالحين مع الإمام الصدر في هذا الأمر، وأخبره: بأن ثمة أحاديث كثيرة تدور حولك في هذا المجال، وبعضهم ينسب لك أنك تقول: إنك تصافح النساء أحياناً اعتماداً على قاعدة الاضطراب<sup>(١)</sup> أو الحرج<sup>(٢)</sup>. وهكذا بالنسبة إلى بعض الأمور الأخرى.

(١) قاعدة فقهية، معناها: «الاضطراب يرفع التكليف إجمالاً، فيستباح به الحرم، ويترك به الواجب». الموسوعة الفقهية الميسرة ٣: ٤٣٩.

(٢) قاعدة فقهية، معناها: «نفي الحكم الموجب للعسر والحرج، وعليه كل حكم كان موجبا للعسر أو

فأجابه الإمام موسى الصدر: إن مسألة وجود حرج أمر صحيح، فأحيانا أدخل بعض المجالس المختلطة بين النساء والرجال، والحضور فيها أناس غير ملتزمين بالحكم الشرعي، بل لا يعرفون الأحكام الشرعية، يفترضون عدم مصافحتي للنساء إهانة للطرف الآخر، وعدواناً عليه، بحيث يتشجع المجلس بأكمله ويتوتر الوضع فيه، وأشعر أحيانا: بعدم وجود أي فائدة من حضوري هذا نتيجة التوتر.

ولكن مع ذلك ما كنت أرتكب مثل هذه المخالفات؛ لأنه لو كان الذي يرتكب مثل هذه المخالفة في مثل هذا الحرج إنساناً عادياً فقد يجوز له ذلك؛ لأن هذه القضية تمر بشكل عادي ولا يُلتفت إليها، لكن عندما يقوم بهذا العمل شخص مثلي، فالناس يفترضون: أن هذا العمل جائز أصلاً؛ لأنهم شاهدوا عالم دين يصافح النساء، ولا يلتفتون إلى قاعدة الحرج المطبقة في هذا المورد.

وأنا من أجل بيان أن هذا الأمر غير جائز، أتحمّل هذا القدر من الحرج، والأذى؛ لأن قضية بيان الحكم الشرعي أحيانا تكون واجبة وضرورية، بحيث هي أكبر وأهم من أي ضرورة أخرى.

إن هذه الواقعة تكشف عن حجم الإشاعات التي تعرض لها الإمام موسى الصدر، إذ حاولوا أن يسقطوا شخصيته من خلالها، مضافاً إلى قيامهم بمؤامرات كثيرة ضده يطول الحديث عنها.

## دوافع تغييب الإمام موسى الصدر

أعتقد: أن أحد الأسباب المهمة التي كانت وراء تغييب الإمام موسى الصدر تحديداً، هو شخصيته السياسية، ووضعه الحوزوي، ونجاح الثورة الإسلامية في إيران؛ لأنه كان بعيون الكثيرين هو المرشح الأول الذي لا نظير له في تولي رئاسة الجمهورية فيها؛ لانتسابه إلى إيران، ولعلاقاته المتميزة بثورتها الإسلامية ورجالها، حيث تتلمذ عند الإمام الخميني قدس سره، وكان معجباً بشخصيته، ودوره في تربية الطلبة، وبعث الروح الثورية والوعي الإسلامي في أوساط الحوزة العلمية، ولا سيما أوساط الشباب من أمثاله حين كان في النجف الأشرف.

كما كان الإمام موسى الصدر والشهيد بهشتي رفقاء درب منذ بداية الحركة الثورية في إيران.

وهكذا علاقته الوثيقة والحميمة بالمرحوم الشهيد جمران<sup>(١)</sup>، الذي كان له دور في تدريب المقاومة الثورية في إيران، وأوكل له الإمام موسى الصدر

(١) مصطفى جمران. ولد في مدينة قم المقدسة عام ١٩٣٣م. تلقى دراسته الأكاديمية في طهران، وتخرج من كلية الهندسة سنة ١٩٥٦م، ثم زاول مهنة التدريس في الكلية بعد تخرجه لسنة واحدة. سافر إلى أميركا عام ١٩٥٧م ونال شهادة الدكتوراه في الالكتروميكانيك وفيزياء البلازما بدرجة (ممتاز) من جامعة كاليفورنيا، وفيها شارك بتأسيس الإتحاد الإسلامي للطلبة الإيرانيين، ثم سافر إلى لبنان وشارك الإمام موسى الصدر في تأسيس حركة المحرومين، والجنح العسكري لها، وبعد سقوط نظام الشاه تقلد جمران منصب وزير الدفاع، وقائد الحرس الثوري، وصار عضواً في مجلس الشورى عن منطقة طهران. استشهد عام ١٩٨١م في جبهة الحرب العراقية الإيرانية. للتفاصيل انظر:

إحدى مؤسساته المهمة، الأمر الذي أثار حفيظة حكومة الشاه وقتها ضده؛ لكون جمران معروفاً بمناهضته للشاه ونظامه، وأثار حفيظة الكثير ممن كان لا يعجبه هذا الأمر.

وهكذا تصديه لإقامة الفاتحة في لبنان على روح المرحوم علي شريعتي<sup>(١)</sup>، الأمر الذي ترك أثراً سلبياً في نفوس بعض الذين يرون في علي شريعتي إنساناً منحرفاً، ولكن الإمام موسى الصدر احتفى به من زاوية أنه رجل يعبى الشباب والأمة في مواجهة النظام الشاهنشاهي، ولم يكن احتفاؤه به منطلقاً من الاحتفاء بأفكاره، فلغة الأفكار لها مجال آخر.

إن كل هذه الأمور وغيرها دفعت باتجاه اختطاف الإمام موسى الصدر وتغييبه وحرمان الشعب الإيراني المسلم من خدماته، فلو كانت هذه الشخصية موجودة على الساحة الإسلامية الشيعية لأصبحت مركزاً مهماً جداً للتعريف بالثورة الإسلامية ومبادئها وربطها بالعالم الغربي، وكان يمكن للكثير من الحوادث التي وقعت للثورة الإسلامية أن تتجنبها من خلال شخصيته، وطريقته في التفكير والعمل.

## أبعاد تغييب الإمام موسى الصدر

إن قضية اختطاف وتغييب الإمام موسى الصدر فيها بُعدان مهمان:

(١) علي بن محمد تقي الشريعتي. ولد في مدينة سبزوار الإيرانية عام ١٣٥٢هـ، وهاجر مع والده إلى طهران، وتعلم في مدارسها وجامعاتها، ثم سافر إلى فرنسا وتخرج من جامعة السوربون في العلوم الإنسانية، ثم عاد إلى طهران وزاول النشاط السياسي، فاتخذ حسينية الإرشاد في طهران مقراً لخطبه الثورية، وعلى أثر ذلك تم اعتقاله وتعذيبه، ثم هاجر إلى بريطانيا وفيها توفي عام ١٣٩٨هـ. للتفاصيل انظر: فهرس التراث ٢: ٥٦٣.



أحدها: يرتبط بشخصيته وأهميتها، فمن خلال معرفتي الشخصية بالسيد الإمام موسى الصدر، يمكن أن أقول: إن غيابه خسارة كبيرة على مستوى التحرك الإسلامي العالمي؛ لأن توجهاته لم تكن محلية أو إقليمية؛ فغيابه بالإضافة إلى أنه يمثل فقدان قائد كبير بالنسبة للشعب اللبناني المحروم، يمثل بحسب الحقيقة أيضاً فقدان قائد كبير بالنسبة للحركة الإسلامية العالمية وابتعاده عنها، ومن هذه الناحية يمثل خسارة كبيرة.

والآخر: يرتبط بالحالة العامة للمخطوفين، ففي العالم الإسلامي، وبالخصوص العراق، هناك مجموعة من العلماء الكبار المفقودين، مضافاً إلى أولئك الذين تعرضوا للقتل بطريقة وحشية، ولكن مع ذلك لا يتم الاهتمام المطلوب بهذا الجانب، ففي عالمنا الشيعي والإسلامي وحتى المجتمع الدولي، تمر الأحداث والقضايا مع وجود هذا النوع من الاستبداد والطغيان والإنتهاك للحرمان بدون مساءلة، وبدون تعقيب واهتمام، فشخصية بأهمية الإمام الصدر، التي ينتسب إليها طائفة كبيرة جداً من الناس - سواء كان انتساباً سياسياً، أم ثقافياً، أم روحياً ومعنوياً - يجري اختطافها، ثم لا يكون هناك إلا المجاملات والملاحظات السياسية!!

ففي العراق واجهنا مثل الحالة التي واجهها الإمام الصدر، وإن كانت الشخصيات التي تعرضت للاختطاف والتغيب قد تتفاوت بشكل أو بآخر عن شخصية الإمام موسى الصدر، ولم نجد تحركاً جدياً لا على مستوى المنظمات الدولية، ولا على المستوى الرسمي للدول، ولا حتى على المستوى الشعبي للشعوب الإسلامية.

فالآن في العراق<sup>(١)</sup> يوجد عدد كبير جداً من الشخصيات الكبيرة، التي فقدت في ظروف شبيهة بظروف اختفاء الإمام موسى الصدر، ولا يوجد أيّ خبر عنها، بالرغم من بذلنا الجهود الكبيرة جداً - سواء داخل العراق، أم خارجه - للتعرف على حقيقة مصيرهم، لكن لم نصل إلى نتيجة معينة إلى الآن.

ففي عائلة الإمام الحكيم عليه السلام هناك الكثير ممن تعرضوا إلى الاختطاف، ولا نعرف إلى الآن أي مصير لهم<sup>(٢)</sup>، وبعضهم فقد منذ حوالي واحد وعشرين عاماً، وبعضهم في سنوات متأخرة، كأخي الكبير العلامة السيد محمد رضا الحكيم، الذي اختطف منذ ثلاثة عشر عاماً. وهكذا أسرة آل بحر العلوم، الأسرة العلمية المعروفة في العالم الشيعي

(١) الكلمة كانت قبل سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣م واكتشاف عشرات المقابر الجماعية في طول البلاد وعرضها.

(٢) وهم: السيد محمد رضا السيد محسن الحكيم، السيد مرتضى السيد محمد علي الحكيم، السيد أحمد السيد مرتضى الحكيم، السيد عباس السيد مرتضى الحكيم، السيد علي السيد سعيد الحكيم، السيد سعيد السيد حسن الحكيم، السيد علي السيد حسن الحكيم، السيد محمد حسن السيد محمد علي الحكيم، السيد حسن السيد محسن الحكيم، السيد علي السيد عبود الحكيم، السيد هاشم السيد محسن الحكيم، السيد محمد علي السيد صالح الحكيم، السيد محمد رضا السيد صالح الحكيم، السيد يحيى السيد حسن الحكيم، السيد عبد الأمير السيد حسن الحكيم، السيد أحمد السيد محمد جعفر الحكيم، السيد حسن السيد محمد جعفر الحكيم، السيد غياث السيد جاسم الحكيم، السيد علي السيد يوسف الحكيم، السيد مهدي السيد باقر الحكيم، السيد مجيد السيد مهدي الحكيم، السيد حميد السيد مهدي الحكيم، العلوية فاطمة السيد حسن الحكيم.

وقد تبين بعد سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣م أن كل هؤلاء قد تمّ إعدامهم ودفنوا في مقابر جماعية. وهؤلاء هم غير الستة عشر شخص الذين أعدمهم النظام عام ١٩٨٣م، وعام ١٩٨٥م.

والإسلامي، التي فُقدَ منها شخصيات كثيرة<sup>(١)</sup>، وكان بعضها من المجتهدين، ولم يعرف عنهم أيّ خبر حتى الآن.

وهكذا عائلة صاحب الجواهر، التي اختطف منها آية الله الشيخ محمد تقي الجواهري<sup>(٢)</sup> بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بعدة أشهر، أي: قبل ثلاثة وعشرين عاماً، ولم يعرف عنه شيء، وهو شخصية علمية كبيرة جداً، ومن مدرسي الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وهناك نماذج كثيرة جداً من هذه الحالة، فهناك حوالي خمسين شخصية من كبار المجتهدين في النجف الأشرف، وبعضهم كان مرشحاً أن يكون من المراجع الكبار، فقدوا ولا يعرف عن مصيرهم أي شيء، مع أن بعضهم من حملة الجنسية الإيرانية، ولكن العالم صامت لا يتحدث عنها، لا في إيران ولا في غيرها.

(١) السيد جعفر السيد موسى بحر العلوم، السيد حسن السيد موسى بحر العلوم، السيد محمد حسين السيد موسى بحر العلوم، السيد محمد رضا السيد موسى بحر العلوم، السيد علاء الدين السيد علي بحر العلوم، السيد عزّ الدين السيد علي بحر العلوم، السيد محمد أمين السيد علاء الدين بحر العلوم، السيد أحمد السيد جعفر بحر العلوم، السيد محمد جواد السيد جعفر بحر العلوم، السيد محمد السيد حسن بحر العلوم، السيد محمد حسين بحر العلوم، السيد محمد السيد عبود بحر العلوم، السيد عمار السيد عبود بحر العلوم. وقد تبيّن بعد سقوط النظام البعثي عام ٢٠٠٣م أن كل هؤلاء قد تمّ إعدامهم ودفنوا في مقابر جماعية.

(٢) «سماحة الشهيد الفقيه الكبير الوالد المعظم آية الله الشيخ محمد تقي الجواهري، الذي كنّا نعتقد باحتجازه من قبل السلطة الغاشمة المتسلطة على العراق، ولكن ما أن سقط النظام الديكتاتوري المتجبرّ والمسلّط على رقاب الأمة إلّا وقد تبيّن استشهاده في أول أيام اعتقاله (رضوان الله تعالى عليه) لا شيء؛ إلّا لأنه يحمل فكراً مخالفاً لفكر السلطة الغاشمة كان يصرّح به، كما يصرّح بعدم جواز التعاون مع ذلك الفكر المنحرف، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين». بحوث في الفقه المعاصر ٤: ٦.

وفي مرة واحدة قبل الحرب المفروضة على الجمهورية الإسلامية في إيران اعتقل النظام العراقي حوالي خمسة آلاف شاب عراقي ينتسبون إلى عوائل أصولها إيرانية، تتراوح أعمارهم ما بين ثمانية عشر إلى ثمانية وعشرين سنة، ولم يعرف شيء عن مصيرهم حتى الآن، والمجتمع الشيعي والإسلامي والدولي صامت لا يحرك ساكناً، وقد استطعنا بجهودنا الحثيثة وإمكانياتنا المتواضعة المحدودة أن نوثق في الأمم المتحدة حوالي ثلاثة آلاف شخص من هؤلاء بشكل رسمي.

إن هذه الظاهرة التي أعبر عنها بـ(ظاهرة المفقودين)، خطيرة جداً على المجتمع البشري، وعلى المجتمعات الإسلامية، والشيعية، ولا سيما وأن العراق الآن يعتبر أكبر بلد في العالم في عدد المفقودين لدى الأمم المتحدة، وتحتاج إلى اهتمام كبير جداً؛ ولذلك أعتقد: أن الاهتمام بقضية الإمام موسى الصدر لا بد أن يقترن بالاهتمام بكل الحالات المتقدمة، فعندما تطرح قضية الإمام موسى الصدر بحجمها الكبيرة، وبما يتناسب مع شخصيته الكبيرة المعروفة عالمياً فلا شك سيكون لها تأثير أيضاً على الحالات المماثلة لها.

وأعتقد: لا بد أن تصبح هذه القضية وأمثالها من القضايا ذات العلاقة بفقد هؤلاء الأفاضل، من القضايا المطروحة من قبل الجمهورية الإسلامية في إيران - وهي الآن في أوج عزتها - في الأوساط السياسية المحلية والإقليمية والعالمية؛ لتظهر على أقل تقدير مظلومية شيعة أهل البيت عليهم السلام، ومظلومية علمائهم، فهذه الطروحات ذات الأبعاد المختلفة من القضايا المهمة التي تتميز بها شخصية الدول والمؤسسات السياسية التي تعترّ بنفسها.

## المتابعة الشخصية للاختفاء

لقد تابعت شخصياً قضية اختفاء الإمام موسى الصدر، فمنذ أن وصلت إيران طرحت الموضوع على المسؤولين فيها، وطرحت على الليبيين أيضاً الذين كانوا يجرون - في بداية مجيئي إلى إيران - اتصالات معنا، وكان موضوع الاختفاء أحد الأمور المهمة التي منعت من تطوير العلاقة مع ليبيا، كما أني رفضت عدة دعوات قدمت لي لزيارتها بسبب هذه القضية.

كما تابعت الأمر مع بعض اللبنانيين، كالشيخ عبد المنعم الزين<sup>(١)</sup>، الذي كان مهتماً بهذه القضية بصورة خاصة، وقد شرح لي عدة مرات الجهود التي بذلها للتعرف على مصير الإمام موسى الصدر، والوساطات التي دخل فيها. وكان هناك حديث عن وجوده في منطقة معينة تقع في الصحراء الليبية المجاورة إلى دولة تشاد، ولكن بعد المتابعة الجادة، والتدقيق في التفاصيل التي كان ينقلها لي بعض العلماء اللبنانيين لم يتبين لدي شخصياً صحة هذه المعلومات، لكن بقيت هذه المعلومات أيضاً في دائرة الشك، ولكن كلما تمر الأيام - بطبيعة الحال - يضعف هذا الاحتمال.

والمشكلة التي كنا نواجهها في هذه القضية وأمثالها، هو أن الناس بالتدرج يقطعون الأمل ويأسون من النتائج، وعندما ينقطع الأمل تكون حركة الإنسان محدودة.

ثم عندما كان الحديث في فترة ما يدور حول دفع فدية عن الإمام موسى الصدر، حيث كان بعض اللذين يتوسطون بشأن هذه القضية يقولون: إذا

(١) وهو صديقي، ودرس عندنا في النجف الأشرف. منه ذات.

توفرت لدينا أموال ندفعها كفدية أو رشوة، وعن طريقها يمكن إطلاق الإمام موسى الصدر.  
قلت لهم: إني مستعد شخصياً أن أتحمّل هذه الأموال، وأقوم بجمعها إذا صار عندكم وضوح بنجاعة هذا الحل.

# الوثائق

وثيقة رقم (١)

FROM BOLPVEGHNI, DOH-IRAN 3.19.1991 2141

بيان مرجع الشيعة سماحة آية الله المظفر السيد الكلبايكاني مدظله  
بمناسبة أحداث العراق  
ببسم الله الرحمن الرحيم  
مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام

إن الأحداث المؤلمة التي وقعت على شعب العراق المسلم، والمعائب التي نزلت به، وحملة  
الجنّة البعثيين عليه، قد شكّلت صفحة سوداء أخرى من جرائم معاد الخائن .

إن حاكم العراق بعد مرحلة إظهاره الشبّهة و تنقله بأنواع الحماسة وإعماله تحفيزات قادة  
المسلمين بهذه الحرب التي أظنّ هو الدريعة والنبر للجناب لإشغالها، وبعد أن انهزم فيها شرّ هزيمة  
وفرض على شعبي العراق والكوييت عنائرفاحنة و ارتكب بحقها جرائم لا تحصى لأنّ عند ما رأى أنه انهزم  
واستلم الأتجايب . و رأى أن جميع الشرق أمانه عانت مغلظة . قام بتوجيه حملته بدون رحمة ضدّ شعب  
العراق الناهض . وادفع بأحد اسفاهه من هذا الشعب المظلوم الذي يصل طول سدة أنواع البلايا والمعائب .  
إنه لا يمكن للأغاة والكلمات أن تشرح الجرائم والمعائب التي سبّت على شعب العراق المسلم  
وحسب الأختبار الواعلة أخيراً فإنّ هذا الحاكم الذي لا يحترم أيّاً من الأصول الدينية ولا الأثراف السوية  
قد وصلت وقاحته إلى حدّ أن هاجم مدينة الأشراف وكربلاء المقدّسة وفتح النار على سكانها الأثرياء  
العزّل، ثم تجاسر على حرم سيّد الشهداء أئمة الأئمة الإمام الحسن سلام الله عليه وأخيه المعظّم  
أبي الفضل العبّاس رضوان الله عليه و تعدى على حريتهما . بل تعدى بذلك على حرمة الإسلام والنبي الأكرم  
سلى الله عليه وآله وسلّم . و حرمة جميع المسلمين في العالم .

إنّ الحوزة العلمية بقم المقدّسة تقدم تعازيها بهذه المصيبة العظمى إلى مقام سيّدنا سيّدنا  
أرواح العالمين له الفداء . و إلى العلماء الأعلام والحوزات العلمية عامة الحوزة العلمية في النجف الأشرف .  
و إلى كافة مسلمي العالم .

ومن العجب سكوت الهيئة الدولية أمام هذه الجرائم التي يرتكبها النظام البعثي العراقي بحق  
شعبه الذي يتطالب بحريته واستقلاله واستعادة حقوقه .

فالعلماء الأعلام والخطباء الأئمّة . ليعلموا بالمصيرين والامة الإسلامية في هذا اليوم المبارك  
أنّ يحتلوا سطوحهم على جريمة اهانة العتبات المقدّسة وقتل المسلمين . واستمرار سياسة الظلم  
البعث . وحقن الدفوات الأجنبية في المسألة . وأنّ لا يتسروا في تقديم أيّ مساعدات يمتدّون بها إلى إخوانهم المسلمين في العراق .  
نسأل الله تعالى أن يفتح على المسلمين وينصر الإسلام ويبرئ أمة الله منه . إنه سميع مجيب .

محمد رضا الموسوي الكلبايكاني  
٣٥ شعبان المعظم ١٤١١



بيان مرجع الشيعة سماحة آية الله العظمى السيد الكليبايگانی مد ظله

بمناسبة أحداث العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في الإسلام

إن الأحداث المؤلمة التي وقعت على شعب العراق المسلم، والمصائب التي نزلت به، وهجمة الجناة البعثيين عليه، قد سجلت صفحة سوداء أخرى من جرائم صدام الخائن.

إن حاكم العراق بعد مرحلة إظهاره الشجاعة وتغنيه بأنواع الحماسة وإهماله تحذيرات قادة المسلمين بهذه الحرب التي أعطى هو الذريعة والمبرر للأجانب لإشغالها، وبعد أن انهزم فيها شر هزيمة وفرض على شعبي العراق والكويت خسائر فادحة وارتكب بحقهما جرائم لا تحصى، الآن عند ما رأى أنه انهزم واستسلم للأجانب، ورأى أن جميع الطرق أمامه صارت مغلقة قام بتوجيه حملته بدون رحمة ضد شعب العراق الناهض، واندفع يأخذ انتقامه من هذا الشعب المظلوم الذي تحمل طوال حكمه أنواع البلايا والمصائب.

إنه لا يمكن للألفاظ والكلمات أن تشرح الجرائم والمصائب التي صبت على شعب العراق المسلم، وحسب الأخبار الواصلة أخيراً فإن هذا الحاكم الذي لا يحترم أياً من الأصول الدينية ولا أعراف الدولية قد وصلت وقاحته إلى حد أن هاجم مدينتي النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وفتح النار على سكانها الأبرياء العزل، ثم تجاسر على حرم سيد الشهداء أبي الأحرار الإمام الحسين سلام الله عليه وأخيه المعظم أبي الفضل العباس رضوان الله عليه وتعدى على حرمتها، بل تعدى بذلك على حرمة الإسلام والنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وحرمة جميع المسلمين في العالم.

إن الحوزة العلمية بقم المقدسة تقدم تعازيها بهذه المصيبة العظمى إلى مقام حضرة بقية الله الأعظم أرواح العالمين له الفداء، وإلى العلماء الأعلام والحوزات العلمية خاصة الحوزة العملية في النجف الأشرف، وإلى كافة مسلمي العالم.

ومن العجيب سكوت الهيئة الدولية أمام هذه الجرائم التي يرتكبها النظام البعثي العراقي بحق شعبه الذي يطالب بحريته واستقلاله وحقوقه المشروعة.

فالمأمول من العلماء الأعلام الأعزاء الوعاظ المحترمين والأمة الإسلامية في هذا الشهر المبارك أن يعلنوا سخطهم على جريمة إهانة العتبات المقدسة وقتل المسلمين، واستمرار سياسة الظلم البعثي، وحضور القوات الأجنبية في المنطقة، وأن لا يقصروا في تقديم أي مساعدة ممكنة إلى إخوانهم المسلمين في العراق.

نسأل الله تعالى أن يفتح على المسلمين وينصر الإسلام ويبيد أعداءه، إنه سميع مجيب.

محمد رضا الموسوي الكليبايگانی

وثيقة رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم


الحمد لله رب العالمين وبه نستعين وبما آتاه الله من نعمه وأتمم الطاهرين.. وبعد  
 فإننا البسالة نمر في هذه الأيام بمرحلة عصبية تحتاج فيها إلى حفظ النظام وأستنباب  
 الأمن والاستقرار والأشرف على الأوسر المله والشؤون الدينية والاجتماعية  
 تحاشياً من خروج المفصل العامة عن الإدارة السليمة إلى التسيب والضياع  
 من أجل ذلك نختار من المساهمة العامة للمصالح تقتضي منا تعيين لجنة عليا تقوم  
 بالأشرف على إدارة شؤونها بحيث يمثل رأياً رائداً وما يصدر عنها يصدورها  
 وقد اقتربنا من ذلك لجنة من اصحاب المفصلة الصفا المذكورة استأزم أربناء  
 من يعتمد على كفايتهم وحسن تدبيرهم فعلمنا اننا لنا المزمع انباصهم ولطاعتهم  
 والذميصاع الى أوامرهم وأرشاداتهم ومساعدتهم في إنجاز صفة المهمة. نشال الله  
 عز وجل ان يوفقهم لإداء الخدمة العامة التي ترضيه سبحانه وتعالى ويرسله (صدا)  
 انه ولي التوفيق وصرحنا ونعم الوكيل  
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- ١- السيد محي الدين القريني
- ٢- السيد محمد رضا الموسوي الآخالي
- ٣- السيد جعفر محمد المصدي
- ٤- السيد عز الدين ميرزا المصوم
- ٥- السيد محمد رضا الخراساني
- ٦- السيد محمد الصبحي واري
- ٧- الشيخ محمد رضا شيب المصدي
- ٨- السيد محمد تقى الخوافي

الجنة المشرفة في إعتدلين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٤ هـ

أخوي  


مطلوطة  
تقرر إضافة السيد مفصل السيد محمد رسول الخراساني إلى اللجنة  
المذكورة أعلاه

في ٢١ / شعبان / ١٣١٤ هـ  


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين... فإن البلاد تمر هذه الأيام بمرحلة عصيبة تحتاج فيها إلى حفظ النظام واستتباب الأمن والاستقرار والإشراف على الأمور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية؛ تحاشياً من خروج المصالح العامة عن الإدارة الصحيحة إلى التسبب والضياح.

من أجل ذلك نجد أن المصلحة العامة للمجتمع تقتضي منا تعيين لجنة عليا تقوم بالإشراف على إدارة شؤونها كلها بحيث يمثل رأيها رأينا وما يصدر عنها يصدر عنا، وقد اخترنا لذلك نخبة من أصحاب الفضيلة العلماء المذكورة أسماؤهم أدناه ممن نعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم فعلى أبنائنا المؤمنين اتباعهم وإطاعتهم والانصياع إلى أوامرهم وإرشاداتهم ومساعدتهم في إنجاز هذه المهمة. نسأل الله عز وجل أن يوفقهم لأداء الخدمة العامة التي ترضيه سبحانه وتعالى ورسوله (ص).

إنه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) السيد محي الدين الغريفي.

(٢) السيد محمد رضا الموسوي الخلخالي.

(٣) السيد جعفر بحر العلوم.

(٤) السيد عز الدين بحر العلوم.

(٥) السيد محمد رضا الخرسان.

(٦) السيد محمد السبزواري.

(٧) الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي.

(٨) السيد محمد تقي الخوئي.

النجف الأشرف في العشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٤١١هـ

ملحوظة:

تقرر إضافة السيد عبد الرسول الخرسان إلى اللجنة المذكورة أعلاه.

في ٢١ / شعبان / ١٤١١هـ

الخوئي

وثيقة رقم (٣)

٢٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



**AL-KHOEI FOUNDATION**

مؤسسة الامام الخوئي الخيرية

تقرير حبري

وصلنا من مصادرنا الموثوقة ما يلي :

في يوم الأحد ١٧/٣/١٩٩٧ و من الصباح الباكر احدث القصف الصاعق علي مدينة النجف المشرف بواسطة العداوة و الدبابات و الاسلحة الفتاكة و بشي الحال مستمر علي قوته و وحشيته مما ادى الي اصابة جانب من العن الشريف الحبري و حرم الامام علي (ع) و كان نتيجة هذه الحمله الشره ان سقط عدد كبير من القتلى و الجرحى و الدمار في مدينة النجف مستمرا الي صباح يوم الاربعاء ٢٠٠٠/٧٣ حيث بدأ هجوم مكثف للحرس الجمهوري الغازي من ثلاث محاور علي مركز النجف من طريق كربلاء - نجف و طريق حله - نجف و الطريق البري من جانب بحر الفرات تسليحا طائرات البيلوكوبتر العمودية و قامت بصاصرة منطقة سكن الامام آية الله العظمى السيد ابوالقاسم الخوئي و احدثت تلف البيوت المجاورة مما تسبب في قتل عشرات المواطنين و قتل العتات من الذين تجمعوا للحماية السيد من ابنا العتات و اهل العلم و سكان النجف و الفرار الصياط و عدد من الجنود الذين اعلنوا ولائهم للامام و بعد ذلك تم ازال مجرمة كوماندر السلام علي بيت السيد الامام و اقتحامه و اعتقاله و كل معاونيه الذين كانوا عنده في تلك اللحظة من العلماء الاعلام و نويه من رجال و نسا و اطفال و اقتيدوا جميعا علي اعلا العرش الي طائرات خاصة لنقلهم الي بغداد و حبرهم في معتقل احد لهذا العرش - و اجبر سعادة الامام و بعديته ولده العلامة السيد محمد تقي علي مقاومة حاكم النظام صدام حسين بعد تهديده و الطلب منه ان يطلب من الشعب التائر القا السلاح و الانصياع الي اوامر النظام ولكنه رفض الانتجابة لتلميذ و قامت وسائل اعلام النظام بتعليق الحديث و تعريفه في العقاب التي نعت بالتهديد و الاجبار مع حال النظام بالركن الي معن في تاريخ الاربعة السابقة ان و اكدت مصادرنا الخاصة الموثوقة بان مصير العلماء الاعلام و الذين كانوا بمعونة سعادة الامام السيد الخوئي هم بعن من آل بحر العلوم و آل الحرسان و آل حله علي و غيرهم غير معلوم حتى هذه اللحظة كما ان مصير العتات من اعلام الحوزة العلمية في النجف و العوائل المعروفة منها بدأت مهددا اضافة الي فقدان كثير من الرجال و النساء و الاطفال من عوائل العلماء و الشخصيات الدينية و البيوتات العلمية المعروفة بوليتيها .

كما اكدت هذه المصادر بان القمة الحسينية في كربلاء قد اسببت بقذيين وكذلك اصابات متعددة في داخل الحرم الحسيني و ايضا اصابة ثمة جندا العباس بقذيين و اصابة الطلع الصعالي و الجنوبي من الحرم الشريف .

و انا لله و انا اليه راجعون

No 4 Sarg Hoves, 30 Abasoon Park, London NW9 Tel. 01-796 0995

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية

### تقرير خبري

وصلتنا من مصادرنا الموثوقة ما يلي:

في يوم الأحد ١٧/٣/١٩٩١ ومن الصباح الباكر اشتد القصف الصدامي على مدينة النجف الأشرف بواسطة المدافع والدبابات والأسلحة الفتاكة، وبقي الحال مستمرا على قسوته ووحشيته مما أدى إلى إصابة جانب من الصحن الشريف الحيدري وحرم الإمام علي (ع)، وكان نتيجة هذه الحملة الشرسة أن سقط عدد كبير من القتلى والجرحى. والدمار في مدينة النجف مستمر إلى صباح يوم الأربعاء ٢٠/٣/٩١ حيث بدأ هجوم مكثف للحرس الجمهوري الخاص من ثلاث محاور على مركز النجف من طريق كربلاء - نجف وطريق حلة - نجف والطريق البري من جانب بحر النجف تساندها طائرات الهيلوكوبتر العمودية وقامت بمحاصرة منطقة سكن الإمام آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، وأخذت تقصف البيوت المجاورة مما تسبب في قتل عشرات المواطنين وقتل المئات من الذين تجمعوا لحماية السيد من أبناء العشائر وأهل العلم وسكان النجف وأفراد الضباط وعدد من الجنود الذين أعلنوا ولاءهم للانتفاضة، وبعد ذلك تم إنزال مجموعة كوماندوز النظام على بيت السيد الإمام واقتحامه واعتقاله وكل معاونيه الذين كانوا عنده في تلك اللحظة من العلماء الأعلام وذويه من رجال ونساء وأطفال، واقتيدوا جميعاً على أشلاء الموتى إلى طائرات خاصة لتقلهم إلى بغداد وحجزهم في معتقل أعد لهذا الغرض. وأجبر سماحة الإمام وبمعيته ولده العلامة السيد محمد تقى علي مقابلة حاكم النظام صدام حسين بعد تهديده والطلب منه أن يطلب من الشعب الثائر إلقاء السلاح والانصياع إلى أوامر النظام لكنه رفض الاستجابة لطلبهم وقامت وسائل إعلام النظام بدبلجة الحديث وتحريفه في المقابلة التي تمت بالتهديد والإجبار مع حاكم النظام، والذي لم يعرف في تاريخ المرجعية الشيعية أن زار مرجع بمنزلة الإمام الخوئي حاكماً مسؤولاً في مقره الرسمي.

وأكدت مصادرنا الخاصة الموثوقة بأن مصير العلماء الأعلام والذين كانوا بمعية سماحة الإمام السيد الخوئي - وهم بعض من آل بحر العلوم، وآل الخرسان، وآل خلخالي، وغيرهم - غير معلوم حتى هذه اللحظة، كما أن مصير المئات من أعلام الحوزة العلمية في النجف والعوائل المعروفة منها بات مهدداً، إضافة إلى فقدان كثير من الرجال والنساء والأطفال من عوائل العلماء والشخصيات الدينية والبيوتات النجفية المعروفة بوطينتها.

كما أكدت هذه المصادر بأن القبة الحسينية في كربلاء قد أصيبت بقذيفتين، وكذلك إصابات متعددة في داخل الحرم الحسيني، وأيضاً إصابة قبة سيدنا العباس بقذيفتين، وإصابة الضلع الشمالي والجنوبي من الحرم الشريف.

وإننا لله وإنا إليه راجعون

وثيقة رقم (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون»

لا يزال حكاية العراق وطاعته للشنوم صدام نضيف في كل لحظة الى سجله القاصد  
 بالوان الخرافة والاشام ما يحسب به حياة شعب العراق للسلمة وأساة مروعا  
 وعلما متمسكا لا يطاق، ولدين الآفة التي امتدت بالاسس لتسفن دم الامام الشهيد  
 الصدر رضوانه عليهم، والعديد من العلماء الربانيين والآخر من ابناء الاسلام الجبناء  
 في المرقع عاتق ابراهيم من جديد لتناول الاعتداء على زعيم الثورة العلمية العتيد وفيها الشريف  
 وباني مرحها العلمي الشافع المرجع الكبير آية الله العظمى الامام السيد ابو الفاسل الخراساني  
 وذلك بالنقاء القبولية وخطاره مع عدد من العلماء الذين اعدوا للقائه الطاغية للظلم  
 واخر احد على عادتته، بعد انه استباح جلوزة النظام المدنية المقدسة (القدس) وقتلوا  
 وقتلوا ومثلوا بالآلاف من اسائها (التاريخ اوجه الطاعون لتخليص الشعب  
 من سرائر حكمه الأسود.

ان هذا العمل الاعرجي الشيد الذي ارتكبه الطاغية الارعن ان دل على شي فهو يدل على المنهوى  
 المسير الذي انحطت اليه نفس هذا الخرم الشقي وبأسه وتخطيه جدهذه  
 الكارثة التي اوقعتها بالعراق وشعبه وعدم بمالاة جرائم الاسلام واستحقاقه بتاليه  
 ومقدساته كما انه لا يزداد اساءة لشعب العراق المسلم والمسلمين جميعا الا اعتداء  
 بزجره وقلوب الربانيين.

لقد قضى كل عمر الشريف الذي حاور التسعين في خدمة الاسلام والمسلمين  
 وخرجت على يديه اجيال عديدة من العلماء والمفكرين ولسانه المعلم الدينية الاحبار  
 وهو اليوم رمز مقدس من رموز الاسلام وصوت الملايين المسلمين.

اسا في الوقت الذي نهرب فيه عن سخطنا الناتج واسفنا واشتمنا زنا الشديدين من هذا السلوك  
 الارعن الشاقر لآفة العراق، نطلب بالمسلمين جميعا وعلى الاخص العلماء والمفكرين وقادة الرأي  
 في العالم الاسلامي اجمع ان يرفعوا صوت الادانة والاستنكار في وجه طاغية المرقع وبساعتها  
 الشعب العراقي المنطدم لتخلصه من هذا الظلم الظالم البئيس، ويبدوا انتفاضة الشعبية العارمة  
 التي اوقد شعلتها ادماء ابناء العرب. وسيط الذين ظلموا ايمن قلبهم بيقينون.

عبد الله الحسيني العامري  
 ١٤١١  
 ٤ ربيع الثاني ١٤١١

محمد باقر  
 ١٤١١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾

لا يزال حاكم العراق وطاغيته المشؤوم صدام يضيف في كل لحظة إلى سجله الخاص بألوان الجرائم والآثام ما يجيل به حياة شعبنا العراقي المسلم مأساة مروعة وعذاباً متصلاً لا يطاق، وإن يده الأثمة التي امتدت بالأمس؛ لتسفك دم الإمام الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) والعديد من العلماء الربانيين والأحرار من أبناء الإسلام النجباء في العراق عادت اليوم من جديد لتحاول الاعتداء على زعيم الحوزة العلمية العتيدة في النجف الأشرف وباني صرحها العلمي الشامخ المرجع الكبير آية الله العظمى الإمام السيد أبو القاسم الخوئي دام ظله وذلك بإلقاء القبض عليه وإحضاره مع عدد من العلماء إلى بغداد للقاء الطاغية المجرم وإكراهه على محادثته بعد أن استباح جلاوزة النظام المدينة المقدسة (النجف الأشرف) وقتلوا ومثلوا بالآلاف من أبنائها الثائرين بوجه الطاغوت؛ لتخليص الشعب المسلم من براثن حكمه الأسود.

إن هذا العمل الإجرامي اللئيم الذي ارتكبه الطاغية الأرعن إن دل على شيء فهو يدل على الهوى الخسيس الذي انحطت إليه نفس هذا المجرم الشقي ويأسه وتحبطه بعد هذه الكارثة التي أوقعها بالعراق وشعبه وعدم مبالاته بحرمات الإسلام واستخفافه بتعاليمه ومقدساته، كما أنه لا يزيد أبناء الشعب العراقي المسلم والمسلمين جميعاً إلا اعتزازاً بمراجعهم وقادتهم الرساليين.

لقد قضى الإمام الخوئي كل عمره الشريف الذي جاوز التسعين في خدمة الإسلام والمسلمين وتخرجت على يديه أجيال عدة من العلماء والمفكرين وأساتذة العلوم الدينية الأجلاء، وهو اليوم رمز مقدس من رموز الإسلام ومرجع لملايين المسلمين.

إننا في الوقت الذي نعرب فيه عن سخطنا البالغ وأسفنا واشمئزازنا الشديد من هذا السلوك الأرعن الشائن لحاكم العراق نهيب بالمسلمين جميعاً وعلى الأخص العلماء والمفكرين وقادة الرأي في العالم الإسلامي أجمع أن يرفعوا صوت الإدانة والاستنكار في وجه طاغية العراق ويساعدوا الشعب العراقي المظلوم للتخلص منه ومن نظامه الظالم البغيض، ويباركوا انتفاضته الشعبية العارمة التي أوقد شعلتها بدماء أبنائه البررة.

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾

محمد الهاشمي

محمد باقر الحكيم

كاظم الحسيني الحائري

٤ شهر رمضان ١٤١١

٤ رمضان ١٤١١

٤ رمضان المبارك ١٤١١ هـ

وثيقة رقم (٥) - ١

بسمه عالى

مجلس الاعلى للشورى الاسلاميه  
في العراق  
( مركز الخبر )

العدد /  
التاريخ /

---

(( بيان ))

صدر المجلس الاعلى للشورى الاسلاميه في العراق بيانا وجهه الى الشعب العراقي والامة الاسلاميه ودول ومنظمات العالم فيما يلي نعه :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها شعبنا العراقي المظلوم  
يا ايها الامة الاسلاميه في كل مكان  
ايها الضحايا الانسانيه المحبه للخير في كل مكان

لقد اكتشفت لكم بشكل جلي طغيات الموت المنطقه التي يعارسها وعن سبق اصرار هذا السفاح المشلول على رقاب ايها جلدتكم في العراق .

لقد بات من الواضح النواضات لكم ان هذا النظام لم يات الى الحكم الا بهتدوا ضرب الاديان والحوزات العلميه والشباب المتطلع الى العزيمه والعزيمه والكراميه والانسانيه .

ان صدام حسين ومنذ مجيشه بالحديد والنار الى سدة الحكم في العراق ارتكب ابيسج الجرائم بحق الانسانيه المظلمه في العراق .. وانكم تعلمون ان العراق وشعبه العتي . كان والى قبل مجي هذه الزمر الاجراميه . قد ملأ التاريخ الانساني بنتائج العاديه والمعنويه الخيره .. وان هذا المجرم ونظامه البوليسي المظلم لم يتسرك الشعب العراقي وشعوب المنطقه تنعم بالهدوء والاستقرار فمن مذبحه الى مذبحه، ومن انتهاك الى انتهاك ولعل آخر حلقاته الارهابيه ما سمعه وشاهده وشبهه العالم اجمع في قضيه غزو الكويت وما تبعها .

ان صدام الذي سبب الدمار العادي والانساني لشعب العراق وشعوب المنطقه توجسه اخيرا للتعنيفين عن حفده التعنين لكل ما هو انساني وبدأ بتخفيض مذابح جماعيه فسي العراق لم يستثن فيها شمال او جنوب او وسط العراق .

ايها الضحايا الانسانيه :

ان الشعب العراقي الان مهدد بالمذبح الجماعي على يد هذا الطائفه المجنونه واننا اذ نبدي قلقنا واسفنا من سكوت العالم ودوله ومنظماته عن هذه المذابح الواضحه نجيب بكل الشرف ان يقفوا الى جانب هذا الشعب المهدد بالمذبح الجماعي ..

لقد ذبح النظام نطق شعبينا وهو الان يذبح ويستعد لذبح الشعب الاخر .

وان انتهاك حرمان الانسان ودين الانسان ومقدسات الانسان ومعتقدات الانسان ولعمل اعتراف سماعه آية الله العظمي السيد الخوشي المرجع الكبير لملايين المسلمين فسي العالم بعد رقعا واحدا من هذه الارقام، نبين لكم فيه هذه الفضيده ومفارقاتها عن مصدر مقرب جدا من سماعه السيد الخوشي استطاع الخروج اخيرا من السجن الكبير الذي اسسه العراق . يقول هذا المصدر :



باسمه تعالى  
المجلس الأعلى للثورة الإسلامية  
في العراق  
(مركز الخبر)

العدد /  
التاريخ /

((بيان))

أصدر المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بياناً وجهه إلى الشعب العراقي والأمة الإسلامية ودول ومنظمات العالم فيما يلي نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أبناء شعبنا العراقي المظلوم

يا أبناء الأمة الإسلامية في كل مكان

أيتها الضحايا الإنسانية المحبة للخير في كل مكان

لقد انكشفت لكم بشكل جليّ حلقات الموت المنظمة التي يمارسها وعن سبق إصرار هذا السفاح المتسلط على رقاب أبناء جلدتكم في العراق.

لقد بات من أوضح الواضحات لكم أن هذا النظام لم يأت إلى الحكم إلا بهدف ضرب الأديان، والحوزات العلمية، والشباب المتطلع إلى الحرية والعزة والكرامة والإنسانية.

إن صدام حسين ومنذ مجيئه بالحديد والنار إلى سدة الحكم في العراق ارتكب أبشع الجرائم بحق الإنسانية المضطهدة في العراق، وإنكم تعلمون أن العراق وشعبه الحي - كان وإلى قبل مجيء هذه الزمرة الإجرامية - قد ملأ التاريخ الإنساني بتناجاته المادية والمعنوية الخيرة.. وأن هذا المجرم ونظامه البوليسي المقيت لم يترك الشعب العراقي وشعوب المنطقة تنعم بالهدوء والاستقرار فمن مذبحته إلى مذبحته، ومن انتهاك إلى انتهاك، ولعل آخر حلقاته الإرهابية ما سمعه وشاهده وشجبه العالم أجمع في قضية غزو الكويت وما تبعها.

إن صداماً الذي سبب الدمار المادي والإنساني لشعب العراق وشعوب المنطقة توجه أخيراً - للتنفيس عن حقدته الدفين - لكل ما هو إنساني، وبدأ بتنفيذ مذابح جماعية في العراق لم يستثن فيها شمالاً أو جنوباً أو وسط العراق.

أيتها الضحايا الإنسانية:

إن الشعب العراقي الآن مهتد بالذبح الجماعي على يد هذا الطاغية المجنون، وإنما إذ نبدي قلقنا وأسفنا من سكوت العالم ودوله ومنظماته عن هذه المذابح الواضحة نهيب بكل الشرفاء أن يقفوا إلى جانب هذا الشعب المهتد بالذبح الجماعي...

لقد ذبح النظام نصف شعبنا وهو الآن يذبح ويستعد لذبح النصف الآخر .

وإن انتهاك حرمت الإنسان ودين الإنسان ومقدسات الإنسان ومعتقدات الإنسان، ولعل اختطاف سباحة آية الله العظمى السيد الخوئي المرجع الكبير لملايين المسلمين في العالم يعد رقماً واضحاً من هذه الأرقام نبين لكم فيه هذه القضية ومفارقاتها عن مصدر مقرب جداً من سباحة السيد الخوئي استطاع الخروج أخيراً من السجن الكبير الذي أسمه العراق، يقول هذا المصدر:

## وثيقة رقم (٥) - ٢

العدد / التاريخ .	بمعه عالسي	المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ( مركز الخبير )
(٢)		
<p>في يوم الاحد ١٧/٣/١٩٩١ اشنت قصف القوات العراقية التي كانت تستخدم مواربيخ ارض- ارض والمدفعية والدبابات وبالي اسلحة الفتاكة مستهدفا مدينة النجف الاشرف واستمر القصف متواصلا لعدة ثلاثة ايام تسبب في مآهده لا يمكن لاي انسان تحملها او حتى تصورها . آلاف القتلى من النساء والاطفال .. بيوت المواطنين تهدمت على من فيها .. اصابة جانب من الصحن الحيدري الشريف وحرم الامام علي (ع) في النجف الأشرف .</p> <p>وفي الصباح الباكر ليوم الاربعاء ٢٠/٣/١٩٩١ بدأت زمر وعصابات النظام هجوما بالمواريخ والمدفعية على مدينة النجف من ثلاثة محاور ، طريق كربلاء - النجف ، وطريق حلة - نجف ، والطريق البري من جانب بحر النجف وباستاد عشيرات طائرات الهليكوبتر العمودية .</p> <p>انزلت الطائرات مجموعات كبيرة من قوات صدام الخاصة بعد ان قصفت المناطق السكنية المحيطة بساحة آية الله العظمى السيد الخوئي واركتبت مجازر تقتصر لها الابدان راح ضحيتها عشرات الاطفال والنساء والشيوخ ومئات الذين تجمعوا لحماية ساحة السيد الخوئي واغلبهم من اسنان العثار واهل العلم وسكان النجف وعدد من الضباط والجنود الذين اعلنوا ولائهم للانتفاضة الشعبية .</p> <p>بعد ذلك تم ازالة مجموعة خاصة من مرتزقة النظام المدربة على البيت الشريف لساحة السيد واقتحموه واعتقلوا ساحة آية الله العظمى السيد الخوئي وكل معاونيه الذين كانوا عنده من العلماء الاعلام وذويهم من الاطفال والنساء ، واقتيدوا جميعا بشكل مهين على اثاره القتلى الى الطائرات الخاصة التي نقلتهم الى بغداد وحجزتهم في معتقل أعتد مسبقا لهذا الغرض .</p> <p>وأجبر هذا المرمع الكبير وبمعيته ولده ساحة السيد محمد تقى الخوئي علسي بمقابلة الطاغية صدام حسين ، بعد تهديدهم بقتل الرهاشن من مئات العلماء وعوائلهم وشخصيات النجف والاطفال والنساء ، الذي طلب منه ان يأمر الشعب الناشئ بالقضاء على السلاح والانصياع الى اوامر النظام ولكن ساحة السيد رفض الاستجابة لطلبهم ، ممسا دعا وسائل اعلام النظام الى سبلجة الحديث وتحريف المقابلة التي احرقت تحت التهديد والاجبار مع صدام .</p> <p>ابها الضمير الانساني .. يا احرار العالم .. ابها المعلمون .. ان معير علما وشخصيات وابناء العراق كله مهدد بخطر الابادة من قبل صدام المجرم وان الواجب يدعوكم الى التضامن معهم واسنادهم والاستجابة الى مرغبتهم من اجل نيل حقوقهم في الحرية والعدالة والمساواة .</p> <p>ابيتها الدول والمنظمات العالمية : اكسروا هذا الصمت القاتل فان الكسوت عن الجرائم بعد مشاركة فيها .</p> <p>فاطعوا النظام وساندوا ابنا جلدتكم الذين يذبحون فان التفرج وعدم العيالة واخلاق الحج الواهية جريمة اخرى تضاف الى جرائم صدام بحق هذا الشعب المعذوب .</p>		

في يوم الأحد ١٧/٣/١٩٩١ اشتد قصف القوات العراقية التي كانت تستخدم صواريخ أرض - أرض والمدفعية والدبابات وباقي الأسلحة الفتاكة مستهدفاً مدينة النجف الأشرف، واستمر القصف متواصلاً لمدة ثلاثة أيام تسبب في مشاهد لا يمكن لأي إنسان تحملها أو حتى تصورها، آلاف القتلى من النساء والأطفال.. بيوت المواطنين تهدمت على من فيها... إصابة جانب من الصحن الحيدري الشريف وحرَم الإمام علي(ع) في النجف الأشرف...

في الصباح الباكر ليوم الأربعاء ٢٠/٣/١٩٩١ بدأت زمر وعصابات النظام هجوماً بالصواريخ والمدفعية على مدينة النجف من ثلاثة محاور، طريق كربلاء - النجف، وطريق حلة - نجف، والطريق البري من جانب بحر النجف وبإسناد عشرات طائرات الهيلوكوبتر العمودية.

أنزلت الطائرات مجموعات كبيرة من قوات صدام الخاصة بعد أن قصفت المناطق السكنية المحيطة بمسكن ساحة آية الله العظمى السيد الخوئي وارتكبت مجازر تقشعر لها الأبدان راح ضحيتها عشرات الأطفال والنساء والشيوخ ومئات الذين تجمعوا؛ لحماية ساحة السيد الخوئي، وأغلبهم من أبناء العشائر وأهل العلم وسكان النجف وعدد من الضباط والجنود الذين أعلنوا ولاءهم للانتفاضة الشعبية.

بعد ذلك تم إنزال مجموعة خاصة من مرتزقة النظام المدربة على البيت الشريف لساحة السيد واقتحموه واعتقلوا ساحة آية الله العظمى السيد الخوئي وكل معاونيه الذين كانوا عنده من العلماء الأعلام وذويهم من الأطفال والنساء، واقتيدوا جميعاً بشكل مهين على أشلاء القتلى إلى الطائرات الخاصة التي نقلتهم إلى بغداد وحجزتهم في معتقل أعد مسبقاً لهذا الغرض.

وأجبر هذا المرجع الكبير وبمعيته ولده السيد محمد تقي الخوئي على مقابلة الطاغية صدام حسين، بعد تهديدهم بقتل الرهائن من مئات العلماء وعوائلهم وشخصيات النجف والأطفال والنساء، الذي طلب منه أن يأمر الشعب الثائر بإلقاء السلاح والانصياع إلى أوامر النظام ولكن ساحة السيد رفض الاستجابة لطلبهم، مما دعا وسائل إعلام النظام إلى دبلجة الحديث وتحريف المقابلة التي أجريت تحت التهديد والإجبار مع صدام.

أيها الضمير الإنساني.. يا أحرار العالم.. أيها المسلمون..

إن مصير علماء وشخصيات وأبناء العراق كله مهدد بخطر الإبادة من قبل صدام المجرم، وإن الواجب يدعوكم إلى التضامن معهم وإسنادهم والاستجابة إلى صرختهم؛ من أجل نيل حقوقهم في الحرية والعدالة والمساواة.

أيها الدول والمنظمات العالمية، اكسروا هذا الصمت القاتل، فإن السكوت عن الجرائم يعد مشاركة فيها.

قاطعوا النظام وساندوا أبناء جلدتكم الذين يُذبحون، فإن التفرج وعدم المبالاة واختلاق الحجج الواهية جريمة أخرى تضاف إلى جرائم صدام بحق هذا الشعب المذبوح.

وثيقة رقم (٦)



بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب

العدد: ٧٦٨

ساحة آية الله العظمى

التاريخ: ٢١/٤/١٤٢٠

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم دام ظله

إلى مسؤول برامج (بلا حدود) في قناة الجزيرة المحترم

بعد التحية:

تلقينا بأسف بالغ استضافتكم للمدعو (أحمد الكاتب)؛ ليتحدث باسم شيعة أهل البيت (عليهم السلام) عن قضايا عقائدية ترتبط بإمامة الأئمة من آل البيت (عليهم السلام) وبعض المسائل الفقهية. والغريب أنكم نعمتم الشخص المذكور بأنه (أحد أبرز المفكرين الشيعة)، وذكرتم أن من محاور الحوار (حقيقة الإمام الغائب وأسباب تقديس الشيعة لولي الفقيه وإنزاله منزلة تضاهي الأنبياء)!!! وباعتبار ارتباط شيعة آل البيت (عليهم السلام) الوثيق بالزعامة الروحية المتمثلة بمراجع الدين، فمن موقع المسؤولية نشير إلى ما يلي:

١- إن الشخص المذكور واسمه (عبد الرسول لاري) المعروف باسم (أحمد الكاتب) ليس له أي صفة روحية أو علمية لدى أتباع آل البيت (عليهم السلام) لتؤهله للتحدث باسمهم، فهو شخص عادي علمياً، وقد رفضه شيعة آل البيت بعد أن لمسوا انحرافه الديني، وعلى هذا الأساس نرفض نعته بأنه (أحد أبرز المفكرين الشيعة).

٢- نرفض بشدة اتهامكم لشيعة آل البيت (عليهم السلام) بأنهم يقصدون الولي الفقيه وإنزاله منزلة تضاهي منزلة الأنبياء؛ لأن شيعة آل البيت يرون قدسية الأنبياء وعصمتهم بينما ينظرون إلى مراجع الدين وقياداتهم الروحية على أنها مجرد وكلاء عن الإمام (عليه السلام) لا يصلون إلى مرتبة الإمامة ولا العصمة؛ ولذلك نطالبكم بالدقة والموضوعية العلمية، وعدم الانجراف للمؤثرات الأخرى.

٣- إن طرح القضايا المرتبطة بالعقيدة لأكثر من مائة مليون مسلم بهذه الصيغة الاستفزازية ومن خلال شخص عادي ومنحرف عن خط آل البيت (عليهم السلام) لا ينسجم مع الموضوعية العلمية، ويشكك بمصداقية نوايا القائمين على البرنامج.

٤- نؤكد على ترحيبنا بالحوار العلمي الهادئ البناء - وهو الذي عرف به أتباع آل البيت (عليهم السلام) في كل العصور - من خلال دعوة العلماء الأعلام والتحاور معهم، بعيداً عن الصخب الإعلامي والإثارات التي لا تنفع الأمة الإسلامية جمعاء في وقت يتكالب أعداء الإسلام على مصالحها ويستهدفون وحدتها، ونحذر من تجاهل مشاعر أتباع آل البيت (عليهم السلام) الذين يشكلون مساحة واسعة من الأمة الإسلامية.

والله المسدد للصواب

مكتب المرجع الديني الكبير

السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم

وثيقة رقم (٧)



International Secretariat • 10 Southampton Street • London WC2E 7HF • United Kingdom • Telephone: 01 835 7768 • Telex: 724502

INTERNAL (for general distribution)

AI Index: NHR 14/01/81  
Distri: 06

UK 118/81

Four of Torture/legal Councils

24 May 1981

IRAQ: Members of the Al Hakim family

On the night of 1/10 May 1981 more than 90 members of the Al Hakim family were arrested by the Iraqi security forces. Teachers, other members of the family, including clergymen, religious scholars and students, were arrested a week later in the holy city of Mecca. All those arrested are relatives of Ayatollah Muhammad Baqir Al Hakim, the spokesman for the so-called Iraqi Shi'a opposition in Iran and son of the late leader of the Shi'ite community in Iraq, Ayatollah Mohsen Al Hakim.

The ages of those arrested range from nine to 76; sixty of the 125 members of the Al Hakim family arrested are clergymen.

So far, Amnesty International has received the names of 57 of those arrested. It is believed that many of them may be prisoners of conscience, detained for the non-violent expression of their conscientiously held beliefs. There is also concern that many of them may have been tortured.

اللجنة الإسلامية الدولية لحقوق الإنسان

International Islamic Commission on Human Rights

La Commission Islamique Internationale pour les Droits de l'Homme

PRESS RELEASE

18 May 1981

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ترجمة بيان اللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان بإحداث العراق)

أصدرت اللجنة الإسلامية الدولية لحقوق الإنسان في باريس بتاريخ 18 مايو 1981 بياناً في لندن أن السيد أحمد بن بلة رئيس اللجنة الإسلامية الدولية لحقوق الإنسان قد أصيب بصدمة وحرمان شهيق لتفيرات اعتقالات التي قامت بها الحكومة العراقية من 9 مارس 1981 حتى حوالي ( 80 ) شخصاً من عائلة المرعشوم السيد محسن الحكيم من سبع المصلين في العالم .

إن الاعتداءات الحرة فلا اعتقالات التي لم تشمل طعماء الدين البارزين فقط ولكنها شملت رجالاً كباراً وبنحلاً صغاراً تتراوح بين خمسة وسبعين إلى أربعة عشر عاماً وبالرغم من أن ممارسة النشاطات السياسية هي من الحقوق الأساسية للإنسان إلا أن أيا من هؤلاء لم يمارس السياسة سوى أنهم من عائلة الأخوة الثلاثة وهم السيد محمد باقر الحكيم والسيد مهدي الحكيم والسيد عبد العزيز الحكيم الذين يفاوضون الحكم العراقي ولا يمكن أن تفسر هذه الاعتقالات إلا للانتقام من أشخاص أبرياء لدخول الثلاثة مسن إلى الحكيم وجاءت بتهمته الارتباط العائلي فقط والذي يخالف كل أصول العدالة ويشكل سرقاً وأندما لحقوق الإنسان . وهناك أشخاص يخطر حقيقى على حياة هؤلاء المعتقلين إن اللجنة الإسلامية الدولية لحقوق الإنسان تدعو الحكومة العراقية لاطلاق سراح هؤلاء المعتقلين ومجانبة بالباح جميع منظمات حقوق الإنسان والحكومات والهيئات والأفراد للضغط على الحكومة العراقية للإفراج عن هؤلاء والمدافعة على حقوقهم الإنسانية .

## اللجنة الإسلامية الدولية لحقوق الإنسان

International Islamic Commission on Human Rights

La Commission Islamique Internationale

Pour Les Droits de l'Homme

PRESS RELEASEMay 1983 18

بسم الله الرحمن الرحيم

(ترجمة بيان اللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان بإدانة العراق)

أصدرت اللجنة الإسلامية الدولية لحقوق الإنسان في باريس بتاريخ ١٨ مايس ١٩٨٣ بياناً في لندن أن السيد احمد بن بلة رئيس اللجنة الإسلامية الدولية لحقوق الإنسان قد أصيب بصدمة وحزن عميقين لخبر الاعتقالات التي قامت بها الحكومة العراقية في ٩ مايس ١٩٨٣ بحق حوالي (٨٠) شخصاً من عائلة المرحوم السيد محسن الحكيم مرجع المسلمين في العالم.

إن الأخبار المحزنة للاعتقالات التي لم تشمل علماء الدين البارزين فقط، ولكنها شملت رجالاً كباراً، وأطفالاً صغاراً تتراوح بين خمسة وسبعين إلى أربعة عشر عاماً. وبالرغم من أن ممارسة النشاطات السياسية هي من الحقوق الأساسية للإنسان إلا أن أيّاً من هؤلاء لم يمارس السياسة سوى أنهم من عائلة الأخوة الثلاثة، وهم: السيد محمد باقر الحكيم، والسيد مهدي الحكيم، والسيد عبد العزيز الحكيم الذين يقاومون الحكم العراقي. ولا يمكن أن تفسّر هذه الاعتقالات إلا للانتقام من أشخاص أبرياء للأخوة الثلاثة من آل الحكيم، وجاءت بسبب الارتباط العائلي فقط، والذي يخالف كل أصول العدالة، ويشكّل خرقاً واضحاً لحقوق الإنسان. وهناك إحساس بخطر حقيقي على حياة هؤلاء المعتقلين.

إن اللجنة الإسلامية الدولية لحقوق الإنسان تدعو الحكومة العراقية لإطلاق سراح هؤلاء المعتقلين، وتناشد بإلحاح جميع منظمات حقوق الإنسان، والحكومات، والهيئات، والأفراد للضغط على الحكومة العراقية؛ للإفراج عن هؤلاء والحفاظ على حقوقهم الإنسانية.

## وثيقة رقم (٨)

بذاء عاجل بالبريد الجوي، الى:

سيادة الرئيس صدام حسين  
قصر الرئاسة  
كراده مريم  
بغداد، الجمهورية العراقية.

سيادة سعدون شاكر  
وزير الداخلية  
وزارة الداخلية  
بغداد، الجمهورية العراقية

نسخة منه الى:

سفارة الجمهورية العراقية في باريس

## موضوع الرسالة:

صاحب السادة:

إسمحوا لنا بأن نتدخل لديكم لصالح الـ ١٢٥ شخصاً من آل الحكيم والذي حرق  
صناعمهم من قبل سلطاتكم.

نفسيتي عتسوا في الحركة التي يفتصر نشاطها على العمل الانساني المحض «حركة  
المسيحين من أجل إزالة التعذيب»، فاني أطالبكم بأن ترفعوا على المعنيين البنيان العالمي  
الخاص بحقوق المدنيين والسياسيين وهو البنيان الموقع عليه من قبل بلدكم عام ١٩٧١،  
وحليبتكم بموجب هذا البنيان أن تقدموا إيضاحات حول الوضع القانوني للمعتقلين (خاصة  
حول انتهاء الموجهة اليهم) وحول المكان الذي يتم احتجازهم فيه. وفي حالة عدم وجود أية  
بهم موجهة اليهم، فاد لاند من العمل لإطلاق سراحهم.

ويعتسو بقبول فائق الاحترام.



نداء عاجل بالبريد الجوي، إلى:  
 سيادة الرئيس صدام حسين  
 قصر الرئاسة  
 كراة مريم  
 بغداد، الجمهورية العراقية.

سيادة سعدون شاكر  
 وزير الداخلية  
 وزارة الداخلية  
 بغداد، الجمهورية العراقية

نسخة منه إلى:  
 سفارة الجمهورية العراقية في باريس

موضوع الرسالة:

صاحب السيادة:

اسمحوا لنا بأن نتدخل لديكم لصالح الـ ١٢٥ شخصاً من آل الحكيم، والذي جرى اعتقالهم من قبل سلطاتكم.

بصفتي عضواً في الحركة التي يقتصر نشاطها على العمل الإنساني المحض ((حركة المسيحيين من أجل إزالة التعذيب))، فإنني أطلبكم بأن تطبقوا على المعتقلين الميثاق العالمي الخاص بحقوق المدنيين والسياسيين، وهو الميثاق الموقع عليه من قبل بلدكم عام ١٩٧١.

وعليكم بموجب هذا الميثاق أن تقدموا إيضاحات حول الوضع القانوني للمعتقلين (خاصة حول التهم الموجهة إليهم)، وحول المكان الذي يتم احتجازهم فيه، وفي حالة عدم وجود أية تهم موجهة إليهم، فإنه لا بد من العمل لإطلاق سراحهم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام.

## وثيقة رقم (٩) - ١

منظمة العفو الدولية  
الكرسائية الدولية  
ترجمة القسم الفرنسي  
١٨ - شارع نيودور ديك  
٧٥٠١٥ - باريس  
تلفون ٦٥ - ٦٥٠٥٥٧  
خارجي

س ف ٨٣ سو ٢٥١

م د اي ١٩٨٣/٣/٤

فعل تكميلي حول وعلى ٨٣/١١٨ (م د اي ٨٣/٢/١٤ في الرابع والعشرين من مايس) :

باريس في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٨٣

كانت منظمة العفو الدولية قد تلقت معلومات تفيد بأن سنة من ١٣٠ عفواً من عائلة الحكيم الذين كانوا قد اوقفوا ليلة التاسع والعاشر من مايس عام ١٩٨٣ قد اعدموا في جن بغداد في التاسع عشر من مايس عام ١٩٨٣ بعد ان كانوا قد عذبوا .  
ان الاشخاص الذين تم اعدامهم هم :

١. السيد علاء الدين الحكيم - شقيق حجة الاسلام محمد باقر الحكيم .
٢. السيد عبدالصاحب ، ويبلغ من العمر ٤١ سنة وهو شقيق حجة الاسلام السيد محمد باقر الحكيم .
٣. السيد محمد حسين ، ٣٧ سنة وهو كذلك شقيق حجة الاسلام الحكيم .
٤. السيد كمال ٣٩ سنة وهو نسيب السيد محمد باقر الحكيم .
٥. السيد عبدالوهاب ٣٧ سنة وهو نسيب السيد محمد باقر الحكيم .
٦. احمد الحكيم وهو ايضا نسيب السيد محمد باقر الحكيم .

وهذه الأعدامات قد شوهدت من قبل اية الله السيد محمد حسين الذي كان قد اوقف ايضا في ليلة التاسع والعاشر من مايس عام ١٩٨٣ ، ومن ثم اطلق سراحه وارسل الى ايران مع رسالة من السلطات العراقية الى محمد باقر الحكيم تدعوه ان يوقف نفسه .  
لانتقاداته نحو الحكومة العراقية ، هذا وقد اعلمت السلطات العراقية السيد محمد حسين بأن اولاده الأربعة الذين كانوا قد اوقفوا في ذات الوقت الذي اوقف فيه سيدهمون اذا لم يبلغ هذه الرسالة الى محمد باقر الحكيم في ايران واذا لم يعد في مابعد الى العراق ، وكان قد اقتيد الى تركيا ومن هناك ارسل الى ايران، ولكنه لم يعد للعراق ، وليس لدينا اي خبر من مصر اولاده .

وقد تمت توقيفات اخرى لعائلة الحكيم منذ التاسع والعاشر من مايس ١٩٨٣ ومن بين الاشخاص الذين اوقفوا يتواجد ولدا عبد الرزاق الحكيم : منتهان وعمره ١٢ سنة ونورالدين ٩ سنوات كما ان نساء وبنات هؤلاء الرجال العوقوفين كن قد اوقفن او اختبأن .

منظمة العفو الدولية

السكرتارية الدولية

ترجمة القسم الفرنسي

١٨ - شارع تيودور ديك

٧٥٠١٥ - باريس

تلفون ٦٥٠٥٥٧ - ٦٥

خارجي

س ف ٨٣ يو ٣٥١

م د اى ٤ / ٣ / ١٩٨٣

فعل تكميلي حول وعلى ١١٨ / ٨٣ (م د اى ١٤ / ٢ / ٨٣ في الرابع والعشرين من مايس):

باريس في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٨٣

كانت منظمة العفو الدولية قد تلقت معلومات تفيد بأن ستة من ١٣٠ عضواً من عائلة الحكيم، الذين كانوا قد أوقفوا ليلة التاسع والعاشر من مايس عام ١٩٨٣ قد اعدموا في سجن بغداد في التاسع عشر من مايس عام ١٩٨٣ بعد أن كانوا قد عذبوا.

إن الأشخاص الذين تم إعدامهم هم:

- ١- السيد علاء الدين الحكيم - شقيق حجة الإسلام محمد باقر الحكيم.
- ٢- السيد عبد الصاحب، و يبلغ من العمر ٤١ سنة، وهو شقيق حجة الإسلام السيد محمد باقر الحكيم.
- ٣- السيد محمد حسين، ٣٧ سنة، وهو كذلك شقيق حجة الإسلام الحكيم.
- ٤- السيد كمال، ٣٩ سنة، وهو نسيب السيد محمد باقر الحكيم.
- ٥- السيد عبد الوهاب، ٣٧ سنة، وهو نسيب السيد محمد باقر الحكيم.
- ٦- احمد الحكيم، وهو أيضاً نسيب السيد محمد باقر الحكيم.

وهذه الإعدامات قد شوهدت من قبل آية الله السيد محمد حسين، الذي كان قد أوقف أيضاً في ليلة التاسع والعاشر من مايس عام ١٩٨٣، ومن ثم أطلق سراحه وأرسل إلى إيران مع رسالة من السلطات العراقية إلى محمد باقر الحكيم تدعوه أن يوقف انتقاداته نحو الحكومة العراقية، هذا وقد أعلمت السلطات العراقية السيد محمد حسين بأن أولاده الأربعة، الذين كانوا قد أوقفوا في ذات الوقت الذي أوقف فيه سيعدمون إذا لم يسلم هذه الرسالة إلى محمد باقر الحكيم في إيران، وإذا لم يعد في ما بعد إلى العراق، وكان قد اقتيد إلى تركيا، ومن هناك أرسل إلى إيران، ولكنه لم يعد للعراق، وليس لدينا أي خبر من مصير أولاده.

وقد تمت توقيفات أخرى لعائلة الحكيم منذ التاسع والعاشر من مايس ١٩٨٣، ومن بين الأشخاص الذين أوقفوا ولدا عبد الرزاق الحكيم: ميثم وعمره ١٢ سنة، ونور الدين ٩ سنوات، كما أن نساء وبنات هؤلاء الرجال الموقوفين كن قد أوقفن أو اختبأن.

## وثيقة رقم (٩) - ٢

ويمكن ان نخشى ان يكون الاعضاء الاخرين لعائلة الحكيم قد اعدوا واولئك الذين قد اوقعوا قد عدوا .

ان كل هؤلاء الأشخاص الذين اوقعوا هم اقارب حجة الأسلام محمدباقر الحكيم ،

الناطق الرسمي للمعارضة الشيعية العراقية بالعنف في ايران وهو سجل الزعيم السابق للطائفة الشيعية في العراق ( اية الله العظمى محسن الحكيم ) . وامنار هؤلاء الاتحاض الموقوفين تتراوح بين ٩ الى ٧٦ سنة ، وضمن منهم من رجال الدين ، وتعتبر ان عددا من هؤلاء الأشخاص يمكن ان يكونوا جنسا رأى اغفلوا بسبب التعبير غير العنيف من معتقداتهم العميقة .

فعل آخر يوصي به

يرجى الاستمرار بإرسال النداءات :

- تعبیر من اعلمكم عميق للأعلان عن اعدام سنة من عائلة الحكيم والطلب بالحجاج بألا يحدث اي اعدام آخر ، والتأكيد على المعارضة غير المشروطة لمنظمة العفو الدولية لعقوبة الموت .
- الألتحاج من اجل ان يعامل كل اعضاء عائلة الحكيم انسانيا ومن القواعد الدولية وأن يسمح لهم بأن يروا طبيبا بصورة منتظمة .
- طلب ايضاحات حول وضعهم الشرعي وحول مكان اعتقالهم من اجل ان يطلق سراحهم حالا ، او على الأقل توجه لهم التهمة وبحاكموا .
- اطلب بأن يتمنعوا بضعافات شرعية بما في ذلك مقابلة محام .

ان النداءات يجب ان توجه الى :

معالي الرئيس صدام حسين

القصر الجمهوري

كرادة مريم - بغداد

جمهورية العراق

معالي سعدون شاكر

وزير الداخلية

بغداد

جمهورية العراق

يرجى ارسال نسخ من رسائلكم الى سفارة العراق .

العنوان الجديد :

سفارة الجمهورية العراقية

٩ - شارع اندينيس

٧٥٠١٦ - بارسيس

ويمكن أن نخشى أن يكون الأعضاء الآخرين لعائلة الحكيم قد اعدموا، وأولئك الذين قد أوقفوا قد عذبوا.

إن كل هؤلاء الأشخاص الذين أوقفوا هم أقارب حجة الإسلام محمد باقر الحكيم، الناطق الرسمي للمعارضة الشيعية العراقية بالمنفى في إيران، وهو نجل الزعيم السابق للطائفة الشيعية في العراق (آية الله العظمى محسن الحكيم)، وأعمار هؤلاء الأشخاص الموقوفين تتراوح بين ٩ إلى ٧٦ سنة، وستون منهم من رجال الدين، ونفكر أن عددا من هؤلاء الأشخاص يمكن أن يكونوا سجناء رأي اعتقلوا بسبب التعبير غير العنيف عن معتقداتهم العميقة.

### فعل آخر يوصى به

يرجى الاستمرار بإرسال نداءات:

- تعبر عن أسفكم العميق للإعلان عن إعدام ستة من عائلة الحكيم، والطلب بإلحاح بالألا يحدث أي إعدام آخر، والتأكيد على المعارضة غير المشروطة لمنظمة العفو الدولية لعقوبة الموت.

- الإلحاح من أجل أن يعامل كل أعضاء عائلة الحكيم إنسانياً، ومن القواعد الدولية، وأن يسمح لهم بأن يروا طبيباً بصورة منتظمة.

- طلب إيضاحات حول وضعهم الشرعي، وحول مكان اعتقالهم؛ من أجل أن يطلق سراحهم حالاً، أو على الأقل توجه لهم التهمة ويحاكموا.

- الطلب بأن يتمتعوا بضمانات شرعية بما في ذلك مقابلة محام.

إن النداءات يجب أن توجه إلى:

معالي الرئيس صدام حسين

القصر الجمهوري

كرداة مريم - بغداد

جمهورية العراق

معالي سعدون شاكر

وزير الداخلية

بغداد

جمهورية العراق

يرجى إرسال نسخ من رسائلكم إلى سفارة العراق.

العنوان الجديد:

سفارة الجمهورية العراقية

٩ - شارع اندينيه

٧٥٠١٦ - باريس

وثيقة رقم (١٠)



مرسوم جمهوري

رقم ٣٦٠

استناداً الى احكام الفقرة (ي) من المادة الثامنة والخمسين من الدستور

رسمنا بما هو آتٍ:

المصادقة على حكم الإعدام شنقاً حتى الموت بالمدانين كل من:

(عبد الهادي محسن مهدي صالح الحكيم، ومحمد رضا محمد حسين سعيد الحكيم، ومحمد محمد حسين سعيد الحكيم، ومحمد علي محمد جواد محمود الحكيم، وحسن عبد الهادي محسن مهدي الحكيم، وحسين عبد الهادي محسن مهدي الحكيم، وعبد الصاحب محمد حسين سعيد الحكيم، وبهاء الدين كمال الدين يوسف محسن الحكيم، وضياء الدين كمال الدين محسن يوسف الحكيم، ومجيد محمود مهدي صالح الحكيم) الذي أصدرته بحقهم محكمة الثورة بتاريخ (٢/٣/١٩٨٥) في القضية المرقمة (٢٥٦/ج/٩٨٥) وفق المادة (١٥٦) بدلالة المواد (٤٩ و ٥٠ و ٥٣/ من ق.ع).

على الوزراء المعنيين تنفيذ هذا المرسوم

كتب في بغداد في اليوم الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة لسنة ١٤٠٥ هجرية

المصادف لليوم الرابع من شهر آذار لسنة ١٩٨٥ ميلادية

صدام حسين

رئيس الجمهورية

وثيقة رقم (١١) - ١

Telran : Tel 644390  
Telex : 21491 MBHO IR  
P. O. BOX : 14155 / 1959

طهران: تلفون ٦٤٤٣٩٠  
تلکس: 214291 MBHO IR  
ص.ب: ١٤١٥٥/١٩٥٩



بسمه تعالی

الرقم :  
التاريخ :

NO. :  
DATE :

فاطمه باسما، رجال الدين المفقودين في مدينة النجف الاشرف

الاتصال	تاريخ الميلاد	المهنة	تاريخ الاعتقال
علاء الدين علي هادي بحر العلوم	١٩٤٢م	عالم دين	١٩٩١/٣/٢٢م
علي علاء الدين علي بحر العلوم	١٩٦٢م	طالب علوم دينية	١٩٩١/٣/٢٢م
مصطفى علاء الدين بحر العلوم	١٩٦٥م	طالب علوم دينية	١٩٩١/٣/٢٢م
السيد ابراهيم الشيرازي	١٩٢٦م	عالم دين	١٩٩١/٣/٢٢م
السيد باقر ابراهيم الشيرازي	١٩٦٢م	طالب علوم دينية	١٩٩١/٣/٢٢م
السيد محمد تقى المرعشي	١٩٢٦م	عالم دين	١٩٩١/٣/٢٦م
السيد علي الميرزاوي	١٩٤١م	عالم دين	١٩٩١/٤/٢٦م
السيد محمد الميرزاوي	١٩٤٠م	عالم دين	١٩٩١/٤/٢٦م
جواد جعفر موسى بحر العلوم	١٩٦٢م	طالب علوم دينية	١٩٩١/٣/٢٠م
رضا انا خالقي	١٩٢٧م	عالم دين	١٩٩١/٣/٢٠م
الشيخ عبد الامير ابو الطابوق	١٩٢٩م	واعظ	١٩٩١/٣/٢٣م
السيد علي الشيرازي	١٩٥٢م	طالب علوم دينية	١٩٩١/٣/٢٥م
الشيخ محمد حسن نصاري	١٩٥١م	طالب علوم دينية	١٩٩١/٣/١٢م
العهد علي البهبهاني	١٩٢١م	عالم دين	١٩٩١/٣/١٢م
محمد حسين محمد شريف كاشف الخطاء	١٩٧٢م	طالب علوم دينية	١٩٩١/٣/١٢م
السيد مرتضى الحكيم	١٩٢١م	عالم دين	١٩٩١/٣/١٢م
السيد حمدرضا حسن الحكيم	١٩١٨م	عالم دين	١٩٩١/٣/١٢م
السيد احمد جعفر الحكيم	١٩٦٦م	طالب علوم دينية	١٩٩١/٣/١٢م
السيد فاضل الخراساني	١٩٥٢م	واعظ	١٩٩١/٣/١٢م



Tehran: tel 644380 طهران: تلفون ٦٤٤٣٨٠ بسمه تعالى  
 Telex: 21491 MBHO IR MBHO IR 214291: تلکس: الرقم:  
 P.O BOX: 14155/1959 ص.ب: ١٤١٥٥/١٩٥٩ التاريخ:

### قائمة بأسماء رجال الدين المفقودين في مدينة النجف الأشرف

تاريخ الاعتقال	المهنة	تاريخ الولادة	الاسم
١٩٩١/٣/٢٣ م	عالم دين	١٩٤٢ م	علاء الدين علي هادي بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣ م	طالب علوم دينية	١٩٦٣ م	علي علاء الدين علي بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣ م	طالب علوم دينية	١٩٦٥ م	مصطفى علاء الدين بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣ م	عالم دين	١٩٣٦ م	السيد إبراهيم الشيرازي
١٩٩١/٣/٢٣ م	طالب علوم دينية	١٩٦٣ م	السيد باقر إبراهيم الشيرازي
١٩٩١/٣/٢٦ م	عالم دين	١٩٣٦ م	السيد محمد تقي المرعشي
١٩٩١/٤/٢٦ م	عالم دين	١٩٤١ م	السيد علي السبزواري
١٩٩١/٤/٦ م	عالم دين	١٩٤٠ م	السيد محمد السبزواري
١٩٩١/٣/٢٠ م	طالب علوم دينية	١٩٦٢ م	جواد جعفر موسى بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٠ م	عالم دين	١٩٢٧ م	رضا اغا خلخالي
١٩٩١/٣/٢٣ م	واعظ	١٩٤٩ م	الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق
١٩٩١/٣/٢٥ م	طالب علوم دينية	١٩٥٢ م	السيد علي الشيرازي
١٩٩١/٣/١٣ م	طالب علوم دينية	١٩٥١ م	الشيخ محمد حسن نصاري
١٩٩١/٣/١٣ م	عالم دين	١٩٣١ م	السيد علي البعاج
١٩٩١/٣/١٣ م	طالب علوم دينية	١٩٧٣ م	محمد حسين محمد شريف كاشف الغطاء
١٩٩١/٣/١٣ م	عالم دين	١٩٣١ م	السيد مرتضى الحكيم
١٩٩١/٣/١٣ م	عالم دين	١٩١٨ م	السيد محمد رضا محسن الحكيم
١٩٩١/٣/١٣ م	طالب علوم دينية	١٩٦٦ م	السيد احمد جعفر الحكيم
١٩٩١/٣/١٣ م	واعظ	١٩٥٢ م	السيد فاضل الخراساني

وثيقة رقم (١١) - ٢

Tehran : Tel: 6441380  
Telex: 21491 MBHO IR  
P. O. BOX : 14155 / 1959

طهران: تلفون: ٦٤٤٢٨٠  
تلکس: 214291 MBHO IR  
ص.ب: ١٤١٥٥/١٩٥٩



بِسْمِ اللَّهِ تَعَالَى  
الرقم :  
التاريخ :

NO. :  
DATE :

تاريخ الاعتقال	المهنة	تاريخ الولادة	الاسم
من ١ الى ٦/٣/٩١م	عالم دين	١٩٢٨م	السيد عبد الحسين القزويني
١٩٩١/٣/٢٣م	طالب علوم دينية	١٩٦٤م	السيد كمال محمد كلانستر
١٩٩١/٣/٢٠م	عالم دين	١٩٣٣م	السيد عز الدين علي هادي بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣م	عالم دين	١٩٣٣م	السيد جعفر موسى بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣م	عالم دين	١٩٣٧م	السيد حسن موسى بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣م	عالم دين	١٩٤٦م	السيد محمد حسين موسى جعفر بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣م	عالم دين	١٩٢٨م	السيد محمد رضا موسى جعفر بحر العلوم
١٩٩١/٣/١٣م	طالب علوم دينية	١٩٦٦م	محمد محمد نقي المرعشي
١٩٩١/٣/٢٠م	طالب علوم دينية	١٩٦٣م	السيد محمود الميلانسي
١٩٩١/٣/٢٠م	طالب علوم دينية	١٩٦٢م	السيد ابراهيم الخوئي
١٩٩١/٣/١٣م	عالم دين	١٩٠٦م	السيد مرتضى الخليلي

المركز الوثائقي لحقوق الإنسان  
في العراق

Tehran: tel 644380 طهران: تلفون ٦٤٤٣٨٠ بسمه تعالى  
 Telex: 21491 MBHO IR MBHO IR 214291 تلکس: الرقم:  
 P.O BOX: 14155/1959 ص.ب: ١٤١٥٥/١٩٥٩ التاريخ:

من الى ١٩٩١/٣/٦ م	عالم دين	١٩٢٨ م	السيد عبد الحسين القزويني
١٩٩١/٣/٢٣ م	طالب علوم دينية	١٩٦٤ م	السيد كمال محمد كلانتر
١٩٩١/٣/٢٠ م	عالم دين	١٩٣٣ م	السيد عز الدين علي هادي بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣ م	عالم دين	١٩٣٣ م	السيد جعفر موسى بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣ م	عالم دين	١٩٣٧ م	السيد حسن موسى بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣ م	عالم دين	١٩٤٦ م	السيد محمد حسين موسى بحر العلوم
١٩٩١/٣/٢٣ م	عالم دين	١٩٤٨ م	السيد محمد رضا موسى جعفر بحر العلوم
١٩٩١/٣/١٣ م	طالب علوم دينية	١٩٦٦ م	محمد محمد تقى المرعشي
١٩٩١/٣/٢٠ م	طالب علوم دينية	١٩٦٣ م	السيد محمود الميلاني
١٩٩١/٣/٢٠ م	طالب علوم دينية	١٩٦٢ م	السيد ابراهيم الخوئي
١٩٩١/٣/١٣ م	عالم دين	١٩٠٦ م	السيد مرتضى الخليلي

المركز الوثائقي لحقوق الإنسان

في العراق

## وثيقة رقم (١٢) - ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس الأعلى  
للتفكير الإسلامي في العراق  
كرتاسنةالعدد: ١٣٩٦٨٠  
التاريخ: ١٦٠٠١٤١٤١ هـ

بيان سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للتفكير الإسلامي في العراق، ورئيس  
المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، بمناسبة رحيل سماحة العلامة الكبير آية الله الشيخ محمد  
مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

سبح الله العظيم

تلقتنا ببالغ الحزن والأسى نبأ رحيل سماحة آية الله المجاهد العلامة الكبير الشيخ محمد مهدي شمس  
الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، بعد عمر طويل قضاء في خدمة ديننا الإسلامي  
الحنيف وأهدافه المقدسة وجماعة أهل البيت عليهم السلام.  
لقد فقدنا بوفاة هذا العالم الكبير المخلص الأخ العزيز والصديق الوفي والمفكر الإسلامي البارز الذي رُفد  
الكتبة الإسلامية بالعديد من النظريات والكتب الإسلامية النافعة، وعلماً بارزاً من أعلام الإسلام المعاصرين،  
ومجاهداً صامداً في جميع ساحات العمل والاجتهاد، وقائداً حكيماً في إدارة الصراع مع الأعداء وفي بناء  
المؤسسات الإسلامية.

لقد عرفنا الفقيه الراحل شامياً يتطوع لتحكيم مبادئ الإسلام العظيم في حياة المجتمع أينما كان في العراق  
ولبنان وفلسطين وبلاد العالم الإسلامي والمهجر، وعرفناه علماً يجعل هموم أمته الإسلامية، ويتحرق من  
أجل تحريك عوامل النهضة في أوصالها من أجل مقاومة كل أنواع الهيمنة والتحرير والفضلال والاستسلام  
التي غزت مجتمعاتنا الإسلامية.

وقد مارس، من منطلق إيمانه بوظيفة رجل العلم والدين، دوره في إرشاد الناس إلى الهدى والصالح منذ أن  
كان في الحوزة العلمية في النجف الأشرف. ينهل من فيض علمها ويقوم بإبلاغ الرسائل الإلهية وبناء  
للمؤسسات الدينية في مدن العراق، الكبيرة، ولازال الكثيرون من أبناء العراق حتى الآن يتذكرونه ويتذكرون  
دوره وخدماته الإسلامية الجليلة في بعض المدن العراقية عندما كان كياناً للمرجع الراحل الإمام السيد محسن  
الطباطبائي الحكيم (قده).

بسمه تعالى

المجلس الأعلى  
للثورة الإسلامية في العراق  
الرئاسة

العدد: ١٣٩٦٨ / ط ع  
التاريخ: ١٦ شوال ١٤٢١ هـ

بيان سماحة آية الله السيد محمد باقر الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق،  
ورئيس المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، بمناسبة رحيل سماحة العلامة الكبير آية الله  
الشيخ محمد مهدي شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم  
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾  
صدق الله العلي العظيم

تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ رحيل سماحة آية الله المجاهد العلامة الكبير الشيخ محمد مهدي  
شمس الدين رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، بعد عمر طويل قضاه في خدمة  
ديننا الإسلامي الحنيف، وأهدافه المقدسة، وجماعة أهل البيت (عليهم السلام).  
لقد فقدنا بوفاة هذا العالم الكبير المخلص الأخ العزيز، والصديق الوفي، والمفكر الإسلامي  
البارز، الذي رقد المكتبة الإسلامية بالعديد من النظريات والكتب الإسلامية النافعة، وعلماً  
بارزاً من أعلام الإسلام المعاصرين، ومجاهداً صامداً في جميع ساحات العمل والجهاد، وقائداً  
حكيماً في إدارة الصراع مع الأعداء وفي بناء المؤسسات الإسلامية.  
لقد عرفنا الفقيد الراحل شاباً يتطلع لتحكيم مبادئ الإسلام العظيم في حياة المجتمع أينما  
كان في العراق، ولبنان، وفلسطين، وبلاد العالم الإسلامي، والمهجر، و عرفناه عالماً يحمل هموم  
أمتة الإسلامية، ويتحرّق من أجل تحريك عوامل النهضة في أوصالها؛ من أجل مقاومة كل  
أنواع الهيمنة والتحرير والضلال والاستسلام التي غزت مجتمعاتنا الإسلامية.  
وقد مارس من منطلق إيمانه بوظيفة رجل العلم والدين، دوره في إرشاد الناس إلى الهدى  
والصلاح، منذ أن كان في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ينهل من فيض علمها، ويقوم  
بإبلاغ الرسائل الإلهية، وبناء المؤسسات الدينية في مدن العراق الكبيرة، ولا زال الكثيرون  
من أبناء العراق حتى الآن يتذكرونه ويتذكرون دوره وخدماته الإسلامية الجليلة في بعض المدن  
العراقية، عندما كان وكيلاً للمرجع الراحل الإمام السيد محسن الطباطبائي الحكيم (قدس سره).

## وثيقة رقم (١٢) - ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس الأعلى  
للثورة الإسلامية في العراق  
الكرتاسيةالمرمى : .....  
التاريخ : .....

كما مارس منذ شبابه ومن منطلق شعوره بوجود الفراغ، التأليف في قضايا الاسلام وعقائده، فكانت كتبه كاشفة عن عمقه الفكري وأصاله فهمه للإسلام والتجديد في الطرح والاسلوب في الثقافة الاسلامية فكان في كل الحالتين، في التبليغ في الأوساط الشعبية والاسلامية وفي كتاباته قد بذل كل وسعه وجهده في خدمة الاسلام العظيم.

وفي لبنان كان الفقيه الراحل قد ساهم مساهمة كبيرة في إحداث نهضتها الاسلامية الحديثة وبناء مؤسساتها الاسلامية، وقدم حتى آخر لحظة من حياته الكثير من الخدمات لهذه النهضة، سواءً من موقعه كعالم يجهد وعامل في سبيل إيلاء الرسائل الالهية والاصلاح بين الناس وتوثيق العلاقات مع مختلف الجماعات الاسلامية والرسالات الإلهية، أو من خلال موقعه كرئيس للمجلس الاسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، ومازالت مشاريعه ومؤسساته الاسلامية النهضوية ماثلة للعيان إلى اليوم، ومنها المؤسسة الفنية العامة (الجامعة الاسلامية) وكذلك (الحوزة العلمية) وغيرها من المؤسسات الانسانية.

وإننا.. إذ ننسى هذا العالم الكبير ونعزي أنفسنا بهذه الحسارة الفادحة، نعزي إمام العصر والزمان الحجة المنتظر (عج) والعالم الشيعي وعموم المسلمين وجميع المراجع والعلماء العقلاء ورجال الدين وذوي الفقيه الراحل وخصوصاً أسرته العلمية الشريفة، وكذلك جميع اخوانه من السادة العلماء والسادة أعضاء المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى، وأبناء الشعب اللبناني الشقيق ولاسيما أبناء جبل عامل والجنوب اللبناني الذي لازال يواجه العدوان والحظر الصهيوني، وكان المهدي الصالح لتربية هؤلاء العلماء الأفاضل.

سائلين المولى القدير أن يتغمده بواسع رحمته..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

محمد باقر الحكيم

رئيس المجلس الأعلى للثورة الاسلامية في العراق

رئيس المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الاسلامية

الخميس ١٧ شوال ١٤٢١هـ

بسمه تعالى

المجلس الأعلى  
للثورة الإسلامية في العراق  
الرئاسة

العدد: .....

التاريخ: .....

كما مارس منذ شبابه - ومن منطلق شعوره بوجود الفراغ - التأليف في قضايا الإسلام وعقائده، فكانت كتبه كاشفة عن عمقه الفكري، وأصالة فهمه للإسلام، والتجديد في الطرح والأسلوب في الثقافة الإسلامية، فكان في كل الحالين: في التبليغ في الأوساط الشعبية والإسلامية، وفي كتاباته قد بذل كل وسعه وجهده في خدمة الإسلام العظيم.

وفي لبنان كان الفقيه الراحل قد ساهم مساهمة كبيرة في إحداث نهضتها الإسلامية الحديثة، وبناء مؤسساتها الإسلامية، وقدم حتى آخر لحظة من حياته الكثير من الخدمات لهذه النهضة، سواء من موقعه كعالم مجتهد وعامل في سبيل إبلاغ الرسالات الإلهية والإصلاح بين الناس وتوثيق العلاقات مع مختلف الجماعات الإسلامية والرسالات الإلهية، أو من خلال موقعه كرئيس للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، وما زالت مشاريعه ومؤسساته الإسلامية النهضوية ماثلة للعيان إلى اليوم، ومنها: المؤسسة الفقية العامة (الجامعة الإسلامية)، وكذلك (الحوزة العلمية)، وغيرها من المؤسسات الإنسانية.

وإننا .. إذ ننعى هذا العالم الكبير ونعزي أنفسنا بهذه الفادحة، نعزي إمام العصر والزمان الحجة المنتظر (عج)، والعالم الشيعي، وعموم المسلمين، وجميع المراجع والعلماء العظام ورجال الدين، وذوي الفقيه الراحل، وخصوصاً أسرته العلمية الشريفة، وكذلك جميع إخوانه من السادة العلماء، والسادة أعضاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وأبناء الشعب اللبناني الشقيق، ولا سيما أبناء جبل عامل والجنوب اللبناني، الذي لا زال يواجه العدوان والخطر الصهيوني، وكان المهدي الصالح لتربية هؤلاء العلماء الأفاضل.

سائلين المولى القدير أن يتغمده بواسع رحمته ..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

محمد باقر الحكيم

رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق

رئيس المجلس الأعلى للتقريب بين المذاهب الإسلامية

الخميس ١٧ شوال ١٤١٢ هـ

## وثيقة رقم (١٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس الأعلى  
للمشورة الإسلامية في العراق  
الكرتاسنة

العدد: ١٣٤٤٤  
التاريخ: ١٤٢١ هـ

---

سماحة آية الله العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين دام عزه  
رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. والدعاء لكم بالتأييد والتسليد.

أتقدم لكم بالتهاني والتبريكات الحارة بمناسبة الانتصارات العظيمة التي حققها المجاهدون  
الملتزمون من أبناء الشعب اللبناني، وفي مقدمتهم أبناء المقاومة الاسلامية، في تحرير الأجزاء  
الغالية والعزيزة من أرض الآباء والأجداد والنخبة الصالحة، أرض جبل عامل المعطاء، والذين  
تمكنوا - والله الحمد ولله - أن يلحقوا المذبحة النكراء بالقوات الصهيونية وبرغمونها على  
التخلي عن هذه الأرض العزيزة، وكل ذلك ببركة الدماء الطاهرة والتضحيات الغالية للشهداء  
والجاهدين والأدعية الصالحة للمؤمنين والصبر والصمود للشعب اللبناني والدعم المستمر  
للقوى الخيرة في عالمنا الاسلامي.

نسأله تعالى أن يحقق النصر الكامل للشعب الفلسطيني في العودة وإقامة الحق والعدل  
والأهداف المقدسة في تحرير القدس الشريف وأرض فلسطين الغالية، والنصر لجميع المؤمنين  
والمسلمين في العالم وفي عراقنا الجريح على الطغيان والاستبداد.

ودعتم مسليدين.

محمد باقر الحكيم  
٢٠ صفر  
١٤٢١ هـ



باسمه تعالى

المجلس الأعلى  
للثورة الإسلامية في العراق  
الرئاسة

العدد: ١٣٤٣٤ / ط ع  
التاريخ: ٢٩ / ٥ / ٢٠٠٠

سماحة آية الله العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين دام عزه

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. والدعاء لكم بالتأييد والتسديد.

أتقدم لكم بالتهاني والتبريكات الحارة بمناسبة الانتصارات العظيمة التي حققها المجاهدون الملتزمون من أبناء الشعب اللبناني، وفي مقدمتهم أبناء المقاومة الإسلامية، في تحرير الأجزاء الغالية والعزيزة من أرض الآباء والأجداد والنخبة الصالحة، أرض جبل عامل المعطاء، والذين تمكنوا - والله الحمد والمنة - أن يلحقوا الهزيمة النكراء بالقوات الصهيونية، ويرغمونها على التخلي عن هذه الأرض العزيزة، وكل ذلك ببركة الدماء الطاهرة، والتضحيات الغالية للشهداء، والمجاهدين، والأدعية الصالحة للمؤمنين، والصبر والصمود للشعب اللبناني، والدعم المستمر للقوى الخيرة في عالمنا الإسلامي.

نسأله تعالى أن يحقق النصر الكامل للشعب الفلسطيني في العودة، وإقامة الحق والعدل، والأهداف المقدسة في تحرير القدس الشريف، وأرض فلسطين الغالية، والنصر لجميع المؤمنين والمسلمين في العالم، وفي عراقنا الجريح على الطغيان والاستبداد.

ودمتم مسددين.

محمد باقر الحكيم

٢٠ صفر ١٤٢١ هـ

وثيقة رقم (١٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس الأعلى  
للشؤون الإسلامية في العراق  
الرياسة

العدد: ١٤٢٠/٢٤٠  
التاريخ: ١٤٢٠/٥/٢٠

---

صاحبة حجة الاسلام العلامة المجاهد السيد حسن نصر الله دام عزه  
الأمين العام لحزب الله / لبنان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد كان للنصر العظيم الذي حققه المجاهدون الأحرار من أبناء الشعب اللبناني وعلى رأسهم مجاهدو حزب الله بتحريرهم أراضي جنوب لبنان الغالية ، أرض جبل عامل للمعتاد أعظم الأثر في نفوس المسلمين جميعاً، فقد تمكن هؤلاء المجاهدون الأبطال من طرد قوات العدو الصهيوني الغاشم من أرض الآباء والاجداد والسمية الصالحة ، ولم يكن هذا الانتصار الكبير ليتحقق إلا ببركة دماء الشهداء الشريفة وتضحيات المجاهدين الغالية وأدعية المؤمنين الصالحة وصبر وسمود الشعب اللبناني والدعم المستمر للقوى الخيرة في عالمنا الإسلامي والتوجيه الثوري الاستشهادي والمعنويات العالية للروح الطاهرة لإمام الأمة (رضوان الله عليه) والمواقف الحكيمة لولي أمر المسلمين صحابة آية الله العظمى السيد علي الخامنسي (دام ظلّه الوارف) في إدارة الصراع مع الاستكبار والكفر العالمي والصهيونية العالمية.

إنني إذ أتقدم إليكم بياضي وبإسم الشعب العراقي الصابر والمجاهد بأسمى التهاني بهذه المناسبة العظيمة، أتقبل إلى العلي القدير أن يتحقق آمال الأمة الإسلامية جمعاء بحصاة النصر الكامل للشعب الفلسطيني في العودة وإقامة الحق والعدل والأهداف المقدسة في تحرير القدس الشريف وأرض فلسطين الغالية، ولشعبنا في العراق الجريح على الطغيان والاستيلاء، وأن يحفظكم ويوفقكم على طريق الجهاد.

ودمت مسلحين.

محمد باقر الحكيم

٢٠ صفر ١٤٢١ هـ

باسمه تعالى

المجلس الأعلى

لثورة الإسلامية في العراق

الرئاسة

العدد: ١٣٤٣٥ / طع  
التاريخ: ٢٩ / ٥ / ٢٠٠٠

ساحة حجة الإسلام العلامة المجاهد السيد حسين نصر الله (دام عزّه)

الأمين العام لحزب الله / لبنان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد كان للنصر العظيم الذي حققه المجاهدون الأحرار من أبناء الشعب اللبناني، وعلى رأسهم مجاهدو حزب الله بتحريرهم أراضي جنوب لبنان الغالية، أرض جبل عامل المعطاء أعظم الأثر في نفوس المسلمين جميعاً، فقد تمكّن هؤلاء المجاهدون الأبطال من طرد قوات العدو الصهيوني الغاشم من أرض الآباء والأجداد، والنخبة الصالحة، وصبر وضمود الشعب اللبناني، والدعم المستمر للقوى الخيرة في عالمنا الإسلامي، والتوجيه الثوري الاستشهادي، والمعنويات العالية للروح الطاهرة لإمام الأمة (رضوان الله عليه)، والمواقف الحكيمة لوليّ أمر المسلمين ساحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظلّه الوارف) في إدارة الصراع مع الاستكبار والكفر العالمي والصهيونية العالمية.

إني إذ أتقدم إليكم باسمي، وباسم الشعب العراقي الصابر والمجاهد بأسمى التهاني بهذه المناسبة العظيمة، ابتهل إلى العليّ القدير أن يحقق آمال الأمة الإسلامية جمعاء، خاصة النصر الكامل للشعب الفلسطيني في العودة، وإقامة الحق والعدل والأهداف المقدسة في تحرير القدس الشريف، وأرض فلسطين الغالية، ولشعبنا في العراق الجريح على الطغيان والاستبداد، وأن يحفظكم ويوفّقكم على طريق الجهاد.

ودمتم مسددين.

محمد باقر الحكيم

٢٠ صفر ١٤٢١ هـ



## ثبت المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- (١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان.
- (٢) أمل الآمل، الحر العاملي، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، المطبعة: الآداب - النجف الأشرف، الناشر: مكتبة الأندلس - بغداد.
- (٣) أسباب نزول الآيات، الواحدي النيسابوري، سنة الطبع: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع - القاهرة.
- (٤) إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٥هـ - ١٣٧٤هـ ش، المطبعة: أمير - قم، الناشر: انتشارات الشريف الرضي.
- (٥) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: رجب ١٤١٤هـ، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.
- (٦) إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ربيع الأول ١٤١٧هـ، المطبعة: ستارة - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم المشرفة.
- (٧) الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: آيار - مايو ١٩٨٠م، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
- (٨) الأصول العامة للفقهاء المقارن، السيد محمد تقي الحكيم، الطبعة:

الثانية، سنة الطبع: آب (أغسطس) ١٩٧٩ م، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام للطباعة والنشر.

(٩) الأمالي، الشيخ الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤ هـ، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.

(١٠) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخراسان، سنة الطبع: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.

(١١) الاستيعاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، الناشر: دار الجليل - بيروت - لبنان.

(١٢) الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، حسن الأمين، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٧ هـ، المطبعة: باقري، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

(١٣) الإسلام يقود الحياة، السيد محمد باقر الصدر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، المطبعة: ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.

(١٤) الإمامة وأهل البيت عليهم السلام، السيد محمد باقر الحكيم، الطبعة: الثالثة، المطبعة: النخيل، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم.

(١٥) الإمام الحكيم، عرض تاريخي لدوره السياسي والثقافي، محمد الشيخ هادي الأسدي، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ، مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث العراقية.

(١٦) الإمام الشهيد الصدر، دراسة لجوانب من الفكر والشخصية

والمنهج، السيد محمد باقر الحكيم، إعداد وتحقيق: محمود الحكيم، المطبعة: النخيل، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: خريف ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم.

(١٧) الإمام علي عليه السلام - دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج، السيد محمد باقر الحكيم، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، المطبعة: العترة الطاهرة، الطبعة: الأولى شتاء عام ١٤٣٢هـ.

(١٨) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، الطبعة: الثانية المصححة، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.

(١٩) بحث حول المهدي، السيد محمد باقر الصدر، تحقيق: الدكتور عبد الجبار شرارة، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، المطبعة: فروردين، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

(٢٠) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار)، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ - ١٣٦٢هـ ش، المطبعة: مطبعة الأحمدي - طهران، الناشر: منشورات الأعلمي - طهران.

(٢١) بحوث في الفقه المعاصر، الشيخ حسن الجواهري، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الذخائر، بيروت - لبنان.

(٢٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

(٢٣) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع:

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

(٢٤) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ - ١٩٩٧ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

(٢٥) تاريخ الوزارات العراقية، السيد عبد الرزاق الحسني، الطبعة: السابعة، سنة الطبع: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة.

(٢٦) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، الناشر: دار صادر - بيروت - لبنان.

(٢٧) تفسير الألوسي، الألوسي.

(٢٨) تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، الطبعة: الثالثة.

(٢٩) تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، المطبعة: بيروت - دار الفكر، الناشر: دار الفكر.

(٣٠) تفسير السمعي، السمعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، المطبعة: السعودية - دار الوطن - الرياض، الناشر: دار الوطن - الرياض.

(٣١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣٢) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: صفر ١٤٠٤ هـ، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران.



- (٣٣) التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى، رمضان ١٤٠٩ هـ - مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، إيران.
- (٣٤) التهجير جريمة العصر، إعداد: صحيفة لواء الصدر، لجنة إقامة مؤتمر جرائم صدام/ المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق - ١٢ - ١٧ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ.
- (٣٥) التوحيد، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- (٣٦) التحرك الإسلامي في العراق، مذكرات الشهيد محمد مهدي الحكيم، إعداد: مركز شهداء آل الحكيم للدراسات التاريخية والسياسية.
- (٣٧) الثورة العراقية الكبرى، السيد عبد الرزاق الحسيني، الطبعة المنقحة، سنة الطبع: ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م، المطبعة: العرفان - صيدا.
- (٣٨) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، سنة الطبع: ١٣٩٩ هـ، المطبعة: المطبعة العلمية - قم.
- (٣٩) جرائم نظام صدام، أكرم هادي، لجنة إقامة مؤتمر جرائم صدام/ المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق - ١٢ - ١٧ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ.
- (٤٠) الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
- (٤١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- (٤٢) حزب الدعوة الإسلامية، حقائق وأرقام، صلاح الخرسان، الطبعة:

- الأولى سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الإستراتيجية - سورية - دمشق. ص. ب: ٢٧٤٥٣.
- (٤٣) حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر، أحمد حسين يعقوب، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ٢٠٠٠م، الناشر: دار الملاك.
- (٤٤) الحوزة العلمية في النجف، علي أحمد البهادلي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الناشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت - لبنان.
- (٤٥) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، النسائي، تحقيق وتصحيح الأسانيد ووضع الفهارس: محمد هادي الأميني، الناشر: مكتبة نينوى الحديثة - طهران.
- (٤٦) خطيب الأمة السيد جواد شبر، محمد أمين شبر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٤٧) الخصال، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣هـ - ١٣٦٢هـ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- (٤٨) دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، حسن الأمين.
- (٤٩) درر الفوائد، الشيخ عبد الكريم الحائري، المعلق: الشيخ الأراكي والتحقيق: الشيخ محمد مؤمن القمي، الطبعة: الخامسة، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- (٥٠) دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، إعداد وتحقيق:

لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، الطبعة: السادسة عام ١٤١٣هـ، المطبعة: شريعت - قم المقدسة، الناشر: مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر.

(٥١) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، سنة الطبع: ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، الناشر: دار المعارف - القاهرة.

(٥٢) دماء العلماء في طريق الجهاد، محمد الأسدي - موسى التميمي - أبو إسراء، تاريخ الطبع: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الناشر: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق.

(٥٣) دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، السيد محمد باقر الحكيم، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ربيع عام ٢٠٠٧م، المطبعة: العترة الطاهرة، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم.

(٥٤) الديوان، مصطفى جمال الدين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الناشر: دار المؤرخ العربي.

(٥٥) الرواشح السماوية، المحقق الداماد، تحقيق: غلام حسين قيصريها، نعمة الله الجليلي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢هـ - ١٣٨٠هـ ش، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

(٥٦) الزهراء عليها السلام، أهداف، مواقف، نتائج، السيد محمد باقر الحكيم، المطبعة: العترة الطاهرة، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، سنة الطبع: شتاء سنة ٢٠٠٦م.

(٥٧) سماء المقال في علم الرجال، أبو الهدى الكلباسي، تحقيق: السيد محمد الحسيني القزويني، الطبعة: الأولى شعبان المعظم ١٤١٩هـ، المطبعة: أمير

- قم، الناشر: مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية - قم المشرفة.
- (٥٨) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٥٩) سير أعلام النبلاء، الذهبي، إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: حسين الأسد، الطبعة: التاسعة، سنة الطبع: ١٤١٣ - ١٩٩٣م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- (٦٠) السيد محمد تقي الحكيم، سيرته ومسيرته الفكرية، علاء الدين السيد محمد تقي الحكيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، المطبعة: الرائد، من إصدارات مركز دار الحكمة للدراسات الإسلامية / ٣٣.
- (٦١) السيد محسن الحكيم، دراسة في دوره السياسي والفكري في العراق، د. وسن سعيد الكرعائي، الطبعة: الأولى عام ٢٠٠٩م، المطبعة: ثامن الحجج عليه السلام، الناشر: مؤسسة آفاق للدراسات والبحوث العراقية.
- (٦٢) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ، المطبعة: مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- (٦٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- (٦٤) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م،

- الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي -  
مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
- (٦٥) الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى، الطبعة: الثانية، سنة الطبع:  
١٤١٠هـ، المطبعة: مؤسسة إسماعيليان - قم، الناشر: مؤسسة إسماعيليان -  
قم.
- (٦٦) الشرح الكبير، أبو البركات، الناشر: دار إحياء الكتب العربية -  
عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- (٦٧) الشيخ عبد المنعم الفرطوسي، حياته وأدبه، حيدر محلاقي، الناشر:  
المكتبة الأدبية المختصة / ٥.
- (٦٨) صحيح ابن حبان، ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة:  
الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- (٦٩) الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، الطبعة:  
الرابعة، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الناشر: دار العلم للملايين  
- بيروت - لبنان.
- (٧٠) الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي،  
الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٣٠هـ - ١٣٨٨هـ. ش، المطبعة: دفتر  
تبليغات إسلامي، الناشر: ولاء المنتظر عليه السلام.
- (٧١) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، تقديم: الدكتور حامد  
حفني داود، الناشر: انتشارات أنصاريان - قم - إيران.
- (٧٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق، تقديم: السيد محمد صادق بحر  
العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية

ومطبعتها - النجف الأشرف.

(٧٣) علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: شتاء ٢٠١٠م، المطبعة: النخيل، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم.

(٧٤) عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، تحقيق: الحاج آقا مجتبي العراقي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المطبعة: سيد الشهداء - قم.

(٧٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، المطبعة: مطابع مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

(٧٦) علماء في رضوان الله: محمد أمين نجف، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، المطبعة: بهمن، الناشر: انتشارات الإمام الحسين عليه السلام.

(٧٧) الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.

(٧٨) الغيبة، الشيخ الطوسي، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: شعبان ١٤١١هـ، المطبعة: بهمن، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة.

(٧٩) فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، النجاشي، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٤١٦هـ، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

- (٨٠) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، تصحيح: أحمد عبد السلام، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٨١) فهرس التراث، محمد حسين الحسيني الجلاي، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلاي، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ١٣٨٠هـ. ش. المطبعة: نكارش، الناشر: دليل ما.
- (٨٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨هـ - ١٣٧٦هـ ش، المطبعة: نكين - قم، الناشر: مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام.
- (٨٣) الفوائد الرجالية، السيد مهدي بحر العلوم، تحقيق وتعليق: محمد صادق بحر العلوم، حسين بحر العلوم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٦٣هـ ش، المطبعة: آفتاب، الناشر: مكتبة الصادق - طهران.
- (٨٤) قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٩هـ قم، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- (٨٥) قرب الإسناد، الحميري القمي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣هـ، المطبعة: مهر - قم، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - قم.
- (٨٦) كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤٠٥هـ - ١٣٦٣ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

- (٨٧) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ، مؤسسة دار الهجرة، إيران.
- (٨٨) كنز العمال، المتقي الهندي، ضبط وتفسير: الشيخ بكرى حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، سنة الطبع: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- (٨٩) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، سنة الطبع: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، المطبعة: دار صادر - دار بيروت، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر.
- (٩٠) الكافي، الشيخ الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٣٦٣ هـ ش، المطبعة: حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.
- (٩١) الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، الناشر: مكتبة الصدر - طهران.
- (٩٢) لماذا قتلوه، سليم العراقي، الطبعة: الأولى سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الناشر: مؤسسة المنار للطباعة والنشر / إيران - قم المقدسة.
- (٩٣) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الدكتور علي الوردي، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٩٢٥ لسنة ١٩٧٩.
- (٩٤) لمحة موجزة من حياة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الناشر: دار الهلال.
- (٩٥) اللهوف في قتل الطفوف، السيد ابن طاووس، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧ هـ، المطبعة: مهر، الناشر: أنوار الهدى - قم - إيران.



- (٩٦) ماضي النجف وحاضرها: جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، الطبعة: الثاني سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الناشر: دار الأضواء/ بيروت - لبنان.
- (٩٧) مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، سنة الطبع: شهر يور ماه ١٣٦٢هـ ش، المطبعة: چاپخانه طراوت، الناشر: مرتضوي.
- (٩٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
- (٩٩) مستدركات أعيان الشيعة، حسن الأمين، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
- (١٠٠) محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، أحمد عبد الله أبو زيد العاملي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، الناشر: مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- (١٠١) مختصر المعاني، التفتازاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١١هـ، المطبعة: قدس - قم، الناشر: دار الفكر - قم.
- (١٠٢) مدارس النجف القديمة والحديثة، محمد الخليلي، إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية/ النجف الأشرف.
- (١٠٣) مستدرک الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الناشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث - بيروت - لبنان.
- (١٠٤) مسند الشاميين، الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- (١٠٥) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، علي الطبرسي، تحقيق: مهدي

هوشمند، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨هـ، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث.

(١٠٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، المطبعة: بيروت - دار المعرفة، الناشر: دار المعرفة.

(١٠٧) معارف الرجال: الشيخ محمد حرز الدين، تعليق: الشيخ محمد حسين حرز الدين، المطبعة: مطبعة الولاية - قم المقدسة، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

(١٠٨) معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٤١٣ - ١٩٩٢م.

(١٠٩) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، تقديم وإشراف: كاظم المظفر، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبتها - النجف الأشرف.

(١١٠) مكاتيب الرسول، الأحمدي الميانجي، الطبعة: الأولى - مصححة ومنقحة ومزودة، سنة الطبع: ١٩٩٨م، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث.

(١١١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

(١١٢) منهاج الصالحين، السيد أبو القاسم الخوئي، الطبعة: الثامنة والعشرون، سنة الطبع: ذي الحجة ١٤١٠هـ، المطبعة: مهر - قم المقدسة، الناشر: مدينة العلم - آية الله العظمى السيد الخوئي.

- (١١٣) منهاج الصالحين، السيد محمد سعيد الحكيم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، الناشر: دار الصفوة - بيروت - لبنان.
- (١١٤) معاني القرآن، النحاس، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٩م، الناشر: جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية.
- (١١٥) منية المريد، الشهيد الثاني، تحقيق: رضا المختاري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٩هـ - ١٣٦٨هـ ش، المطبعة: مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.
- (١١٦) موسوعة الأحزاب العراقية، د. حسن لطيف الزبيدي، سنة الطبع: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، الناشر: مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت - لبنان.
- (١١٧) موسوعة العقائد الإسلامية، محمد الريشهري، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٥هـ، المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
- (١١٨) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، الناشر: دار المعروف للطباعة والنشر.
- (١١٩) مائة قاعدة فقهية، السيد المصطفوي، الطبعة: الثالثة المنقحة، سنة الطبع: ١٤١٧هـ، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- (١٢٠) مجلة الإيمان، مجلة دينية شهرية، لصاحبها موسى محمد علي اليعقوبي.

(١٢١) مجلة الكلمة، مجلة فصلية فكرية، تعنى بشئون الفكر الإسلامي وقضايا العصر والتجدد الحضاري - تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث التابع لشركة الكلمة للإعلام والنشر المحدودة - رئيس التحرير: زكي الميلاد.

(١٢٢) المبسوط، السرخسي، سنة الطبع: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

(١٢٣) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع: ١٣٧٠هـ - ١٣٣٠هـ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

(١٢٤) المستدرک، الحاكم النيسابوري، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

(١٢٥) المسترشد، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي)، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي، الطبعة: الأولى المحققة، سنة الطبع: ١٤١٥هـ، المطبعة: سلمان الفارسي - قم، الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور.

(١٢٦) المسلك في أصول الدين، المحقق الحلي، تحقيق: رضا الأستاذي، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٢١هـ - ١٣٧٩هـ ش، المطبعة: مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية - مشهد - إيران.

(١٢٧) المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية)، الشيخ إبراهيم الكفعمي، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

(١٢٨) المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، سنة الطبع: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٢٩) المنهاج الثقافي السياسي، السيد محمد باقر الحكيم، التدقيق اللغوي: ياسر الحكيم، المطبعة: النخيل، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع: خريف ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م، الناشر: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم.

(١٣٠) الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، المطبعة: دار المعرفة، الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان.

(١٣١) الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد علي الأنصاري، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، المطبعة: باقري، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي.

(١٣٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، شرح: الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢هـ - ١٣٧٠هـ ش، المطبعة: النهضة - قم، الناشر: دار الذخائر - قم - إيران.

(١٣٣) النص والاجتهاد، السيد شرف الدين، تحقيق وتعليق: أبو مجتبي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، المطبعة: سيد الشهداء عليه السلام - قم، الناشر: أبو مجتبي.

(١٣٤) النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد، تحقيق: رضا المختاري، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

(١٣٥) الهدية السنوية والتحفة الوهابية النجدية، سليمان بن سحمان النجدي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٤٢هـ، المطبعة: المنار - مصر.

(١٣٦) وضوء النبي ﷺ، السيد علي الشهرستاني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: جمادي الآخرة ١٤١٥ هـ، المطبعة: ستارة - قم، الناشر: المؤلف.

(١٣٧) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، المطبعة: لبنان - دار الثقافة، الناشر: دار الثقافة.

(١٣٨) ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٦ هـ، المطبعة: أسوة، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر.  
(١٣٩)

<http://www.islamahmadiyya.net>

(١٤٠)

<http://www.sistani.org/index.php?p=469882>

(١٤١)

<http://info.bahai.org/arabic>

(١٤٢)

<http://taghrib.org/pages/tex2.php?tid=16>

(١٤٣)

[http://shamseddine.com/ar/?page\\_id=259](http://shamseddine.com/ar/?page_id=259)

(١٤٤)

<http://www.alshabak.net/htm/home/shabakiraqioon.htm>

(١٤٥)

<http://www.moqawama.org/essaydetails.php?eid=4948&cid=130>

- (١٤٦  
<http://nasser.bibalex.org>
- (١٤٧  
[http://www.alhadi.ws/wp/?page\\_id=9076](http://www.alhadi.ws/wp/?page_id=9076)
- (١٤٨  
<http://www.al-waeli.com/Seerah/Serah1.html>
- (١٤٩  
<http://www.facebook.com/Dr.alfadhli/info>
- (١٥٠  
<http://www.leader.ir/langs/ar/index.php?p=bio>
- (١٥٢  
<http://www.imam-moussa.com>





## ﴿المحتويات﴾

٧..... مقدمة الطبعة

### ﴿القسم الأول: رؤى عن الحوزة العلمية﴾

#### الفصل الأول: لمحة حول الحوزة العلمية

- أهمية العلم..... ١٩
- دور العلم في الحياة البشرية..... ٢٠
- التأسيس القرآني للحوزة العلمية..... ٢٢
- أهمية الحوزة العلمية..... ٢٥
- اهتمام أهل البيت عليهم السلام بالحوزة العلمية..... ٢٨
- الإمام المهدي والحوزة العلمية..... ٣٠
- شهر رمضان والإمام المهدي..... ٣١
- فكرة الإمام المهدي من ميزات الرسالة الخاتمة..... ٣٣
- مؤشرات الظهور..... ٣٥
- ١ - مشكلة الأسرة..... ٣٦
- ٢ - التجارة السوداء..... ٣٧
- ٣ - أسلحة الدمار الشامل..... ٣٨
- ٤ - الصراع الاقتصادي..... ٣٨
- ٥ - التناقض بين الشعارات والواقع..... ٣٩

- ارتباط النهضة الإسلامية المعاصرة بالحوزة العلمية..... ٤١
- توصيات مفيدة..... ٤٤

### الفصل الثاني: الحوزة العلمية، الخصائص.. المسؤوليات

- المبحث الأول: خصائص الحوزة العلمية ..... ٥١
- الخاصية الأولى: العالمية ..... ٥٢
- الخاصية الثانية: الاتصاف بالتقوى ..... ٥٥
- الخاصية الثالثة: الاجتهاد المنضبط ..... ٥٧
- الخاصية الرابعة: الحالة التطوعية..... ٦١
- الخاصية الخامسة: الاستقلال..... ٦٤
- الخاصية السادسة: الاستعداد للتضحية ..... ٦٦
- المبحث الثاني: مسؤوليات الحوزة العلمية..... ٧٣
- المسؤولية الأولى: التزكية ..... ٧٦
- المسؤولية الثانية: تعليم الكتاب والحكمة ..... ٧٧
- المسؤولية الثالثة: الإبلاغ..... ٧٨
- صعوبة الإبلاغ ..... ٧٨
- أركان البلاغ..... ٨٠
- أساليب البلاغ..... ٨٣
- المسؤولية الرابعة: الوصول إلى الحكم الشرعي ..... ٨٥
- عناء الاستنباط ..... ٨٦
- المسؤولية الخامسة: مواجهة الظلم والطغيان ..... ٨٨

- المسؤولية السادسة: الجهاد الفكري والثقافي..... ٩١
- انفتاح الحوزة على مشاكل الأمة ..... ٩٣

### الفصل الثالث: طالب العلم، الصفات ، شروط القبول

- المبحث الأول: صفات طالب العلم..... ١٠٠
- الصفة الأولى: الشعور بالمسؤولية وتحملها ..... ١٠٠
- الصفة الثانية: الشعور بالانتماء للرسالة الإسلامية..... ١٠١
- الصفة الثالثة: التقوى والاخلاق ..... ١٠٢
- آليات تزكية النفس ..... ١٠٦
- الصفة الرابعة: الجدية في طلب العلم ..... ١١٣
- اقتران العلم بالمعاناة..... ١١٥
- الصفة الخامسة: الوعي السياسي..... ١١٧
- المبحث الثاني: شروط القبول في الحوزة العلمية ..... ١٢٠
- المفردة الأولى: مراعاة الأولويات ..... ١٢١
- المفردة الثانية: المواصفات الرساليّة ..... ١٢٢
- المفردة الثالثة: المساحات الجغرافيّة والبشريّة ..... ١٢٤
- المفردة الرابعة: أمن الحوزة العلمية ..... ١٢٤
- المفردة الخامسة: الإخلاص والكفاءة في طلب العلم ..... ١٢٥
- المفردة السادسة: الأخلاق ..... ١٢٦
- ملاحظة..... ١٢٧

## الفصل الرابع: الحوزة العلمية والهَمّ الثقافي

- المبحث الأول: معالم ثقافة الحوزة العلمية ..... ١٣٢
- المعلم الأول: المنهج ..... ١٣٢
- المعلم الثاني: التقوى ..... ١٣٧
- المبحث الثاني: تحديات أمام الحوزة العلمية ..... ١٣٩
- التحدي الأول: التطرف الفكري والسطحية ..... ١٤٠
- التحدي الثاني: استهداف حوزتي النجف وقم ..... ١٤٨
- تاريخ الحوزتين ..... ١٥٠
- الحوزتان في الميزان ..... ١٥٥
- التحدي الثالث: ضمور حوزة النجف الأشرف ..... ١٥٩
- العدوان البعثي ..... ١٦٠
- الخسارة الفادحة ..... ١٦٦
- إعادة بناء حوزة النجف الأشرف ..... ١٦٨
- الخطوة الأولى: رعاية الحوزة في المهجر ..... ١٦٨
- الخطوة الثانية: تطوير المدارس الحوزوية ..... ١٦٩
- مسؤوليات الإدارة ..... ١٧١
- الأولى: استثمار الوقت ..... ١٧٢
- الثانية: تكثيف الحصص الدراسية ..... ١٧٣
- الثالثة: تنوع المعرفة ..... ١٧٤
- الرابعة: التدريب العملي ..... ١٧٦
- الدقة في طرح المعلومة ..... ١٧٧

- الخطوة الثالثة: الجهد الاستثنائي للطلبة ..... ١٨١
- الخطوة الرابعة: بث روح التفاؤل ..... ١٨٦

### الفصل الخامس: الحوزة العلمية والهَمّ السياسي

- الحوزة العلمية والعمل السياسي ..... ١٩١
- موقع الحوزة العلمية من العمل السياسي ..... ١٩٢
- ١- البُعد العقائدي ..... ١٩٤
- ٢- البُعد التاريخي ..... ١٩٤
- ٣- بُعد الولاء ..... ١٩٦
- محور الولاء وأطرافه ..... ١٩٧
- وقفه قصيرة ..... ١٩٩
- الثقافة السياسية ..... ٢٠٠
- جوانب الثقافة السياسية ..... ٢٠١
- الرؤية الاجتماعية والسياسية ..... ٢٠٤
- البُعد الأول: مستقبل الحوزة العلمية ..... ٢٠٥
- البُعد الثاني: الهجمة الاستكبارية على الحوزة ..... ٢٠٨

### الفصل السادس: الحركات الإصلاحية في الحوزة العلمية

- المنهج في حركة الإصلاح ..... ٢١٤
- الاتجاه في حركة الإصلاح ..... ٢١٥
- فرضيات الإصلاح ..... ٢١٧

- ٢١٧ ..... الفرضية الأولى: الإصلاح الكلي في إطار الحوزة.....
- ٢١٨ ..... معالم إطار الفرضية الأولى.....
- ٢١٩ ..... أهداف وهموم الفرضية الأولى.....
- ٢٢٨ ..... مصاديق الفرضية الأولى.....
- ٢٣٢ ..... الفرضية الثانية: الإصلاح التجزيئي في إطار الحوزة.....
- ٢٣٥ ..... مصاديق الفرضية الثانية.....
- ٢٤١ ..... الفرضية الثالثة: الإصلاح الكلي خارج الحوزة العلمية.....
- ٢٤١ ..... مصاديق الفرضية الثالثة.....
- ٢٤٦ ..... الفرضية الرابعة: الإصلاح التجزيئي خارج الحوزة.....
- ٢٤٧ ..... مصاديق الفرضية الرابعة.....
- ٢٤٨ ..... أسماء بارزة في الحركة الإصلاحية المعاصرة.....
- ٢٥٣ ..... ملاحظات عامة حول الحركة الإصلاحية.....
- ٢٥٧ ..... رؤيتنا في الإصلاح.....
- ٢٥٩ ..... انعطافة شيخ الطائفة.....
- ٢٦٠ ..... الإصلاح في الحوزة العلمية.....
- ٢٦١ ..... الحاجة إلى تطوير الحوزات.....
- ٢٦٢..... الجوانب الهامة في تطوير الحوزة العلمية.....
- ٢٦٤ ..... الجانب الأول: التخصص.....
- ٢٦٥ ..... الجانب الثاني: البحث العلمي.....
- ٢٦٥ ..... الجانب الثالث: تحقيق التراث.....
- ٢٦٦ ..... الجانب الرابع: تطوير الجانب الفني.....
- ٢٦٧ ..... الجانب الخامس: الانفتاح والمبادرة.....

## الفصل السابع: الحوزة العلمية بين الأصالة والمعاصرة

٢٧٣	موضوع البحث.....
٢٧٤	تحديد مفهومي الأصالة والحداثة.....
٢٧٤	مفهوم الأصالة.....
٢٧٩	مفهوم الحداثة.....
٢٨٢	أبعاد التحدي للرسالة.....
٢٨٣	محاولات معالجة التحدي تاريخياً.....
٢٨٣	المحاولة الأولى: اعتماد الرأي الإنساني.....
٢٨٤	غلق باب الاجتهاد والتدوين.....
٢٨٥	المحاولة الثانية: تعدد القراءات.....
٢٨٧	المحاولة الثالثة: الثابت والمتغير.....
٢٨٨	الثابت والمتغير في التشريع.....
٢٩٠	أبحاث ذات علاقة بالموضوع.....
٢٩٣	تحديد مساحة المتغير في الشريعة.....

## ﴿القسم الثاني: علماء في الذاكرة﴾

### حجة الإسلام والمسلمين السيد غلام علي شاه النقوي

٣٠٢	المحور الأول: أبعاد شخصية السيد النقوي.....
٣٠٢	الأولى: البعد العلمي.....
٣٠٣	الثانية: بُعد التقوى.....

- الثالثة: بُعد التنظيم ..... ٣٠٦
- المحور الثاني: إطار بناء هذه الشخصية ..... ٣٠٨
- المعلم الأول: الجهاد ..... ٣٠٨
- المعلم الثاني: الوجدان ..... ٣٠٨
- المعلم الثالث: المنهجية ..... ٣١٠
- المعلم الرابع: التقوى ..... ٣١٠
- المعلم الخامس: الاعتماد على الله والنفس ..... ٣١١
- المعلم السادس: الالتصاق بالأمة والتفاعل معها ..... ٣١٢

### آية الله السيد محمد تقي الحكيم

- خصائص العلامة الحكيم ..... ٣١٨
- العلامة الحكيم حلقة وصل ..... ٣٢٠
- العدوان على الحوزة العلمية ..... ٣٢١
- التتائج والآثار الوخيمة ..... ٣٢٢
- مقاومة الحوزة العلمية ..... ٣٢٥
- العلامة الحكيم نموذجاً ..... ٣٢٨
- العوامل المساعدة وشخصية العلامة الحكيم ..... ٣٣٨

### آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر

- مضمون المظلومية وأبعادها ..... ٣٤٤



٣٤٦	.....	حركة الإصلاح في الحوزات العلمية
٣٤٧	.....	الشهيد الصدر والنظرة الشمولية للإصلاح
٣٤٧	.....	صدّام والحوزة العلمية
٣٤٩	.....	مميزات الحركة الإصلاحية للشهيد الصدر
٣٤٩	.....	الأولى: الدخول في المفردات الجزئية
٣٥٠	.....	طرح الفكر الإسلامي
٣٥٢	.....	الثانية: ممارسة العمل الإصلاحي
٣٥٣	.....	الثالثة: شهادته

### آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين

٣٦١	.....	صديق الطفولة ورفيق الدرب
٣٦٢	.....	شمس الدين والنهضة الإسلامية
٣٦٣	.....	أبعاد شخصية الشيخ شمس الدين
٣٦٣	.....	الأول: بُعد الانتماء للعراق
٣٦٦	.....	الثاني: بُعد العمل المؤسّساتي
٣٦٨	.....	الثالث: بُعد العالمية
٣٧١	.....	الرابع: بُعد المقاومة
٣٧٣	.....	الخامس: بُعد المحتوى الثقافي والتجديدي
٣٧٤	.....	السادس: بُعد الإيمان بالمرجعية الدينية

## العلامة السيد محمد مهدي الحكيم

- المحور الأول: أبعاد الشخصية ..... ٣٨١
- البعد الأول: الجانب الشخصي ..... ٣٨١
- البعد الثاني: الهجرة في سبيل الله ..... ٣٨٤
- البعد الثالث: الثبات والصمود وعدم اليأس ..... ٣٨٦
- البعد الرابع: الأفق الواسع في الحركة ..... ٣٨٨
- البعد الخامس: التسليم للحكم الشرعي ..... ٣٩٣
- البعد السادس: القدوة في شخصية الحكيم ..... ٣٩٦
- المحور الثاني: التحرك السياسي ..... ٣٩٩
- الأولى: مرحلة التأسيس ..... ٣٩٩
- الثانية: مرحلة تعبئة الأمة ..... ٤٠١
- أهداف المرحلة ..... ٤٠١
- الأول: التعبئة السياسية ..... ٤٠٢
- الثاني: التعبئة الثقافية ..... ٤٠٥
- الثالثة: مرحلة المواجهة ..... ٤٠٦
- المحور الثالث: رحلة الشهادة ..... ٤٠٩
- أهداف السفر الى السودان ..... ٤٠٩
- العفالة القتلة ..... ٤١٠
- ظاهرة قتل العلماء ..... ٤١٢
- آثار دم الشهداء ..... ٤١٣
- مسؤولية الحكومة السودانية ..... ٤١٧

## الإمام السيد موسى الصدر

٤٢٤	..... العلاقة الشخصية بالإمام الصدر
٤٢٥	..... الإمام الصدر في لبنان
٤٢٩	..... المؤسسة الأولى: المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى
٤٣٣	..... المؤسسة الثانية: مؤسسة أفواج المقاومة اللبنانية
٤٣٥	..... علاقة الإمام الصدر بالمرجعية الدينية
٤٣٧	..... التشويش المقصود
٤٣٩	..... دوافع تغييب الإمام موسى الصدر
٤٤٠	..... أبعاد تغييب الإمام موسى الصدر
٤٤٥	..... المتابعة الشخصية للاختفاء

## ﴿الوثائق﴾

٤٤٨	..... وثيقة رقم (١)
٤٥٠	..... وثيقة رقم (٢)
٤٥٢	..... وثيقة رقم (٣)
٤٥٤	..... وثيقة رقم (٤)
٤٥٦	..... وثيقة رقم (٥) - ١
٤٥٨	..... وثيقة رقم (٥) - ٢
٤٦٠	..... وثيقة رقم (٦)
٤٦٢	..... وثيقة رقم (٧)
٤٦٤	..... وثيقة رقم (٨)

٤٦٦	وثيقة رقم (٩) - ١
٤٦٨	وثيقة رقم (٩) - ٢
٤٧٠	وثيقة رقم (١٠)
٤٧٢	وثيقة رقم (١١) - ١
٤٧٤	وثيقة رقم (١١) - ٢
٤٧٦	وثيقة رقم (١٢) - ١
٤٧٨	وثيقة رقم (١٢) - ٢
٤٨٠	وثيقة رقم (١٣)
٤٨٢	وثيقة رقم (١٤)
٤٨٥	ثبت المصادر والمراجع
٥٠٥	المحتويات
٥١٧	إصدارات المؤسسة

اصدارات مؤسسة تراث الشهيد الحكيم قائمه  
مؤلفات السيد شهيد المحراب قائمه

- ١- علوم القرآن
- ٢- تفسير سورة الصف
- ٣- تفسير سورة الحديد
- ٤- تفسير سورة الممتحنة
- ٥- تفسير سورة الحشر
- ٦- القصص القرآني
- ٧- المجتمع الإنساني في القرآن الكريم
- ٨- الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين
- ٩- الإمامة وأهل البيت عليهم السلام، النظرية والاستدلال
- ١٠- دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة
- ١١- الإمام علي عليه السلام، دراسة لجوانب من الشخصية والمنهج
- ١٢- الزهراء عليها السلام، أهداف مواقف نتائج
- ١٣- الإمام الحسين عليه السلام
- ١٤- الحج، تاريخه أبعاده أحكامه
- ١٥- الأربع عشرة، مناهج ورؤى
- ١٦- بين مقاومتين
- ١٧- المرجعية الدينية
- ١٨- الحوزة العلمية

- ١٩- الإمام الحكيم قدس سره
- ٢٠- الإمام الشهيد الصدر قدس سره، دراسة لجوانب من الفكر والشخصية والمنهج
- ٢١- الإمام الخميني قدس سره
- ٢٢- التقية من منظور الشيخ المفيد قدس سره
- ٢٣- المنهاج الثقافي السياسي
- ٢٤- الأصالة والمعاصرة
- ٢٥- دور الفرد في الاقتصاد الإسلامي
- ٢٦- وبشر الصابرين
- ٢٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٢٨- شيعة العراق، تاريخ ومواقف
- ٢٩- الشعائر الحسينية
- ٣٠- ضوء على القتل
- ٣١- التوبة
- ٣٢- الخطاب الإعلامي وسر النجاح
- ٣٣- انتفاضة صفر وشهيد المحراب قدس سره
- ٣٤- رفض الطغيان
- ٣٥- الحب في الله
- ٣٦- نافذة على الانفاق
- ٣٧- إطلالة على السيرة الذاتية
- ٣٨- الأخوة الإيمانية من منظور الثقلين
- ٣٩- الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق

٤٠\_ الحوزة العلمية، المشروع الإسلامي الحضاري (وهو الكتاب الذي بين يديك)

### البحوث والدراسات

- ١- أبحاث المؤتمر الأول (النجف الأشرف)
- ٢- أبحاث المؤتمر الثاني (الكوت)
- ٣- أبحاث المؤتمر الثالث (النجف الأشرف)
- ٤- البحث الدلالي عند السيد محمد باقر الحكيم قده
- ٥- الفكر السياسي للشهيد السيد محمد باقر الحكيم قده
- ٦- البحث القرآني عند السيد الشهيد محمد باقر الحكيم قده
- ٧- من النجف إلى النجف
- ٨- دموع القلم
- ٩- في رحاب المنتديات